

• مشكلة الفقر

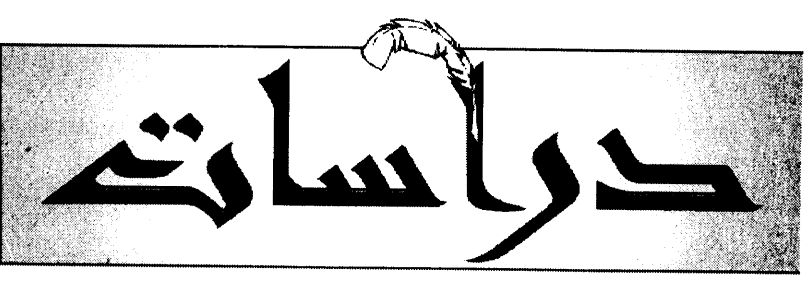
- التواصل العربي الافريقي عبر التاريخ
- العولمة والهيمنة
- الطريق الثالث وإمكانية تجاوز الأزمة
- قضايا (الجندر) في النظرية الجماهيرية وإشكالية المشاركة السياسية للمرأة
- ندوة اللغات العروبية

السنة الثانية .. العدد السادس .. ((الربيع)) 1369 و.ر / 2001 افرنجي

• ملف حالة :

الشرق أوسطية : المفهوم والابعاد

عيسى يوسف الحوتي



مجلة فصلية بحثية محكمة تعنى بقضايا ومشكلات الانسان
تصدر عن
وحدة البحوث والدراسات
بمكتب الاتصال باللجان الثورية

مجلة دراسات ـ العدد السادس ـ الربيع 1369 و . ر (2001 ف)

أمين التحرير : **د . أشقيفة الطاهر سعيد**

مدير التحرير : **سالم بشير ضو**

اللجنة الاستشارية :

د. مصطفى عبد الله خشيم **د. الهادي الدالي** **د. شعبان الأسود**

أ. عبد الله عثمان **د . يوسف محمد الصواني**

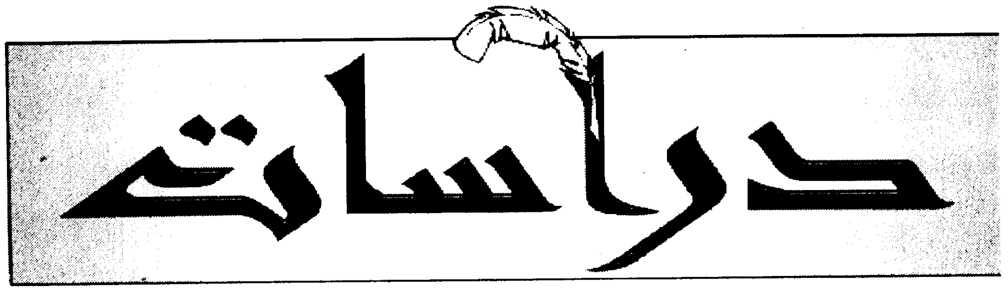
مراجعة لغوية : **أ. سلامة محمد علي .** تنفيذ فني : **عبدالسيد علي الحاسي**

جمع مرئي إخراج وتنفيذ فني : **مركز الوان للإنتاج الفني والإعلامي**
4776994 - 4776893 بريد مصور : **4776994**

المراسلات : شعبة التثقيف والاعلام – مكتب الاتصال باللجان الثورية .
الفلاح . طريق المطار – طرابلس – الجماهيرية العظمى .
هـ : 3610862

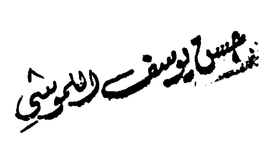
التوزيع : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان .
مصراتة – الجماهيرية العظمى .

الاشتراكات : يتفق بشأنها مع الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان



مجلة دراسات ـ العدد السادس ـ الربيع 1369 و . ر (2001 ف)

المحتويات



الملف الاقتصادي

قضايا و محاور

ملف اللغة

عرض لكتاب

ندوة

استهلال

الشرق أوسطية
ليس فضاء لصالح العرب

الشرق أوسطية ليس فضاء لصالح العرب ، إنه مصطلح وفكرة غربية غريبة لإدماج (إسرائيل)في الجسم العربي لتتمتع بميزات الأمن والشمس والماء والحياة .

إنها تعني أكثر من فتح الحدود والبوابات والأسواق العربية أمامها إلى فتح البيوت والتطبيع الثقافي والسياسي والاجتماعي بثمن بخسٍ وتحت وطأة الهزيمة .

الأفكار الأوروبية والأمريكية والإسرائيلية تتفق على خارطة جديدة لمناطق الشرق الأقصى والأوسط والأدنى تنتهي بنظام اقتصادي شرق أوسطي وسوق شرق أوسطية مشتركة على أساس المياه والسياحة والنفط ، كما قامت السوق الأوروبية المشتركة على الفحم والصلب من قبل ،لكنها تظل مجرد فكرة لا نصيب لها من الواقع ولن تبرح خيالهم ، فأي شراكة ومشاركة يمكن أن تقوم بين الأعداء، وأي تعايش يمكن أن يقوم على الاحتلال ،وأي سوق يمكن أن تقوم تحت سيف القوة وإرهاب الرعب النووي الصهيوني..! ! .

إن الشــرق الأوسط الجـديد بحــسب فكرة الأمــريكان والأوروبيين يستبعد فكرة القومية بعوامل وأسس إقليمية وجغرافية واقتصادية، عوامل التفوق الصهيوني والمال اليهودي ليكون محل سيطرة مطلقة .

إن العرب بحجمهم البشري المتعاظم وإمكانياتهم الاقتصادية الهائلة وموقعهم الاستراتيجي المهم في عصرالتكتلات والفضاءات ليس أمامهم إلا الفَضاء العربي الافريقي الذي يستوعب افريقيا كقارة عملاقة غنية بالثروات والمياه والقيم ، غنية بالشعوب التي تنتمي اليها إنها فرصة تاريخية للمنافسة وللمشاركة والشراكة والتعاون بالثقل الافريقي العربي مع كل القوى الفاعلة على الساحة الدولية ومع الفضاءات والتكتلات الموجودة .

إن الشراكة بين العرب وأفريقيا موجودة وقائمة عبر التاريخ لا تريد إلاّ من يقوي أسسها وركائزها ويستنهض هممها ويعزز دورها.

إنها الشراكة المطلوبة المرغوبة ، أمّا الشراكة المرفوضة فلن يكون لها نصيب إلاّ الرفض الدائم .

التحرير

العــولــة والهيـــمـــنة

أ. محمد الكوني بالحاج
كلية الآداب / زوارة

انبرى العديد من الكتاب والباحثين والمفكرين على مختلف مشاربهم وهوياتهم يكتوبون عن العولمة التي اصبحت الشغل الشاغل لهم جميعاً، وهذا يقودنا الى التساؤل هل العولمة تعني بالضرورة الهيمنة؟

هناك من أكد على عدم تطابق هذين المصطلحين وفرق بينهما وهذا الطرح يخدم المصالح الامريكية لان هدفنا الاساسي هو مواجهة الهيمنة الامريكية التي اتخدت من العولمة وسيلة لتكريس هذه الهيمنة وفي الوقت نفسه اكد العديد من الباحثين في اكثر من مناسبة ان الولايات المتحدة لن تستمر بالهيمنة على العالم بسبب مشاكلها الداخلية من ناحية ولتوقع ظهور مراكز قوى عالمية جديدة في العالم من ناحية اخرى ولكن سيبقى للولايات المتحدة مركز «مهم» لا «مهين» عندما يتجاوز الناتج القومي الصيني نظيره الامريكي في اوائل القرن القادم او مع تركيز دول اخرى على بناء قدرات عسكرية جبارة (1).

لقد شاع استخدام لفظ العولمة في اواخر القرن العشرين وبالذات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وبرغم أن هذه الظاهرة ليست حديثة بالدرجة التي قد توحي بها حداثة استعمال هذا اللفظ فالعناصر الاساسية في فكرة العولمة تتمثل في : ازدياد العلاقات المتبادلة بين الامم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات او في انتقال رؤوس الاموال او في انتشار المعلومات والافكار او في تأثر امة بقيم وعادات غيرها من الامم كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ قرون عدة (2) ولأجل ذلك فإن النظام الدولي قديم قدم الممالك والامبراطوريات وقدم مبدأ السلطة والدولة والصراع فيهما وحولهما لكن الجديد في ذلك هو قولبة اهداف العولمة لخدمة الامبريالية الامريكية وهيمنتها على العالم باعتبارها القطب الاقوى والقادر على التحكم في العالم لعدم وجود المنافس لها على الساحة الدولية .

ففي الفترة مابين 761-1258 أقام العرب اكبر امبراطورية عظمى وقدموا نموذجاً لنظام دولي كان يتعرض لخروقات وتمزقات ، وغزوات ، وحروب اي انه كان قائما على اسس سياسية واقتصادية واجتماعية اسهمت ولازالت تسهم في اثراء الفكر العالمي في مختلف جوانبه الحضارية على ان سقوط بغداد الاول 1258لم يكن سقوطا حضاريا لتلك الامبراطورية وذلك النظام لان استمرار المغرب العربي واسبانيا المسلمة حتى سقوط غرناطة 1492كان يشكل افقا لانطلاق الجواد العربي المنهوك والمحارب من أكثر من جهة ولكن الظروف الدولية كانت مانعة لذلك الانطلاق المتزامن مع نهضة اوروبا الغربية واكتشاف امريكا 1492 وبدء التبشير المسيحي في العالم الجديد (3).

وعند الحديث عن القرن الحادي والعشرين ننصرف اساساً الى النتائج المحتملة لعديد من

الحوادث ومنها الاهتمام بما سيكون عليه كل من النظام العالمي والاقليمي والنظام الثقافي وغير ذلك ونتساءل هل سيظل النظام العالمي نظاما مهيمنا فيه قطبُ واحد ام سيكون نظاما متعدد المراكز والاقطاب ؟ وهل سيبقى النظام الوطني نظام الدولة ، الأمة ، أو الدولة الوطنية القومية مكرسًا كواقع ونموذج ، أم سيفقد اهميته وجدواه امام عولمة الاقتصاد ولامحدودية الاعلام والمعلومات من جهة ثانية ؟ وماذا سيكون عليه النظام الثقافي مستقبلاً ؟(4) .

لازال الاهتمام بما يحمله القرن القادم بين طياته من مستجدات إلى درجة يخيل للمرء ان الانسانية هي بصدد الانتقال من مرحلة إلى أخرى مغايرة تمامًا بعد سنة **2000** فاهتمام الناس بالأحداث قديم قدم التاريخ بالحساب حساب الزمن بالسنين انطلاقًا من حادثة تاريخية مرجعية ، وهي تختلف في الإسلام عنها في المسيحية عنها في اليهودية وفي الصين وفي بلاد فارس وغيرها .

وإذا كان التاريخ الميلادي قد اصبح نظامًا عالميًا فذلك مظهر من مظاهر الهيمنة التي يمارسها الغرب على الصعيد العالمي ليس إلا ، أما التاريخ في حد ذاته ، واعني به نظام التوقيت الميلادي فليس له اي امتياز على غيره من نظم التوقيت الأخرى وميزته الوحيدة انه اصبح اليوم مرجعية عالمية لايستقيم في اذهان المنشدين إلى عالمية الغرب وثقافته وهيمنته ترتبت الحوادث التاريخية خارجها وذلك على العكس ماكان عليه الأمر في الماضي حيث كانت كل حضارة تؤرخ للحوادث من داخلها ، ولازالت بعض الحضارات فالحضارة العربية الاسلامية تعتمد مرجعياتها الخاصة لترتيب حوادث ماضيها وحاضرها بالتاريخ الهجري ، وميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والذي يعمل به إلى الآن ، فضلاً عن كونه ضروريًا لتنظيم حوادث التاريخ الاسلامي إذ به سجلت أول مرة(5) .

لقد عاش النظام العالمي الذي اطلق على نفسه اليوم الدولي الجديد نحو خمسمائة سنة فارضا انقسام الكرة الأرضية إلى اجزاء غير متكافئة وغير متسالمة ، وها نحن اليوم في ظل هيمنة امريكية توحي للناس كافة ان القوة الأمريكية ستأتي على العالم كله ، وهذا وهم وقعت فيه امريكا وحلفاؤها قد ينطلي على اعدائهم وفي مقدمتهم العرب(6) لأنهم عاجزون عن التصدي لهذه الهيمنة .

لقد اعتلت الولايات المتحدة الامريكية عرش العالم ، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي نتيجة تجاهل البعد القومي للقوميات التي كانت تشكل ذلك الاتحاد وكم افواه الجماهير ، والممارسات الاقتصادية والسياسية الخاطئة ، والبيروقراطية القاتلة ، وتحويل الجماهير إلى مجرد عبيد لايديولوجية معينة وهي الايديولوجية الشيوعية وتوابع للسلطة لأن الاتحاد السوفييتي(7) يجمع أُممًا متعددة لذا تتمزق خريطته من جراء استقلال هذه الأمم تحت شعار قوميتها(8) .

ان سقوط الاتحاد السوفييتي سمح للأمريكيين اتباع استراتيجية عبرت عنها صراحة وزارة الدفاع الأمريكية عام **1992**ف لقولها (يجب ان تبقى الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الوحيدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وعليها ان تمتلك الوسائل القادرة على منع اعادة بناء أية قوة عظمى في الشرق الأوسط كما يجب عليها ان تمنع حلفاءها من معارضة هيمنتها أو مقاومتها لكي تحتفظ بالسيادة حصرا وبشكل مطلق ، وعلى ان تكون قادرة على التدخل في اي مكان من العالم في الوقت نفسه ، يجب ان يكون هدف السياسة الخارجية للولايات المتحدة اقناع خصومها المحتملين ان لايطمعوا بالقيام بدور كبير شرطية ان تكون القوة العسكرية التي يجب ان تستند اليها هذه السياسة كافية لردع أية أمة أو دولة أو مجموعة من الأمم أو الدول التي يمكن ان تتجرأ على تحدي سيادة الولايات المتحدة وتفوقها وهيمنتها أو أن تتهدد النظام الاقتصادي الراهن ، ان الشيء المهم الذي يجب ان يفهمه الجميع هو ان النظام الدولي بالنهاية تضمنه الولايات المتحدة وهي المسؤولة وحدها عن تطبيقه وعليها ان تصبح مستعدة للعمل وحدها عن استحالة العمل الجماعي في الحالة التي تستدعي الأزمات الطارئة عمليات فورية وبعدم السماح بظهور أي نظام امني مستقل في اوروبا يمكن ان يتعرض مع حلف الأطلسي ، وان تبقى الولايات المتحدة قادرة على المساهمة

بالأمن والاستقرار الاقليمي ومنع ظهور أية قوة اقليمية(9) .

هذا المنطق تملك الولايات المتحدة الامريكية تصوراً عالمياً لهيمنتها الشاملة الاقتصادية والسياسية والعسكرية يضاف إلى هذا أن المسؤولين عن القرار السياسي قد اثبتوا عملياً انهم كانوا واعين كل الوعي بطبيعة وأهمية المقاومات التي لابد ان يصادفها مشروعهم الرامي إلى توحيد العالم عن طريق السوق ، وتحت عصاهم فقررت الادارة الأمريكية تدشين المرحلة الجديدة عن طريق الحرب ، باظهار : ـ

1 ـ أن النظام الجديد سيفرض على شعوب آسيا ، وافريقيا ، وامريكا اللاتينية بالعنف ، وبالعنف وحده ، مع التهديد بالإبادة الجماعية في نهاية المطاف .

2 ـ ان اوروبا واليابان ـ وبالرغم من بعض خطواتهما المتقدمة على صعيد المنافسة الاقتصادية والمالية ـ هشتان ومتوفقتان ومرتهنتان للقوات المسلحة الأمريكية(10) .

هذا هو النظام الدولي الجديد الذي تبشر به الولايات المتحدة الأمريكية ، والذي أخذت ملامحه الأساسية تتحدد بعد انفرادها بالسيطرة على العالم ويدعى له انه نظام يستهدف تحقيق السلم العالمي ، واقرار سيادة القانون في العلاقات الدولية ومبدأ المساواة بين الدول وذلك عبر تقوية دور المؤسسات العالمية للأم المتحدة ومجلس الأمن .

وعلى العكس من ذلك قد برهنت حرب الخليج لسنة 1991ف على ان القانون الدولي والمشروعية الدولية لم يكونا إلا أغلفة خارجية وبراقة فيما يخص الاستيلاء على منابع النفط العربي وبالتحكم فيها انعاشا للاقتصاد الامريكي.

اننا هذه المرة امام نوع من التكييف للمنظمات الدولية وبخاصة مجلس الأمن في استصدار قرارات تضفي الطابع القانوني المزعوم على ارادة سياسية امريكية وغربية لضرب وحصار الجماهيرية العظمى ، بتحويله إلى نوع من الهيئات القضائية التي تحكم مسبقاً بصحة الاتهام الغربي ، والامريكي للجماهيرية العظمى وذلك باصدار القرار(731) الذي صادق عليه مجلس الأمن في 21 ـ 1 ـ 1992ف والذي طالب فيه الجماهيرية العظمى الاستجابة التامة والفورية للطلبات الموجهة اليها من طرف الولايات المتحدة لامريكية وبريطانيا ، وفرنسا بتسليم اثنين من مواطنيها اتهمتهما بمسؤولية الاعتداء على طائرتين مدنيتين (11) .

ان شن الهجوم على الجماهيرية العظمى عام 1986ف و فرض حصار اقتصادي عليها ومظاهر التعنت ، ورفض كل الحلول التي اقترحتها الجماهيرية العظمى في اطار القانون الدولي الحق ،أي في اطار احترام استقلالية وسيادة كل دولة كل ذلك دليل على ان الغرض من التصعيد هو ايجاد الذرائع لتحقيق الأهداف السياسية المضمرة امابوسائل العدوان العسكري أو بالحصار الاقتصادي وهذا هو جوهر مايسمى بالنظام العالمي الجديد الذي ليس في العمق إلا تكريساً رسمياً لنظام الهيمنة الامريكية على العالم كله تحت شعار القانون والمشروعية والأمم المتحدة (12) .

إذاً هناك نظام عالمي يستند إلى الشرعية الدولية ، وإلى مبادئ الأمم المتحدة والقانون الدولي ، ولكن في النهاية كل ذلك كلام تبشيري ونظري جميل، ينم عن بعد اخلاقي لكننا في أرض الواقع لم نر شيئًا من ذلك فقرارات مجلس الأمن تطبق على العراق بينما لاتطبق على (اسرائيل) وكذلك تطبق على الجماهيرية العظمى بشأن اتهام اثنين من مواطنيها يشتبه بهما بارتكاب عمل ارهابي ولم يطبق على الكيان الصهيوني أو على بلدان اخرى وعلى العكس من ذلك فبعض الارهابيين المصريين يجدون في دول الغرب ملاذاً آمناً لهم ، على الرغم من ان العدل يقضي تسليمهم لمصر لمحاكمتهم على جرائمهم التي ارتكبوها في حين طالب الغرب تسليم الليبيين المتهمين في حادثة لوكربي ، وباختصار فإن العولمة تعني الهيمنة الاقتصادية والسياسية والثقافية لفرض النمط الرأسمالي على شعوب العالم ولاسيما التي كانت تسمى (دول العالم الثالث) وليس كما يدعي منظرو الغرب في اطلاق التعميمات الاساسية على السياسة الجديدة للدول الرأسمالية والتي تدعى صحة نظريتها بدليل انهيار النظرية المعادية لها وهي (الشيوعية) ومن خلال هذا الوصف أو هذا المنهج يمكن ان نرصد مجموعة من المتغيرات في عالم اليوم تفسر لنا

القول بنظام عالمي جديد ، وفي الوقت نفسه تفسر لنا بشكل أو بآخر موضوعية ظاهرة العولمة(13) .

يعد مفهوم العولمة من أكثر المفاهيم المتداولة في الفترة الأخيرة ، وفي الوقت نفسه من اكثرها غموضًا ولعل ذلك يرجع إلى العديد من الأسباب إلى اطلاق المصطلح ، وتعدد العمليات التي ينطوي عليها من عمليات اقتصادية وسياسية، وثقافية ، واجتماعية ، فضلاً عن تعدد الاقترابات في فهم هذا المصطلح مابين اقترابات ماركسية ترى في العولمة (الهجمة الأخيرة للرأسمالية) وإلى اقترابات حضارية ترى في العولمة مسعى لنفي الحضارات الأخرى غير الغربية ثم إلى اقترابات وطنية ترى في عملية العولمة توجها نحو تقويض سيادات دول العالم الثالث ، ان لم يكن تقويض هذه الدول ذاتها لفتح الباب واسعا امام هيمنة الرأسمالية وتوجيه الطابع القومي لشعوب العالم الثالث ، كما يتواءم ومقولات الحضارة الأوروأمريكية (14) .

ولم تزل (العولمة) مصطلحاً ومضموناً في طور من الغرابة ولم تعرف بعد الاستقرار ، انها ظاهرة تاريخية تبلورت عمليًا مع نهايات القرن العشرين مثلما تبلورت القومية عمليًا مع نهايات القرن التاسع عشر ، وبينهما ازدهرت الظاهرة الايديولوجية ، تتعارض القومية ، والايدولوجية مع العولمة كظاهرة جديدة والعولمة في الحقيقة ، نظام عالمي جديد له أدواته ووسائله وعناصره ومنجزاتها حصيلة تاريخية لعصر تنوعت فيه تلك التطورات التي ازدحم بها التاريخ الحديث للإنسان هكذا تأتي فلسفة العولمة لتجسد حصيلة كل ماقدمه التاريخ الحديث للبشرية لتأسيس تاريخ عولمي جديد للإنسان يستمد جزءًا - حتى ولو كان يسيراً - من منطلَقاته مما حفل به القرن التاسع عشر عسكريًا ، وما حفل به القرن العشرين سياسيًا ، من أجل ان يكون تأسيس القرن الحادي عشر اقتصاديًا بالدرجة الأولى (15) .

ومن خلال التعمق في قراءة الملامح الراهنة للنظام العالمي المتغير اننا بصدد معارك كبرى ايديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية من الصعب التنبؤ بنتائجها النهائية الآن لأن المسألة ستتوقف على قدرة نضال الشعوب على مواجهة العملية الكبرى التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية تحت شعار العولمة لإعادة انتاج نظام الهيمنة القديم (16) .

وأخذت ظاهرة(العولمة) من الجدل مساحته الكبرى وكان الأمر بديهيًا تحت وطأة استشراء هذه الظاهرة في مجمل الاحيان التي تنظم الحياة البشرية وهي تستعد لدخول الألف الثالث الميلادي ، ولأنها ظاهرة معقدة ومثيرة للالتباس والأشكال ولأنها فصولاً لم تكتمل بعد .. فقد جرى التعامل بوصفها مقولة مفتوحة على التأويل اللامتناهي ، ولعل اكثر التوصيفات مطابقة لها : هي انه نَظَر اليها ، ونُظِّر لها باعتبارها ذروة المال الذي بلغته ليبرالية آخر القرن ، وبقطع النظر عن الجدال الذي لم ينته حولها بعد ، فإن معظم الناشطين في تأويلها يرى في العولمة انها سيرورة مكثفة من التداخل العميق بين قضايا الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة او انتماء إلى وطن محدد لدولة بعينها (17) .

وهناك من وضع شكلاً للنظام الجديد مصمما لأن يكون صلة اتصال بين الولايات المتحدة التي تشكل المركز ، وبين الدائرة التابعة القريبة منها اي انه يصل بين امريكا والعالم .، في المجالين السياسي والعسكري دون الظواهر الاقتصادية وتقع على اطراف هذه الحلقة الكبرى الشاملة نقاط موزعة ومهمشة تمثل البلدان المعزولة والتي لاتتبع لأي نظام اقليمي وتشكل مجموعة نجوم الحلقة القريبة من المركز اربع مجموعات : الجماعة الاقتصادية الاوربية حيث تتنازع المانيا ، وبريطانيا على دور القطب فيها ، ثم المجموعة التي مركزها روسيا مع مشاكلها الداخلية والاقليمية ، والمجموعة الصفراء(التي يشكل اليابان دور قطب والمجموعة الرابعة ، التي تتضمن منطقة الشرق الأوسط التي تحتوي على مخزون هائل من النفط ، ويشكل الكيان الصهيوني في فلسطين القطب فيها ، دون منازع .

ولهذا النظام أقنية اتصال خاصة بين المراكز والحلقات الملحقة به ، والتي مركزها لندن ، وموسكو ، وطوكيو ، وتل الربيع فضلاً عن نظام الرتب ذات المهام المختلفة والتي تتبدل حسب الظروف ومشاكل الساعة ، وتحاط هذه الاقطاب

الأربعة بحزام من البلدان الحليفة والصديقة ، المرتبطة مع واشنطن مباشرة ، او عبر قطب آخر ملحق وتتضمن كل حلقة ملحقة نقاط ضعف وجيوب مقاومة المستهدفة من القطب المركزي والتي يتطلب وضعها إلى اهتمام خاص بها ومعالجتها في الوقت المناسب(18) .

ثمة اتفاق على عدم وضوح مفهوم العولمة وعلى صعوبة الإحاطة به من الناحيتين النظرية والعملية وعلى ضرورة التدقيق في أمره لأنه لايزال في طور التبلور والتكوين ، وربما لهذا السبب لاتزال مرجعية معظم الكتابات العربية في هذا الشأن هي المؤلفات والدراسات الأمريكية أو الاوروبية وبينهما يتوحد الرأي حول خلفية العولمة الاقتصادية وحول مراحل تطورها تراه يختلف حول توصيف مرحلتها التالية والنتائج التي ستترتب عليها ، بين من يدعون إلى التعامل معها ومن يعتبرها عملية غسل حقيقية للادمغة (19) وهناك من فهم العولمة على أنها القفز فوق حدود الدول والقوميات ، بهدف ربط البشرية ، اقتصاديًا ، وسياسيًا ، وثقافيًا في سوق عالمية واحدة وبمركز يقع خارج هذه الأوطان وتحرير الأسواق الوطنية والعالمية وتغييب الدور المحلي ، سعيًا إلى تحقيق رفاهية البشرية وتحقيق أفضل مردود تنموي تبعًا لخطاب العولمة واهدافها المعلنة ، مثلما يمكن النظر اليها بوصفها ثمرة من ثمرات ثورة المعرفة في عصر تكنولوجيا المعلومات التي أسقطت حواجز الزمان ، والمكان لتخترق عقل الانسان اينما وجد،ومن دون عوائق ،فضلاً عن انها تمثل على المستوى الاقتصادي أعلى مراحل التطور التاريخي للنظام الرأسمالي الإمبريالي ، وفي ظل هيمنة دول المركز وأمّركة النظام العالمي للسوق ، اما على مستوى الخطاب فيمكن أن نعد العولمة تطبيقًا عمليًا لنظرية المركزية الاوروبية وتعميقًا لمعادلتها الثنائية والمركز والهامش في اكثر تجلياتها تطرفًا وفردانية (20) .

ولايمكننا صياغة تعريف دقيق للعولمة بسبب تعدد هذه التعريفات لتأثرها بانحياز الكتاب والباحثين الايديولوجية وفهمهم لها من خلال قناعاتهم بفكرة العولمة واتجاهاتها فهناك رأي يرى ان العولمة تنطوي على عملية تحرر من ربقة الدولة القومية إلى افق الانسانية الواسع تحرر من نظام التخطيط الآمر الثقيل إلى نظام السوق الحرة ،تحرر من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعًا ، تحرر من التعصب لإيديولوجيا معينة إلى الانفتاح على مختلف الافكار دون تعصب وتشنج ، وتحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة من التحيز المسبق لأمة أو دين أو ايديولوجية بعينها إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة(21) .

وفي حين يرأى آخر انها دعوة إلي تبني نموذج معين ، وانها تعكس مظهرًا اساسيًا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا ، وهي ايضًا ايديولوجية تعبر بصورة مباشرة عن ارادة الهيمنة على العالم وامّركته(22).

وهناك تعريف آخر لها ، فتعني بشكل عام اندماج اسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات ، وتتكون الثقافة ضمن اطار من رأسمالية حرية السوق ، وبالتالي خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية ، وإلى الانحسار في سيادة الدولة ، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الكبيرة متخطية حدود القوميات(23) .

وتعريف رابع لها ،فهي القوى التي لايمكن السيطرة عليها داخل الاسواق الدولية ، والتي تحكمها الشركات متعددة الجنسيات التي لاتدين بأي ولاء لأي دولة قومية تعمل داخلها(24) .

ومن هنا نستطيع القول ان الأمر يتعلق بالدعوة إلى توسيع النموذج الامريكي وفسح المجال له ليشمل العالم كله ، وبما ان الدعوة إلى العولمة قد ظهرت فعلاً في الولايات المتحدة الامريكية هذا المعنى ، ولاسيما في اوساط المال ، والاقتصاد فيمكن لنا الاستنتاج بأن الأمر يتعلق ليس فقط بآلية من آليات التطور الرأسمالي الحديث ، بل ايضًا بالدعوة إلى تبني نموذج معين وبالتالي فالعولمة هي إلى جانب كونها نظامًا اقتصاديًا ، هي ايضًا ايديولوجيا تعبر عن هذا النظام وتخدمه

وتكرسه وهناك من يقرن بينها وبين (الأمركة) أي نشر وتعميم الطابع الامريكي(25) .

ووضع أحد المفكرين خمس مراحل للعولمة ، هي التي اوصلتنا للوضع الذي نحن نتحدث بصدده وهي كما يلي :-

المرحلة الأولى : الجنينية :-

استمرت في اوروبا منذ بواكير القرن الخامس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر ، هذه المرحلة شهدت نمو المجتمعات القومية ، واضعافاً للقيود التي كانت سائدة في القرون الوسطى ، كما تعمقت الأفكار الخاصة بالفرد وبالانسانية وسادت نظرية العالمية وبدأت الجغرافيا الحديثة ، وذاع التقويم الجريجوري .

المرحلة الثانية : النشوء :-

استمرت هذه المرحلة في اوربا اساسا من منتصف القرن الثامن عشر حتى عام **1870**م ومابعدها ، فقد حدث تحول مادي كبير في فكرة العولمةللوحدة المتجانسة واخذت تتبلور المفاهيم الخاصة بالعلاقات الدولية ، وبالأفراد باعتبارهم مواطنين لهم أوضاع مقننة في الدولة ونشأ مفهوم اكثر تحديداً للإنسانية ، وازداد إلى حد كبير عقد الاتفاقات الدولية ونشأت المؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات والاتصالات بين الدول وبدأت مشكلة قبول المجتمعات غير الاوروبية في (المجتمع الدولي) وبدأ الاهتمام بموضوع القومية والعالمية .

المرحلة الثالثة : الانطلاق :-

بدأت مرحلة الانطلاق من عام **1870**ف ومابعده واستمرت حتى العشرينات من القرن العشرين حيث ظهرت مفاهيم كونية مثل المجتمع القومي ، وظهرت مفاهيم تتعلق بالهويات القومية ، والفردية وتم ادماج عدد من المجتمعات غير الاوروبية في(المجتمع الدولي) وبدأت عملية الصياغة الدولية للأفكار الخاصة بالانسانية ومحاولة تطبيقها ، وحدث تطور هائل في عدد وسرعة الاشكال الكونية للاتصال وتمت المنافسة الكونية مثل الألعاب الاولمبية وجوائز نوبل وتم تطبيق فكرة الزمن العالمي والتبني شبه الكوني للتقويم الجريجوري ونشأت في هذه المرحلة العالمية الأولى ، عصبة الأمم .

المرحلة الرابعة :
الصراع من أجل الهيمنة :-

واستمرت هذه المرحلة من العشرينات حتى منتصف الستينات من القرن الحالي وبدأت الخلافات والحروب الفكرية حول المصطلحات الناشئة عن عملية العولمة والتي بدأت في مرحلة الانطلاق ، ونشأت صراعات كونية حول صور الحياة واشكالها المختلفة وقد تم التركيز على الموضوعات الانسانية والقاء القنبلة الذرية على اليابان وبروز الأمم المتحدة ودورها في حل المشكلات الدولية .

المرحلة الخامسة :
مرحلة عدم اليقين :-

والتي بدأت منذ الستينات ، وادت إلى اتجاهات وازمات في التسعينات وحيث تم ادماج العالم الثالث في المجتمع العالمي فبتصاعد الوعي الكوني في الستينات وحدث هبوط على القمر ، وتعمقت القيم مابعد المادية وشهدت نهاية المرحلة الباردة وشيوع الأسلحة الذرية ومحاولات الحد منها ، وتواجه المجتمعات الانسانية اليوم مشكلة تعدد الثقافات وتعدد السلالات داخل نفس المجتمع ،واصبحت المفاهيم الخاصة بالأفراد اكثر تعقيداً من خلال الاعتبارات الخاصة بالجنس والسلالة وضرب حركة الحقوق المدنية واصبح النظام الدولي اكثر سيولة وانتهى النظام الثنائي للقومية وازداد الاهتمام في هذه المرحلة بالمجتمع المدني العالمي والمواطنية العالمية ، وتم تدعيم نظام الاعلام الكوني (26) .

وهنا يقفز سؤال مهم ماالذي تجري عولمته؟

ان الذين يهللون لظاهرة العولمة ربما سوف يقعون في خطأ فادح لأنهم يفهمون العولمة أو يحاولون تصويرها على انها تنطوي على عملية (تحرر) من ربقة الدولة القومية إلى افق الانسانية الواسع ، تحرر من ربقة التخطيط الآمر الثقيل إلى نظام السوق الحرة ، تحرر من الولاء لثقافة ضيقة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعًا ، تحرر من التعصب لإيديولوجية معينة إلى

الانفتاح على مختلف الأفكار من دون أي تعصب وتشنج تحرر من كل صور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لأمة أو دين او ايديولوجية بعينها إلى عقلانية العلم وحياد الثقافة (27) .

ان سعي نظام العولمة الجديد إلى فرض نموذج ثقافي واحد هو النموذج الحضاري الغربي على شعوب الأرض كافة ، استناداً إلى مبدأ الهيمنة الاقتصادية والسياسية انما ينطوي على ضرب من التعسف يقف في الضد من قانون الطبيعة ومنطق الاشياء وصيرورة تشكل الحضارات الانسانية فالتنوع الثقافي للشعوب واختلاف المكونات الثقافية والاجتماعية لكل منها انما يتفق مع قانون حركة تلك المجتمعات وعلاقات اتصالها وجد لها تأثراً وتأثيراً ، وان أية محاولة لفرض نموذج واحد ستؤدي إلى خلخلة هذا التنوع وتهديد أهم معالم الحضارة الانسانية بالزوال ونقصد بها المكون الثقافي والخصوصية الحضارية لكل شعب من الشعوب (28) هكذا تصور لنا العولمة ومن ثم فقد اقترن الحديث عنها بكثرة عن اشياء براقة تخلب اللب : من حقوق الانسان والديمقراطية إلى الاشادة بالعقلانية والعلم وبقدرة الثقافة الحديثة على التغلب على كل مايعترض الانسان من عوائق ومشكلات والهجوم على التعصب بكل أشكاله : الديني أو القومي أو العرقي والزعم بأننا في كل هذه الأمور مقبلون على عصر جديد مجيد تنتصر فيه كل هذه القيم الرفيعة كاحترام حقوق الانسان(وبخاصة حقوق النساء) وتحقيق الديمقراطية التي هي جزء لايتجزأ من ظاهرة العولمة كما يصور كل من يقف في وجه العولمة على انه يقف في الحقيقة ضد التحرر من كل صور الاستعباد التي يمثلها استعباد الدولة واستعباد الجهل والفقر واستعباد التعصب ، كم يكون العالم جميلاً لو كان ذلك كله صحيحاً ولكن ـ الحقيقة للأسف ـ غير ذلك .

بل عكسها تماماً ومما يجعل البعض يؤيدها ويدافع عنها ، هو مايجري ظاهرياً حولها لايعبر عن حقيقتها لأنهم لن يتعرفوا على محتواها الحقيقي واهدافها الحقيقية لأنهم مغرقون بالأوهام والخيال(29) .

ان هدف الانسانية هو التغيير لتحقيق حريتها وسعادتها وبناء عالم افضل ولكن بني البشر اختلفوا دائماً في تحديد ماهو الأفضل لأي منهم (30) .

وعى الرغم من ذلك تثار اشكالية تتعلق بما إذا كانت العولمة مجرد تعبير عن النفوذ الامريكي أو شكل من أشكال الأمركة العالمية، أو انها تعبر عن تطورات ذات طابع كوني مستقلة بحد ذاتها ولاتحتاج إلاّ إلى انحسار السيطرة الامريكية عنها شيئاً فشيئاً في المستقبل فإن هناك ضرورة للتمييز بين العولمة كمجموعة من العمليات الاقتصادية ،الاجتماعية ،الثقافية الجارية فعلاً وبين ايديولوجية العولمة التي تقدم نفسها كبديل لكل شيء فالعولمة بمعناها الأول ليست شيئاً جديداً ولاطارئاً تاريخياً بل هي عملية تدريجية جارية منذ زمن لكنها تسارعت واتخذت اشكالاً جديدة اخرى هو هذا الناتج عن اكتمال بناء السوق الرأسمالي العالمي(31) .

وتعددت الآراء حول الآثار المحتملة التي يمكن ان تترتب على سيادة العولمة على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي .

1 ـ على المستوى السياسي :ـ

تبدو العولمة أمام مفارقة واضحة لاتدعو إلى الاطمئنان ففي الوقت الذي تبشر فيه بالديمقراطية والليبرالية وحقوق الانسان وحرية الفرد والحريات العامة فهي تغض الطرف عن انتهك هذ القيم في كثير من بلدان العالم إما بسبب المصالح التجارية أو بسبب سياسات بعض الدول وتحالفاتها ويكفينا مثال مايحدث في الشرق الأوسط ، ففي الوقت الذي يطوي فيه موضوع الديمقراطية وحقوق الانسان والسلاح النووي في الشأن الاسرائيلي يشهر السلاح نفسه وأسلحة اخرى معه بوجه دول عربية واسلامية إذا لم تتناغم والسياسات الامريكية والاسرائيلية (32) .

والعولمة انتقاص للسيادة الوطنية ، التي هي ليست مجرد فكرة ، بل هي وجود فلا وجود لأمة أو لشعب من دون ان يمارس حقه في السيادة الوطنية والعولمة التي تنادي بحقوق الانسان تنتهك أهم هذه الحقوق حينما تسمح بانتهاك السيادة الوطنية سواء من قبل الشركات المتعددة الجنسية أو المؤسسات الدولية في السيطرة على قراراتها ،

وحينما تدعو العولمة إلى تهميش دور الدولة واضعافها فإن ذلك يأتي في سياق افكارها وتطبيقاتها لليبرالية الجديدة على ارض الواقع فهي تريد دولة ضعيفة تسهل عملية السيطرة عليها وتحاول استخدام الدولة ـ في البلدان النامية خصوصا ـ كحارس لمصالحها وشرطي ، وبينما تريد اقامة دولة في المراكز الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة (33) .

ان قيام الولايات المتحدة بدور (شرطي العالم) وهي التي تحاول السيطرة علي هذا العالم ، وتنظيمه حسب مصالحها وفرضها القوانين قد نتج عنه ادراك العديد من دول العالم عن ماهية مصلحة الولايات المتحدة من الترويج لمثل هذه الشعارات فهي تستخدمها لإنهاك قوى العالم العربي والاسلامي ، بصفة خاصة ،فتحت هذه الدعاوي تقوم الولايات المتحدة بتوجيه الضربات العسكرية إلى العراق وتفرض الحظر الاقتصادي على الجماهيرية العظمى وعلى السودان وكأن هذه العقوبات لم توضع الا لتطبق على دول العالم العربي الاسلامي(34) .

وإذا كانت العولمة تقوم على تقييد استقلال الدول تقييداً متعاظماً بواسطة الاقتصاد ، فإن الرد الناجح عليها يكون بتحصين اقتصاد هذه الدول سبيلاً إلى تعظيم قدراتها الاقتصادية ولما كانت العولمة نظاماً لتكييف وابتلاع كوني للشعوب والدول فالرد الوحيد على هذا النظام هوالوعي الشعبي حيث يقيم واقعاً موضوعياً راسخ البنيان يكيف العولمة مع حاجاته بدل ان يتكيف هو مع متطلباتها ان توسيع دور الجماهير عبر الديمقراطية تمتد من عالم السياسة إلى عالم العمل والتنمية والقيم الموجهة للحياة العامة ، يعني تقليص دور الاعتماد على الخارج أو تكييفه مع المصالح الوطنية للدولة المعنية وتعظيم در الدولة كدولة شعبية اولاً واخيراً وإلاّ فإنها ستعجز عن صيانة استقلالها(35) والدولة الشعبية لايمكنها ان تكون حيوية ومفيدة إذا لم تكن مبنية على شرعية السلطة المستمدة اصلاً من الجماهير الشعبية (36) وهذا لايتأتى إلا باسلوب واحد ، ونظرية واحدة ولايمكن تحقيقها إلا بكيفية واحدة هي المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية فلا ديمقراطية بدون مؤتمرات شعبية واللجان في كل مكان (37) وبالغاء الأجور وتحرير الانسان من عبوديته والعودة إلى القواعد الطبيعية التي حددت العلاقة قبل ظهور الطبقات واشكال الحكومات والتشريعات الوطنية ان القواعد الطبيعية هي المقياس والمرجع والمصدر الوحيد في العلاقات الانسانية (38) .

وتبقى مسألة مهمة وهي إلى أي مدى يمكن ان تؤثر العولمة في بنية القبيلة والعشيرة والطائفة وهي البنى التحتية الراسخة في قلب المجتمعات العربية وعما إذا كانت هذه البنى التي صمدت حتى الآن في وجه غزوات اخرى في الماضي ستمتص ـ كما فعلت في الماضي ـ مؤثرات العولمة الجديدة ولاتحدث سوى تحولات على السطح لاتصل إلى العمق والقاع ،وتتمركز في فئات نخبوية صغيرة ومعزولة في دولة ما(39) .

2 ـ على المستوى الاقتصادي :ـ

تشير ظاهرة العولمة إلى جملة خصائص يتسم بها الاقتصاد العالمي اليوم ومازالت تأخذ طريقها نحو التعمق والرسوخ عبر مسار صاعد يمكن رصد جذوره التاريخية منذ عقود عديدة مضت من ابرزها :ـ

ـ النمو السريع للتجارة العالمية ، وتغير نمطها لصالح تجارة الخدمات التي اصبحت تزيد نسبتها عن التجارة السلعية واصبحت حركة رأس المال الدولي من اهم محركات الاقتصاد العالمي من حيث تعاظم دور الاستثمارات غير المباشرة وجوهر المعاملات في اسواق المال العالمية والتي تضم اسواق العملات واسواق الأسهم والسندات ، ومعظمها يتم خارج اطار مراقبة السلطات النقدية في مختلف الدول .

ـ تزايد سيطرة (الشركات المتعددة الجنسيات) على حركة التجارة والاستثمار والانتاج على الصعيد العالمي وهي اهم محرك لعملية العولمة .

ـ تعاظم دور المؤسسات العالمية المتعددة الاطراف في شكل العلاقات الاقتصادية الدولية ، ونشير هنا على وجه الخصوص إلى دور مؤسسات : البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، ومنظمة التجارة العالمية في التأثير على سياسات الدول الداخلية والخارجية(40) وغيرها من المؤسسات الاقتصادية

العالمية التي تسيطر عليها امريكا هذا فضلاً عن عشرات الاتفاقات التجارية الثنائية الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية استراتيجياً ذات طابع عالمي ، علماً بأنها ظلت عاجزة عن ان تشمل اجزاء من العالم مادامت فيه انظمة اخرى كانت ولاتزال على قيد الحياة(41) .

ويبشر انصار العولمة بالتقدم والرخاء والازدهار الذي ينتظر الدول التي تؤمن بها وتنفذ الاجراءات والسياسات الاقتصادية التي تتفق معها ولكنها مجرد اوهام تحاول بها الدول المتقدمة ان تخدع الدول النامية فاغلب الدول النامية تعتمد اقتصادياتها على تصدير ماليديها من مواد خام ونصف مصنعة مقابل استيراد السلع تامة الصنع من الدول المتقدمة وبالتالي فإن فتح الاسواق على مصراعيها يعني انخفاض أسعار المواد الخام لأدني مستوى ممكن نظراً لزيادة الكميات المعروضة من اطراف متعددة مقابل ارتفاع السلع تامة الصنع لأعلى مستوياتها ـ ونظراً لانخفاض الاطراف التي تعرضها ـ وهذا الوضع بالتأكيد يعني زيادة الدول المتقدمة غنىً والدول النامية فقراً ، كما انه يقضي على اية محاولة من أية دولة نامية لتنمية الصناعة الوطنية بها نتيجة لضعف قدراتها التنافسية واذا اخذنا في الاعتبار الاختلاف الشاسع بين هياكل الانتاج داخل كل من الدولة المتقدمة والدول النامية لأتضح لنا ان الدول النامية هي الأكثر تضرراً من ذلك وتحقق للدول المتقدمة مزيداً من الثروة والهيمنة والسيطرة(42) وفي هذا الصدد يمكن الاشارة إلى سياسة كل من البنك الدولي وصندوق النقد الدولي في احداث المجاعة في بلدان العالم الثالث فمثلاً حينما فرض على الحكومة الصومالية برنامج اصلاح بنيوي في بداية الثمانينات فكان من نتيجته ان تعرضت للخطر الفضيع موازنة الحكومة الصومالية تحت اشراف المؤسسة الدولية ـ وهي مؤسسات تدار في معظمها بعقل امريكي اساسا ـ نتج عنها نهب منظم وتدمير للزراعة فانهارت البنى التحتية وانخفضت النفقات المخصصة للزراعة بنسبة 85٪ بالمقارنة مع ماكانت عليه في أواسط السبعينات ومن جراء فوائد القروض القاسية اصبح الصومال اسير الاصلاح البنوي لإجباره على سداد الفوائد فانهارت الدولة واندلعت الحرب الأهلية وتفشت المجاعة ، ان هذا النموذج ـ الصومالي ـ يعكس ظاهرة دولية صارخة في طريقة تعامل الشركات الكبرى مع الشعوب الأمر الذي انتج في اكثر من بلد افريقي وآسيوي مجاعات وحروباً اهلية لم تنته إلى الآن (43) .

فإذا ذكرنا ان النظام الاقتصادي العالمي الجديد هو ـ في جوهره ـ نظام رأسمالي تتحكم فيه الثروات المتراكمة ، وتوجهه المؤسسات الخاصة التي تحوز تلك الثروات ذكرنا ان المنافسة الحرة يمكن ان تتحول إلى صراع وحشي تمليه المصالح الأنانية التي لاتعرف الشبع وإذا ذكرنا ان الضعفاء ـ وهم الكثرة الغالبة ـ يمكن ان يقعوا صرعى وضحايا هذا الصراع الوحشي فإن المنظومة القانونية والدستورية التي عاش العالم في ظلها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في منتصف الاربعينات وحتى نهاية هذا القرن ، هي منظمة الأمم المتحدة وميثاقها قد تداعت اركانها واهتزت قوائمها واصبحت مجرد عباءة ذات هيكل اداري ولكن جوهر(السلطة) فيها يكاد يستقر في يد واحدة لاتقبل منافساً ولاشريكاً ، وأعني بذلك يد الولايات المتحدة(44) .

ان النظام الاقتصادي الذي يبشر به ، ليس اكثر من نظام هيمنة مع فارق ان الخصومة الامريكية السوفيتية السابقة قد اختفت وفتح المجال امام الامبريالية في توزيع الأدوار على العالم ، بشكل يضمن لها دوام هيمنتها وقد تلجأ لإثارة العدوات بين الشعوب ، لإلهائها عن اهدافها الحقيقية ولكن الأجيال لابد ان تنتبه لتلك المؤامرات الدنيئة والتي لاتخفى عنهم(45) .

ان الترويج للعولمة على اساس حرية حركة السلع والخدمات والايدي العاملة وزرأس المال والمعلومات يحمل خدعة كبرى تقوم بها امريكا لسيطرتها على العالم على اساس فكرة اكتساح كل ثقافات واقتصاديات وسياسات العالم وبناه الاجتماعية وغطاءات الديمقراطية وحقوق الانسان وحماية الاقليات وبرامج الشراكة من اجل السلام ضمن مقولة الحضارة المنتصرة بغية تنميط العالم في القالب الامريكي التي لن يدفع ثمنها سوى عالم الجنوب الذي لايملك مايبادله من رأس المال أو التقنية والمعلومات التي تخضع لاحتكار الشركات

الغربية الجنسية فحتى الايدي العاملة الرخيصة جداً التي كانت تقوم عليها النظرية الاقتصادية الرأسمالية انتهت بدخول دول الشمال الصناعية مرحلة تقنية متطورة انهت الاعتماد الكلي على العمالة المتخصصة والعادية وجعلته في اضيق الحدود الممكنة وبالتالي فإن القول بأن المبادلات الحرة هي اساس اقتصاد العولمة هو قول مردود عليه بغياب صيغيه ومعايير المبادلة المتكافئة بين الأطراف المختلفة والتي تسعى امريكا إلى ان تكون الشرطي والتاجر والمالك وتكون محور ارتكاز النظام الاقتصادي العالمي اي مثل القلب في الجسم هذا في حد ذاته كفيل بالغاء دور الاطراف التي يمكن بترها والاستغناء عنها (46) .

ونجد في النظام الاقتصادي المذكور التفاوت الذي شهده العالم في القرن العشرين فحقق مستوى عاليا من النمو والتطور في العديد من المجالات مثل عدد السكان والانتاج إلى جانب تبادل السلع والخدمات وإذا ما اخذنا سنة 1950افرنجي كنقطة بداية فإننا نجد ان ماوصلت اليه البشرية الآن ونحن على اعتاب القرن الواحد والعشرين قد حققت طفرات كبيرة في الناتج الاقتصادي العالمي ففي عام 1980افرنجي مثلا بلغ هذا الناتج حوالي11.7تريليون دولار موزعة حسب الآتي : الدول الغنية والمتقدمة صناعياً والتي تشكل حوالي 23٪ من سكان العالم قد استحوذت على 77٪ من ثروة العالم في حين كانت حصة الدول النامية التي في طور النمو23٪ من الثروة العالمية على الرغم من ان سكانها يشكلون 77٪ من سكان العالم لاسيما وان هذه الحصة تتذبذب من حين إلى آخر سلباً منذ ذلك التاريخ(47).

ومن هذا ندرك النتائج المباشرة للعولمة هي تعميم الفقر وهو نتيجة حتمية لتعميق التفاوت الاقتصادي لأن القاعدة الاقتصادية التي تحكم اقتصاد العولمة هي انتاج اكثر ما يمكن من السلع والمصنوعات بأقل مايمكن من العمل انه منطق المنافسة في اطار العولمة وفي هذا الصدد توصلنا الاحصائيات إلى حقائق مهولة منها أنه في السنوات العشرة الماضية عملت 500شركة من اكبر الشركات العالمية على تسريح 400ألف عامل في المتوسط كل سنة على الرغم من ارتفاع ارباحها بصورة هائلة فإذا كان النمو الاقتصادي في الماضي يخلق مناصب العمل فإن النمو الاقتصادي في اطار العولمة والليبرالية المتوحشة يؤدي إلى تخفيض عدد مناصب العمل هذا يؤدي إلى ارتفاع البطالة مما سيؤدي حتماً إلى أزمات سياسية(48) مما يسبب في صراعات بين من يحاولون مساندة المجتمع الصناعي والحفاظ عليه وبين هؤلاء المستعدون للتقدم إلى ماورائه وهذا هو الصراع الكبير القادم في المستقبل لكن الصراعات التقليدية الأخرى بين الاعراق والطبقات والايديولوجيات لن تتلاشى بل قد تزداد حدة لاسيما عند حدوث انهيار اقتصادي واسع النطاق (49) .

5 ـ المستوى الثقافي : ـ

سجلت العولمة في أولى خطواتها صفحات اقتصادية فكان من ابرز ضحاياها الكيانات المؤدلجة والدول ذات السيادة القومية والتي كانت بمثابة رموز مقدسة وهي في طريقها زاحفة نحو التعولم ولم ينحصر الأمر في الاقتصادات المعولمة بل طالت ـ وبسرعة شديدة وبنسبة عالية ـ هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها وتقاليدها التي كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الغرابة والقداسة والمثل والخصوصيات والرموز والمصطلحات تأتي العولمة الثقافية لكي تفتح العالم كله بعضه على بعضه الآخر وباتت الحياة البشرية بكل اصنافها تترعرع شيئًا فشيئًا إلى ان تتعولم(50) وتتآكل بفعل تسارع آليات الاتصالات الدولية بفعل العولمة واصبح المواطن عرضة لأشكال متنوعة من قيم وتقاليد واعراف اجنبية عنه وفرضت قوى السوق ضرورة خصخصة التعليم ليتواكب مع احتياجات الشركات متعددة الجنسيات وقد كان لهذا وغيره آثاره في تغيير منظومة القيم والسلوك حيث ظهرت في الرموز الغربية (ملصقات العلم الأمريكي على السيارات والدراجات وفي انماط الغذاء(ماكدونالد وغيره) وفي اسلوب الغناء والملبس والبناء ، وفي الاحتفالات بالمناسبات إلى غير ذلك وكل هذا وغيره من شأنه تطويع الطابع القومي لشعوب العالم لمقتضيات العولمة وللأليات التي تفرضها قوى السوق بشكل يخلق نماذج استهلاكية مشوهة ويفرز قيما تتعارض مع ثافة المجتمع او يسفر عن ظهور وتعميق تناقضات مجتمعية خطيرة

وأحاسيس بالاغتراب داخل الوطن وتقليص الشعور بالولاء للوطن(51) .

وتبشر بعالم واحد تسوده ثقافة واحدة تحمل مفاهيم واحدة من شأنها القضاء على مشكلة التمايزات الثقافية بين الأمم المختلفة وتصبح سماء العالم مفتوحة لايحدها أي عائق ولاتمنعها حدود ثقافية من خلال الاتصالات التي لاتعترف بحواجز اختلاف اللغة والثقافة والقيم التي تسود كل مجتمع بل الأصل هو ثقافة واحدة تسود في عالم واحد ، هي ثقافة المهيمن على العالم ثقافة الغرب التي تهدف إلى تدمير القيم الفكرية والحضارية والاجتماعية والدينية للمجتمعات الأخرى ولاسيما العربية والاسلامية .

ولعل امتداد العولمة حتى تصل إلى الثقافة يعد من أهم الارتكازات التي يستند اليها الرأي المعارض لها ، فالقول بسيادة ثقافة واحدة من خلال الاتصالات لن يعني شيئًا سوى سيادة وهيمنة الثقافة والقيم الامريكية على العالم كله ، فالولايات المتحدة تتحكم وحدها في نحو 65٪ من المادة الاعلامية على مستوى العالم (52) .

وإذا كانت الحضارات أو الثقافات تمتاز في التاريخ الطويل للبشرية بأنها نسبية وان كل مجتمع اقام دستوره الاجتماعي وقيمه الاجتماعية ،لغته وحضارته وممارسته العلمية وقنن علاقاته مع الآخرين وهي تستمد من التجارب الإنسانية لدى المجتمعات الأخرى ماتحتاج اليه وتكفيه في اطار ثقافتها أما عالمية النظام الجديد التي هيمنت على السياسة الثقافية وذلك بامتلاك القوة السياسية العالمية متمثلة في نظام الأمم المتحدة واجهزتها إلى جانب ثورة المعلومات جميعًا وتنظيمًا واسترجاعًا وثورة الاتصال عن طريق الفضاء فلا يكاد ينجو من سطوة ذلك الاعلام المفروض على أي مجتمع من المجتمعات مهما كان موقعه الجغرافي وهذا ضرب من الهيمنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية (53) .

ومثال على ذلك شبكة الانترنت فمنذ مايزيد على ربع قرن اقامت وكالة المشاريع المتقدمة التابعة لوزارة الدفاع الامريكية شبكة (أربانيت) للربط بين الجامعات ومراكز البحوث الامريكية ضمانا لاستمرار التواصل بين العلماء ومتخذي القرار العسكري والسياسي في حالة حدوث ضربة سوفياتية نووية مفاجئة وظلت الشبكة تنمو بمعدلات هائلة حتى اصبحت (الشبكة الأم)أو(شبكة الشبكات) واصبحت من اهم الوسائل الاساسية لتحقيق النزعات الحالية نحو العولمة وقد حذر منها الفرنسي فرنسوا ليوتارد فقال:(ان مانشهده حاليًا ماهو إلا مرحلة جديدة من مراحل الضياع العالمي ويبدو من غير المستبعد ان تدخل دول العالم في حرب من اجل السيطرة على المعلومات كما حاربت في الماضي من اجل السيطرة على المستعمرات وبعد ذلك من اجل الحصول على المواد الخام والعمالة الرخيصة واستغلالها) (54) .

ونجد ان ابرز وسائل الاختراق: القنوات الفضائية ، والالكترونات والحواسب ،والانترنت ، ووسائل الاتصالات الجديدة ، والعلوم الفيزيائية ، والجينية ، والبيئية والطبيعية والاجتماعية وذلك بالسيطرة على الادراك وانطلاقا منها يتم اخضاع النفوس وتعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والتشويش على نظام القيم وتوجيه الخيال وتنميط الذوق وقولبة السلوك والبضائع كلها معارف دعائية تشكل في مجموعها مايمكن ان نطلق عليه ثقافة الاختراق(55).

اذًا يجب عدم انتظار ان تتخلى الولايات المتحدة الامريكية عن امبرياليتها وعدوانيتها او عدم انتظار ان تتخلى اوروبا عن اطماعها وسياستها العسكرية ولكن يجب بناء المناعة الذاتية لمواجهة السياسات الامبريالية الاستعمارية .

وعلى العرب الايتأسفوا على النظام لعالمي المنهار ولا على المنظومة الاشتراكية التي كانت بل يتأسفون على انفسهم فليبحثوا عن الخلل في انفسهم وفي انظمتهم السياسية وانماطهم الاقتصادية وعلاقتهم الاجتماعية وبنيهم العقلية (56) .

وخلاصة القول : ان المجتمعات التي تمنع المعرفة والتي تحتكرها هي مجتمعات رجعية متعصبة للجهل معادية للحرية وهكذا فالمجتمعات التي تمنع معرفة الدين كماهو هي مجتمعات رجعية متعصبة للجهل معادية للحرية والمجتمعات التي تحتكر المعرفة الدينية هي ايضًا مجتمعات رجعية متعصبة للجهل معادية للحرية .. والمجتمعات التي تشوه

دين الغير وحضارة الغير وسلوك الغير في حالة تقديمها كمعرفة لنفسها هي كذلك مجتمعات متعصبة رجعية معادية للحرية .. والمجتمعات التي تمنع المعرفة المادية هي مجتمعات رجعية متعصبة معادية للحرية .. والمجتمعات التي تحتكر المعرفة المادية هي مجتمعات رجعية متعصبة للجهل معادية للحرية ، المعرفة حق طبيعي لكل انسان وليس لأحد الحق ان يحرمه منه بأي مبرر إلا إذا ارتكب الانسان نفسه من الفعل مايمنعه من ذلك .

ان الجهل سينتهي عندما يقدم كل شيء على حقيقته وعندما تتوفر معرفته لكل انسان بالطريقة التي تناسبه (57) .

الهوامش

1 ـ اسامة امين الخولي (العرب والعولمة) مركز دراسات الوحدة العربية، ط2بيروت،1988،ص11 .

2 ـ جلال امين(العولمة والدولة ، العرب والعولمة) مرجع سبق ذكره، ص153.

3 ـ خليل احمد خليل «الخيار الوحدوي العربي في ظل النظام الدولي الجديد(مجلة الوحدة ، السنة الثامنة ، العدد90، مارس 1992، المجلس القومي للثقافة العربية ، المغرب ، ص20 .

4 ـ محمد عابد الجابري ، المشروع النهضوي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1996،ص179.

5 ـ المرجع نفسه ، ص180 .

6 ـ خليل احمد خليل (الخيار الوحدوي العربي في ظل النظام الدولي الجديد)، مرجع سبق ذكره ، ص14.

7 ـ موسى الزعبي ، نظام دولي جديد ام هيمنة امبريالية جديدة ، دمشق ، ص83 .

8 ـ معمر القذافي ، الكتاب الأخضر ، الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة ، ص139 .

9 ـ موسى الزعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص10 ـ11 .

10 ـ سمير امين ، النزعة العسكرية في النظام الدولي الجديد (مجلة الوحدة)، مرجع سبق ذكره ، ص35 .

11 ـ محمد سبيلا(النظام الدولي الجديد الذرائع القانونية والاهداف السياسية للقرار (731) مجلة الوحدة ، مرجع سبق ذكره ، ص64.

12 ـ المرجع نفسه ،ص67 .

13 ـ طه عبدالعليم ، ندوة العولمة ، جمعية الدعوةالاسلامية العالمية طرابلس ،1998، ص17 ـ18 .

14 ـ ابراهيم نصر الدين (العولمة وانعكاساتها على دول العالم الثالث «ندوة العولمة » مرجع سبق ذكره ، ص34

15 ـ سيار الجميل ، العولمة والعرب مركز دراسات الوحدة العربية مرجع سبق ذكره ، ص38 .

16 ـ السيد ياسين(في مفهوم العرلمة) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص62.

17 ـ محمود حيدر (عولمة آخر القرن اممية بلا أخلاق (مجلة الشاهد) ، العدد الأول ،161أي النار (يناير)1999شركة الشاهد للنشر ، قبرص ، ص76.

18 ـ موسى الزعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص286 ـ287 .

19 ـ طلال عتريس ، العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص44.

20 ـ صالح هويدي (العولمة مركب النجاة الجديد) مجلة دراسات ، العدد2 ـ3 السنة الأولى ، الفاتح (سبتمبر1999م) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، مصراتة ،ص152 .

21 ـ جلال امين (العولمة والدولة) مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ،ص163 ـ 164 .

22 ـ محمد عابد الجابري(العولمة والهوية الثقافية) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص300.

23 ـ محمد الاطرش (العرب والعولمة : ماالعمل) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص412.

24 ـ وليد ابراهيم (المسلمون في مواجهة العولمة) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص106 .

25 ـ محمد عابد الجابري (قضايا في الفكر المعاصر) ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت،1997، ص137 .

26 ـ السيد ياسين ، في مفهوم العولمة ، ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص69 ـ70 .

27 ـ جلال امين ، العولمة والهيمنة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص163 .
28 ـ صالح هويدي (العولمة: مركب النجاة الجديد) ، مرجع سبق ذكره،156.
29 ـ جلال امين ، العولمة والدولة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص164.
30 ـ شروح الكتاب الأخضر(1) ، (العالم يتقلب ولم يتغير) المجلد الأول، المركز العالمي لدراسات وابحاث الكتاب الاخضر ، ط2، طرابلس ،1988،ص54 .
31 ـ يوسف صوان ،(العولمة والهويات والثقافية القومية) ، مجلة دراسات ، السنة الأولى ، العدد الأول ، الربيع ـ مارس 1999، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان مصراتة ، ص12 ـ13 .
32 ـ طلال عتريس ، العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ،ص46 .
33 ـ منير الحمش ، ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص53 ـ54 .
34 ـ وليد ابراهيم (المسلمون في مواجهة العولمة) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص108 .
35 ـ ميشيل كيلو (العولمة من منظور الاستقلال) مجلة الشاهد ، العدد الثاني عشر ،160 ، الكانون 1988، قبرص ، ص150.
36 ـ فهيمة شرف الدين (العرب والعولمة) مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ،ص475 .
37 ـ معمر القذافي ، مصدر سبق ذكره ، ص48.
38 ـ المصدر نفسه ، ص81 .
39 ـ اسامة امين الخولي(العرب والعولمة) مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص11 .
40 ـ عراقي عبدالعزيز الشربيني (ظاهرة العولمة بعض الابعاد الاقتصادية)ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص76 ـ 77 .
41 ـ بول سالم (الولايات المتحدة والعولمة :معالم الهيمنة في مطلع القرن الحادي والعشرين) العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص217 .
42 ـ وليد ابراهيم (المسلمون في مواجهة العولمة) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص108 ـ 109 .
43 ـ حسن الحاج حسن (بؤس الدولة في ظاهرة العولمة اضمحلال مبدأ الرعاية) مجلة الشاهد ، العدد الأول ، قبرص ،ص90 .
44 ـ احمد كمال ابو المجد (العولمة والهوية ودور الاديان) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ، ص55 .
45 ـ موسى الزعبي ، مرجع سبق ذكره ، ص330 .
46 ـ اشقيفة الطاهر(العولمة واحتمالات المستقبل) مجلة دراسات(1) ، مرجع سبق ذكره ،ص8 ـ9 .
47 ـ شعبان الطاهر الاسود (التفاوت بين الدول الغنية والفقيرة)مجلة دراسات(1) ، مرجع سبق ذكره ،ص18 .
48 ـ محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مرجع سبق ذكره ، ص141ـ 142 .
49 ـالفن توفلر ، حضارة الموجة الثالثة ، ترجمة عصام الشيخ قاسم ، الدار الجماهيرية للنشر ، مصراتة 1990،ص475 .
50 ـ سيار الجميل ، العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص38 ـ39 .
51 ـ ابراهيم نصر الدين (العولمة وانعكاساتها على دول العالم الثالث) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ،ص43 .
52 ـ وليد ابراهيم (المسلمون في مواجهة العولمة) ندوة العولمة ، مرجع سبق ذكره ،ص109 ـ110 .
53 ـ محيي الدين صابر (الثقافة العربية وتحديات المستقبل)المثقف العربي همومه وعطاؤه ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،1995، ص295 ـ296 .
54 ـ انطوان زحلان (العولمة والتطور الثقافي)مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص116ـ117 .
55 ـ محمد عابد الجابري (العولمة والهوية الثقافية) مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سبق ذكره ، ص310 ـ 302.
56 ـ عبدالله صالح الميثالي (الوطن العربي .. والنظام العالمي الجديد) مجلة دراسات(2 ـ3) مرجع سبق ذكره ص114 .
57 ـ معمر القذافي الكتاب الأخضر ، مصد سبق ذكره ، ص186 ـ187 .

الملف السياسي

الدولة ومجالها الحيوي في عصر العولمة

د . فلاح المحنّة
جامعة ناصر

لقد بدأت دراسة الدولة ومقوماتها منذ مايزيد على الفي سنة ، وذلك بالرغم من ظهور الجغرافية السياسية كعلم مستقل ذي منهج محدد ومنظم في اواخر القرن التاسع عشر . وقد برز في افكار الاقدمين مبدأ العلاقات القائمة بين الظاهرات الطبيعية والسلوك السياسي ، ومازال بعض هذه المبادىء اساساً لافكار حديثة والبعض الآخر اثبتت الدراسات خطأه ، فعلى سبيل المثال لاحظ ارسطو ان الاقاليم الجغرافية ذات السطح المتنوع « جبال ، سهول ، هضاب » تنشأ بها عدة وحدات سياسية وليس وحدة واحدة ، ويتمشى ذلك مع بعض الافكار الحديثة التى شهد بصحتها تاريخ الاقاليم السياسية في كثير من مناطق العالم وبينما الرأي القديم القائل بحتمية تأثير المناخ في توفير بعض الخصائص المميزة لدى مجموعة معينة من البشر بحيث تمكنها من ان تحكم وتسود المجموعات البشرية الاخرى ، راي ليس له نصيب من الصحة .

وفي هذا يقول ارسطو: يتميز سكان المناطق الحارة بدرجة عالية من الذكاء ولكنهم يتسمون بالخمول ، اما سكان المناطق الباردة فعلى النقيض من ذلك فإنهم يتحلون بالنشاط والحيوية ولكنهم يفتقرون الى الذكاء الوقاد . اما المنطقة المعتدلة (والتى من ضمنها اليونان بلد أرسطو) فأنها تتسم بالحيوية والذكاء ، اي تجمع بين الصفات الايجابية في المناطق الحارة والباردة على السواء . وهذه الاراء الاخيرة لأرسطو لم يثبت الزمن صحتها .

وقد بدأ احياء دراسة العلاقات بين الظاهرات الطبيعية والسياسية في اوائل القرن السادس عشر على يد بعض الكتاب مثل المفكر الفرنسي جان بودان (1530 ـ 1596 م) احد كتاب عصر النهضة الذي ربط بين طبائع الناس والمناخ ، وكتب محاولاً تحديد شكل الحكومة او الجمهورية واوضح ان الخصائص القومية تختلف حسب اختلافات المناخ والسطح ، فشعوب الاقاليم المناخية الباردة او المناطق الجبلية يتميزون بالقوة والنظام والشجاعة ، بينما يتصف اهل الاقاليم الجنوبية الحارة بالمكر والاخذ بالثأر : اما أهل الاقاليم المعتدلة المناخ فأكثر فطنة من اهل الشمال واكثر نشاطاً من اهل الجنوب ويختصون دون غيرهم بالقدرة على القيادة .(1)

وطالما ان الشخصية القومية تختلف باختلاف البيئات ، فإن التركيب السياسي للدول والقوانين

السائدة فيها يتأثر تأثراً كبيراً بهذا التباين ، ومن هنا يبدو مفهوم الحتمية الجغرافية التى تجعل البيئة الطبيعية للانسان وخصائصه ونظمه السياسية التى تحكمه اجزاء من نظام طبيعي عالمى لايستطيع الانسان تغييره .

وقد ذكر مونتسكيو (1689 ـ 1755 م) في كتابه روح القوانين آثار المناخ والسطح على حياة الشعوب والقوانين والنظم السياسية ، فأوضح ان المناخ البارد يرتبط عادة بالحرية السياسية ، بينما المناخ الحار يؤدي الى العبودية والتحكم المطلق وتسمح السهول الفسيحة بتكوين امبراطوريات بينما تنمي الجبال والتلال الشعور بالاستقلال والنزوح نحو الحرية ، كما ان سكان الجزر يمكن ان يدافعوا عن حريتهم بفعالية اكثر من سكان الاراضي القارية ومن ثم فإن تطلعاتهم تنحو باستمرار نحو الحرية (1) .

تطور مفهوم الحتمية الجغرافية

وفى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تطورت افكار الحتمية في مجال الجغرافيا ، ويرجع جانب كبير من تطور الجغرافية السياسية آنذا ك الى جهود اثنين من العلماء الالمان هما : كارل ريتر وفردريك رانزل ، وكان ريتر (1779 ـ 1859 م) ولسنوات عديدة استاذاً للجغرافية في جامعة برلين ، وذكر بأن الحضارات البشرية ماهي الا وجود عضوي داخل الطبيعة وانها تولد وتنمو وتنضج ثم ماتلبث ان تموت ، وقد طور افكاره في صورة تقسيمات اقليمية داخل الكرة الارضية الموحدة التى يقسمها الى قسمين : اليابس (القارات) والماء (المحيطات) ثم قسم اليابس الى قسمين هما العالم القديم والجديد ، وقد تناول ريتر القارات كلها على انها وحدة طبيعية كاملة واعتبر الانسان وتنظيماته جزءاً من الوحدة .

ثم تطور منهج الجغرافيا السياسية الحديث على يد فردريك راتزل (1884 ـ 1904م) والذي اصبح استاذاً للجغرافيا في جامعة ليبرج بعد عشرين سنة من وفاة ريتر وفي الوقت الذي تناول فيه المفكرون القدامى دراسة العلاقات العامة العريضة بين البيئة الجغرافية والقوى السياسية فإن راتزل ومن تبعه نهجوا نهجاً آخر منتظما لتحليل التأثير البيئي على الوحدات السياسية ، وقد اهتم راتزل في كتاباته عن الجغرافية السياسية بنمو الدول بصفة خاصة ، واعتمد في ذلك على مبدأ ريتر في الحضارات العضوية ، ولذلك فقد اسهب في وصف الدولة العضوية ككائن حي قائم في مجال محدد ، وغذى فكره بكتابات دارون عن القوانين البيولوجية للانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح .

ظهور فكرة المجال الحيوي

ومن هنا تمكن راتزل من تصوير الدولة ككائن حي يعيش في مجال معين ويناضل في سبيل توسيع هذا المجال فيما يعرف بالمجال الحيوي Li- vinq roomفالدولة الفتية في بيئة طبيعية مناسبة يمكنها ان توسع من حدودها وان تصبح وحدة سياسية ذات قوة كبرى اذن فالمجال الحيوي يعني نفوذ الدولة وسيادتها خارج رقعتها الاصلية .

وقد اورد راتزل سبعة قوانين تحكم حركة الدولة في مجالها الحيوي وذلك في مقال له بعنوان (القوانين السبعة للنمو الارضي للدولة)

وهذه القوانين هي (2)

1ـ ان مساحة الدولة تنمو وتتزايد بنمو الحضارة الخاصة بها .

2ـ ان نمو الدولة واتساع حدودها عملية لاحقة لمظاهر التقدم الاخرى الخاصة بسكانها مثل التجارة والافكار والنشاط التبشيري وغير ذلك .

3ـ ان نمو الدولة يتم من خلال عمليات الدمج والاستيعاب للوحدات الاصغر منها .

4ـ ان الحدود السياسية هي الكائن الحي الخارجي المغلف للدولة والذي يعكس نموها وقوتها ويضمن لها الأمن والحماية .

5ـ ان الدولة تسعى اثناء مراحل نموها الى ضم واستيعاب الاقاليم ذات القيمة السياسية مثل

السواحل والاودية والسهول والمناطق الاخرى الغنية بمواردها الاقتصادية .

6- ان الحافز الاول للنمو الاقليمى والتوسع يأتي للدولة البدائية من الخارج ومن حضارة أعلى منها ، ومعنى ذلك ان الدولة ذات المدنية الاعلى تنزع الى التوسع على حساب الدولة ذات الحضارات الادنى .

7- ان الميل العام نحو التوسع الارضي والدمج والاستيعاب ينتقل من دولة الى دولة ثم مايلبث ان يشتد ويتزايد بعد ذلك (وبعبارة اخرى فإن عملية التوسع تزيد الشهية نحو توسع اكبر) . وقد نشر راتزال كتابه : الجغرافيا السياسية عام 1897 م وهو اول كتاب يضع اسساً لعلم الجغرافيا السياسية ، ومن خلال آرائه التي اوردها في كتابه يبدو مدى تمسكه بأن مساحة الدولة هي مقياس قوتها السياسية

وبأن على سكان الدولة ان يوسعوا هذه المساحة باستمرار ومن هنا يبدو اتجاهه التوسعي وتحبيذه لمبدأ التوسع الاقليمي للدولة على حساب الدول المجاورة ، بل انه رأى بأن انهيار الدولة يكون نتيجة لانهيار مجالها الحيوي وبأن الحدود السياسية لسيت في نظره خطوطاً ثابتة ولكنها منطقة استيعاب مستقلة ShifiLinq Zone oF Assimlation وانها لابد وان تتجاوب باستمرار مع احتياجات الدولة .

وقد طرأ تعديل على رأى راتزل القائل بأن الدولة كائن عضوي على يدعالم سويدى هو رودلف كيلين (1864 - 1922 م) والذي يرجع اليه الفضل في انه أول من استخدم مصطلح الجيوبوليتيكا Geo-poIitic والتي عرفها بانها البيئة الطبيعية للدولة ، وقد نقل عن راتزل مفهوم الدولة كائن عضوي وان الهدف النهائى للدولة هو الوصول الى القوة الا انه ذكر بأن الدولة في نضالها من اجل القوة لاتتبع بالضرورة القوانين الطبيعية البسيطة للتوسع الاقليمي ، وبدلاً من ذلك فإنها تستخدم الاساليب الحضارية الحديثة التى تمكنها من الوصول الى غايتها ، وبذا فإن الهدف النهائى للدولة يكون الوصول الى حدود طبيعية جيدة خارجياً والى وحدة متناسقة داخلياً .

مظاهر فكرة المجال الحيوى

اذا كان كيلين قد حظي بفضل السبق في استخدام مفهوم الجيوبوليتيكا التى عرفها بأنها البيئة الطبيعية للدولة فإن هذا المفهوم قد تطور بعد ذلك خاصة عند الالمان فيما بعد الحرب العالمية الاولى حيث ساد مبدأ الدولة كائن حي ويعد كارل هاوسهوفر (1869 - 1946) مؤسس الجيوبوليتيكا الالمانية ، وقد تأثر كثيراً بآراء الذين سبقوه مثل راتزل وكيلين ، وقد تحول مفهومه فى الجيوبوليتيكا الى خدمة الاغراض القومية لالمانيا اي اصبحت دراسة المجال الحيوى من وجهة نظر الدولة ذاتها ، وان الدولة ينبغي ان تحقق المطالب القومية وان تناضل في سبيل تحقيق هذا المجال الحيوي الذي يعد مرادفاً للتوسع العسكري ، وقد اصبحت هذه الفكرة الخطيرة في الواقع من الدعاوى الرئيسية التى ارتكزت عليها النازية الالمانية في توسعها الاقليمى في اوروبا فيما بعد الحرب العالمية الاولى .

ماالفرق بين الجيوبوليتيكا والجغرافية السياسية ؟

ان الجيوبوليتيكا تحاول وضع الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة (اي لتحقيق اغراضها في مجالها الحيوي حتى ولو كان ذلك على حساب جيرانها) بينما الجغرافيا السياسية ليست سوى صورة الدولة (اي تحليل عناصر القوة فى بناء الدولة السياسي) (3)

وخلاصة القول فإن الجيوبوليتيكا علم سياسي يستمد جذوره من علم الجغرافيا وحقائقه المتشبعة ويعمل على الافادة منها لخدمة خطط سياسية معينة يتبناها صانعو السياسة وصناع القرارات في الدولة.

متى انحسرت افكار الجيوبوليتيك الالمانية ؟

في عام 1990 م تمت الوحدة الالمانية بين شطري

المانيا (الشرقية والغربية) ولكن بشروط هامة منها: التزام المانيا بعدم المطالبة بما اقتطع منها من اراض واقاليم في الحربين العالميتين (الاولى والثانية) وعدم المطالبة بالعودة الى الحدود القديمة التى كانت لها قبل الحرب الثانية وقبل الحرب الاولى ، وان تسلم بأن الحدود الحالية التى تجمع شطريها هي حدودها الدائمة المستقرة ، وان تلتزم بالاقلاع تماماً عن الافكار السياسية القديمة افكار الجيوبوليتيك الالمانية ، وان تواجه بحزم اية حركات داخلية (كالحركات الشبابية النازية) التي تدعو الى مثل هذه الافكار . وعليها ان تدخل في نظام عالمي جديد (تحت اشراف الامم المتحدة ومجلس الامن) وتعد (المانيا الموحدة) الآن .. نشأة جديدة لالمانيا تجمع عناصر القوة في دولة شابة قوية تمثل اقوى دول غرب اوروبا ، بل اقوى دول اوروبا جميعاً .. وهكذا انحسرت افكار المدرسة الالمانية بما كان لها من جيوبوليتيك خاصة بها واصبحت الدولة الجديدة تسير في ركاب العالمية وفي الصفوف الاولى للنظام العالمي الجديد (او نظام العولمة) وتشارك في الامن الجماعي الذي تشرف عليه الامم المتحدة في حدود مايسمح به الدستور الخاص بها (4) \

التغيرات في مفهوم المجال الحيوي :

المفهوم الفرنسي للمجال الحيوي : في اواخر القرن التاسع عشر تطور مفهوم الجغرافيا السياسية لدى العلماء الفرنسيين وظهرت في مدرستهم آراء علمية في مجال هذا العلم ، وقد عارض العلماء المحدثين العلماء الالمان في زعمهم (ان الدولة كائن حي ذات حدود ديناميكية تتحرك بنمو الدولة ، وانها يجب ان تقوي نفسها بتوسيع رقعتها لكي تستطيع البقاء) ، ويقول الفرنسيون الجغرافيون ان (الدولة) هي ماستقرت بسكانها في داخل حدود ثابتة مستقرة ، وتقوم بين سكانها (وحدة قومية ثقافية) حيث يرتبطون بروابط عرقية ولغوية ودينية وتاريخية واحدة ، ويرون ايضاً ان الدولة لكي تحيا وتستمر لابد لها من النضال والعمل على توسيع مجالها الحيوي (اي مجال نفوذها خارج رقعتها الاصلية) وليس من الضروري ان يكون ذلك على حساب جيرانها ، ذلك لأن علاقة الدولة (اي دولة) بجاراتها يجب ان تكون علاقة طيبة ومستقرة .

وبنى علماء الجغرافيا الفرنسيون آراءهم في استراتيجية الدولة على انه يمكن ان توسع من مجالها الحيوى - خارج رقعتها - دون الاحتكاك بالجيران ، ويمكن ان يتم ذلك خارج اوروبا .. وتطبيقاً لهذا النهج فقد احتلت فرنسا مصر وتونس والجزائر وجيبوتي وسوريا ولبنان ودول افريقية اخرى واستعمرتها لسنوات طويلة .. واهتم علماء المدرسة الفرنسية الحديثون منذ بداية القرن العشرين بدراسة الامكانات الاقتصادية وامكانيات استغلالها في الجهات التى استوطنها الفرنسيون .. ومن علماء المدرسة الفرنسية الحديثين : برون **Brunes**وآنسل **Ancel**وديمانجون **Demanqon**وقد انسحبت ولم يعد لها من نفوذ الا مايمكن ان نسميه (نفوذ رعاية) في عدد من مستعمراتها السابقة التي استقلت ولكنها دخلت فيما سمي (بالدول الناطقة بالفرنسية) بالفرانكفونية ، بزعامة فرنسا ، وكان عليها ان تنسحب من مجالنا الحيوي (او معظمه)وتقتنع بعيشها فى رقعتها الاصلية ، واهتمت بتنمية مواردها من اراضيها واهتمت باستثماراتها المتاحة في دول الرابطة التى تشرف عليها (والتى تضم 50 بلداً ويرأسها حالياً بطرس بطرس غالى) وتعد فرنسا الآن القوة الثانية في اوروبا - بعد المانيا الموحدة - وتلعب دوراً بارزاً في السوق الاوروبية المشتركة وفي مجموعة الدول الاوربية التى تسعى الى تحقيق الوحدة الاوروبية ، كما انها تلعب دوراً بارزاًفي النظام العالمي الجديد (او نظام العولمة) والامن الجماعي تحت مظلة مجلس الامن والامم المتحدة (5)

العولمة والمجال الحيوي

لقد اعطى التطور الاقتصادي والاجتماعي للدول ، واتساع مجالات التجارة ، ونمو الصناعة ، وثورة المعلومات ، اعطى المجال الحيوي ابعاداً جديدة : لقد صار جغرافيا اقل تحديداً . فالطرق التجارية ، ومصادر المواد الخام والطاقة والاسواق صارت تعد مجالاً حيوياً مهما بعدت عن التراب الوطني . واصبح المجال الحيوي وفقاً لهذا المفهوم مطلب كل دولة قادرة ، وصارت المجالات الحيوية للدول تتداخل بعضها ببعض فجر هذا الواقع الدول الى صراعات دولية ، اما للاستحواذ على ماتراه كل دولة مجالها الحيوي واما للحفاظ عليه في مواجهة الدول الاخرى .

وتحدث البلدان غير القادرة مجالاً حيوياً للدول الكبرى .

فعندما اندلعت حرب الخليج ادعت الولايات المتحدة ان العراق بدخوله الكويت - اصبح يهدد امنها القومي ، والمقصود هنا بالامن القومي الامريكي هو المصالح الامريكية في نفط الكويت والخليج ، اي المجال الحيوي للولايات المتحدة . فالولايات المتحدة تعتبر الخليج العربي ومنذ أمد بعيد جزءاً من مصالحها الحيوية التى هي تجسيد للمجال الحيوي حسب مفهومه القديم .

فإذا كان المقصود بالمجال الحيوي هو تجاوز الدولة القوية على المساحات والفضاءات والحدود للدول القومية الاخرى بحجج وذرائع اوجدتها نظريات المجال الحيوى الالمانية والفرنسية والانجليزية والامريكية فبإمكاننا اعتبار العولمة امتداداً للمجال الحيوي القديم . على اعتبار ان العولمة مرحلة من مراحل تطور الرأسمالية العالمية ، وان الكرة الارضية (الكوكبة) اصبحت مجالاً حيوياً للرأسمالية العالمية التى باتت تمثلها الشركات متعدية الجنسية والوحدات السياسية المثلة للرأسمالية كمنظمة التجارة العالمية (الجات) وصندوق النقد الدولي والبنك الدولى

سمات المفهوم القديم للمجال الحيوى

● المجال الحيوي حتى سنوات قريبة كان يتحدد من قبل كل دولة على حدة آخذاً في الاعتبار مصالحها الخاصة وحدها .

وهذا ماأدى الى الصراع والتنافس ، مما جعل القوة العسكرية هي الحكم النهائى بين المتنافسين ، فصار المجال الحيوى ، لكل دولة يتسع او يضيق وفق القوة العسكرية للدولة .

● وكان المجال الحيوى وحيد الجانب ، في اتجاه واحد ، وهذا يعني ان مصالح البلدان الواقعة في مجال حيوي لدولة ما ، لاتؤخذ بالاعتبار . فمصالح الدولة القادرة تفرض عنوة على البلد او البلدان المقدور عليها .

● هذا المفهوم للمجال الحيوى وجد تعبيره في الاستعمار .

فالاستعمار هو استيلاء بالقوة على مايراه بلد مجالاً حيوياً بالنسبة له .

● والقوة ليست فقط في الاستيلاء على المجال الحيوي وانما ايضاً في الحفاظ عليه .

التحولات والتحديات

ثمة تغيرات وتحولات عميقة وسريعة بقدر ماهى واسعة في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، بدأت ارهاصاتها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبرزت في نهاية القرن العشرين أدت الى تغيير جذري في مفهوم المجال الحيوي منها :

* الصحوة القومية ، ومقاومة الاستعمار أدت الى فرض تصفية الاستعمار او المفهوم القديم للمجال الحيوي (التوسع على حساب الغير) اذ لم يعد ممكناً اخضاع أمة تشعر بذاتها وجعلها مجالاً حيوياً للغير .

* القوة العسكرية لم تعد قادرة على الدفاع عن المجال الحيوى ، بسبب تغير اساليب الغزو : كالشركات عابرة القوميات والرساميل لطائرة .. الخ

* بروز الشركات العابرة للقوميات (للبلدان)

التي تراكم الرأسمال وتدير سوقاً يتجه الى العولمة والى تجاوز الدول الوطنية .

● ضغط العولمة هذا يجعل الدول الوطنية تتلاشى في كل مكان ، تفقد حدودها ، وتتقلص سلطتها التشريعية والرقابية .

● رغبة الدول في مقاومة العولمة ، او على الأقل الوصول الى حالة توازن معها .

● لم يعد بإمكان اي دولة ان تحدد مجالها الحيوي منفردة ، ولا ان تدافع عنه وحدها ، كما لم يعد بإمكان اي دولة تجاهل مصالح الدول الاخرى

هذه التحولات والتحديات أدت الى ان تبحث الدول عن شركاء لتأسيس مجال حيوى واحد متعدد الاطراف (6) وطالما ان الوقوف في وجه العولمة كاتجاه عالمي ليس مجدياً فان الحديث عن التكاليف امر مشروع يقصد به محاولة الحد فى التكاليف بقدر المستطاع .

ففي مجال التكاليف يخشى ان تؤدى العولمة الى المزيد من تجاوز السيادة الوطنية للدولة وتآكل الثقافات المحلية لحساب الامركة ونشوب الازمات المالية الكبرى وسهولة انتشارها مما يهدد الاستقرار الاقتصادي ، ووقوع عدد كبير من الضحايا بسبب المنافسة الشديدة .

ومع ان العولمة اتجاه جديد انتشر ذكره واجتذب الانتباه مع نهاية الحرب الباردة ، فإنه بالامكان القول بأن مكوناتها ليست جديدة تماماً ، فالسوق معروفة من قبل ، وتوسع الاسواق العالمية والتجارة الدولية عملية مستمرة لم تتوقف .

والواقع ان بذور العولمة الحديثة موجودة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فقد حثت امريكا المنتصرة الدول الصناعية على توسيع حرية التجارة ، فانخفض متوسط الرسوم الجمركية فيما بينها من 40٪ فى سنة 1946 الى 5٪ في سنة 1990 . وقد اكتشف العالم ان التكامل الاقتصادي علاج ناجح للتعصب والحروب والعداوات التاريخية ، كما يدل تطور العلاقات الفرنسية الالمانية. وخلال 40 سنة تضاعف حجم التجارة العالمية عشر مرات بالاسعار الثابتة فالعولمة كانت تعمل وتتصاعد باضطراد ولم يجر اكتشافها فجأة ، اما الجديد فهو تجاوز الحدود الدولية فيما يتعلق بحركة رأس المال والسلع والمعلومات ، وبروز دور الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات بدل الدول ، ولو اعتبرنا تلك الشركات دولاً لجاءت 51 شركة ضمن اكبر 100 اقتصاد عالمي !

وبالرغم من ضخامة حجم الشركات الدولية فقد مالت مؤخراً الى الاندماج بين شركات من جنسيات مختلفة ، مما خلق شركات عملاقة يمكن مقارنتها بالدول (7) يبقى ان التخوف او التهرب من العولمة شعور مفهوم ومشروع فالكثيرون يخافون نوايا الغرب فى جراء الحاجة على التغيير والديمقراطية والتطبيع مع اسرائيل والتعددية السياسية خاصة وان هذه المطالب قادمة من الخارج وفى الدول الاستعمارية والمعادية لطموحات امتنا وحقوقها المشروعة في الحياة ، كالولايات المتحدة الامريكية .

سمات المفهوم الجديد للمجال الحيوي

المجال الحيوي كما يقول معمر القذافي : هو مجال يجمع شركاء انداداً ، يتبادلون المصالح ، المنافع ، وفيه يعترف كل شريك ويحترم هوية ومصالح الشركاء .

● اذن فهو متعدد الاطراف ، يتمثل في تجميع الامكانيات والموارد وتنسيق خطط التنمية والتكامل والتبادل التجاري ، وتعاون الموارد البشرية بين الشركاء .

● وانه استخدام القدرة الانتاجية والاستهلاكية عند شركاء المجال الحيوى الواحد للحصول على مكانة افضل في ساحة العولمة .

● ويتأسس المجال الحيوي ، بهذا المفهوم ، على الاعتراف ، من قبل اطرافه ، بمصالح وخصوصيات بعضهم بعضا ، فهو اذن مجال تبادلى .

ان التغييرات الجارية عالمياً اقتضت ان التجمعات الكبرى وحدها قادرة على الحياة .

هذه التجمعات تتجاوز العوامل التقليدية التى تربط الجماعات كالعرف والدين واللغة ، لكنها لاتلغيها كما ان اختلاف هويات الشركاء ومصالحهم لايعيق التعاون وتكوين مجال حيوى يجمع المختلفين .

شروط المجال الحيوى

ان تكوين مجال حيوي لايجرى اعتباطاً ، انه يجري وفق شروط واهداف اهمها :

● الانخراط في مجال حيوي يستهدف منه كل طرف الحفاظ على هويته الاجتماعية والثقافية .

● المشاركة في مجال حيوي يستهدف منها كل طرف تحقيق مصالحه .

● مدى تحقيق المصالح والحفاظ على الهوية هما اساس المقارنة بين المجالات الحيوية المختلفة .

● ان فعالية اي مجال حيوي تتوقف على قدرته في تحقيق الوحدة مع قبول التنوع الاجتماعى والثقافي والعرقي .

● قدرة المجال الحيوى على تحقيق العدالة فيما يتعلق بالمصالح الحيوية المادية بين اطرافه - فالتضحية او الظلم يمكنهما احداث ردة فعل مضادة .

وبدون هذه الشروط فإن المجال الحيوي ، ان امكن ، يتعرض لصراعات داخلية تهدد فعاليته .

ليبيا والمجال الحيوي الافريقي

بات من المعروف ان الجماهيرية العظمى تسعى من وراء احياء فكرة المجال الحيوى الى تحقيق المصالح والاهداف المشتركة لافريقيا وتلبية الاحتياجات الآنية والمستقبلية للفرد والجماعة في القارة السمراء ويمكن رصد مؤشرات التوجه الليبى نحو افريقيا منذ قيام ثورة الفاتح من سبتمبر عام **1969** والمتمثلة بنشاطات اهمها : سعي ليبيا بشتى السبل للحيلولة دون انتشار اسرائيل فى القارة الافريقية حيث كانت تسخر جزءاً من مواردها النفطية لهذا الغرض ، ومن ذلك تقديم الدعم لتشاد ايام الرئيس « تومبلياي» بعد قيامه بطرد السفير الاسرائيلى . واحتلال ليبيا المركز الثالث من حيث عدد بعثاتها الدبلوماسية في القارة بعد مصر والجزائر « **32** سفارة لليبيا مقابل **42** سفارة لمصر ، و**33** سفارة للجزائر » كذلك يلاحظ ان السياسة الليبية لعبت دوراً هاماً فى بداية السبعينات ابان الصراع العربي الاسرائيلى ناهيك عن الدعم الواضح والملموس لحركات التحرر في افريقيا والتى جعلت موقف نلسون مانديلا واضحاً امام الامريكيين بصفة خاصة اذ قال : اننا لن نتنكر للدعم الليبى لنا في نضالنا المستمر ضد التمييز العنصرى قالها امام بيل كلينتون الرئيس الامريكى ابان زيارته لجنوب افريقيا عام **1999** واضاف والذى لايعجبه موقفنا فليشرب من ماء البحر .

وعندما نتساءل هل : السياسة الليبية تجاه القارة الافريقية سياسة جديدة ؟ فسرعان مايكون الجواب لا .

ولكن السؤال الاصوب هو : ماذا عن محددات التحول في سياسة ليبيا تجاه افريقيا او ماهي الاسباب والدوافع والمبررات التي ساهمت في تعزيز توجه ليبيا نحو القارة ؟

ويكمن الجواب بوجود عدة اسباب ساهمت في تعزيز هذا التوجه منذ التسعينات من القرن المنصرم اهمها :

● رغبة ليبيا في تحسين الصورة الذهنية لدى الافارقة ، والتى عمل الاعلام الغربي بكل قوته لترسيخها ، وهي الخاصة بدعم ليبيا للارهاب .

● الرغبة في ايجاد عمق استراتيجي يوفر الدعم السياسي والعسكري والمعنوي لها في مواجهة اي خطر محتمل في ظل التحديات الكبيرة التى واجهتها خاصة بعد ازمة لوكربى .

● تعتبر تحقيق الحلم القومي العربي بالوحدة والذي طالما دعا اليه

قائد الثورة الليبية العقيد معمر القذافي منذ قيام ثورة الفاتح الامر الذي دفعه الى تحميل القيادات العربيـة الفشل ، خـاصـة بعـد التـفكك العـربي والتـخاذل الذي حصل منذ ازمة الخليج عام **1990** ومايزال قيام الدول الافريقية بتقديم الدعم الواضح لليبيا في ازمتها مع الغرب وليس أدل على ذلك من القرار ـ الجرىء ـ الذي اتخذه قادة الدول الافريقية في القمة الافريقية الرابعة والثلاثين التي عقدت في واغادوغو عاصمة بوركينا فاسو « مايو **1998** م » واعطى فيها القادة الافارقة مهلة للدول الغربية « ثلاثة اشـهـر» لانهاء الحظر الجوى ، وبالفـعل قـام رؤوساء تسع دول افريقية بخرق الحصار الجوى ووصلوا بطائراتهم الى ليـبـيـا للمـشـاركـة في الاحتفالات الليبية بالعيد التاسع والعشرين لثورة الفـاتح وهو الاحـتـفـال الذي يعد نقطة فـارقـة في توجهات ليبيا تجاه القارة السمراء ، اذ شن العقيد القذافي هجوماً عنيفاً على الدول العربيـة ، وفي المقابل اشاد بالروح الافريقية والتضامن مع ليبيا في مـحنتـهـا .. وهنا اطلق مـبـادرته بشـأن قـيـام اتحـاد الدول الافـريقـيـة .. او الولايات المتـحـدة الافريقية .

- انسجام التوجه الافريقي مع فكر العقيد القذافي الداعي الى ايجاد تكتلات سياسية واقتصادية قوية في عالم لايعترف بالكيانات الصغرى ، خصوصاً في ظل العولمة وماتؤدي اليه من هيمنة .
- ان التـوجـه الافـريقي ـ في احـد ابعـاده ـ يعـد توجهاً عروبياً ، اذ ان نسبة العرب في افريقيا تبلغ **80٪** من اجمالى سكان الوطن العربي .
- وجود توافق ليبي افريقي بشأن رفض الاستعمار بكل صـوره وعـدم الرهان على الغـرب في احـداث التنمـيـة ، وفي المقـابل يمكن اسـتـخـدام الثـروة الموجـودة في بعض الدول الافـريقـيـة ، والموارد البشرية الموجودة في بعضها الآخر من أجل تحقيق التنمـيـة المنشـودة (8) وبالتـالى تحـقـيق الغـاية من الانخراط في مجال حيوي .

الخطوات الليبية العملية لتحقيق المجال الحيوى

لقد خطت ليبيا خطوات عملية على طريق تحقيق فكرة المجال الحيوى ونشطت دبلوماسيتـها بشكل ملحـوظ منذ قـمـة واغادوغـو التى عـقـدت في مـايو **1998** كما سبق القول نظراً للاعتبارات التى املتها الجغرافية السياسية والجيوبوليتك ويمكن ان تركز على اربعة مجالات او خطوات او محاور باعتبارها الابرز في سياسة ليبيا منذ ذلك الحين وهى :

1ـ اقـامـة تجـمـع دول السـاحل والصـحـراء « فبراير **1998** »

2ـ القمة الافـريقية الاستثنائـيـة فـي سـرت « سبتمبر **1999** »

3ـ المبادرة الليبية بالاشتراك مع مصر بشأن حل ازمة السودان سلمياً

4ـ الانغماس الفعلى في حلول مشاكل افريقيا السياسية والاجتماعية ومتابعة تحقيق الحلول .

1ـ تجمع دول الساحل والصحراء :

وهو التجمع الذي دعت اليه ليبيا لتحقيق التكامل الاقتصادى والسياسي والثقافى بين دوله ، وقد اعلن عن تشكيله في ليبيا في فبراير **1998** م في ختام اعمال القمة الافريقية الثانية التى شاركت فيها بالاضافة الى ليبيا ، كل من السودان ـ تشاد ـ النيجر ـ مالي ـ وبوركينا فاسو .

وقد تم اختـيـار الاخ قـائد الثـورة رئيسـاً لهذا التجمع بالاجماع ، كما تم اختيار ليبيا للامانة العامة ـ بصفة مؤقتة ـ ومنذ ذلك التاريخ وليبيا تقوم بدور نشط في هذا التجمع بهدف تفعيله اذ سعت الى توسـيـع نطاق عـضـوية هذا التـجـمـع بحـيث لايقتصر على دول وسط وغرب افريقيا فقط وانما يمتد ليشمل دولاً اخرى .

فتم قبول ارتريا « منطقة القرن الافريقى وشرق افريقيا وافريقيا الوسطى » ثم جاءت القمة الثانية للتجمع والتى عقدت في تشاد في **5** فبراير **2000** م لتكرس العـلاقـات الاقـتـصـادية بالتـعـاون الامني

الوثيق .. اذ تبنت القمة ميثاقاً امنياً بين دول التجمع يقضي بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل دولة علاوة على مد يد العون لاية دولة عضو تتعرض لاعتداء خارجي ، وفي هذه القمة ايضاً تمت الموافقة على ضم ثلاث دول اخرى هي جيبوتي « القرن الافريقي» السنغال وغامبيا .. ولقد كانت ابرز النقاط التى صدرت عن القمة الثلاثية ، تفويض الاخ قائد الثورة بمهمة ارساء السلام والامن ليس في دول الساحل والصحراء فحسب بل في كافة المجالات وفي جميع انحاء القارة .

2ـ القمة الافريقية الاستثنائية :

وهي القمة التى عقدت استجابة لدعوة ليبيا ، التى اطلقها الاخ قائد الثورة في العيد التاسع والعشرين لثورة الفاتح ، وعقدت في سبتمبر **1999** وقامت ليبيا باعداد بيان سرت لمناقشته في القمة ، وكانت ابرز النقاط فيه اطلاق الدعوة لاقامة اتحاد الدول الافريقية ، او الولايات المتحدة الافريقية وكلاهما مشروع وحدوي مع وجود بعض الاختلافات . فالاول يتمثل في قيام اتحاد كونفدرالي مع بقاء الشخصيات الاعتبارية للدول الاعضاء ، على ان يكون هناك مجلس رئاسي يضم في عضويته رؤساء هذه الدول ، اما المشروع الثاني فيدعو الى اقامة دولة فيدرالية ـ على غرار الولايات المتحدة الامريكية ـ يكون لها رئيس يتولى السلطة التنفيذية الاتحادية ويتم انتخابه من خلال رؤوساء الدول الاعضاء ، وكان الهدف من هذا الاقتراح تلافى عيوب الاقتراح الاول الخاص بصعوبة اتخاذ القرار في ظل كبر حجم الهيئة الرئاسية المكونة من **55** رئيس دولة .

3ـ المبادرة الليبية بشأن السودان :

لقد كان واضحاً مدى الاهتمام الليبي بقضية السودان سواء فيما يتعلق بالصراع الداخلي او الخارجي ، فلعبت ليبيا دور الوساطة بين السودان واريتريا ، وتأييد المبادرة القطرية في هذا الشأن ، ونفس الحال بالنسبة للعلاقات السودانية ـ الاثيوبية .

اما على الصعيد الداخلى ، فإن ليبيا قد تقدمت بالتنسيق مع مصر بمبادرة لوضع حد للأزمة المندلعة في جنوب السودان والتى ستكون لها انعكاسات على الامن القومي الليبي ، فكانت هذه المبادرة التي تنص على :

* الوقف الفوري للعمليات العسكرية وجميع الحملات الاعلامية .

* الشروع في حوار مباشر بين الحكومة والمعارضة عبر ملتقى الحوار الوطني لايجاد حل سلمي شامل .

* تشكيل لجنة تحضيرية من كل الفرقاء للاعداد للحوار بين كل من الحكومة والمعارضة على ان يتم ذلك بهدف الحفاظ على وحدة السودان وسلامته الاقليمية ويلاحظ ان المبادرة استهدفت البحث عن حل شامل للسودان ككل في اطار الحفاظ على وحدته وسلامته الاقليمية بمشاركة جميع الفرقاء . غير ان جورج جارنج قد رفض المبادرة لمطامح اخرى كرغبته بالحصول على حق تقرير المصير لجنوب السودان فقط بمفهومه الجغرافي « الذي يضم مديريات بحر الغزال ـ الاستوائية ـ اعالى النيل » ويريد اضافة الى ذلك جبال الانجسنا ـ ابيبى ـ جبال النوبة ـ وكل المناطق المهمة في الشرق والغرب .

4ـالانغماس الفعلي في حلول مشاكل افريقيا :

لقد اولت ليبيا اهمية لمشكلة الكونغو لاتقل عن السودان وذلك لأنها تعد من اهم واكبر الدول في وسط افريقيا وتشرف على منابع النيل والبحيرات الكبرى .. وتدرك القيادة الليبية ان هناك توجهاً ورغبة امريكية في اقامة دويلات زنجية في هذه المناطق تشكل حائطاً منيعاً ضد الطموحات الليبية في جنوب القارة ـ اي ضد فكرة المجال ، فلا غرابة اذن في ان يركز العقيد القذافي في خطابه عام **1998** في الحديث عن خطة لاقرار السلام ، ثم

تدعيمها في قمة سرت المصغرة في 26 ابريل 1999 والتى ضمت خمس دول هي : ليبيا ـ الكونغو ـ اوغندا ـ اريتريا ـ تشاد ، وتم خلالها توقيع اتفاق « سرت » بين الرئيس « كابيلا» و« موسيفيني» وشهد عليه كل من الرئيس « افورقي » والرئيس « ديبى » ويقضي بضرورة الوقف العاجل لاطلاق النار ، وانسحاب كافة القوات الاجنبية « الافريقية » المتورطة فيه ، ونشر قوات افريقية محايدة لمراقبة وقف اطلاق النار . وضمان عدم التدخل ، فضلاً ، عن ضمان سلامة وحدود الدول المجاورة .

ونظراً لأن هذا الاتفاق لم يحضره الروانديون الذين يقومون بدور بارز في دعم المعارضة الكونغولية ، فضلاً عن صعوبة تحقيق شرط الانسحاب الفعلي للقوات الافريقية ، فقد قامت ليبيا باستضافة قمة اخرى في 16 مايو 1999 حضرها رؤوساء رواندا ـ او غندا ـ تشاد ـ افريقيا الوسطى ـ جامبيا وكانت من اهم النقاط التى توصلت اليها القمة موافقة المتمردين الروانديين على المشاركة في اتفاق السلام .

وخلاصة القول فإن دور ليبيا في القارة السمراء بدأ يتسع ليس لقناعة زعمائها وشعوبها فقط بنزاهة الموقف الليبى بل لاقرار الامم المتحدة ورئيسها كوفي عنان بقدرة ليبيا على التأثير في القارة فخلال شهر مايو من هذا العام 2000 طلبت الامم المتحدة من ليبيا المساهمة في حل مشكلة اختطاف جنودها الخمسمائه في سيراليون ، كما طلبت منها كذلك التدخل في ازمة اختطاف رهائن في الفلبين وبعثت ليبيا سفيرها رجب الزروق وذهب فوراً الى هناك وقام باجراء المفاوضات وبناء على طلب الحكومة والمتمردين هناك كذلك . وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان هذه القارة بدأت تتحسس وتتلمس نزاهة القيادة الليبية وفعالية الدبلوماسية الليبية .

الخلاصة والاستنتاجات

1ـ ان المجال الحيويLivinqroom هو فكرة العالم الالماني فردريك راتزل ، ويعني نفوذ الدولة وسيادتها خارج رقعتها الاصلية .

ومن آراء راتزل : ان ساحة الدولة هي مقياس قوتها السياسية ، وبأن على سكان الدولة ان يوسعوا من هذه المساحة باستمرار حتى ولو على حساب الجيران .

بل انه رأى ان انهيار الدولة يكون نتيجة لانهيار مجالها الحيوى ، وبأن الحدود السياسية ليست في نظره خطوطاً ثابتة ولكنها منطقة استيعاب متنقلة .

2ـ طرأ تعديل على رأي راتزل القائل بان الدولة كائن عضوى على يد عالم سويدى هو رودلف كيلين الذي ذكر بان الدولة في نضالها من اجل القوة لاتتبع بالضرورة القوانين الطبيعية البسيطة للتوسع الاقليمى ، اذ قد تستخدم الاساليب الحضارية الحديثة للوصل الى غاياتها بحدود طبيعية جيدة خارجياً ووحدة متناسقة داخلياً ، واعتبر كيلين الجيوبلوتيكا هي البيئة الطبيعية للدولة .

3ـ ثم جاء المفكر الالمانى هاوسهوفر «(1869 ـ 1946) مؤسس الجيوبوليتيكا الالمانية وقد تحول مفهومه في الجيوبولوتيكا (توظيف الجغرافيا في خدمة الدولة) الى خدمة الاغراض القومية لالمانيا اي اصبحت دراسة المجال الحيوي من وجهة نظر الدولة ذاتها ، وان الدولة ينبغي ان تحقق المطالب القومية وان تناضل في سبيل تحقيق هذا المجال الحيوى الذى يعد مرادفاً للتوسع العسكرى .

4ـ ان الجيوبوليتيكا علم سياسي يستمد جذوره فى علم الجغرافيا ويعمل على الافادة منها لخدمة خطط سياسية معينة يتبناها صانعو السياسة وصناع القرارات في الدولة .

5ـ لقد انحسرت افكار الجيوبوليتيك الالمانية بعد ان تمت الوحدة بين شطرى المانيا عام 1990 فالتزمت المانيا بحدودها الحالية وفق ضوابط وشروط دولية بعدم العودة الى مناهجها الجغرافية السابقة .

6ـ **حصل تغيير على فكرة المجال الحيوى** لدى

العلماء الفرنسيين وقد عارض هؤلاء العلماء الالمان في زعمهم (ان الدولة كائن حي ذات حدود ديناميكية تتحرك بنمو الدولة ، وانها يجب ان تقوي نفسها بتوسيع رقعتها لكي تستطيع البقاء) ويقول الفرنسيون الجغرافيون : ان الدولة هي ماستقرت بسكانها في داخل حدود ثابتة مستقرة وتقوم بين سكانها (وحدة قومية) ثقافية حيث يرتبطون بروابط عرقية ولغوية ودينية وتاريخية واحدة . ويرون ايضاً ان الدولة لكي تحيا وتستمر لابد لها من النضال والعمل على توسيع مجالها الحيوى (اي مجال نفوذها خارج رقعتها الاصلية) وليس من الضروري ان يكون ذلك على حساب جيرانها ، ذلك لأن علاقة الدولة (اي دولة) بجاراتها يجب ان تكون علاقة طيبة ومستقرة . وبنى علماء الجغرافيا الفرنسيون اراءهم في استراتيجية الدولة على انه يمكن ان توسع فى مجالها الحيوى خارج رقعتها دون الاحتكاك بالجيران ، ويمكن ان يتم ذلك خارج اوروبا ، ومن علماء المدرسة الفرنسية : برون وانسل وديمانجون .

غير ان فرنسا في عصر العولمة قد انسحبت من مجالها الحيوي كما انسحبت المانيا ، واقتنعت بعيشها في رقعتها الاصلية لكنها انشأت رابطة او منظمة الدول الناطقة بالفرنسية والتى يرأسها حالياً الدكتور بطرس بطرس غالي وتضم في عضويتها خمسين دولة منها مصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب والجزائر .. الخ

7ـ تقييم فكرة المجال الحيوي في زمن العولمة

لقد اعطى التطور الاقتصادى والاجتماعي للدول ، واتساع مجالات التجارة ونمو الصناعة وثورة المعلومات ، اعطى المجال الحيوي ابعاداً جديدة . لقد صار جغرافياً اقل تحديداً ، فالطرق التجارية ومصادر المواد الخام والطاقة والاسواق صارت تعد مجالاً حيوياً مهما بعدت جغرافياً عن التراب الوطنى . واصبح المجال الحيوى وفقاً لهذا المفهوم مطلب كل دولة قادرة ، وصارت المجالات الحيوية للدول تتداخل بعضها ببعض . فجر هذا الواقع الدول الى صراعات دولية ، اما للاستحواذ على ماتراه كل دولة مجالها الحيوى ، واما للحفاظ عليه في واجهة الدول الاخرى .

فاذا كان المقصود بالمجال الحيوي هو تجاوز الدولة القوية على المساحات والفضاءات والحدود للدول القومية الاخرى ، بحجج وذرائع او جدتها نظريات المجال الحيوى الالمانية والفرنسية والانجليزية والامريكية فبإمكاننا اعتبار العولمة امتداداً للمجال الحيوى القديم .

على اعتبار ان لعولة مرحلة من مراحل تطور الرأسمالية العالمية وان الكرة الارضية (الكوكبة) اصبحت مجالاً حيوياً للرأسمالية العالمية التى باتت تمتلكها الشركات متعددية الجنسية والوحدات السياسية المتمثلة للرأسمالية كمنظمة التجارة الدولية والبنك الدولى وصندوق النقد الدولى .

8ـ التغييرات والتحولات الجذرية في مفهوم المجال الحيوى :

لقد برزت تغيرات وتحولات عميقة في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع في نهاية القرن العشرين أدت الى تغيير جذري في مفهوم المجال الحيوى فلم يعد بإمكان اي دولة ان تحدد مجالها الحيوى منفردة ، ولا ان تدافع عنه وحدها ، كما لم يعد بامكان اي دولة تجاهل مصالح الدول الاخرى ،هذه التحولات والتحديات ادت الى ان تبحث الدول عن شركاء لتأسيس مجال جيوى واحد متعدد الاطراف .

9ـ سمات المفهوم الجديد للمجال الحيوي :

المجال الحيوي كما يقول معمر القذافي : هو مجال يجمع شركاء انداداً ، يتبادلون المصالح ، والمنافع ، وفيه يعترف كل شريك ويحترم هوية ومصالح الشركاء ، اذن فهو متعدد الاطراف ، يتمثل في تجميع الامكانيات والموارد وتنسيق خطط

التنمية والتكامل والتبادل التجاري ، وتعاون الموارد البشرية بين الشركاء . واستخدام القدرة الانتاجية والاستهلاكية عند شركاء المجال الحيوى الواحد للحصول على مكانة افضل في ساحة العولمة .

ويتـأسس المجـال الحـيـوي بهـذا المفـهوم على الاعتراف بمصالح وخصوصيات جميع الاطراف فهو اذن مجال تبادلى . فالتغييرات الجارية عالمياً اقتضت ان التـجـمعات الكبرى وحدها قادرة على الحيـاة ، وان افـريقـيـا احدى هـذه التـجـمـعـات الكبرى .

الهوامش

1ـ الدكتور فتحى محمد ابوعيانة : دراسات في الجغرافيا السياسية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1983 من 25ـ 27

2ـ AI exande v .M,L, WOvId PoIitical Patterns . Chicaqoe. 1966

وينظر كذلك : الدكتور فتحى ابوعيانة في كتابه دراسات في الجغرافيا السياسية ص 28ـ 29

3ـ محمد رياض : الاصول العامة في الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا ، دراسة تطبيقية على الشرق الاوسط ، الطبعة الاولى بيروت ، دار النهضة العربية 1974 ص1114

4ـ الدكتـور محـمد عبدالمجيد عـامر : دراسات في اسس الجـغرافيا السـياسـيـة والاوضـاع العـالمـيـة الجديدة ، الاسكندرية ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، 1994 ص 19

5ـ المصدر السابق ص 19ـ20

6ـ انظر : محاضرة القائد معمر القذافي بالمدرج الاخضر في طرابلس في 1999/12/17 م والحوار الذي اجرته معه قناة دبي الفضائية وراديو وتلفزيون العرب (ART) في 2000/1/2 ف

7ـ الدكتور فهد الفانك : مجرد رأي ـ العولمة منافع وتكاليف ـ العرب في 2000/5/5 ص 3

8ـ سيد عبدالعاطي : التوجهات الليبية في القارة الافريقية ، العرب في 2000/4/27 ص6

الدولة والمناخ العالمي الجديد
الطريق الثالث وامكانية تجاوز الازمة

حسين معلوم / جامعة القاهرة

مدخل :

.. هل يمكن لـ« الطريق الثالث » ، كفكرة ، أن يحقق أهداف منظريه وتطلعاتهم تحديدا على صعيد قضية التنمية الاجتماعية ؟.. وهل سيدفع به أنصاره إلى أن يمثل اتجاها عالميا في عصر العولمة ، أم انه - موضوعياً - سيتلون بالخصوصيات الوطنية لكل دولة ، وفي إطار « المناخ العالمي الجديد » الذي يصاحب ظاهرة العولمة ، كظاهرة تفرض نفسها على العالم الذي نعاصره ، وتداعياتها التي سوف تدفع بأربعة أخماس العالم إلى خط الفقر في مقابل الخمس الثري ؟!..

في مواجهة هذا التساؤل ، ذي الشعب ، لابد من الإقرار - بداية - بأنه إذا كان هناك اجماع على أن ثمة تغيرا أساسيا قد حدث في العالم الذي نعاصره .. إلا أن هناك ، في نفس الوقت ، خلافا واضحا بين المفكرين والساسة حول طبيعة التغير ومداه وآثاره السياسية والاقتصادية ، بل والاجتماعية .

ولأن النقطة المركزية ، في الأحاديث التي تملأ سماء الدنيا من حولنا ، هي تلك التي تتعلق بـ « التغيير » .. لذا ، فمن المنطقي أن نحاول الإمساك بأهم ملامح هذا التغيير ، لجهة التعرف على تداعياته ، وبالتحديد في ما يخص التراجع الحاصل في دور الدولة ... وذلك من منظور مدى أهمية هذا الدور بالنسبة لقضية التنمية الاجتماعية .

فلنبدأ ، إذن ، من أزمة الدولة في ظل العولمة ... لنرى ، هل تساهم فكرة «الطريق الثالث » في تجاوز هذه الأزمة (؟!) .

العولمة ... «والمناخ العالمي الجديد »

لعل الأمر الجدير بالتأمل والاهتمام في آن ، أنه رغم التداول الواسع للعولمة ، كـ« مصطلح » ، ورغم تصاعد ردود الأفعال إزاءها ، كـ« ظاهرة » ، فهي ماتزال غير واضحة المعالم ، لا من حيث تحديد المفهوم (Empirically) ، ولا من حيث اختبارها على أرض الواقع (Conceptually) ، ومن ثم ، فإنها تظل مصدر التباسات ، تعكس مواقع الرؤية إليها ، واختلاف الأنساق التي تنبي عليها ، سواء كانت « ثقافية» تهم القيم الرمزية وعلاقات الهوية من تطلعات ورؤى اجتماعية .. لذلك

فإن الانتقال بالعولمة ، كمصطلح وكمفهوم ، من مستوى الظاهرة إلى المجال النظري ، يخضع لضرورات منهجية في سياق « الثقافة العربية » ، خاصة وان هناك الكثير من التساؤلات والعديد من القضايا التي يثيرها المصطلح (.. والمفهوم) ، ليس اقلها التداول الواسع في الإطار العربي ، دون ما تحديد واضح .

بل .. لانجاوز الحقيقة إذا قلنا إن المتابع لما يدور عبر هذا الإطار ، أو ساحة الفكر العربي بالأحرى ، في الآونة الأخيرة ، من سجالات بصدد العولمة ، كـ « ظاهرة »تفرض نفسها على العالم الذي نعاصره ، لابد وان يشعر بالضرورة القصوى لاستخدام كل مناهج العلوم الاجتماعية وإمكاناتها المعرفية ، من أجل التفكير جديا . بالمضامين التاريخية ، وبالثقل التوجهي « الجغراسي»(**Geo-politics**) وبالنسق العام للقيم المعيارية ، وبآفاق التجليات ، بل والتداعيات ، المتقاطعة والمتضمنة كلها في هذه الظاهرة .. العولمة .

ولعل الدافع إلى الشعور بمثل هذه الضرورة ، هو ما تشير إليه تلك السجالات ، سجالات الفكر العربي ، من منحى للتفكير يسترعى الانتباه وربما القلق ، خاصة وانه ينزع إلى تجريد العولمة كـ « ظاهرة » (**Phenomenon**) ، من سياقها التاريخي والموضوعي ، وإخضاعها لتلاعب « العقيدة الموجة »(**Ideology**) ، عبر تعبئتها بشحنة عالية من التسييس والقيمية ، ومن ثم ، تصويرها على أنها - مجرد - امتداد للهيمنة الأمريكية ، أو أنها - مجرد - نتاج مؤامرة خارجية على شعوب البلدان « النامية »، ومنها - طبعا - البلدان العربية ، وهو ما ساهم في إفقاد العولمة كـ « مفهوم » ، أو على الأقل : التهديد بإفقادها ، القيمة التحليلية ضمن الإطار الواجب للمعرفة العلمية .. بل ، إننا اذا أردنا وضع اليد على المضمون الذي يتمحور حوله منحى التفكير في شأن العولمة كـ « عملية » (**Process**) فربما يسعفنا ، هنا ، المقارنة - في غير ما مناسبة - بين العولمة وبين المشروع الاستعماري (**Imperialism**) الذي بلغته رأسمالية القرن التاسع عشر ، رغم أن مثل هذه المقارنة - بصرف النظر عن بعض المعطيات « الشبيهة » ، التي تدفع إليها - لتمكنا من استيعاب جوهر التغير الجديد الذي يطال الرأسمالية العالمية «اليوم » .

إزاء هذه الصورة الدالة على منحى التفكير ومضمونه .. أو قل : إزاء الكيفية التي بها تتشكل « العولمة في المخيل العربي » ، نجد أنفسنا ، لامحالة ، في مواجهة نقطة اشتباك مفهومية تتقاطع مع تلك الكيفية ، وذلك من منظور أن هذا « المخيال» ، كصورة ذهنية ، يتحكم في طريقة إدراك الفرد للامور ، ومحاكمته للأشياء والظواهر ، و - بالتالي - ردود الفعل المتوالدة من جانبه .. ولأن الإدراك ، يتمثل في « إعطاء الأشياء والظواهر » معان محددة « ولأن الوعي يعبر عن » كيفية التعامل مع معاني الأشياء والظواهر « فإن الطريق إلى إدراك العولمة ، كـ « ظاهرة » والوعي بها ، يمر ، في اعتقادنا ، عبر محاولة الاقتراب من الملامح العامة التي يشير إليها التساؤل التالي : هل هناك من جديد ، يدفع إلى القول : إن النظام الرأسمالي ، الموصوف بالعالمي أصلا وتعريفاً ، من جانب أصحابه كما من جانب منتقديه، قد تعولم ، أو هو الآن قيد العولمة ؟.

قطعا هناك جديد ، خاصة إذا مالا حظنا منطق اشتغال المجريات الدولية التي نعاصرها راهنا .. بيد أننا لن نغامر بسوق التحديد السريعة لهذا « الجديد » بقدر ما سوف نلمس ملامحه ، عبر التعرض لاحتمالات ثلاثة .

أولها ، ذلك المتحور حول العولمة : كمحض « عقيدة موجهة (**Ideology**) تعبر بصورة مباشرة عن إدارة الهيمنة على العالم وامر كته .. ومن ثم ، « فالجديد» هنا ، تتعين ملامحه عبر النقلة النوعية التي حققتها الولايات المتحدة الأمريكية على الساحة « الدولية » ، أو بالأحرى : النقلة التي تحققت لها ، وساهمت في تعميق محاولتها

وتجذرها ، لجهة فرض نموذجها - هي - على العالم .

بيد أن هذا ، ربما يتناقض مع الظاهرة المثيرة ، التي لاحظها عبد الاله بلقزيز (ندوة : العرب والعولمة) ، تلك المتمثلة في : فيض النظام الاقتصادي والتقاني والثقافي عن حدود النظام السياسي : نظام الدولة الوطنية أو القومية .. إذ ، يبدو - عبر ملاحظة الظاهرة نفسها - أن الفيض هذا ، لا يرتكن إلى الوضعية الأمريكية ، كحالة خاصة ، قدر ما يطال المنظومة الرأسمالية « الغربية» ، ودولها القوية ، دول المنبع .. صحيح أن « الرمزية » الأمريكية - ثقافيا - تنساب في حركية متناغمة ، عبر تقانة الاتصالات ، مع الإيقاع « اللغوي» الذي يوفره الانتشار الواسع النطاق بـ« الإنجليزية » ، إلى كافة بلدان المصب ، وذلك على عكس « الرمز » الياباني ، كمثال . إلا انه يبقى من الصحيح ، أيضاً ، أن ارتطام الفيض الأمريكي - اقتصاديا - بنظريه الياباني والأوروبي ، يمكن أن يسمع صداه واضحا في مناطق كثيرة من العالم وخاصة البلدان « الشرق أوسطية» و« الشرق آسيوية » ،، و - الآن « الشرق أفريقية » ، ناهيك عن ومضاته المتتالية على خطوط الاتصال بينهما .

ولعل ذلك ما يدفع بـ« عدم الاختصاص» ، نسبة إلى الحالة الأمريكية .. بل ، لعله ما يفسر لماذا لم يحدث في أي حقبة من التاريخ الإنساني ، أن تطورت حركة التشاور والمفاوضات الجماعية بين الدول الكبرى ، (مجموعة السبع :G7) ، لتنظيم علاقات « الواقع : الدولي - العالمي الراهن من وجهة نظر المصالح التي تحرك كل منها ، كما هو حادث اليوم ..

بعبارة أخرى .. إن محاولة التدقيق الجدي في هذا « الواقع » ، لابد أن تلحظ البون الشاسع في ما بين العولمة ، كـ« ظاهرة » ، وبين « الظاهرة الأمريكية » ، إذا أن لكل منهما أسبابها وعواملها وابعادها ، بل وتوجهاتها أيضاً ، هذا رغم اعترافنا ، وتأكيدنا في نفس الوقت ، بوجود تقاطع « في ما بين هاتين الظاهرتين » .. لنعد ، إذن إلى البديهات للتأكيد على ذلك ، وعلى أن ظهور السكك الحديدية قد أفاد بالدرجة الأولى القطب الدولي المسيطر حينذاك : بريطانيا ، وذلك بسبب أن ميزان القوى الدولي ، يومها ، كان يعمل لصالحه ، لصالح القطب البريطاني ، أو قل : لصالح تلك القوة التي ،بحكم زعامتها ، حاولت (.. ولم يكن الآمر قاصرا على المنتج التقاني) ، أن تحيل كل مبتكر جديد إلى وقود يغذي ويعمق زعامتها .

بديهي ، إذن ، أن التغير حين ما تتوافر مقوماته الموضوعية يتولى الطرف الأقوى توجيهه لصالحه .. ومن ثم ، فإذا كان ما نحن بصدده ، راهنا ، هو تغير موضوعي يمثل تحولا في أسس عمل النظام الرأسمالي نفسه ، لذا يتعين علينا الفصل بين ظاهرتي العولمة والقطبية ، والنظر إلى المسألة على أنها « محاولة » من جانب الولايات المتحدة ، بصفتها الطرف الأقوى - ومن جانب غيرها أيضاً - للتأثير في الظاهرة (الموضوعية) المسماة «العولمة » ولعل المحاولة الأمريكية ، تلك ، هي ما يدفعنا إلى ضرورة التمييز في ما بين العولمة بهذا المعنى ، بين ما يمكن تسميته بـ« التعولم » كعملية (**Process**) توجيه لمسار العولمة ، وذلك عبر العمل على انضواء المجتمعات الإنسانية المختلفة في إطارها ، سواء من جانب القوى « القادرة» على التوجيه ، أو بقبول من جانب البلدان « المستكينة» ، هذا من جانب .. ومن جانب آخر ، فإن الولايات المتحدة ، من حيث كونها القطب الأقوى ، تمتلك القدرة (**Power**) التي تمكنها من صياغة مسار العولمة - حتى الآن - بما اكسبها وضعا متميزا (وليس ممتازا) . في ما يعنيه ، يعني هذا أن المحاولة الأمريكية للتأثير في العولمة ، كـ« ظاهرة » (موضوعية) ، إنما تتم من خلال التعولم ، كـ« عملية » (موجهة) .. أي أن الولايات المتحدة تمارس هذه العملية عبر جانبين متلازمين : التعامل مع الظاهرة الموضوعية بما يتناسب مع طموحاتها

في الهيمنة على الواقع الدولي ، واستحداث عوامل ذاتية لدى الآخرين - الأقل قدرة - تدفعهم إلى تقبل ناتج هذا التعامل ، ومن ثم ، لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا أن بقاء الولايات المتحدة في موقع القطبية ، رهن بقدرتها على الاستمرار في توجيه الظاهرة الموضوعية لصالحها ، أي « أمركة العولمة » ، وليس لأن « العولمة ظاهرة أمريكية » (كما يعتقد البعض) .. وهو ، في اعتقادنا ، استمرار مشكوك فيه .

ينقلنا هذا إلى الاحتمال الثاني ، الذي يتعلق بكون العولمة : هي شكل جديد من أشكال النشاط ، تم فيه ، ومن خلاله ، الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم الـ « ما بعد الصناعي » للعلاقات الصناعية ، وهو الانتقال الذي تقوده نخبة تقانية تسعى إلى تدعيم « السوق العالمية » بتطبيق سياسات تقانية واقتصادية ومالية وائتمانية شتى .. ومن ثم ، فـ «الجديد» ، هنا ، تتعين ملامحه عبر ما أدت إليه الثورة العلمية والتقانية الجارية من « نقلات » كيفية في المعلومات والاتصالات والمرئيات ، وما تواكب معها من تحولات هامة في أنماط وأساليب الإنتاج ، نتيجة استخدام الحاسب الآلي ووصلات الـ (**Satellie**) ، وهو ما ساهم : ليس فقط في تآكل مفهوم « المصنع التقليدي » بل أيضا ، في زيادة تيار إنتاج « السلع غير الملموسة » (مثل الأفكار ، التصميمات ، منتجات الوسائط المتعددة ، وغيرها من المستحدثات) ، كـ « مجموعات سلعية جديدة » .

بيد أن هذا ، يدفعنا إلى الاصطدام بالتساؤل التالي :

هل العولمة ناتج للثورة في تقانة المعلومات ، أم أن الثورة في تقانة المعلومات هي أحد العوامل المترتبة على العولمة ؟.. بعبارة أخرى : هل من الصحيح أن العولمة تبعا للنتيجة المشار إليها ، ليست سوى إفراز من إفرازات ثورة المعلومات والاتصالات والإعلام ، أم : على العكس من ذلك ، أن ثورة المعلومات والاتصالات والإعلام شرط ضروري ، ولكن غير كاف ، لتحقق العولمة وتقدمها وتوسعها وتسارعها ؟!.

قد يرى البعض أن مثل هذه التساؤلات تشير إلى « أمر يصعب الفصل في شأنه » ولكن ليس معنى ذلك أن نتعامل مع تعايشه من ظواهر عبر اتجاه « أحادي البعد » .. إننا إذا ما أخذنا في الاعتبار العلاقة « التبادلية » في ما بين العلم والتقانة والإنتاج ، أو : علاقة التأثير والتأثر بينها بالأحرى ، يمكن - ..أن نقول : يمكن - الاقتراب من إمكانية الفصل في الأمر ، إياه .

يتبدى ذلك بوضوح : إذا لاحظنا ، من جهة ، أن الثورة التقانية الراهنة ، لم تنشأ في فراغ ، وهي لا تختلف في ذلك (أي : من حيث :« دوافع النشأة») ، عن الثورة الصناعية التي لم تحصل فجأة ، بل كانت نتيجة مسار طويل - بدأ في أوروبا الغربية منذ أواخر القرون الوسطى ، وتوج في إنجلترا - تمحور اتجاهه حول ضرورة إجراء تحسينات في أساليب الإنتاج الزراعي والحرفي ، من أجل (حل مشكلة) زيادة وتطوير الإنتاجية .. ولاحظنا ، من جهة أخرى ، أن الثورة التقانية الراهنة ، التي عبدت طريقها كل الإنجازات التي حققها الإنسان من قبل في مجالي العلم والإنتاج ، ما كانت لتتم في القرن العشرين (رغم أن لحظة البداية التاريخية لها كانت في العام **1884** ، أي : اللحظة التي نجح عندها توماس إديسون في تحرير الإلكترون عن طريق تسخين أحد المعادن) ، أما لماذا لم تتم حيث تمت فذلك بسبب التغير الذي حصل في مسيرة فصل العلم عن العمل (الإنتاج)« إذ مع تطبيق الاكتشافات العلمية في العملية الإنتاجية ، كمحاولة لحل مشكلاتها ، ولدت الثورة التقانية كنتيجة مباشرة لـ« ربط العلم بالإنتاج » .. ولاحظنا ، من جهة أخيرة ، أن الثورة التقانية الراهنة ، بما تتضمنه من اعتماد لنظم « الاتمتة» (**Automation**) ، لم تساهم فقط في زيادة إنتاجية العمل إلى مستويات غير مسبوقة ، ولم

تساهم وحسب في جعل العلم نفسه قوة إنتاجية مباشرة (.. عبر تحول البحث العلمي إلى « وسيلة » فعالة لزيادة الإنتاج وتطويره) ، ولكن إضافة إلى هذا وذاك ، ساهمت في نشأة علوم جديدة لم تكن معروفة (البرمجة الإلكترونية ، أحد الأمثلة) .

وهكذا ، فإن هذه ، « الملاحظات - الجهات » الثلاث ، وان كانت تشير ، في الحد الأدنى - إلى علاقة التأثير والتأثر في ما بين العلم التقانة والإنتاج ، فهي ، في الوقت نفسه ، تؤكد على أن النظر إلى العولمة كـ « ظاهرة تقانية » ، أو بالأصح : كـ « مجرد تداعيات للثورة التقانية » الراهنة ، إنما يعتمد على زاوية رؤية « أحادية البعد » .. فهذه الأخيرة ، وإضافة إلى أنها كانت قد حصرت اهتمامها في « أحادية الجانب » التقاني ، وإنها في تفسيرها لآليات العولمة ، كـ « ظاهرة » تبقى محصورة ضمن النطاق الضيق للمسالة (التقانية - الاقتصادية) (أي تلك الخاصة بدائرة التوزيع) ولم تتجاوزها إلى الدائرة الأكثر عمقا ، (دائرة الإنتاج) .

هنا ، نجد أنفسنا مباشرة أمام الاحتمال الثالث ، ذلك الذي يشير إلى العولمة كتغير موضوعي ، يمثل تحولا في نمط الإنتاج الرأسمالي ، وديناميياته ، « من السطح إلى العمق » ، أي : من « دائرة التوزيع »، وما تنطوي عليه من عمليات تداول وتبادل وتوزيع الثروة التي تم إنتاجها (الرأسمال المتحول) ، إلى « دائرة الإنتاج » ، بما تتضمنه من عمليات الإنتاج واعادة الإنتاج (الرأسمال الثابت) .. ومن ثم ، فـ « الجديد» ، هنا ، أن نمط الإنتاج الرأسمالي ، بعد أن مر بمرحلة توسيع « دائرة التوزيع » (التبادل والسوق والتجارة ، وما إليه) ، يمر راهنا بمرحلة الانتقال إلى طور يتطلب ، بل يفرض ، توسيع « دائرة الإنتاج » ذاتها .

بعبارة أخرى ، تقترب من اطروحة صادق جلال العظم في كتابه - المشترك مع حسن حنفي - « ما هي العولمة » .. لان عالمية دائرة التوزيع كانت قد بلغت حد « الإشباع » بوصولها إلى أقصى حدود التوسع الأفقي الممكنة ، وشمولها - باستثناء جيوب هنا أو هناك - مجتمعات الكرة الأرضية كلها .. كان لابد لديناميات نمط الإنتاج الرأسمالي ، من أن تفتح لنفسها أفقا جديداً ، وان تتجاوز حدودا بدت - سابقا - ثابتة ، عن طريق نقلة نوعية ، تأخذ الآن « الشكل المزدوج »لدفع دائرة الإنتاج ذاتها نحو « العالمية».

في ما يعنيه ، يعني هذا أن منحنى نمط الإنتاج الرأسمالي قد وصل إلى نقطة «الانقلاب» ، من « عالمية - دائرة - التوزيع » والتبادل والسوق والتجارة ، إلى « عالمية - دائرة - الإنتاج » وإعادة الإنتاج ذاتها .. أي أن ظاهرة العولمة ، التي نشهدها راهنا ، إنما تعبر - في ما نزعم - عن بداية

« تعولم » الإنتاج والرأسمال الإنتاجي وقوى الإنتاج الرأسمالية ، بل وعلاقات الإنتاج الرأسمالية أيضا .. أو قل : بداية الانتقال من طور الاقتصاد الدولي ، أو « المدولن » بالأحرى : إلى طور الاقتصاد العالمي ، أو « المعولم» بالأصح .. أي : الانتقال من طور اقتصادي تتكون خلاياه القاعدية من اقتصاديات متمحورة على الذات ومتنافسة ، إلى طور آخر ، يتسم ببروز نظام « معولم » إنتاجيا وخدميا وتقانيا وماليا وتجاريا واستثماريا .

فما نحن بصدده ، إذن ، هو تغير موضوعي يمثل تحولا في اسس عمل النظام الرأسمالي وانتقالا - على مستوى « العمق» - في دناميات نمط الإنتاج نفسه .. ولعل هذا « الانتقال » (.. وذلك « التحول») ، هو ما يدفعنا إلى التأكيد : ليس فقط على إننا لانستطيع اليوم أن نتحدث عن العولمة كـ « أمر واقع » ، كفعل مجسد في التاريخ .. ولكن ، أيضا ، على ملاحظة أن ما يتم تناسيه في اغلب ما ينشر عن العولمة هو « الطابع الانتقالي » الذي يمر به العالم .. راهنا .

ما يمكن الخلوص إليه ،إذن ، أن العولمة : من جهة ، ليست آلية نظام دولي جديد ، بل هي تغير موضوع يساهم في بروز « مناخ عالمي جديد »

نعاصر ملامحه الآن في هذه المرحلة .. واعتمادا على قاعدة أن التغير حينما تتوافر مقوماته الموضوعية ، يتولى الطرف توجيهه لصالحه مثلما حدث في الثورتين الصناعيتين السابقتين ، فإن بقاء الولايات المتحدة في موقع « القطبية » هو رهن بقدرتها على الاستمرار في توجيه الظاهرة الموضوعية ، أي : امركة العولمة وليس لان العولمة ظاهرة امريكية .. من جهة اخرى ، ليست العولمة إفرازا من إفرازات الثورة العلمية والتقانية الجارية كما هو الاعتقاد الشائع ، بل أن هذه الثورة شرط ضروري - ولكن غير كاف - لتحقق العولمة وتقدمها وتسارعها . إذ انها (الثورة) ، ومجالاتها في المعلوماتية والاتصالات والاعلام ، وغيرها ، موضوعة الآن في خدمة العولمة ، ولايمكن لها أن تستمر وتزدهر بدون العولمة ذاتها ، والعمليات « الانتاجية » التي تنطوي عليها .

وفي ما يبدو ، هكذا ، ففي إطار العولمة : كـ« تغير موضوعي في أسس عمل النظام الرأسمالي لجهة الانتقال من عالمية دائرة التوزيع إلى عالمية دائرة الانتاج » ومع ما يتواكب معها (.. مع العولمة) من « مناخ عالمي جديد » ، نعاصر ملامحه الآن في هذه المرحلة .. (في هذا الإطار) لنا أن نتصور أن ثمة جملة من التأثيرات والانعكاسات ، المحتملة ، سوف تنتج عن هذا وذاك « المناخ » و« التغير » ، على مختلف الاصعدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية .. إلخ .

ولأن ما يهمنا بالاساس هنا ، هو محاولة الاقتراب من التاثيرات والانعكاسات ، المحتملة ، في ما يخص « الدولة » واقعها ومستقبلها .. لذا ، فإن التساؤل الذي نود مقاربته هو ذلك المتمحور حول : ما الجديد الذي سوف تدخله العولمة على دور الدولة ؟!..

والتساول ، في اعتقادنا ، حاسم الاهمية .. إذ ، بصرف النظر عن بعض التصورات ، المبالغ فيها ، سواء : عن احتمال ذوبان الدولة في ظل العولمة ، أو : عن نفي احتمال تغير دور الدولة في إطارها عن ما كان عليه قبلها .. يمكن للمرء المحاججة بأنه لا يمكن صرف النظر عن العديد من الظواهر ، التي تمثل - في جوهرها - تحديات تجابه الدولة ، و- بقدر من التأمل - سوف تؤثر عليها : دورها وكيفية ادائها لهذا الدور .

المناخ العالمي الجديد و « أزمة الدولة »

في كتابه : « فرنسا الجديدة ، فرنسا للجميع » ، اطلق جاك شيراك صرخته التالية :« اعيدوا الينا الدولة !.. إن الدولة هي في طريق فقدان السيطرة على اعمالها « .. واضاف :» انا لا اقترح تغييرا في الجمهورية ، بل يجب على العكس من ذلك : تغيير الجمهورية « ، وفي ما يبدو ، فإن اقتراح شيراك هذا ، الذي تضمنته صرخته تلك ، انما يعبر عن مدى الحاح الحاجة لوجود الدولة ، و- بالتالي - أن المطلوب تغيير ، أو بشكل أكثر صحة « تكييف» ، الدولة لتصبح قادرة على الوفاء بالتزاماتها .

ولان التكييف المقصود ، والمطلوب ، هو « الايجابي » .. فالاصطدام « واقع » لامحالة ، بالتساؤل إياه (.. ما جديد العولمة في ما يخص دور الدولة ؟!) ، وهو تساؤل جوهري ، بل حاسم ، كما أشرنا ، لانه بقدر ما يتعلق بـ« الجديد » ، يتمحور - في آن - حول « المصير » : مصير الدولة في إطار العولمة .

منطقيا ، لجهة التعرف على آفاق هذا المصير ، وتلمس ملامح ذلك الجديد ، لابد من اعتبار اننا على ابواب عصر جديد ، قبلنا ذلك أم رفضنا ، عصر له قيم جديدة وممارسات سياسية واجتماعية جديدة ، لابد أن تترك بصماتها على كل تفسير (أو : تأويل) سياسي .

واقعيا ، في سياق هذه المرحلة التي يعيشها العالم راهنا ، تلك التي تعبر في حقيقتها - عن « مناخ عالمي جديد » ارتسمت ملامحه منذ أن بات « النظام الدولي » الذي ارسته نتاج الحرب الاوروبية الثانية (**1939-1945**) ، عاجزاً تماما عن إنتاج

نفسه ضمن المدى الذي تحرك فيه اربعة عقود ماضية ويزيد ، وذلك بعد أن اصاب حركة هذا « النظام » تصدع وشرخ هائلان ، عدلا - تعديلا عظيم الحجم والتأثير - في انماط اشتغاله كنسق وفي توازنات القوى داخله . في هذا السياق ، سياق « المناخ العالمي الجديد » ينبغي الاقرار بأن تحفظاتنا على « العولمة » ايا تكن ، لاتلغي أن أفكارا جديدة بدأت تشق طريقها داخل انظمة القيم ، العربية وغير العربية .

في ما يعنيه ، يعني ذلك أن التجربة التاريخية الراهنة لتغير « المناخ العقائدي » (، تغير جدول الاعمال التاريخي) تثبت أن تحولا عميقاً ، نمر به نحن وغيرنا ، في التوجهات والمطالب النفسية والفكرية والسياسية .. ولان « الفكرة ابنة واقعها الاجتماعي » ولأن كل عصر فيه مجال للممكن التفكير فيه ، ومجال آخر لما يصعب - وربما يستحيل - التفكير فيه .. فإن الامر الحاسم ، وهو مدى إدراكنا العميق بالضرورة لطبيعة التحديات المطروحة : التحديات التي ترتبط بالمرحلة التي نعايشها ، وفي مقدمتها - من حيث مجال اهتمامنا ، هنا - التحديات الخاصة بالدولة .

ولعل الحديث عن هذه التحديات ، تأثيراتها وانعكساتها على الدولة ، مستقبلا ، يمكن أن يقوم على فرضية رئيسية ، مؤداها : أن هناك تأثيرا لخصائص « النظام » ، الذي يتضمن هذه « الدولة » في إطاره ، على الوحدات المكونة له .. وبالتالي - عندما تتغير ابعاد « النظام » بتشابكاته وتعقيداته فإن ثمة تغيرات اساسية سوف تحدث : ليس فقط على ساحة العلاقات الدولية ، التي ينتظمها («النظام ») ، ولكن ، ايضا داخل الوحدات المكونة له ، وفي سلوكها الخارجي بل وفي عمليات صنع القرار فيها .

ومن ثم ، وبناء على هذه الفرضية ، نجد من الضروري اجتياز محاولة تحديد الفارق ، أو قل : التمييز بين كل من « النظام الدولي » و« النظام العالمي » ، كمصطلحين كثيرا ما يتم الخلط بينهما واستخدامهما كمترادفين للدلالة على مفهوم واحد ، وذلك كخطوة لازمة لوضع اليد على اهم الملامح التي يتسم بها التغير الحاصل في المرحلة الراهنة ، هذا التمييز ، أو تحديد ذلك الفارق ، هو ما يتبدى بوضوح عند النظر إلى الفعاليات ، أو « الفواعل » (Actors) ، أي : التكوينات السياسية والاقتصادية الرئيسية ، التي تؤثر على مسار العلاقات الدولية .

فمن ناحية ، تنقسم هذه الفاعليات إلى نوعين : أولهما ، الدول وهي الفاعليات التي سيطرت على النظام الدولي منذ ما يزيد على القرنين من الزمان ، بنشأة الدول الحديثة ، وثانيهما ، فعاليات اخرى احدث ، تتمتع ، في ما يبدو ، بدرجات مختلفة من الاستقلالية عن كثير من الدول ، واهمها المنظمات الدولية بنوعيها « الحكومي » (IGOs) ، « وغير الحكومي » (NGOs) ، والشركات « الدولية النشاط » ولكن ، من ناحية اخرى لم يستطع النوع الثاني من هذه الفاعليات ، حتي الآن التخلص - بصورة « ايجابية » - من « الهيمنة » (Hegemony ، أي جعل « السيطرة » : **Domination** مشروعة باستخدام وسائل اخرى غير القمع)، « الفعلية » ، للنوع الاول .

والواقع أن قولنا الاخير هذا ، يستند - في ما يستند إليه - إلى قاعدتين اساسيتين : الاولى ، ان « الدولة » ماتزال هي الفاعل الرئيسي في مجال العلاقات الدولية ، إذ أن الدولة هي نبرة الايقاع الاقوى في صناعة « القرار » و« الحدث» ورغم التغيرات التي اصابت « المجتمع الدولي » بظهور فاعليات اخرى ، إلا ان صفة « الدولي » ظلت لصيقه بكل من « النظام الدولي » و« القانون الدولي » للتعبير عن القواعد والاحكام التي تسعى إلى تنظيم علاقات الدول فيما بينها ، وبين (الدولة) وبين فاعليات المجتمع الدولي عموما .. اما الثانية ، فهي أن « زمن التنظيم الدولي » كان قد استند - في اساسه - إلى « الدولة » فمنظمة الامم المتحدة وفروعها لاتضم إلا دولا بمعنى أن الافراد

الممثلين فيها انما يمثلون « مصالح » الدول التي اوفدتهم وسياساتها ، ومحكمة العدل الدولية ، لا يمثل فيها إلا قضاة مرشحون من دول ، ويختارون من قبل الجمعية العامة ، ومجلس الأمن الدولي ، كما أن دائرة صنع القرار الرئيسية في« المنتظم الدولي » مكونة من دول ، وكذا ، كل المعاهدات والاتفاقات الدولية في مجالات متعددة ، مصدر انشائها وتدويلها هي الدول (حقوق الانسان ، الطيران المدني ، التجارة الدولية ..) ، ناهيك عن المنظمات الاقتصادية التي تهيمن عليها الدول (وخاصة الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة « الغربية » مثل منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OEGD) ومنظمة التجارة العالمية وصندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ..

من هنا ، فإن الاصطلاح الاكثر تعبيرا – من حيث المفهوم – عن مجموعة القواعد والاحكام ، وأنماط التفاعلات التي تنظم العلاقات الدولية ، حتى الآن ، هو « النظام الدولي » وليس« النظام العالمي » وذلك من حيث الفاعليات التي مازالت تسيطر على حركة التفاعلات والعلاقات السياسية والاقتصادية والامنية داخل النظام ، إضافة إلى انها (الدولة) مازالت تقدم نفسها على أنها « المؤسسة » السياسية الاخيرة ، التي نلج من خلالها واقعاً « سياسيا – اجتماعيًا » تتفاعل معه العلاقات الخارجية ، بالعلاقات الداخلية ، فتقدم إلينا نموذجا فريدا بصانع القاعدة ، والملتزم بتطبيقها .

وبالتالي ، فإن ما يميز بين « النظام الدولي » و« النظام العالمي » هو انه بينما تكون الدول – كفاعليات – هي السائدة في الاول ، والحاكمة في تشكيل النظام وتحديد سلوكه .. إلا أن الاثر العكسي هو الذي يمكن أن يسود في الثاني على تشكيلاته الفرعية – كفعاليات – ويوفق بينها جميعا وبين حركته الذاتية ، وهذا يعني انه في حالة وجود « نظام عالمي » سوف لايتوافر لـ« الدولة » نفس المقدرة الحالية على اتخاذ قرارات مستقلة يمكن أن تؤثر – بشكل مطلق – في حركية النظام .

بيد أن النقطة الجديرة بالانتباه والتأمل ، هنا ، هي انه في الوقت الذي ماتزال فيه الدولة هي المحرك الرئيسي على المسرح الدولي ، الا أن قوة التنظيم والتكامل في « النظام الدولي » الحالي ، آخذة في اكتساب مواقع جديدة ، حتى انه ليمكننا الاشارة إلى أن هذا العصر الذي نحياه والذي تعتبر الثورة العلمية والتقنية أهم سماته ، إنما يمثل« حقبة » تمر فيها العلاقات الدولية بمرحلة تحول من « النظام الدولي » إلى »النظام العالمي « أي إلى« نظام العالمي » أي إلى نظام يضم الكوكب جميعه ويعمل بانتظام كاف ليفرض انماطاً معينة ملحوظة على سلوك جميع تشكيلاته الفرعية (فاعليات النظام) وبصفة عامة« الدولة » لابد ، إذن من الاخذ بعين الاعتبار أن «النظام الدولي » ، في ما يبدو ، أكثر تعقيدا من مجرد التفاعلات بين «الدول القومية » وحكوماتها ، حول مجموعة الظواهر السياسية والأمنية .. فهناك فواعل دولية – بالاضافة إلى الدول – تشارك بصورة مباشرة في السياسة العالمية ، يكفي أن نلاحظ الدور الذي تلعبه الفواعل العابرة لـ « الحكومات » وتلك المتعدية لـ « القوميات » ، مثل : الشركات الدولية النشاط والمؤسسات والكنائس واتحادات العمل الدولية .

اضف إلى ذلك ، في ما يتعلق بنمط ، أو بالاحرى انماط ، التفاعلات، إن هذه الاخيرة ، لاتتوقف فقط على ابعاد الصراع والتنافس بين الفواعل داخل النظام ولكن أيضاً ، على تلك التفاعلات التكاملية والتنمية الاقتصادية والتجارة الدولية والتقدم التقاني (التكنولوجي) ، وهو ما يساهم في توضيح ابعاد ما يمكن أن نطلق عليه « دور المساومة بين الاطراف ».

ولاعجب ، والحال هذه ، أن نتصور مدى تأثير ذلك على « الدولة » .. لنتأمل فقط ، كدلالة على آفاق التأثير اياه ، بعض من هذه الظواهر .. التي يتقاطعها التحول عن الدولة ، كتوجه يدعمه ما نعاصره من ثورات – وبالطبع لانقول : ثورة –

(في) المعلومات والاتصالات والمرئيات ، سواء في اتجاه « تجاوز » الدولة ، أي التحول نحو العالمية بالاعتماد على الدين ، كعقيدة موجهة (ايدولوجيا) ، وكنزعة تتماهى مع فكرة «الغاء الدولة » وليس فقط تجاوزها ، إذ - ينبغي أن نلاحظ - أن فكرة الدولة العالمية أو « الاممية » هي فكرة ذات اصول دينية (الرواقية ، المسيحية ، الاسلام) .. أيضاً : في اتجاه « الانكماش» عن الدولة ، أي التحول نحو الطائفية والقبيلة ، الذي يتخذ اليوم طابع « البحث عن الجذور» في انحاء العالم المتقدم والمتأخر على السواء ، بما يتواكب معه من تفجر لظاهرة انبعاث الهويات الجزئية ، تلك التي لايكفي لتفسيرها القول : أن هناك « مؤامرة إمبريالية » او ثمة قيما معينة «تستعصى على التحديث » .. كذلك ، في اتجاه « التمدد » عبر حدود الدولة ، أي التحول نحو ما يطلق عليه - احيانا - تعبير « المجتمع المدني العالمي » ، ذلك التحول الناشئ عن نمو ظاهرة الجماعات الاهلية ذات الصفة العالمية ، وهي (الجماعات) التي تضم في عضويتها اعضاء من جنسيات مختلفة ، وتعمل في خدمة قضايا عامة متعددة الاطراف ، او عالية الاتساع ، وهي - بحكم تكوينها واهدافها - لاتتجاوز حدود الدول فقط ، بل تؤثر في سياساتها أيضاً (.. المواجهة التي نشبت بين جماعة السلام الاخضر والحكومة الفرنسية حول موضوع التجارب النووية في المحيط الهادي ، أحد الامثلة).

هذه « الظواهر» - التحديات (التحول والانكماش عن الدولة ، والتمدد عبر حدودها) ، وغيرها ، التي تجابه الدولة ، وتعبر - في آن - عن مدى النمو المضطرد لعملية التحول عنها (عن الدولة) ..

تضع اليد على اهم مؤشرات ذلك الجديد : جديد العولمة في ما يخص دور الدولة .

فهناك ، كمثال ، انهيار « حواجز الاتصال » بين كافة ارجاء المعمور ، الذي نعيش بين جنباته ، وما ادى إليه من انكشاف ما بداخل الدول أمام تقنية المعلومات والاتصالات والمرئيات . إذ ، يبدو - بوضوح - ضعف قدرات النخب الحاكمة على اخفاء حقيقة التطورات والممارسات التي تجري داخل بلدانهم .. مما يعني : ليس فقط انه لم يعد في مقدور هذه النخب ممارسة افعال من شأنها تشويه صورتهم في الخارج ، في ظل وجود احتمال خلق رأي عالمي عام مضاد لهم ، بل أيضاً « تخفيف» القيود المفروضة على اجهزة الاعلام في الداخل .. اذ ما جدوى تقييد حرية الإعلام ، في الوقت الذي يستطيع فيه المواطنون ، في هذه البلدان ، أن يعرفوا ما يجرى - داخلها - عبر أجهزة الإعلام الأجنبية . ونتيجة لذلك ، فإن « المواطن » اصبحت له «إمكانية » مستقلة على المعرفة ، تتجاوز بكثير تلك المعرفة التي - كانت - تفرضها الدولة عليه ، وهو ما يسمح له ، إضافة إلى أشياء عدة ، بمقارنة اداء دولته وانجازاتها بأداء وانجازات الدول الأخرى .

وهناك ، كمثال آخر ، تقلص « حواجز الاختيار » سياسيا واقتصاديا ، وما أدى إليه من تقييد حرية الدولة في ما يخص توجهاتها ، فالدولة لم تعد حرة في فرض النظام الاقتصادي الذي تريده ، وبغير شبكات التجارة والاعتماد المتبادل وقروض - وقيود - صندوق النقد الدولي واسواق المال العالمية ، لم يعد ممكنا - او متاحا - أن تختار الدولة نظاما اقتصاديا مركزيا يعتمد على الدولة وسطوتها ، وإلا تعرضت للخنق التدريجي .. كما لم يعد ممكنا أن تختار الدولة نظاماً سياسيا لايحترم ، أو - في الحد الادنى - يراعي ، مسألة حقوق الانسان داخلها ، وبغير شبكات الاتصال العالمية ، وحركات ومنظمات حقوق الانسان الرسمية (من خلال الامم المتحدة) وغير الرسمية ، (الجماعات الاهلية) ، فإن ما كان يخص دولة بعينها اصبح امراً يخص العالم بأسره .

ونتيجة لذلك ، فإن « الدور » الذي كانت تمارسه الدولة ، عبر « اللعب » على الصراعات الدولية وتوازن القوى ، لكي تستجدي المساعدات ، أو قل : الدعم ، السياسي والاقتصادي ، من المعسكرين

المتصارعين ، قد أوشك على الانتهاء .. ناهيك عن تضاؤل مرور المساعدات عبر الحكومات ، باعتبارها الممثل الوحيد للسيادة الوطنية .

وهناك ، كمثال اخير ، تراجع « حواجز الحصانة » أي حصانة الدولة في بسط سيادتها على اقليمها ، وما ادى إليه من زعزعة « الارتباط .. التقليدي» بين هذا وتلك ، أو بالاحرى : بين الدولة وأرض الدولة . إن المفارقة المثيرة ، هنا كما لاحظها - باقتدار - جميل مطر ، أن الدولة ، هي ، التي تقوم بفصل الأرض ، أو : بعضها - إن شئنا الدقة - عنها ، ولعل دلائل هذا ، من إجراءات وعمليات ، عديدة ومتنوعة : بيع الاراضي للاجانب دون ما قيد أو شرط ، الاعفاء الضريبي لاستثمار مفتوح ، اضافة إلى « المناطق الحرة» ، للصناعة أو التجارة أو العبور ، كظاهرة انتشرت وتفاقمت - إلى حد كبير - في كل أقاليم ودول العالم .. وهي ، الظاهرة ، التي - من فرط التكيف معها - لم تعد تلفت النظر ، رغم أنها ، وغيرها ، خطوات نحو فصل الأرض عن الدولة .

ونتيجة لذلك ، فإن « الأرض » التي تمثل موضوعا ورصيدا لـ « السيادة » ، أصبحت خارج إطار عدد ، متنام ، من أدوات السيادة الوطنية ، أي : من أدوات الدولة .. وهي ظاهرة ذات دلالة على التوجه الذي تدفع الدولة إليه ، دفعا .

وهكذا .. فإن التراجع والتقلص والانهيار في « الحواجز » ، اياها ، كأمثلة .. وإن كان يدل ، بل يؤكد ، على ملامح التغير الحاصل في مقومات الدولة ، وفي العلاقات التفاعلية بين هذه المقومات (الشعب والأرض والسيادة) .. رغم ذلك ، فإن الأمثلة المشار إليها ، لاتمثل متكئاً يمكن الاستناد إليه - من الوجهة المنهجية - للقول : إننا نغادر ، أو على وشك أن نغادر ، عصر الدولة (القومية / او الوطنية) ، وهو القول الذي دفع البعض إلى المبالغة في رسم المشاهد (السيناريوهات) المستقبلية لذلك العصر ، عصر « ما بعد المغادرة » .

إن هذه المشاهد ، التي تتمحور حول « عالم اللادول » ، و - التي - تتأرجح في ما بين انتهاء الدولة لحساب الشركات « الدولية النشاط » ، أو قل « عابرة الحدود » (أو : المتعدية الجنسية حسب الاصطلاح الشائع) ، أو لحساب الأمم المتحدة بعد تدعيمها وتزويدها باختصاصات وأجهزة اكثر فعالية ، أو لحساب التفكيك والتشرذم ، أي : انتهاء الدول إلى عشرات وربما مئات من « الكيانات القزمية ».. (هذه المشاهد) هي ، في حقيقتها ، لا مستقبل لها تماماً ، ولعل ذلك ، في اعتقادنا يعود ، في أحد أهم اسبابه ، إلى ما يمكن تسميته بـ « الوظيفة الثقافية » للدولة ... هذه الوظيفة التي تغيب - رغم الحاحها - عن كثير من الاحاديث التي تدور هذه الأيام ، حول « مستقبل الدولة » ..إذ أن ما نعاصره راهنا من ملامح « مناخ عالمي جديد» ، وبقدر ما تولد ، في بعض الاحيان ، مشاعر التقارب و - ربما - التشابك بين الثقافات ، بقدر ما تعزز ، في احايين أخرى ، مشاعر التمايز والخصوصية ، بل وتؤكد - وهنا المقارنة - على الحدود بين « هوية واخرى .

ولعلنا لانغالي اذا قلنا : أن الدولة ، وان كانت مطلوبة للمشاركة في «الحوار المتصل » بين الانا والاخر ، فانه ، وبدرجة اعلى ، مطلوبة لـ « المحافظة » على الانا والحيلولة دون تذويبها في الاخر « أي آخر » .

في ما يعنيه ، يعني ذلك أن الامثلة ، اياها ، كمؤشرات على الجديد : جديد العولمة في ما يخص دور الدولة .. (تلك الامثلة) تبرهن على أن ملامح هذا « الجديد » - ومن ضمنها الظواهر التي سبقت الامثلة - هي تحديات تجابه الدولة ، وعلى كيفية المجابهة المضادة من جانب الدولة ، تتوقف اجابة هذه الاخيرة على سؤال :« المصير»؟!.

إن النقطة الاساسية ، بل المحورية ، هنا ، أن العولمة ، وما يتواكب معها من « مناخ عالمي جديد » لاتحدد بذاتها واقع ومستقبل ، أو : آفاق ، أي بلد أو مجموعة من البلدان ، بل أن البنى الاجتماعية

القائمة ، « والقوى» المتحكمة فيها ، هي التي تحدد – في الأخير – شكل الاستجابة لهذه « العولمة » و« حدود توسعاتها » ، أي : طابع التغيرات في الجوانب التي تتوسع نحوها .

وبكلمة .. فإن كافة ما نعاصره ، في « اللحظة الراهنة » ، لا يعني : نهاية ، أو بداية نهاية ، دور الدولة ، بقدر ما يعني : فرض تعديل اضافي على تكيف اداء الدولة مع « المناخ .. الجديد » ولا حاجة بنا إلى التأكيد على أن التكيف ليس استجابة سلبية فحسب ، وانما هو – بالصبط – أسلوب في التعاطي (الإيجابي) مع حقائق موضوعية ، لامجال لمجالاتها بـ « الجمل الإنشائية » ، بل بـ « وعي الضرورة » ، أي : بفهم حدود الخيارات المتاحة في ظل ظرف تاريخي محدد ، والآخذ بأكثرها تعظيما للمصلحة الجماعية .

أزمة الدولة .. والدعوة إلى « الطريق الثالث »

ما وصلنا إليه توا ، يضع« السيد علي» أهم الملامح الخاصة بما يمكن تسميته « أزمة الدولة في عصر العولمة » .. فإذا كانت العولمة لم (..ولن) تؤدي ، في اعتقادنا ، إلى انتهاء أو تلاشي الدولة ، إلا أنها ، في الوقت نفسه ، لم (.. ولن) تدعها دون أن تمسها إذ أن العلاقة بين العولمة وما يتواكب معها من « مناخ عالمي جديد » ، وبين الدولة ، تندرج في إطار التفاعل بين التغيير والاستمرارية ، ومن ثم فإن استمرارية الدولة ، في ظل التغيرات التي سوف تؤثر على قدراتها وقوتها ووظائفها وادوارها ، وكذلك على عملية صنع القرارات فيها .. (استمرارية الدولة) مرهون أساسا بمدى قدرتها على الإمساك بزمام العلاقات الداخلية والخارجية لها .

في ما يعنيه ، يعني ذلك أن منظور العولمة (GlobalizationParadigm)يشير إلى تغير في نظام الدول بمبادئه وقواعده التقليدية – التي تبلورت عقب صلح وستفاليا في العام **1648**، والتي حكمت العلاقات الدولية لما يزيد عن الثلاثة قرون – ، وهو « التغير » الذي سوف يرسي مبادئ وقواعد جديدة للدولة في ظل العولمة .

باختصار ، سوف تؤدي العولمة إلى إعادة « هيكلة الدولة » (**Restructuring**) ، بمعنى تغيير أو تحول (**ShiFT**) في طبيعة الدولة وقوتها ودورها ووظائفها ، بل و«مركزها » في النسق العالمي .

ولعل النقطة المركزية التي تتمحور حولها السمات العامة لـ « إعادة الهيكلة » هذه ، هي تلك الخاصة بسقوط مفهوم «دولة الرفاهية » في « الشمال » و« الجنوب » على حد سواء ، وذلك لصالح دولة « الفضلات » في الأول ، والدولة « الرخوة » في الأخير ... وما كان ذلك ليتم ،قطعا ، إلا بشكل تدريجي وعبر « خوصصة » (**Privtization**) دولة الرفاهية ، بدخول « القطاع الخاص » إلى قطاعات ، مجالات كانت محجوزة سابقا لحساب الدولة ، ومن ثم ، حدث ما نشهده راهنا من دعم للقطاع الخاص وأصحاب الملكية الخاصة عموما على حساب الذين لايزالون مرتبطين بالملكية العامة ، وهو ما ساهم في تقليص دور الدولة عن طريق تقليل مسؤولياتها وموظفيها ، وفتح قطاعات الدولة للقطاع الخاص ، وخاصة تلك القطاعات المتعلقة بالخدمات الاجتماعية .

وفي ما يبدو ، هكذا ، فإن ربط أسعار السلع والخدمات الاجتماعية بظروف السوق المتغيرة ، وتحويل الإيرادات التي كانت تنفق على برامج هذه الخدمات ، وتلك السلع ، إلى خوصصة دولة الرفاهية أدى إلى تلاشي الإمكانية المستقبلية لـ «السيطرة» (**Dominnation**) السياسية للدولة ، هذا رغم كونها ماتزال تتمتع بإمكانية « الهيمنة » (**Hegemony**) السياسية .

.. وهنا ، لا نغالي إذا قلنا انه في هذا السياق ولدت الدوافع المتعددة التي أسهمت في إذاعة أفكار « الطريق الثالث » ، ونشرها ، مع الحملة الإعلامية « الغربية » الصاخبة المرافقة لها .. وهي (الحملة الاعلامية) التي حاولت تقديم الطريق

الثالث كـ « اتجاه أيديولوجي ليبرالي » و« رؤية فلسفية جديدة » للغرب (الرأسمالي) ، اكثر منه يوتوبيا سياسية.

صحيح أن البعض يلمح إلى أن مصطلح « الطريق الثالث » اخذ يتم تداوله منذ أن استخدمه البابا بيوس الثاني عشر ، في أواخر القرن التاسع عشر ، حين مادعا إلى طريق ثالث بين الاشتراكية والرأسمالية .. وصحيح ، أيضاً ، أن البعض يشير إلى أن المنظر الأول للطريق الثالث هو عالم الاجتماع الإنجليزي الشهير « انتوني جيد نجز » والذي اخرج كتابا في العام **1989**، عنوانه :« الطريق الثالث ،، تحديد الديمقراطية الاجتماعية » ، سرعان ما ترجم إلى عشرات اللغات الحية .. إلا انه ، رغم هذا وذاك ، يبقى من الصحيح أن فكرة « الطريق الثالث » لم تجد هذا القدر من الذبوع والانتشار . في السنوات الأخيرة من القرن العشرين ، إلا أنها تحولت إلى برامج سياسية نجحت على أساسها أحزاب أوروبية (.. و أمريكية) ، ووصلت إلى الحكم .. في مقدمة هذه الأحزاب (الأوروبية) ، يأتي « حزب العمال الجديد » الذي انشاه « توني بلير » ، وتمت صياغة برنامجه السياسى اعتمادا على الإسهامات النظرية لفكرة « الطريق الثالث » .. اما في الولايات المتحدة الأمريكية ، فهناك « الحزب الديمقراطي الجديد » الذي اسهم في تأسيسه « بيل كلينتون » ونجح به في انتخابات الرئاسة الامريكية مرتين ، اعتمادا على صياغة برنامج الحزب السياسي في ضوء الملامح الأساسية لفكرة « الطريق الثالث ». والواقع ، أن الناظم المشترك في ذلك النجاح المتوالي لـ « أحزاب الطريق الثالث » ، وهو تلك البرامج السياسية التي تم من خلالها التركيز الشديد على برنامج الرعاية الاجتماعية والصحية والتعليمية ، ناهيك عن الاهتمام الخاص بفئات الفقراء والمهمشين والاقليات .. بل أن الملاحظة الأهم ، هنا ، أن فكرة « الطريق الثالث » ، والبرامج السياسية التي تمت صياغتها على أساسها ، لم تتوقف عند مجرد طروحات نظرية يعرضها للنقاش بعض مفكري يسار الوسط ، بقدر ما هي قد تجاوزت ذلك إلى أن تصبح سياسات تطبق بالفعل في عديد من الدول (الغربية) التي تحكمها في الوقت الراهن أحزاب يسار الوسط أو «أحزاب الطريق الثالث » إذا جاز التعبير .

وفي ما يبدو ، هكذا ، فإن « الطريق الثالث »، وإن كانت حركة سياسية نشطة ، تقوم بالدور الفاعل فيها حكومات « غربية » متعددة ، استطاعت أن تصل الأحزاب التي كونتها إلى سلطة الحكم ، من خلال الانتخابات العامة .. إلا أنها ، في نفس الوقت ، وبحسب تعبير السيد يسين في كتابه : « العولمة والطريق الثالث ، **1999** » ، إعلان بارز عن «تحولات » خطيرة في المزاج السياسي للجماهير – إن صح التعبير – و« ترجمة » للتكيف الحاصل لكل من النخبة السياسية والمفكرين والجماهير لمتغيرات العصر ، و« تأمل » في الحصاد الإجمالي لخبرة القرن العشرين .

بعبارة أخرى ، تقدم فكرة «الطريق الثالث » صورة للمجتمع الإنسانى الذي يراد تشكيله في القرن الحادي والعشرين ، بناء على صياغة مفاهيم جديدة ، ونظريات مستحدثة ، تعيد تحديد العلاقة بين الفرد والمجتمع من خلال التوازن بين الحقوق والواجبات (.. ولعل هذا يأتي ضمن أهم العوامل الدافعة للنظر إلى « الطريق الثالث» ، كمحاولة في التأليف بين الأيديولوجيتين المتصارعتين : الاشتراكية والرأسمالية).

ومن ثم ، فإن الأمر الجدير بالانتباه والتأمل ، في آن ، هو الدعم الذي تقدمه فكرة «الطريق الثالث » لمجموعة المسائل الخاصة بالتجديد الديمقراطي والإصلاح « الاجتماعي – السياسي» ، ودور الدولة أو الحكومة في العمل بالاشتراك مع القطاع الخاص التطوعي لتحمل المسؤولية معا .

ثمة « مراجعة » ، إذن ، في عديد من الدول « الغربية » تحديداً ، لتلك السياسات الليبرالية الجديدة ، وخاصة لجهة دور الدولة باعتبارها

الضامن للسلع والخدمات ، وليس بالضرورة أن تكون هي المورد المباشر لها .

ولا نغالي ، هنا ، إذا قلنا أن أهم المسببات وراء هذه « المراجعة » ، هو ما تشير إليه ظاهرة « العولمة » وما يتواكب معها من « مناخ عالمي جديد » نعاصر ملامحه راهنا ، من ولادة رأسمالية أكثر توحشا من أي وقت مضى .. وان التخوف من مخاطر الرأسمالية تعد من أهم الدوافع التي تحث أنصار « الطريق الثالث » على التعامل معه كـ « خيار رأسمالي أولا » ، مستفيدا من محاسن الاشتراكية ، لمواجهة تلك المخاطر التي سوف تسببها « عولمة الرأسمالية» على حياة الدول .

ولعل هذا ما يفسر هذا الانتشار الواسع لفكرة « الطريق الثالث » في قلب « الغرب الرأسمالي » ، بل لعله ما يؤكد ، أن نجاح هذه الفكرة ، فكرة «الطريق الثالث » ، كما يتوخى أنصارها - في الغرب - يتعلق بمدى صحة الأفكار التي تؤسس عليها ، ومقاربتها للواقع بسياسات تطبيقية تتلاءم مع الظروف المستجدة ، ومع التحولات التي يموج بها العالم .

وايا ما يكن الأمر ، فإن ثمة جهود ومحاولات يبذلها الغربيون أفرادا وحكومات ، في صياغة مستقبل يصون مصالحهم ويحافظ عليها عبر الدفاع عن دور الدولة وأهميته في التنمية الاجتماعية .

وماذا بعد ؟!.

وبعد .. يتبقى أن نشير إلى حالتنا العربية الراهنة ، هذه الحالة التي نعاني في إطارها من اقتصاديات منهكة ، وسياسات يضيع المستقبل وتحدياته عن نصب أعينها .. وبالتالي ، ألا يحق لنا أن نتساءل عن خططنا وبرامجنا وتصوراتنا في التعامل مع المستقبل « ذلك الغائب من الزمن القادم بعد حين »؟!.. ألا نستفيد من تجارب الآخرين ونحن نشاهد حرصهم على مستقبلهم ؟!.

المجال الحيوى

المفهوم - السمات - الشروط - الابعاد

المكي محمد بن قبلية / جامعة ناصر

ونحن نلج الالفية الثالثة ونعيش عصراً جديداً في تاريخ البشرية، عصر الالفية الثالثة، عصر الموجة الثالثة، عصر المعلومات والانترنت نقف أمام ثلاث مستجدات :-

المستجد الاول:

هو الطريق الثالث خيار الالفية الثالثة وحتما فان عصر الجماهير والنظرية الجماهيرية هي الطريق الثالث الذي لاغنى للبشرية عن الدخول إليه فالنظرية الجماهيرية تقدم حلولاً جذرية لكل مشاكل البشرية.

المستجد الثاني :-

العولمة والتسارع نحو صنع العالم بنموذج واحد وثقافة واحدة وهي الثقافة الغربية والنموذج الليبرالي الذي أعلن انتصاره وانفراده بالساحة الدولية بعد سقوط الاتحاد السوفياتي ودول المنظومة الماركسية مما دعا البعض إلى القول بنهاية التاريخ (نموذج فرنسيس فوكوياما) وفي ظل العولمة تتلاشى سيادة الدولة وتفقد سلطانها مهما كانت قوتها انه عصر تلاشى سيادة الدول.

المستجد الثالث :-

المجالات الحيوية وتحديد المجال الحيوى العربى الافريقي.

وسأتناول في هذه الورقة النقاط التالية :-

اولاً / مفهوم المجال الحيوى.

ثانيا / سمات المفهوم القديم للمجال الحيوي.

ثالثا / المفهوم الجديد للمجال الحيوي وسماته وشروطه.

رابعا / الابعاد الاستراتيجية للمجال الحيوي.

خامسا / المجال الحيوي العربى الافريقي.

اولا / مفهوم المجال الحيوي.

يعرف المجال الحيوى بانه ذلك الفضاء المادى والمعنوى حيث يمكن الحركة والعمل لانتاج الحياة وممارسة النشاطات الانسانية انه ما يجعل الحياة ممكنة ومن هنا تأتى صفة الحيوي المضافة للمجال.

فالمجال الحيوي للفرد هو تلك الدائرة المحيطة بالفرد والتي يتمكن من خلالها وحولها من الحياة

والحركة وممارسة نشاطه على المستوى الشخصى .

والمجال الحيوي للجماعة هو تلك الدائرة المحيطة بالجماعة التي تمكنها من ممارسة نشاطاتها وفق مجالات افرادها ، اما المجال الحيوي للدول فهو ذلك الفضاء أو تلك الدائرة أو هى تلك المنطقة الحيوية التي تضم مجموعة من الشعوب من جنسيات مختلفة ولغات مختلفة والوان مختلفة واعراق مختلفة وفقا لمصلحة هذه الجماعات أو الدول وهذه الدائرة أو الفضاء هو الذي يمكن تلك الدول والشعوب من الحياة وممارسة النشاطات والاستقرار .

ثانيا / سمات المفهوم القديم للمجال الحيوي:

يعود ظهور المجال الحيوي إلى نشأة الدولة وقد ارتبط المجال الحيوي بمفهوم الدولة فالدولة هي كيان سياسى – قانونى ذو سلطة سياسية معترف بها في رقعة جغرافية محددة على مجموعة بشرية معينة .

ولذلك فالمجال الحيوي كان يتحدد من قبل كل دولة على حدة وفقا لمصالح الدولة وكانت القوة العسكرية هي الحكم النهائي بين الدول وقديما أصبح المجال الحيوي هو مدى قدرة الدولة في الحفاظ على اراضيها ومصالحها وقدرتها على فرض سلطانها على الدول المجاورة وهذا ادى إلى الصراع والتنافس وظهور صراعات دولية ونشوب حروب مدمرة .

والناظر في عالم اليوم والالفية الثالثة تطل علينا سوف يدرك دون اى تفكير أو جهد.. التغيرات التي تمت وبسرعة في مجالات الاقتصاد والسياسة والاجتماع وهذه التغيرات ادت إلى تغيير جذرى في مفهوم المجال الحيوى .

1) في مجال الاقتصاد

بروز الشركات العابرة للوطنيات وهي الشركات المتعددة الجنسية وتكون الديناصورات المالية وتراكم الرأسمال والاسواق العالمية اى عولمة الاقتصاد ورأس المال .

2) في مجال السياسة .

:ضغط العولمة ادى إلى تلاشى سيادة الدولة الوطنية وكذلك الدولة القومية وبدأت لدولة تفقد سلطتها التشريعية والتنفيذية والقضائية والرقابية وهذا ادى بالدول إلى محاولة مقاومة العولمة وبدأت الدول تفكر في مستقبلها في عصر العولمة والمعلومات والانترنت كما ان الصحوة القومية ومقاومة الاستعمار كانت هي الاخرى احدى التغيرات السياسية التي حدثت وادت إلى تغير في مفهوم المجال الحيوي .

وفي عصر العولمة فإنه لايمكن لأى دولة مهما كانت قوتها الوقوف أمام غول العولمة القادم بقوة نعاصفة العولمة قادمة بقوة ونحن ليس أمام سوى خيارين :-

الخيار الاول : الانتظار في مقاعد المتفرجين وترك العاصفة تدمر وتخرب ثم نخرج لنبكى على الاطلال .

والخيار الثانى :- البحث عن كيان أكبر من الدولة الوطنية عن دولة يمكنها ان تقاوم العولمة وتقف في مواجهة العاصفة وحتما فالخيار الثانى هو المناسب للبحث عن الدولة القومية ، عن كيان قوى قادر على الصمود بأقل الخسائر وهو ما دفعنا إلى الوحدة مع افريقيا وقيام تجمع دول الساحل والصحراء (س.ص) والدعوة لقيام الولايات المتحدة الافريقية وكان اعلان الاتحاد الافريقي في مدينة الرباط الأمامى سرت في **1999.9.9ف** خطوة أولى نحو الهدف الاكبر .

ثالثا / المفهوم الجديد للمجال الحيوي .. سماته .. شروطه .

لم يعد المجال الحيوي يعنى قدرة الدولة في الحفاظ على اراضيها ومصالحها وقدرتها في فرض قوتها وسلطتها على الدول المجاورة وذلك للتغيرات والمستجدات التي شهدها العالم اليوم والتي اشرت اليها فيما سبق .

فالمجال الحيوي اليوم هو (مجال يجمع شركاء انداداً ، يتبادلون المصالح والمنافع ، كل شريك فيه

يعترف ويحترم هوية ومصالح الشركاء الآخرين) هذه هي وجهة نظر المفكر معمر القذافى في مجال متعدد الاطراف يتمثل في تجميع الامكانيات والموارد وتنسيق خطط التنمية والتكامل والتبادل التجاري وتعاون الموارد البشرية .

مجال يقوم على استخدام القدرة الانتاجية للشركاء لتحقيق الصالح العام لكامل المجموعة ومواجهة العولمة .

مجال يقوم على الاعتراف بهوية كل طرف وحقه في الحفاظ على الهوية والثقافة التي ينتمى اليها ، مجال يقوم على احترام خصوصيات الآخر فهو مجال تبادلى تعاونى .

سمات المجال الحيوي :

تتلخص سمات المفهوم القديم للمجال الحيوي في :-

1- كل دولة تحدد مجالها الحيوي وفق مصالحها وحدها ولايهمها مصالح الدول الاخرى .

2- القوة هي الحكم النهائى بين المتنافسين .

3- الدولة القادرة تفرض مجالها الحيوي على الدولة غير القادرة .

اما سمات المفهوم الجديد للمجال الحيوي فانها تتعدد في الآتى :-

(1) القبول بمصالح الآخرين فالمجال الحيوي صار متحدد الاطراف يقوم على مبدأ الشراكة لا الفردية .

(2) يقوم هذا المجال على تجميع الامكانيات والموارد والتبادل واستخدام القوة الانتاجية لتحقيق الصالح العام .

شروط المجال الحيوي :-

(1) الانخراط في مجال حيوي يستهدف من كل طرف الحفاظ على هويته الاجتماعية والثقافية .

(2) تحقيق المصالح الوطنية لكل طرف وهذا يتطلب الاعتراف بمصالح الآخر .

(3) القدرة على تحقيق الوحدة مع قبول التنوع الاجتماعي والثقافي .

(4) القدرة على تحقيق العدالة .

رابعاً /
الابعاد الاستراتيجية للمجال الحيوي :

تكمن الابعاد الاستراتيجية للمجال الحيوي في :-

1) البعد السياسى
2) البعد الاقتصادي
3) البعد الاجتماعى .
4) البعد العسكرى .
5) البعد الامنى .
6) البعد الثقافى .

1) البعد السياسى :

أ- من أجل أن يحقق المجال الحيوي غاياته لابد من أن يأخذ شكلا سياسيا .

ب- تأمين الاستقرار السياسى في ظل المجالات الحيوية والعولة .

ج- وضع حد للصراعات الدينية والطائفية والمذهبية والصراع السياسى على السلطة .

2) البعد الاقتصادي :

بعد ضمان المشكل السياسى وتحقيق الاستقرار لابد من العمل على تحقيق التكامل الاقتصادي واستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة لتحقيق مصلحة جميع الاطراف .

3) البعد الاجتماعى :

لأن المجال الحيوي هو مجال يجمع متناقضات من خلال الاطراف الداخلة فيه عرقيا ودينيا ومذهبيا ولغويا وهذا قد يسبب صراعا داخليا فلابد من ايجاد توافق بين جميع الاطراف .

4) البعد العسكرى:

يضم المجال الحيوي مقدرات واسلحة دفاعية وهجومية ولابد من بناء هذه القوة والبحث عن قوة ردع لمواجهة الاطراف الأخرى في حال حدوث اى طارئ .

5) البعد الامنى :

بعد تحقيق الابعاد السابقة يبقى بعد آخر يمثل أهمية ضمان حل النزاعات وايقاف الحروب والصراعات الداخلية وهو ما يوفره تحقيق الأمن .

6) البعد الثقافى :

في عصر المعلومات والانترنت والانسياب المعلوماتى السريع وتخطى الحدود والهويات

الثقافية لابد من الحفاظ على الهوية والثقافة والبحث عن الهوية الثقافية وزرعها في الاجيال .

خامسا /

المجال الحيوي العربي الافريقي .

سياسيا : تحقيق الاستقرار السياسى والقضاء على الصراعات وخاصة الصراع السياسى على السلطة من خلال ايجاد شكل سياسى وهو ما تم في مدينة الرباط الامامى سرت يوم **1999.9.9**ف بإعلان الاتحاد الافريقي وقيام الولايات المتحدة الافريقية .

اقتصاديا : الاستغلال الامثل للموارد الاقتصادية التي تملكها القارة الافريقية وقيام السوق الافريقية والمؤسسات المالية الافريقية الموحدة فالقارة الافريقية تملك امكانيات اقتصادية عظيمة وهائلة (**75**٪ من انتاج الذهب – **36**٪ من انتاج اليورانيوم –**70** ٪ من انتاج الماس) .

اجتماعيا / تحقيق الاستقرار الاجتماعى للقارة باحترام الهوية والثقافة لكل طرف وكل اقلية عرقية أو دينية أو ثقافية أو لغوية والبحث عن ثقافة افريقية لمواجهة خطر العولمة الثقافية .

عسكريا / لاتحتاج القارة التي تملك قوة بشرية هائلة يبلغ تعدادها **700** مليون نسمة إلى قوات تدخل اجنبية وهنا لابد من العمل على انشاء الجيش الافريقي والقوات الافريقية الموحدة .

امنيا / من خلال قيام وانشاء محكمة عدل افريقية ومؤسسات تتولى الحفاظ على الأمن والاستقرار للقارة .

ثقافيا / الحفاظ على الهوية والثقافة هو أهم خطوات تحقيق المجال الحيوي العربي الافريقي وربما هي الخطوة الاساسية فالهوية والثقافة أهم شئ .

وبهذه الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والامنية والثقافية سيكون المجال الحيوى مجالا نديا مع المجالات الأخرى .

واخيراً :-

إن التطور التاريخي الذي نتج عنه المجالات الحيوية والعولمة وعصر الجماهير لاتعنى بطلان الثوابت والقيم والمبادئ والمعتقدات الدينية والقومية والثقافية في عالم أصبح قرية صغيرة نتاج الثورة المعلوماتية والتبادل الاعلامى السريع عبر الانترنت ...

مصادر ومراجع :-

1– تعميم بحثى / المجال الحيوى
شعبة التثقيف والاعلام والتعبئة مكتب الاتصال باللجان الثورية

2– محاضرة الأخ قائد ثورة الفاتح المفكر معمرالقذافي في المدرج الأخضر **1999.12.17**ف.

3– الحوار الذي أجرته قناة دبى الفضائية وراديو وتلفزيون العرب **ART** مع معمر القذافي في **2000.1.2**ف .

4– د . محمد رياض .. الاصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبولتيك دراسة تطبيقية على الشرق الاوسط – دار النهضة العربية بيروت – لبنان **1974**ف .

5– د . رجب ابودبوس .. ورقة في المجال الحيوي مقدمة إلى ندوة المجال الحيوي تحت اشراف شعبة التثقيف والاعلام والتعبئة .مثابة المدينة طرابلس **1430.4.30** ميلادية نشرت في صحيفة الزحف الأخضر العدد **2966** بتاريخ **1430.5.8**.

العولمة ... جيوبولتيكياً

أ . أحمد سدوح

الجيوبولتيكا بالمعنى الحرفى للفظ تعنى سياسة الارض .. Geo politic «1»
ولكن اى سياسة واى ارض؟.. لعل اعداء الساسة والسياسة ممن يرون ان السياسة مفسدة، وانها مادخلت شيئاً أو داخلته الا وافسدته.يجدون فسحة غير متوقعة لتطبيق هذا المذهب..

فالارض بخير.. طالما كانت خارج اهتمامات أهل «البولتيك...» لكنهم اى هؤلاء الاهل لايقصدون الارض لذات الارض منذ البداية ولم يكن اختيارهم لهذا المصطلح وبهذه الصورة المعتمة عبثاً أو مصادفة..

فالارض وماتحوى هى ميدان دراسة هذا العلم، أقصد موارد الارض الطبيعية والبشرية على السواء..

والغاية هى حصر هذه الامكانات بقصد استغلالها.. للسيطرة على الارض واهل الارض..

وإذا كان الجغرافي السويدي رودلف كيلن هو أول من استخدم مصطلح جيوبولتيكا فى كتابه «الدولة كمظهر من مظاهر الحياة» الذى صدر عام 1917 ف «2» فإن التطبيقات العملية لهذا العلم قديمة قدم الامبراطوريات والممالك بحيث يمكن اختصار مساحة البحث فى معاني هذه الكلمة إلى حد وضعها إحدى مرادفات: الحروب.. الغزوات.. الاحتلال... التوسع أو احد نواتج الجشع والطمع والبربرية.

وفي هذا السياق يمكننا استعارة المصطلح الجيوبولتيكى ذاته للتدليل على قيام الامبراطوريات اليونانية والقرطاجنية والرومانية... الخ

الامبراطورية الالمانية

لم تكن الاراضى السويدية صالحة لتطبيق أفكار كيلن بل انه حاول معالجة الرقعة الاسكندنافية بأكملها فلم يجد فيها مكاناً يزرع فيه بذرة الجيوبولتيكا الأولى بالمعنى المعاصر فاتجه إلى بلاد الالمان، ولم يكن حلم الامبراطورية الالمانية قد تبلور فى اذهان ساستها وقادتها إلى الدرجة التى تؤهلها لاستيعاب الفكرة ..

على الاقل فيما يخص جانب المساحة والحدود .. الا ان هذا لم يكن حجر عثرة امام بحوث اللواء الدكتور كارل هاوس هوفر «3» الذى تزعم نهضة جيوبولتيكية لم يسبقه اليها سابق حيث أسس معهداً مختصاً لجمع الابحاث وتبويبها فى هذا الميدان ...

اما المنعرج الاكثر أهمية وخطورة فكان لقاء هوفر بادلوف هتلر فى سجن لاندسبرج .. ومن قدر له

الاطلاع على كتاب هتلر (كفاحى) لن يكون عسيراً عليه تتبع آثار المنهج الجيوبولتيكى فى رسم خطوط السياسة النازية «4» اتسعت فكرة المجال الحيوى إلى حد الاستغناء عن اختلاق المبررات لتهذيب اهدافها ، وبدأ الالمان أكثر صراحة فى الاعلان عن اهدافهم .. كيف تستطيع المانيا تأمين الغذاء لشعبها المكون من 85 مليون نسمة لاتتجاوز مساحة اراضيهم 600 ألف كم مربع فى حين ينعم الانجليز بمساحة 26 مليون كم مربع وهم نصف عدد الشعب الالمانى !!

ودخلت الافكار الجيوبولتيكية مرحلة التطبيق ، واتسع المجال الحيوى الالمانى ولو لحين على نحو ماشهد العالم ..

على ان نهاية الامبراطورية الالمانية بتلك الصورة المشينة والمخزية لم تكن درساً لاساطين الفكر الجيوبولتيكى ، بل وكأن تلك الصور المرعبة والفظة من الفناء والدمار كانت مهبط الهام ووحى لأساقفة هذا العلم الجهنمى ومن ورائهم جوقة الحكام والاباطرة والقادة ... وبالطبع عصابات لصوص الحرب لعزف «السلام .. الجيوبولتيكى» الذى ينعم اليوم برياح رخائه .

الجزيرة العالمية

ظهرت فكرة الجزيرة العالمية فى بلاد الانجليز وفى فترة مبكرة من عمر الجيوبولتيكا الحديثة على ان هالفورد ماكيندر «5» لم يتطرق إلى ذكر الجيوبولتيكا اطلاقاً برغم اشارة الجيوبولتيكيين من بعده بأفضاله عليهم إلى حد اعتباره رائداً لهم فى هذا الاتجاه وفحواها ان الارض مقسمة بين اليابس والماء قسمة غير متساوية ، وحيث ان اليابس لايصل إلى 1/3 مساحة الارض .. وان هذا الجزء البسيط تحيطه المياه من كل جانب .. فهو عبارة عن جزيرة واحدة لاموجب لفصلها .. اى ان هذه المعطيات تجتمع لتعطى هذه الجزيرة ابعاداً أكثر عمقاً من البعد المكانى ..

هى باختصار يمكن ان تكون دولة واحدة ، حكومة واحدة ، شعباً واحداً وإذا كانت كذلك وهذا مقترح من عندى فلا حاجة للمعسكر والعسكريجيا ولا حاجة للقنابل الذرية والهيدروجينية والعنقودية والحمراء والبيضاء .. لا حاجة للغازات الحارقة والسامة والمضحكة

الجزيرة بحسب رسم ماكيندر مخترع هذا المخطط لاعدو لها لأنها وفق اشتراطات الموقع سوف تكون محمية طبيعياً ولست اظنها فى حاجة لهذه الحماية .

فهذه الجزيرة الكبرى لها قلب هو قلب الارض .. حدد الباحث مساحته وموقعه «6» ومن يحتل قلب العالم يمكنه السيطرة على العالم بأسره فكرة أو نظرية سيطرة ..

العالم لايسع غير دولة عظمى واحدة .. كما قال راتزل

احتلال العقل

امتد اوار الثورة الجيوبولتيكية لمساحات مترامية فى بلاد الغرب بل ان امتداده الحقيقى كان فى عقول مدبري الفتن والحروب سراً وعلانية .

الدولة كائن حى يولد وينمو .. يكبر ، تتسع الحدود ، يزيد السكان .. تصبح امبراطورية لاتغرب الشمس بين حدودها ..

ولكى يكبر هذا الكائن المدلل لابد له من التهام المساحات المجاورة بثرواتها وسكانها .. إذاً هى القوة .. الحرب .. اختراع وسائل الدمار والفناء والسيطرة .. البحث عن استراتيجيات أكثر ملاءمة للغزو والنهب وحيث ان المجال (الحيوى) لهذا العلم السئ السمعة هو الآخر قد نما وتطور خاصة بفعل بعض التطبيقات العملية لنتائجه فإن إعادة النظر فى الصياغات الجيوبولتيكية مسألة حتمتها الضرورة ..

فمن قائل بأن القوة البحرية هى الاساس وبدونها لايمكن السيطرة على العالم «7» وآخر يرى ان القوة الجوية وحدها التى يمكنها تأمين هذه السيطرة .. ومن يملك القوة الجوية يمكنه احتلال العالم «8» وحين ظهرت القوة النووية اعلن الجيوبولتيك بحماس انها المفتاح السحرى للهيمنة .. ولم يقلل من حماسهم للمناداة بالنظرية النووية سوى انتشار سر هذا الرعب الجهنمى إلى أكثر من دولة ..

كانت الجيوبولتيكا فى حساباتهم هى ضمير العلم

.. وكان الضمير غائباً (ولايزال) .. بالرغم من ان العالم بأسره تقريباً قد تلظى بنار ازدهار صناعة الحرب وتجارتها فى أعتى حربين فى تاريخه كتطبيقات عملية لهذا العلم الاهوج ..

ملايين الارواح حصدت .. ملايين من اليتامى والارامل والمشردين والمعاقين والمشوهين والمعذبين «9».

أكلت الحرب الاخضر واليابس .. الاحياء والجمادات .. العمارة .. البناء .. الامل العقل .. العقل الإنسانى هو الآخر تعرض للتدمير ..

أجل لقد كان منذ البداية هدفاً جيوبولتيكيا !!

دفوف الحرب

ازدهرت صناعة الموت على نحو لم يألفه العالم من قبل ، وراجت أسواقها بصورة جنونية .. التاريخ ـ أعنى المؤرخين يظهرون زعماء هذه (الحقبة) فى عمر البشرية بمظهر الابطال .. يسترسلون بايحاءات غبية فى الاشادة بعبقريتهم ودهائهم ..

وحقيقة الموقف ، والتى ان لم تتكشف اليوم تكشفت غداً .. انهم كانوا مجرد صرعى فى زآرات لصوص الحرب من دهاقنة الجيوبولتيكا .

الحرب .. يصنعها الحكام الذين يكتفون بالتفرج على اوارها فى غرف محمية بعساكر وراءهم عساكر .. ووراء هذه السياجات البشرية سياجات أخرى حديدية ومائية ـ اليكترونية .. وربما نووية كما اقترح جهابذه البولتيك الصهيونى لحماية أرض الفلسطينيين من أحجار ابناء الفلسطينيين. «10»

الحرب يخوض غمارها الجنود الذين تحرمهم لوائح التسلل أو هو التسلسل الادارى من الاشتراك فى صناعة قرارها ..

وتكابد أهوالها الشعوب التى تنفق على أوزارها ـ كرهاً ـ المال والبنين ..

سؤال لكافة المؤرخين ..

من هو الزعيم الذى (تزعم حرباً .. إنهم غالباً مايعيشون بعد الحرب ويشرفون على كتابة مذكراتهم «11» .. يمكن قفل القوس حالة استدعاء الضرورة ويمكن وضع علامة استفهام حالة وجود مادة استفهام .. هؤلاء يوقعون فى الصباح معاهدات السلام والاخاء والحد من التسلح وحظره ونزعه وفى المساء مشروعات تطوير الترسانة العسكرية وابحاث زراعة الخوف والرعب .. وكانت هذه الصورة هى عنوان الشرف السياسى أو هو الشرف الجيوبولتيكى ..

النووية

انفرد الامريكان بامتلاك السلاح الذرى نحو عقد من الزمان .. كما انفردوا باستخدامهم لهذا السلاح عقوداً وعقوداً أعجزت الذاكرة الإنسانية فى ايجاد أيسر المبررات لتناسيها وسلوانها

وفى فترة مبكرة من عمر هذه الجريمة النكراء قدمت الحكومة الامريكية مقترحاً «انسانياً» لوقف استخدام الذرة فى الاغراض العسكرية .. اطلقوا عليه مشروع باروخ !! «12» ولم يكن الامريكان فى حاجة لعرض هذا المقترح من الاساس فى أروقة الامم المتحدة ، بالدرجة الأولى كانوا المحتكرين لهذا السلاح دون غيرهم ..

كان الروس أكثر وعياً بأبعاد ومرامى هذا العرض السخى .. ولم يكن عسيراً على مندوب روسيا مطالبة الامريكان بإثبات حسن النية فى مشروع باروخ وتدمير المخزون النووى الامريكي والبدء من جديد فى تطوير هذه التقنية لملائمة الاستخدام السلمى والاستفادة منها فى البناء والانتاج .. كان الامريكان أكثر حرصاً على اجهاض المحاولات الروسية فى تفجير القنبلة الذرية .. ومن أجل هذا فشل مشروع باروخ «13» ..

وفجر الروس القنبلة (1949)

ولم تدم فرصة التفوق الامريكى لأكثر من عام واحد فى امتلاكهم السلاح الهيدروجينى وكذا فى مشوار انتاج السلاح التكيتكي «14» .

وبدأت مرحلة أخرى فى هذا السباق الاهوج المحموم .. مغلقة بالاتفاقات والمعاهدات المتنوعة بين الحظر والنزع والتحريم والتجريم والتى لم تكن فى حقيقتها سوى «عليهم ... دوننا» .

فى العالم اليوم أكثر من 500 منشأة نووية موزعة بين 27 دولة من دول العالم وربما أكثر من هذا العدد بسبب كون هذا العدد هو المعلن ، وبين الدول

الموقعة على اتفاقيات ومعاهدات تحريم هذا السلاح «15» ..

يعمل فى هذه المنشآت حوالى 40 ٪ من علماء العالم !!

تصوروا 000 . 400 بين عالم ومهندس وفنى يعملون من أجل تدمير الارض وأهل الارض ..!! «16»

جيش إبادة .. ضد البناء والاعمار والامن .. الامن والسلام .. وترتفع رايات الحرية .. فى عناد كاذب وزائف ..

ويلتقى الاعداء بالترحاب والحبور .. يضغطون بأعصاب صناعية على عضلات وجوههم .. ينتزعون من أرواحهم الصدأة حقيقة البسمة والضحكة يطلقون عليها تسمية ديبلوماسية جيوبولتيكيا .. جائز .. بل ضرورى .

وتشير التقديرات إلى ان المخزون النووى أو على الاقل المعلن منه يكفى للقضاء على الاحياء والحياة مئات المرات ، وربما آلاف المرات وعلى سبيل المثال فإن المخزون الامريكى والذى أعد لردع الروس والمقدر فى سبعينات هذا القرن بـ 000 . «17» ميجاطن (الميجاطن = مليون طن) يكفى لقتل الروس والامريكان ومابينهما وماحولهما ويطال احياء البر والبحر بالفناء ..

المختصون يقدرون ان نيران الحرب الثانية على بشاعتها وأهوالها وماخلفته من دمار لم تزد فى جملتها عن 3 ميجاطن من متفجرات غير نووية «18» وهى كمية غير مؤهلة للقياس التناسبى فى الوقت الحاضر وليس لها الحق فى أرقام غير مشوبة بالكسور من هذه الناحية.

خمسة عشر ميجاطن وتحسب هكذا 000000 . 15000 طن ...

وبحساب الخبراء فإن الكمية الكافية لقتل إنسان هى 100 جرام من مادة TNT وان نصيب الفرد من هذه الكمية بحساب المخزون منها يكفي لقتله 10 مرات أو هو كاف لقتل 10 أضعاف سكان هذه الارض .

وبافتراض استخدام الامريكان لهذا المخزون ... ولو بطريق الخطأ .. وللخطأ نصيبه من صحة الفرض .. لأن الإنسان (التكترونى) «19» أو كل مهمة المراقبة والانذار بل وحتى أوامر النفير إلى حواسيب اخترعها لهذا الغرض ، ولم يدر بخلده مايعتريها من جفاء فى الطباع أو قصر فى النظر بل وان مثل هذا الخطأ تكرر أكثر من مرة «20å وفى هذه الحالة لن تكون هناك فرصة للامم المتحدة أو مجلس الامن للمشاورات والادانات .. لأن حواسيب أخرى ستتولى الرد أو مايسمى (الردع) وحتى هذا الردع ينطلق آليا ودون انذارات !!

لقد صارت الآلة تقود هذه الآلة ..

حسابات يكمن جبروت قوتها فى سرعة الرد قبل حدوث الضربة الأولى التى يسمونها الاستباقية ..

وإذا حصلت فإن البقية الباقية تحصدها الردع ، ومايتبقى بعد ذلك يكون حصاداً لآثار الردع ... وحين يكون الرقم الاوسط صفراً فان القيمة لن تتغير حالة وضعك لأى عدد من الاصفار على اليمين أو على اليسار .

الشتاء الأخير

المختصون بهذا النوع من الدراسات يطلقون عليه تسمية الشتاء النووى .. وهو وان كان شتاء طويلاً وقارساً يحدث نتيجة ركامات الغبار المتصاعدة كناتج للتبادل النووى فتحجب أشعة الشمس أو تعزل وصولها إلى الارض يقولون ان هذه السحابة الغبارية قد تستمر لأكثر من شتاء تخفض درجة الحرارة إلى 50 مْ تحت الصفر وربما دون هذه الدرجة .. ثم تعمل حركة الرياح على بعثرتها بحيث تعطى فرصة لوصول حرارة الشمس لهذا الكوكب التعيس و ... سوف لن يبقى على الارض احياء - خاصة من البشر - سوى تلك الفئران البشرية التى اعدت عدتها وبنت لها جحوراً تحت الارض مثلما حدث فى المانيا وسويسرا .. وبالطبع الامريكان الذين يبنون الآن بيوتاً مكيفة تحت مياه البحر !!

ولست اخال ان هذه البيوت سفينة نوح ... ترسو .. فيفيض الماء ويخرج المؤمنون الصالحون .. تستأنف الحياة .. من كل صنف زوجين اثنين أولاً هؤلاء - قطعاً - لن يكونوا صالحين ... ثم ان الارض سوف تعجز عن هضم جبال الرمل التى هاجرت إلى الفضاء ولن يكون بمقدور هذا الفضاء احتواء كتل الاشعاع التى خلفها هذا الجحيم .

الرياح سوف تكون محملة بالغبار النووى .. والمطر والهواء .. المطر سوف تتحول إلى وبال ودمار والهواء إلى سموم صرصر ... كنتيجة مباشرة ومؤكدة لن يكون هناك اوزون ..

حيث تعمل جزئيات اكسيد «النيتروجين» الناتجة عن القصف النووى على تحطيم مايساوى 140 ٪ من الغلاف الاوزونى .. «21»

وفى أولى النتائج سيصاب هؤلاء المصابون بنعمة الحياة بالعمى الكامل .. لسوف تنعدم فرصة الوقاية تماماً ..

ولنفترض نجاتهم من عمى البصائر مثلاً باللجوء إلى التمائم والتراتيل !! فإن المجال الحيوى للارض سوف يموت بالكامل .. لن تكون هناك كائنات حية .. وبالتالى لن يكون هناك غذاء ..

الامر الذى يجعل من نبؤة انيشتاين بشأن الحرب العالمية الرابعة امراً واقعاً فالعالم بأكمله سوف ينحصر فى هؤلاء الاحياء التعساء الجوعى .

المخازن الاحتياطية للغذاء اما هي نضبت أو هي قاربت على الانتهاء ، سوف يكون الغذاء هو مصدر القوة .. ومن يملك الغذاء يمكنه ان يحكم العالم .

يتسلط الاقوياء ـ الذين يملكون حفنة ارز أو حنطة ـ على الذين لايملكون الانسان ، هذا الحيوان الاجتماعى المدنى لاينسى النظام .. كم يكره الضعفاء كلمة النظام والتى لاتعنى فى حقيقتها سوى سلب حقوقهم لتعويض الحقوق الاضافية للسادة الاقوياء .. كما هو اليوم .. ليس للإنسان القدرة على تناسى غرائزه ..

النظام فى أول معانيه ان يكون هناك اقلية (من السادة) وأكثرية من العبيد هذه المرة لاسبيل لتعويض الفاقد من المواد الغذائية لن يكون هناك عالم ثالث يستغل لانتاج الغذاء والخامات والعبيد حتى فئران حقول التجارب النووية التى يخمن بقاؤها واستخدامها كوجبة دسمة غادرت هذا العالم غير آسفة وستجد آراء «داروين» فى البقاء للاقوى آخر فرصة لتطبيقها والذين شبهوا الدولة بالكائن العضوى سيشهرون اسماء راتزل وهاوس هوفر لآخر مرة ..

لكنهم سوف ينتهون جميعاً .. لأن الحرب لن تنته قبل انتهاء البشرية .

ابعاد جيوبولتيكية ..

لا مجال للحرب النووية لأنها ان وقعت سوف لن يكون فيها غالب ومغلوب واخمن ان نقطة الضعف الوحيدة فى السيطرة على المارد النووى تكاد تكون فى هذه الحواسيب الصماء المتجهمة التى لا تعرف الرحمة سبيلاً إلى قلوبها لأنها بدون قلوب ..

مشكلة هذه الآلات بالدرجة الأولى فى المرض ... قد يتمكن منها الداء حتى الخرف .. فتأتى أوامرها النكداء عَلَيّ وعلى اعدائى ..

أما المشكلة الثانية فهى النفايات النووية والمفاعلات المستهلكة وتكاليف تخزين المواد الأولية والمواد المشعة .. وبعض الدول النووية تفتقر إلى الصحارى بل إلى الاراضى الفضاء اللازمة لموارة سؤة هذه اللعنة التراب !!

على ان اغلب اراضي الفقراء هى اما صحارى جاهزة أو اراضٍ فى طريقها للتصحر بفعل الجفاف والملوحة والبراميل السامة التى تم تصديرها فى فترة مبكرة قبل ظهور مصطلحات الخطر البيئي .. التدهور .. والتى لم تصل بعض بلدان العالم حتى اليوم رغم سهولة الوصول ..

القرية العالمية

اختصرت ثورة الاتصالات المسافات بصورة واضحة حتى ان الجائع فى الهوامش الافريقية الجافة تأتية وجبة الافطار من الخبز الساخن المصنوع فى امريكا والمعد خصيصاً لبرنامج المساعدات والاعانات ..

ويمكن لهؤلاء الجائعين مناقشة مشكلاتهم الاقتصادية والثقافية وطلب المشورة من أهل الرأى والمشورة فى طوكيو ومونتريال وبورصة لندن فى وقت واحد ومباشرة ..

الخبر .. الاعلان .. خاصة الاعلانات الارشادية السياسية والتى تأتى فى صورة برامج منوعات أنيقة خفيفة منوعة وملونة ، مقطعة بمعزوفات من الروك والجاز ... الاخبار سواء كانت اخبار الفضائح .. ماأكثر الفضائح فى هذا الزمن.!!

ومأأكثر الذين يجدون فى هذه الفضائح «وجودهم» شأن طوابير المتفرجين ...

وأكثر ايلاماً للشرف (الرفيع) يمكن اضافة نقطة فوق حرف الفاء فى الكلمة مابين القوسين .. المعنى واحد يسبب تداخل المفهومات واختلاط الموازين ، وهذا الشرف الذى يصارع الآن وحده تقريباً جبهات اللغة الجديدة بالعربى «الينوسبيك» وفق رؤيا جورج اورديل فى روايته «العالم سنة **1984**» والتى اصدرها عام **1948** . فى مرحلة احتضار الشرف فهو اليوم لايختلف عن الضعة وهو فى الغد القريب .. اقصد فى القرن القادم - وهذه رؤيا أخرى على غرار رؤى المستقبل - سيصبح الشرف هو الضعة .. هو الخسة والنذالة و .. من لايصدق يمكنه مراجعة اى من المعاجم (الجيوبولتيكية المعاصرة) .

العالم قرية واحدة صغيرة .. جزيرة .. انظروا التشابه الذى لا دخل للمصادفة فيه .. تحيط بها المياه من جميع الجهات والخطر الذى يتهدد هذه الجزيرة الجميلة الرائعة هو خطر مشترك .. ارتفاع منسوب مياه البحار نتيجة ذوبان الجليد الذى بدأ الآن بصورة تكاد تكون غير ملحوظة بسبب ارتفاع المتوسط الحرارى .. والذى نتج بطبيعة الحال عن زيادة استهلاك الوقود الاحفورى وارتفاع نسبة ثانى اكسيد الكربون وتأثير الصوبة الزجاجية .. ان هذه الجزيرة الصغيرة هى عبارة عن صوبة زجاجية .. تصوروا .. صوبة واحدة تتهددها اخطار .. أى اخطار ؟!

البيئة ... الاوزون .. الصوبة .. الصناعة .. الاقتصاد .. والثقافة ايضاً .

العالم قرية واحدة صغيرة ومتكاملة .. انها حتى أكثر تكامل من الوطن العربى الواحد الذى لم يتحد .. وسوف « ..... »

تدركون اليوم أكثر من أى وقت مضى ان الجهات الاربع يكاد وجودها يختفى .. لأن الغرب هو الشرق .. وهو الشمال والجنوب .. وان الحقيقة الفلكية الآنية تستدعى إعادة النظر فى كافة القواعد والنظريات الفلكية القديمة والبالية . الشمس .. سبب للحياة .. لأنها تشرق على كوكبنا الأخضر فيصير أكثر خضرة .. وأكثر جمالاً ..

تشرق الشمس على المسطحات البحرية .. يرتفع بخار الماء ، يتكون السحاب .. تنزل المطر .. ينبت الغذاء .. الغذاء هو بيت القصيد وهو علة البحث .. ان الشمس تطلع من جهة الشرق لكن الغذاء يأتي من الغرب ..!!

والدواء من الغرب ..

العلم .. التقنية الصناعة .. الثقافة .. الحضارة .. ايها السادة .. ان الابرة المغناطيسية ذاتها تتجه الينا .. وانتم ايضاً ..

نحن ندعوكم بمختلف وسائل الدعوة للتكامل ..

لديكم مواد أولية .. لدينا مصانع لهذه المواد ، تملكون مصادر الطاقة ونحن نملك سوق تصريفها واستغلالها (العمالة) متوفرة لديكم حتى البطالة .. عمالة رخيصة إنكم محكومون اساساً بالعمالة .. انكم تتفوقون على انفسكم فى النمو .. الديموجرافى .. الارض تتناقص .. والاوكسجين يتناقص والماء .. وانتم تتزايدون .. وتستهلكون ثم تتزايدون ونحن نتناقض .. وننتج .. وهذا لايعنى غير اظهار جدية دعوتنا فى ضرورة التكامل لإننا قبل كل شئ نتتج لكم ... أراضيكم شاسعة وواسعة بكر وخصبة ، تربة نظيفة ومياه طبيعية نقية ولاينقصكم سوى ارادتنا وخبرتنا .

سوف نبنى السدود ونحرث الارض - التى ستصبح ارضنا جميعاً - نحصد (المحاصيل) ثم نقوم بتعليبها وحفظها وخزنها للاستخدام (عند الحاجة)

اننا قادرون على قهر المرض والجوع والتخلف .. سنبنى المدارس والجامعات ونجهزها بمعلمين أكفاء ووسائل تربوية عصرية .. العلم للجميع .. الثقافة للجميع .. الكتاب .. الصحيفة و«التلفزيون» لامجال لتعريبها فى هذا الموضع - سيصل كل بيت .. اطفالكم وشبابكم .. والكبار منكم الهاربون من الكبر .. سنجعل منهم (اتباعاً) لشاشاتنا اننا ندرك جيداً الاساليب المثلى لزراعة بذور الثقافة المعاصرة فى عقولهم .. تحذير رسمي .. الرجاء ترك مسافة كافية بين الجهاز والمشاهد منعاً للتلوث البصرى !!

والانترنيت .. ماذا تريدون .. العالم كله بين ايديكم .. لن يتعسر عليكم ملاحقة سير المعلومة والمعلوماتية أو هو الطوفان العلمي ..

السوق .. سيكون لنا سوق واحد تدخله كافة المنتوجات بلا حدود ولاقيود .. نعدكم ببضائع (رخيصة) وحسب طلباتكم .. ارأيتم سوف يكون سوقاً رائجاً ..

أموالنا العابرة للحدود والقارات .. والقوميات ايضاً بين ايديكم خارج نطاق الديون والجدولة لانها أموال مشتركة .. قريتنا الصغيرة الرائعة ستكون يوتيبيا لم يتطرق اليها خيال كاتب .. قرية واحدة آمنة وادعة هانئة ...

العسكر يتحولون إلى مواقع الانتاج ... سوف لن تكون لنا حاجة بهم والنووية ستصبح مستودعات وقود للاعمار والبناء والهيدروجينة .. إلى طاقة جبارة لإحياء الصحارى وتحويلها إلى جنات خضراء ..

القرية العالمية .. سيكون لها مركز إدارى واحد .. حكومة واحدة (ديمقراطية) «22» علم واحد .. نشيد واحد .. مصرف واحد .. عملة واحدة ..

وبالطبع رئيس واحد .. ومن أجل تعزيز الحرية لا ضرورة ان تكون عقائد هذه القرية واحدة ..

الجميع أحرار فى اختيار عقائدهم

وأحرار حتى فى ترك هذه العقائد .

الهوامش

1 ـ لم نشأ الاستطراد فى طرح الصيغ المختلفة لتعاريف أو محاولات تعريف هذا العلم ، ونحسب اننا اوردنا هذه الصيغة الموجزة ليتمكن القارئ غير المتخصص من متابعة الموضوع ..

2 ـ رود لف كيلن (**1864 ـ 1922**) جغرافى سويدى بدأ حياته الاكاديمية كاستاذ للعلوم السياسية بجامعة جوتبرج ثم تحول إلى دراسة الجغرافيا .

3 ـ كارل هاوس هوفر (**1869 ـ 1946**) بدأ حياته بخدمة الجيش الالمانى والتحق بالاكاديمية الحربية ثم عين استاذا للجغرافية السياسية بجامعة ميونيخ حتى وصل منصب الاستاذية .. يعتبر المؤسس الفعلى للجيوبولتيكا

4 ـ قال ادلوف هتلر فى كتابه كفاحى «ان المانيا فى حاجة لمجال حيوى حتى تصبح قوة عالمية» انظر ماورد بالفصل الرابع عشر .. ولاتخفى النزعة الجيوبولتيكية فى هذه المقولة .

5 ـ سير هالفورد ماكيندر (**1861 ـ 1947**) كان استاذاً للجغرافية بجامعة لندن وهو صاحب نظرية الجزيرة العالمية التى ظهرت عام **1904** ف والتى وان لم يضعها تحت اطار الجيوبولتيكا فانها وضعت فى مركز هذه الدراسات إلى حد اعتبرت ضمن البدايات الجادة لهذا العلم .

6 ـ يقع معظم قلب الارض بحسب رأى ماكيندر فى الاراضى الروسية فهو يمتد بين نهري الفولجا وسيبيريا .. وفى اعتقاده ان الالمان سعوا خلال الحرب العالمية الأولى إلى استخدام هذا القلب . اما مساحته فتصل إلى **20** مليون ميل مربع .

7 ـ الفريد ماهان (**1840 ـ 1914**) استاذ الاستراتيجية البحرية بجامعة نيوبورت الامريكية .

8 ـ نظرية القوة الجوية روسية الاصل وضعها الكسندر دى سفرسكى **1950**

9 ـ يرجح المختصون بأن نتائج الحربين العالميتين كانت ..

32 مليون قتيل ، **60** مليون معاق .. اما الخسائر المادية فقد كانت بحساب اسعار تلك الفترة **000 . 000 . 000 . 4.000** دولار امريكى واحسب ان هذا المبلغ وحده كان يكفى العالم كله للقضاء على الامية . القضاء على المرض والفقر ... !!

10 ـ تصور الصهيونى سام كوهن الذى اقترحه اثر اندلاع ثورة الحجارة .

11 ـ انهم حتى لايكتبون هذه المذكرات ، وانما يؤجرون لها من الابواق الصدأة والمنافقين من ينفخ فى مواتها روح الجرأة والشجاعة والبطولات الخارقة ... انها فى الواقع ليست تراجم وانما هى اساطير وملاحم !!

12 ـ برنارد باروخ : شغل منصب مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة وقد تقدم بهذا المشروع سنة **1946** .

13 ـ عمدت الولايات المتحدة فى العام **1947** ف إلى اقتراح مشروع آخر لايختلف فى صورته الإنسانية عما سبقه

اطلقت عليه مشروع مارشال .. ظاهرياً يبدو لمساعدة دول اوروبا الغربية والشرقية .. وانعاشها اقتصاديا والمساهمة فى حركة اعمارها بعد دمار الحرب .. وابطل الروس مشروع مارشال بنفس الكيفية التى ابطلوا بها مشروع باروخ لأن الهدف كان واحداً ثم تقدم الامريكان بمشروع آخر عام 1961 أطلقوا عليه تسمية مشروع كندى لتنمية دول امريكا اللاتينية ... وكانت نهايته مثل سابقيه ..

14 ـ كانت الولايات المتحدة هى السباقة (غالباً) فى اختراع وسائل الدمار وقد فجرت القنبلة الهيدروجينية عام 1952 ، ولحقت بها روسيا عام 53

15 ـ حسب تقديرات الوكالة الدولية للطاقة الذرية فإن عدد المنشآت النووية سوف يصل إلى 532 منشأة قبل الدخول فى القرن القادم .

تقرير الوكالة عن سنة 1995 .

16 ـ تقرير معهد ابحاث السلام ستكهولم عن سنة 1976 .

17 ـ فيليب بيكر (وحش الاسلحة فوق النووية) بحث نشر عام 1977 ضمن فعاليات ملتقى اليونيسكو حول تحديات عام 2000 مجلة العرب العدد 287 ص 18

18 ـ تقرير الاكاديمية الامريكية الوطنية للعلوم شهر 11 / 1980

19 ـ التكترون اى التكنولوجيا الاليكترونية أو هى التقنية الاليكترونية أو تقنية الحاسوب بالصيغة النهائية .

20 ـ تكرر كثيراً اعطاء شارة النفير القصوى بواسطة الاجهزة الالكترونية نذكر منها ماحدث بتاريخ 9 . 11 . 79 ، 3 . 6 . 80 ، 80.6.6 وكاد الامر ان يفلت من أيدي البشر لولا تداركه فى اللحظات الاخيرة .

21 ـ الرقم بحساب تقديرات الاكاديمية الوطنية الامريكية للعلوم سنة 1980

22 ـ الترتيب فى هذا الموضع مقصود بحسب أهمية الصفات الواردة بالعبارة .

ملف حالة

الموقف الليبي من النظام الشرق ـ أوسطي

د. ليث عبدالحسن جواد / جامعة السابع من ابريل

منذ تجزئة الوطن العربي وفق اتفاقيات سايكس-بيكر ووعد بلفور والدول الغربية تسعى جاهدة الى تفتيت هذه التجزئة مرة اخرى وتعمل ضمناً وصراحة من أجل ذلك.

لقد كانت هناك متغيرات عربية ودولية حالت دون ذلك في السابق، ولكن منذ احداث 2 اغسطس 1990 والعدوان الامريكي الاطلسي على العراق وانفراد الولايات المتحدة الامريكية بالمنطقة العربية فإنها اخذت تعمل جاهدة لتحقيق هذا الهدف، فكان موتمر مدريد عام 1991 ثم اتفاق غزا-اريحا اولاً، واتفاقيات الصلح المنفردة مع كل من الاردن ومنطقة التحرير الفلسطينية ثم الدعوة الى مشروع الشرق-اوسطية الذي يعد احد اساليب التفتيت الامريكية في الوقت الحاضر.

إن هذا المشروع يراد به احلال فكرة سياسية-اقتصادية وأمنية بدلاً عن فكرة العروبة، ويعد امتداداً للأفكار والسياسات الامريكية التي طرحت على المنطقة منذ الخمسينات حتى الوقت الحاضر وكان من ضمنها حلف بغداد ومشروع ايزنهاور والتي تخدم الاهداف الصهيونية في ديمومة البقاء والتوسع من اجل تحقيق احلامها في دولة «اسرائيل الكبرى».

إن الخطر الصهيوني في المرحلة الراهنة هو اكثر تأثيراً على المنطقة العربية من المراحل السابقة لأنه جاء بصيغ جديدة لفرض الهيمنة الكاملة على المنطقة وتحقيق الهدف الصهيوني بإقامة «اسرائيل الكبرى» وفق صيغة «السلام المفروض».

ولذلك نستطيع القول بأن المعركة الحالية للأمة العربية ضد اعدائها هي المعركة الحاسمة التي ستحدد شكل الخريطة السياسية للمنطقة وهل ستكتب شهادة الوفاة للأمة العربية ام ستنهض من جديد لتحقيق مشروعها القومي النهضوي.

وهذا يفرض علينا كعرب التصدي للمشاريع المطروحة سواء كانت الشرق اوسطية او الشراكة المتوسطية لأنها سايكس-بيكو القرن الجديد لتمزيق وتفتيت المنطقة العربية.

وهذا ما سنحاول ان نلقي الضوء عليه في بحثنا هذا من خلال النقاط التالية:

أولاً: مفهوم الشرق الاوسط

ثانياً: مشروع النظام الشرق-اوسطي

ثالثاً: النظام الشرق-اوسطي وتأثيره على المنطقة العربية

رابعاً: الموقف الليبي من مشروع النظام الشرق-اوسطي

خامساً: ما العمل لمواجهة المشروع وضمان المستقبل العربي

أولاً : مفهوم الشرق الاوسط

الشرق الاوسط مصطلح جغرافي وسياسي شاع استخدامه في اجزاء العالم المختلفة منذ بداية القرن الحالي وان هذا المصطلح والمفهوم هما من نتاج الفكر الغربي وقد ارتبط ذيوعه بتطور الفكر الاستراتيجي الانجليزي ، واول من استخدم التعبير هو الضابط الامريكي الكابتن (الفريد ماهان) صاحب نظرية (القوة البحرية في التاريخ) عام 1902 وذلك في مقال له صدر في لندن بعنوان « الخليج الفارسي في السياسة الدولية) (1) .

إن التسمية (الشرق الاوسط) قصد بها وبغيرها تقسيم الشرق الى اقسام حسب البعد والقرب من اوروبا الغربية . الا ان الاقليم هو في الواقع يتوسط خارطة العالم بصفة عامة والعالم القديم (اوروبا وآسيا وافريقيا) بصفة خاصة .

ان الشرق الاوسط اقليم من الصعب تحديده بصورة واضحة وقاطعة ولا يرجع السبب في ذلك الى ان الاقليم مجرد ابتكار لفظي في قاموس السياسة الدولية منذ اوائل القرن الحالي ولكن السبب فى صعوبة تحديد الشرق الاوسط راجع الى انه اقليم هلامي القوام بمعنى انه يمكن ان يتسع او يضيق على خارطة العالم حسب التصنيف او الهدف الذي يسعى اليه الباحث في مجال من مجالات العلوم الطبيعية او الانسانية او التصنيف الذي تتخذه هيئة خاصة او دولة أو وزارة من وزارات الخارجية في العالم ولذلك لم تتفق الموسوعات العالمية على تحديده بصورة قاطعة (2) ان هذه الصعوبة ـ أو إن شئنا ـ المرونة في تحديد الشرق الاوسط نابعة من ان هذا الاقليم يتكون من عدة متداخلات طبيعية وبشرية ذات طبيعة انسياحية شأنها في شأن معظم الاقاليم ، اضافة الى ذلك يرتبط الاقليم بعامل جغرافي واضح الاثر في كل أرجائه ذلك هو عامل المكان والعلاقات المكانية التي ميزت وتميز الشرق الاوسط كمنطقة مركزية منذ القدم في علاقات الشرق والغرب ومازالت حتى الوقت الحاضر .

هذه الاهمية المكانية جعلت الاوسط هدفا للاستعمار الاوروبي منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، واصبحت اكثر اهمية منذ ماسمي بأزمة الطاقة عام 1973 حيث ان هذه المنطقة اصبحت اكبر مصدر للنفط في الوقت الحاضر اضافة الى احتوائها على اكبر مخزون نفطي في العالم يتجاوز ثلثي احتياطي العالم من هذه المادة (1)

وعلى كل حال فان الغموض الذي يكتنف تحديد اقليم الشرق الاوسط يعود الى ان هناك نوعا من المفهوم المسبق ادى الى التباس بين ثلاثة مصطلحات في الغرب الرأسمالي وهى الشرق الوسط والعالم العربي والعالم الاسلامي .

فالعالم العربي يشتمل على الجزء العربي من الشرق الاوسط ويمتد خارجه الى شمال افريقيا . اما العالم الاسلامى فيشمل كل الشرق الاوسط ويمتد في ماوراءه في شتى الاتجاهات الجغرافية .

والغموض الاكثر الذي يجعل تحديد الشرق الاوسط امرا غير سهل المنال راجع الى كثرة الاسماء والمصطلحات التي استخدمت في الماضي وتستخدم في الحاضر للاشارة الى كل الاقاليم او الى جزء منها ومن هذه المصطلحات .

الليفانت : الشرق ـ LeIevant.

الشرق الادنى : Near _East , proche _ ori-ent.

الشرق الاوسط : MiddLe _ East , MoYen _ orient.

ان الكتابات المختلفة تكاد تجمع في الوقت الحاضر على استخدام مصطلح الشرق الاوسط كبديل للمصطلحات السابقة ففي الانجليزية والفرنسية والعربية وفي تصنيفات الامم المتحدة ، وفي كثير من الكتب السنوية التي تعالج اقاليم معينة يتردد اسم الشرق الاوسط على انه الاقليم الذي يشمل الدول الممتدة من ايران الى مصر ومن تركيا الى اليمن ، وقد يضيف كاتب او هيئة ليبيا والسودان او احداهما . وبذلك يقتصر الشرق الاوسط على مجموعة دول غربي آسيا باضافة مصر (وليبيا والسودان في بعض الاحيان) وفى نهاية الامر نستطيع ان نقول ان مصطلح الشرق الاوسط هو مصطلح اوروبي استخدم ومنذ بداية هذا القرن للاشارة الى المنطقة التى تقع بالشرق

من اوروبا لأن هذه المنطقة لاتقع بالشرق من الصين او اليابان او روسيا . وقد كثرت التقسيمات لهذه المنطقة حسب القرب او البعد من اوروبا الغربية ـ فهناك الشرق والشرق الادنى والشرق الاوسط والشرق الاقصى وكلها حسب القرب والبعد من الدول الاوروبية الغربية خاصة فرنسا وبريطانيا التي استعمرت هذه المنطقة عقودا من الزمن ومازالت تهتم بها لاهميتها الاستراتيجية والاقتصادية والامنية بالنسبة لها بصورة خاصة وللغرب الامبريالي بصورة عامة ولذلك تسعى دائما الى وضع خطط ومشاريع لاحتواء هذه المنطقة .

ابتداء بما اوضحه وزير الخارجية الامريكي عام **1953** (جون فوستر دالاس) حينما اذاع مشروعه في ضرورة حماية أمن المنطقة وما أكده مبدأ ايزنهاور في **5** يناير عام **1957** وكذلك آراء جون كنيدي عن الاهمية القصوى للشرق الاوسط للسياسة الخارجية الامريكية وذلك عام **1960** . واهتمام الرئيس نيكسون عام**1973** اضافة الى اهتمام كل من جيمي كارتروروناالد ريغان بهذه المنطقة ووضع الخطط والاستراتيجات لاحتواء هذه المنطقة ضد الخطر الشيوعي السابق (1)

وقد عاد الاهتمام مرة اخرى بشكل كثيف في زمن الرئيس الامريكي السابق جورج بوش بعد احداث **2** اغسطس **1990** عندما صرح عبر التلفاز الامريكي في اكتوبر من العام نفسه بشكل واضح حين قال : (ذهبنا الى الخليج ليكون القرن القادم امريكيا) (2)

والخليج العربي هو جزء من الشرق الاوسط ، وبعد العدوان الامريكي ـ الاطلسي على العراق والوجود العسكري الامريكي المكثف في المنطقة وبعد اتفاق غزا ـ اريحا اولا والاتفاقيات الثنائية المنفذة بين الكيان الصهيوني وكل من الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، طرحت الولايات المتحدة والكيان الصهيوني مشروع النظام الشرق ـ اوسطي لاحتواء هذه المنطقة ضمن المخطط الامريكي الصهيوني لاجهاض المشروع القومي العربي في الوحدة العربية والنهوض الحضاري (1)

ثانياً : مشروع النظام الشرق ـ اوسطي

ان العدوان الامريكي ـ الاطلسي على العراق وانهيار الاتحاد السوفياتي السابق ، قد رتب معطيات جديدة حررت السياسة الامريكية من قيود فاعلة .

فأتاحت لها فرصا جديدة لتأمين مصالحها ويضمنها العودة الى التفكير السابق لدمج المنطقة العربية بمنطقة اوسع جغرافيا وسكانيا ، وذلك من خلال ربط الاقطار العربية في المشرق العربي بتركيا وايران واضفاء الشرعية على الكيان الصهيونى من خلال مشروع النظام الشرق ـ اوسطي الذي هو نظام سياسي ـ اقتصادي ـ امني وذلك للافادة من الموارد والثروات العربية ومنع اي تهديد لمنابع النفط في الخليج العربي والتي تسيطر عليها الولايات المتحدة الامريكية خاصة منذ العدوان الامريكي ـ الاطلسي على العراق والوجود العسكري الامريكي المكثف في المنطقة . ان مشروع النظام الشرق ـ اوسطي يحقق للكيان الصهيوني ماكان يسعى اليه منذ الخمسينات وحتى الوقت الحاضر (2) لانه يحقق اضافة الى شرعية الوجود ، عددا من المكاسب والاهداف التي تصب في اطار قيام (اسرائيل الكبرى) والتي تسعى الحركة الصهيونية الى اقامتها لتحقيق مشروعها الاستعماري ـ الاستيطاني في المنطقة والتى تهدف من ورائه الى ضرب العرب ومشروعهم الحضاري النهضوي . ومن هذه المكاسب :

أولاً : تحقيق تعاون اقتصادى مشترك بينه وبين الاقطار العربية وعلى الصعد كافة (1)

ثانيا : فتح الحدود بين اطراف النظام الشرق اوسطي والمستفيد من ذاك الكيان الصهيوني.

ثالثاً : التخصص لكل دولة من دول المنطقة بنشاط اقتصادي محدد ضمن اطار تقسيم العمل والانتاج في المشروعات الاقتصادية الكبرى .

رابعاً : ان يكون التعاون الاقتصادي بين دول المنطقة مدخلا لانهاء الصراع العربي ـ الصهيوني وحل القضية الفلسطينية وفق المشاريع الامريكية الصهيونية .

خامساً : ان يقوم نظام للامن الجماعي لدول النظام الشرق ـ اوسطي يحقق الاستقرار الدائم للمنطقة .

سادساً : ان يتم انشاء صندوق للتنمية لدول المنطقة تشارك فيها الدول الخليجية الثرية (2)

ان هذه المكاسب الستة التي يحققها المشروع للكيان الصهيوني تجعله ان يقوم بدور المركز الاقليمي المهيمن على المنطقة بأكملها ٠

ان مشروع النظام الشرق ـ اوسط يرتكز على ثلاث ركائز اساسية هي الامن والاقتصاد والسياسة ٠

فالركيزة الامنية : هي وضع ترتيبات امنية مشتركة ودائمة لدول المنطقة ومنها الحد من التسليح وضمان الامن الجماعي وتوازن القوى بالشكل الذي يحقق الاستقرار الامني والسياسي لدول المنطقة وتأثير ذلك في المناطق المجاورة (1) ٠

اما الركيزة الاقتصادية : فهي مشاريع للتعاون الاقتصادي المشترك في شتى المجالات لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية تنهي حالة البطالة والركود الاقتصادي (2) ٠

اما الركيزة السياسية : ومفادها تسوية الصراع العربي ـ الصهيوني وفق المشاريع والمخططات الامريكية ـ الصهيونية فضلا على بناء علاقات جديدة وسلمية في عموم منطقة الشرق الاوسط ٠

اما اهداف المشروع فهي بالتأكيد تخدم المخططات الامريكية ـ الصهيونية ويحقق لها ـ اضافة الى المكاسب السابقة ـ جملة من الاهداف الاخرى منها :

اولاً : ضرب المشروع النهضوي العربي ومنع قيام اية وحدة عربية مستقبلية ٠

ثانياً : يعطي للكيان الصهيونى شرعية الوجود واقامة العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول الجوار العربى ٠

ثالثاً : يحقق الاستقرار السياسي والامني للمنطقة بما يخدم السياسة الامريكية لجعل منطقة الشرق الاوسط منطقة آمنة لحماية آبار النفط فى الخليج من اي تهديد لضمان استمرار تدفق النفط للغرب الرأسمالي وبأسعار زهيدة كما تحددها وتريدها الولايات المتحدة الامريكية ٠

رابعاً : يجعل العرب اقلية في هذا النظام من خلال ربطه بدول مجاورة ذات كثافة سكانية عالية لمنع اي توجه وحدوي عربي ٠

خامساً : يجعل التفوق والهيمنة للكيان الصهيوني على هذا النظام من خلال التفوق التقني والعسكري الصهيوني ٠

خلاصة القول نستطيع ان نبين ان المشروع : هو مشروع استعماري يهدف الى منع العرب من قيام وحدتهم ونهضتم وذلك عن طريق ربطهم بدول مجاورة اضافة الى اسباغ شرعية الوجود والتعاون مع الكيان الصهيوني ٠ ولهذا النظام تأثير في مستقبل الامن العربي لأنه يحقق المفهوم الامريكي لأمن الخليج ويكرس الوجود العسكري الامريكي الدائم فيه ٠

ثالثاً : النظام الشرق ـ اوسطي وتأثيره على المنطقة العربية

ان مشروع النظام الشرق ـ اوسطي الجديد ، اذا ماقدر له ان يتبلور ويتحقق كما يريده مخططو الغرب والكيان الصهيونى والسائرون في فلكهم من عرب الجنسية والذين لاتهمهم مصلحة الامة العربية فسوف يعنى ذلك ان على العرب تغيير تفكيرهم ومنهجهم الامني والسياسي والاقتصادي لتقبل المشروع الجديد ٠

ان هذا المشروع يعني في حقيقة الامر ، ان على العرب تغيير شكل واسلوب عملهم ومؤسساتهم القومية التي تعمل على تحقيق تضامنهم ووحدتهم بالشكل الذي يضمن مستقبلهم ويحقق للامة نهضتها ومشروعها القومي ٠

واذا كان مشروع النظام الشرق ـ اوسطي يكون احد الانظمة الفرعية النقيضة للنظام العربي وقيمه وتقاليده وقواعده وتوجيهاته ومؤسساته فسوف تؤدي صياغته واخراجه الى حيز التنفيذ الى جملة من الاهداف التي تصب في خدمة المخططات الامريكية ـ الصهيونية وهي :

اولاً : يضعف الامة العربية ويبقيها مجزأة بل يعمل على تفتيت هذه التجزئة بما يحقق للغرب الهيمنة الكاملة على المنطقة ٠

ثانياً : يجهض المشروع القومي العربي في الوحدة والتحرر والاستقلال ٠

ثالثاً : يبقي العرب على هامش السياسة الدولية والحضارة العالمية من خلال بقائهم منتجين للنفط فقط ٠

رابعاً : يمنع العرب من استخدام نفطهم في خدمة قضاياهم التنموية الشاملة التي تخرجهم من واقعهم المتخلف .

خامساً : يبقي الوطن العربي سوقا للبضاعة الغربية ويحقق للغرب الازدهار الاقتصادي .

سادساً : يحقق التطبيع النفسي والاقتصادي بين الكيان الصهيونى وجيرانه العرب بما في ذلك تصفية التراث الايديولوجي والسياسي القائم على الحرب (1)

سابعاً : يحقق للكيان الصهيونى النفاذ الى قلب اقتصاديات الاقطار العربية .

ثامنا : يحقق للكيان الصهيونى القيام بدور المركز في هذا النظام من خلال توجيه السياسات الاقتصادية والامنية في المنطقة (1) وذلك عن طريق مد الانظمة الرجعية في المنطقة بالخبرات المخابراتية وغيرها بما يضمن استمرار بقائها .

تاسعاً : يعمل على تحقيق المفهوم الجديد للامن الصهيونى (أمن الاعماق) القائم على الربط بين الترتيبات الشرق ـ اوسطية الجديدة والمفهوم الجديد للأمن الصهيونى فالحدود الجديدة للكيان الصهيونى لن تكون حدودا جغرافية بل ستكون اعماقاً اقتصادية وهو مايسمى (بأمن الاعماق) عن طريق السيطرة على مجريات الامور السياسية والاقتصادية في المنطقة بأكملها (2)

عاشراً : ان النظام الامني الشرق ـ اوسطي هو نقيض نظام الامن العربي الجماعي .

ان مشروع النظام الشرق اوسطي يهدف الى طمس الهوية العربية وزوال النظام العربي من خلال ذوبان الوحدات القطرية في ترتيبات شرق ـ اوسطية اقتصادية وسياسية وأمنية .

اذا فمشروع الشرق اوسطي يمثل واحداً من اخطر التحديات الجديدة التي تواجه الامة العربية وأمنها القومي في القرن الجديد ، واذا ماتم تحقيق هذا المشروع فسوف يبقى الامن العربي والمصير العربي اسيرين للمخططات الامريكية ـ الصهيونية التي لاتخدم العرب ومستقبلهم .

رابعاً : الموقف الليبى من النظام الشرق ـ اوسطى

ان مشروع النظام الشرق اوسطي ينطوي على مخاطر عديدة وحقيقية على حاضر ومستقبل الامة العربية ، ويعد شكلا جديدا من اشكال الهيمنة الامريكية على الوطن العربي ومنطقة الشرق الاوسط ويدعم القدرات العسكرية والتقنية للكيان الصهيونى ولذلك فإن القول بأن النظام الشرق ـ اوسطي سيحقق الامن والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للوطن العربي ماهي الا عبارات خادعة ، فالامن والتنمية الشاملة للامة العربية هدفان يقاطعان السعي الامريكي نحو ابقاء المنطقة العربية في حالة من التخلف وعدم الاستقرار والتبعية للغرب الرأسمالي .

وهذا يضمن للولايات المتحدة الامريكية التحكم بالثروات العربية ويحقق للكيان الصهيوني البقاء والتفوق الدائم . ولخطورة مشروع النظام الشرق ـ اوسطي على مستقبل الامة العربية وامنها ووحدتها تقضي الضرورة والمصلحة العربية الوقوف بوجه هذا المشروع والعمل بجدية من اجل تنشيط دور الجامعة العربية ومؤسساتها لكي تقوم بدور المصالحة العربية وتحقيق التضامن العربي وصولا الى بناء وتحقيق المشاريع العربية المشتركة التى تخدم الامن العربي والوجود العربي .

وضمن هذا المنهج جاء الموقف الليبي الرافض للمشروع رفضا تاما بل قامت الجماهيرية الليبية بالتصدي له بكل الوسائل الممكنة فقد جاء مؤتمر القمة الاستثنائى لرؤساء وقادة الدول الافريقية في مدينة سرت في **1999/9/9** والذي أكد على قيام الولايات المتحدة الافريقية التي ستحبط بكل تأكيد المخططات الامبريالية والصهيونية ضد القارة السمراء وضد العرب لأن ثلثي العرب يعيشون على ارض هذه القارة (1)

كما اكد الاخ قائد ثورة الفاتح العظيمة على ضرورة قيام اتحاد عربي ـ افريقي لمواجهة التحديات الجديدة التي تواجه الامة العربية في القرن الجديد وهذا الاتحاد العربي ـ الافريقي هو الطريق الوحيد لاحباط المخططات الامريكية ـ الصهيونية (2)

ومنها مشروع النظام الشرق - اوسطي الذي يستهدف مستقبل الامة العربية ومشروعها النهضوي الوحدي لأن هذا المشروع هو سايكس - بيكو القرن الجديد والذى يهدف الى بقاء المنطقة متخلفة وتابعة للغرب الامبريالي .

خامسا : ماالعمل ؟ لمواجهة المشروع وضمان المستقبل العربي

ان الامة العربية تعيش في حالة من الضعف والتمزق والتفتت والواجب يتطلب منا كعرب تجاوز الازمة الحالية التي تعيشها المنطقة العربية والعمل بجد ويقظة لاحباط المخططات الاجنبية التى تحاول ان تربط المنطقة العربية بمشاريع واحلاف واتفاقيات لاتخدم الامة العربية ومستقبلها بل تعمل على تفتيتها وبقائها في حالة دائمة من التخلف والتبعية .

وهذا يتطلب من العرب العمل على ضرورة تحقيق الاهداف التالية لتجاوز الازمة التى تعيشها المنطقة العربية :

اولاً : اقامة منظومة أمنية عربية الهدف الاساسي منها تحقيق الامن القومي العربي بعيدا عن التبعية والمخططات الاجنبية .

ثانياً : الوقوف بوجه المخططات الامريكية - الصهيونية والتى تحاول ربط المنطقة بأحلاف وانظمة واتفاقيات لاتخدم مصالح العرب وضرورة الاعتماد على النفس من اجل تحقيق المشروع القومي العربي .

ثالثاً: العمل على تأسيس سوق عربية مشتركة وصولا لتحقيق اتحاد عربي او وحدة عربية ، وذلك للخروج من الازمة التي تعيشها الامة العربية حالياً .

رابعا : ضرورة العمل على تطوير مؤسسات واختصاصات الجامعة العربية من اجل النهوض بها لتأخذ مكانتها الملائمة بين المنظمات الاقليمية والدولية ولتلعب دورا اساسيا ورائدا في حماية المنطقة العربية وامنها القومي .

خامسا: انشاء قوة عربية ضمن اطار الجامعة العربية هدفها الحيلولة دون قيام منازعات عربية - عربية .

سادساً : تحقيق تنمية عربية شاملة ومستقلة في الوطن العربي تهدف الى رفع مستوى الجماهير اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وكذلك القضاء على البطالة وهجرة الشباب الى خارج الوطن العربي (1)

سابعا : تحقيق المصالحة العربية الشاملة لكي تعيد للعرب تضامنهم ووحدتهم في مواجهة المخططات الاجنبية .

ثامناً : العمل مع منظمة الوحدة الافريقية ومع قرارها التاريخي الصادر في مدينة سرت في الجماهيرية الليبية في **9** سبتمبر **1999** والذي اكد على قيام الولايات المتحدة الافريقية والتنسيق بينهما من اجل اقامة اتحاد عربي افريقي قادر على احباط المخططات الامريكية - الصهيونية .

ان العمل العربي المشترك ضمن هذه الاهداف او اية اهداف اخرى يجنب المنطقة العربية الوقوع في فخ المخططات الاجنبية والتي تهدف الى تمزيق المنطقة العربية وبقائها ضعيفة متخلفة .

واخيراً نؤكد بأنه اذا لم يعِ العرب حقيقة مايجري في الساحة العربية وما يطرح عليها من مشاريع ومخططات تستهدف أمنهم ومستقبلهم وضرورة العمل بجد ويقظة منذ الآن لتجاوز خلافاتهم وصراعاتهم فان حالهم في القرن الجديد لن يكون افضل من حالهم في القرن الماضي .

الخاتمة

بعد أن بينا مفهوم الشرق الأوسط ومشروع النظام الشرق - أوسطي وكيفية مواجهته .

يطرح علينا التساؤل التالي .

ماهو مستقبل الشرق الأوسط في ظل الأوضاع الراهنة ؟

للإجابة على ذلك لابد من وضع ثلاثة احتمالات :

الاحتمال الأول :

قيام الاتحاد العربى - الأفريقي

في التاسع من شهر سبتمبر عام **1999** وقع القادة والزعماء الأفارقة اتفاق سرت التاريخي والذي نص على إقامة الولايات المتحدة الأفريقية

لمواجهة التحديات التى تواجه القارة السمراء .

كما أكد الأخ قائد الثورة على ضرورة إقامة اتحاد عربي ـ أفريقي لمواجهة التحديات في الألفية الجديدة .

إن هذا الاتحاد هو الوحيد القادر على احباط كل المشاريع الأمريكية والصهيونية بما فيها مشروع النظام الشرق ـ أوسطي وإذا ماتحقق هذا الاتحاد فسوف يستطيع العرب تحقيق مشروعهم القومي الحضاري .

الاحتمال الثاني :

نجاح مشاريع التسوية الاستسلامية المطروحة على المنطقة العربية من قبل الولايات المتحدة والكيان الصهيونى ، لإسباغ شرعية الوجود للكيان الصهيوني وإقامة علاقات جديدة ومتطورة مع الأنظمة العربية المجاورة . وهذا يعني نجاح مشروع النظام الشرق ـ أوسطي بما يطرحه من مشاريع اقتصادية وسياسية وأمنية تهدف إلى خدمة الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني .

الاحتمال الثالث :

وهو الأضعف من بين الاحتمالين السابقين وهو بقاء منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية عموما على ماهي عليه من صراعات وخلافات وضعف وهذا يؤدي إلى بقائها عرضة للمشاريع والمخططات الغربية التى تهدف إلى بقائها متخلفة وتابعة من أجل الهيمنة الامريكية والصهيونية الكاملة عليها .

المصادر

1 شمعون بيرس ، الشرق الأوسط الجديد ، دار الجليل ، عمان 1994 .

2 ـ ريتشارد نيكسون ، ماوراء السلام ، ترجمة مالك عباس ، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1995 .

3 ـ مركز دراسات الوحدة العربية « التحديات » الشرق اوسطية الجديدة والوطن العربي ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها المركز ، بيروت ، ط1 ، 1995 .

4ـ صلاح زكي أحمد ، النظام العربي الشرق أوسطي ـ صراع الأهداف والمصالح ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، ط 1 ، 1995.

5 ـ د . يحيي أحمد الكعكي ، الشرق الأوسط والصراع الدولي ، دار النهضة العربية ، بيروت 1989 .

6 ـ جورج لنشوفسكي ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، جـ 2 ، ترجمة جعفر خياط ، منشورات دار الكشاف ، بغداد ، 1959 .

7 ـ د . محمد رياض ، الأصول العامة في الجغرافية السياسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979 .

8ـ د . ليث عبدالمحسن جواد ، النظام الشرق ـ أوسطي ومستقبل الأمن القومي العربي ، مجلة أم المعارك ، بغداد العدد 6 ، نيسان ـ أبريل 1996 .

9 ـ د . ليث عبدالمحسن جواد ، النفط العربي والنظام الدولي الجديد ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، العدد 5 ، أيار ـ مايو ، 1992 .

10 ـ د . ليث عبدالمحسن جواد ، التغلغل الصهيوني في أفريقيا ، مجلة دراسات طرابلس ، العدد 4 ديسمبر 1999 .

11 ـ نيفين عبدالخالق مصطفى ، المشروع الشرق ـ أوسطي والمستقبل العربي ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، العدد 3، 1995 .

12 ـ يوسف صايغ ، منظور الشرق الأوسط ودلالاته بالنسبة للعرب ، مجلة المستقبل العربى ، بيروت ، العدد 2 ، 1995 .

13 ـ د . حميد الجميلي ، الاقتصادات العربية من هاجس التنمية العصية إلى هاجس الشرق ـ أوسطية ، مجلة أم المعارك ، بغداد العدد 1 ،

14_ j ean _ pierre Derriannic , LeMoyen _ Orient au XXe siecIe , coIin 1995 Paris , 2ee dition , 1983

15_ jacques de Lauuay et jea _ MicdeL : Histoire secrete du petroIe 1859 _ 1984 , presses dresses de Ia cite , paris , 1985

(1) Jean _ pierrie Derriannic , Le Moyen _ Orient au XXe siecIe , coIin , pasis , 2 eedition , 1983 , p5.

الهوامش

(1) د ٠ محمد رياض ، الاصول العامة في الجغرافية السياسية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1979 ٠ ص292 كذلك انظر :

د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، النظام الشرق - اوسطي ومستقبل الامن القومي العربي ، مجلة ام المعارك بغداد ، العدد 6 ، نيسان - ابريل 1996 ، ص 43 ٠

(1) jacques de Iaunay etjean _ MicheI chartier : Histoire secrete du petroIe 1859 _ 1984 ;presses de Ia cite ;paris ; 1985 . p .244

كذلك انظر :

د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، النفط العربي والنظام الدولي الجديد ، آفاق عربية ، العدد 5ايار - مايو ، 1992، ص57٠

(2) يحيى احمد الكعكي ، الشرق الاوسط والصراع الدولي ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1986 ، ص 160 - 161 ٠

(3) د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، النفط العربي والنظام الدولي ، مصدر سابق ، ص 57٠

(4) د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، النظام الشرق اوسطي ، مصدر سابق ، ص44 ٠

(5) النظام الشرق اوسطي " و" السوق - اوسطية مصطلحان كثر ورودهما منذ مطلع عام 1993 وهي تتحدث عن المنطقة العربية ٠ والمصطلحان يشيران الى مشروع تم طرحه وتجرى محاولة فرضه على المنطقة العربية واذا اردنا الدقة فإن استخدام مصطلح نظام للدلالة على المشروع هو اكثر علمية ودقة من مصطلح : السوق " لان النظام يعني مجموعة القواعد والاتجاهات والمفاهيم التي تشترك في اتباعها افراد او دول ويتخذونها اساسا لتنظيم حياتهم الجماعية وتنسيق العلاقات التى تربط بعضهم بعضا وتربطهم بغيرهم ٠٠ انظر : مركز دراسات الوحدة العربية ، التحديات الشرق اوسطية الجديدة والوطن العربي ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها المركز ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية . 1994 ٠ ص60 ٠

6) شمعون بيرس ، الشرق الاوسط الجديد ، دار الجليل، عمان ، ط ، 1994ص 107 - 108٠

(7) شمعون بيريس ، المصدر السابق ، ص 106 - 107

(8) نفس المصدر ، ص 131 -1132

(9) نفس المصدر السابق ، ص 85 ٠

(10) نفس المصدر ، ص 133 - 134

(11) شمعون بيرس ، المصدر السابق ، ص 70

(12) المصدر السابق ، ص 86 - 87

(13) لقد كشفت ندوة « التحديات الشرق - اوسطية الجديدة والوطن العربي » التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت عن ان مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق - اوسطية الجديدة تعطي مفهوما امنيا جديدا من وجهة النظر الصهيونية ، والمعادلة التي ستقوم عليها تلك المشاريع هي : النفط السعودي + الايدي العاملة التركية والمصرية + المياه التركية + التقدم التقني الصهيوني ٠ ومن هذا المنطلق تغيرت وجهة نظر الصهيونية اذا انهم يقولون الآن (من غير المعقول ان نشغل انفسنا في الدفاع عن الحدود ونترك مايجري في الاماكن البعيدة ، ومن غير المعقول ان يصل الينا صاروخ من بعد الف كيلومتر ونشغل انفسنا برسم الحدود على بعد 30 كيلومتر) ٠ وهكذا توجهت المخططات الصهيونية الى الترتيبات الشرق - اوسطية الجديدة لبناء الابعاد الجديدة والاعماق اللازمة لأمن الكيان الصهيوني ٠٠ انظر : د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، النظام الشرق اوسطي ، مصدر سابق ، ص 53٠

(14) د ٠ ليث عبدالمحسن جواد ، التغلغل الصهيوني في افريقيا ، مجلة دراسات ، طرابلس العدد 4 ، 1999 ، ص 126 ٠

(15) المقابلة الصحفية لقناة دبي الفضائية مع قائد الثورة الليبية العظيمة بمناسبة الالفية الثالثة ٠

(16) يبلغ عدد الشباب العرب المهاجرين الى دول الاتحاد الاوروبى 13 مليون نسمة ، المصدر اذاعة فرنسا الدولية ٠

المخطط الامريكي الصهيوني عن « النظام الشرق الاوسطى»

د : احمد ثابت /جامعة القاهرة

المفهوم السياسي لـ « الشرق اوسطية »

هناك مصطلحات متداولة عديدة و مختلفة لـ« الشرق اوسطية » مثال ذلك ترتيبات اقليمية ، سوق شرق اوسطية ، نظام شرق اوسطى و في حين تعتقد بعض الدول العربية ان المقصود هو ترتيبات اقليمية بخصوص قضايا الأمن والتسليح والتعاون الاقتصادي واعتبار اسرائيل دولة شأنها في ذلك شأن اية دولة يتعامل معها العرب نجد اننا اذا دققنا عند ظاهر السيناريوهات والدراسات الاسرائيلية فإنها توحى بسوق اوسطية مستهدف قيامها غير ان النظر باهمام إلى معدلات القوة وتوازناتها التي تميل بشدة لصالح اسرائيل وخاصة في النواحى العسكرية واحتكار القدرة النووية والتفوق التكنولوجى بجانب التداعيات السلبية لغير صالح العرب بفعل نشوب أزمة حرب الخليج الثانية وانهيار المعسكر الشرقي وتفكك الاتحاد السوفيتى واصرار الولايات المتحدة على الانفراد بتحديد مسار التطور وحركة الاحداث في المنطقة يجعلنا هذا نميل إلى ترجيح كفة الاحتمال بأننا ازاء « نظام شرق اوسطى » يقوم على احداث تغيرات متدرجة وان كانت بنيوية في انساق القيم والثقافة والسلوك والعوامل النفسية وكذ: في تركيبة خريطة التفاعلات الاقليمية بل في النظام العربى ذاته كنظام معوق لانقاذ المشروع الشرق اوسطى ذاته وأيضاً في اتجاه التعاون الاقتصادي وليس مجرد انهاء المقاطعة أو التطبيع ..الخ.

ومما يؤيد ترجيح تسمية « نظام شرق اوسطى» الاخذ في الاعتبار سياسات الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة وقبلها بريطانيا وفرنسا ازاء المنطقة والتي اعتبرت النظام عائقاً أمام انقاذ سياساتها ومن هنا تحاول منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حصارها لتمهيد التفكيكية وتذويبها في اطار اقليمى أوسع يقوم على « أسس جغرافية دون» اعتداد بالهوية المشتركة وفي هذا النطاق جاء مشروع (جونستون) حول تقسيم واستغلال مياه نهر الاردن بين العرب واسرائيل عام 1953، وقبل ذلك اصدرت المنظمة الصهيونية الامريكية عام 1945 دراسة بعنوان « الاتحاد الاوسطى »(1) تجمعه افكار حول تنمية مشتركة لشبكة المواصلات وللسياحة وللتجارة وللاسواق المالية في المنطقة عن طريق تعاون عربي – يهودى .

وبالنسبة للافكار الراهنة حول المشروع الشرق اوسطي فانها تعود إلى منتصف الثمانينات في اطار تباحث د . مصطفى خليل نائب رئيس الحزب الوطنى في مصر مع شمعون بيريز حول « مشروع مارشال الشرق الاوسط » الذي يتضمن برنامجا للتنمية الاقليمية تقوم دول غربية ونفطية بتمويله ترافق مع ذلك توصل الولايات المتحدة واسرائيل عام 1981 إلى توقيع اتفاقية منطقة التجارة الحرة بينهما وتعتبر هذه الاتفاقية احدى آليات الالتفاف حول المقاطعة العربية لاسرائيل عن طريق افساح المجال لتسلل السلع الاسرائيلية إلى الدول العربية

على انها سلع امريكية حتى لو اضطرت اسرائيل إلى تزوير شهادات المنشأة الصادرة منها .

وقد ادى حدوث ازمة الغزو العراقي للكويت وحرب التحالف الدولي لاخراج العراق من الكويت إلى اعطاء الفرصة لبعض الباحثين الغربيين لانعاش التصورات القديمة عن الوطن العربي والقائمة على ان دوله تضم خليطا من الشعوب والطوائف والاقليات فيما يشبه « الفسيفساء» MOSAIC وهنا يؤكد احد هؤلاء الباحثين بأن ازمة وحرب الخليج الثانية جعلت الدول العربية تشبه وضعية بلدان امريكا اللاتينية حيث توجد مجموعة من الدول تربطها معا لغة وثقافة مشتركة وديانة وتاريخ مشتركين واحساس مشترك بالمستقبل وان كانت ليست موحدة في كيان سياسى مشترك (2) .

ويزعم هذا الباحث ان ازمة الخليج دفعت كثيرا من الدول العربية للاعتقاد بأن اسرائيل لم تعد تمثل مشكلة جادة ولاتشكل الخطر الاكبر بعدما قام النظام العراقي بغزو الكويت بل ان السلام مع اسرائيل يجعلها تقدم عنصراً للاستقرار الديمقراطى في الاقليم (3) .

التصورات الامريكية والغربية لـ « الشرق اوسطية»

تتضح ملامح المشروع شرق اوسطي من وجهة النظر الامريكية من الوثيقة التي اعدتها وكالة التنمية الدولية الامريكية في الثمانينات تحت عنوان « التعاون الاقليمي في الشرق الاوسط » وقدمتها إلى الكونجرس وشاركت في اعدادها ثمانى وزارات وعشرة مراكز بحوث على رأسها الاكاديمية الامريكية للعلوم اكدت الوثيقة اهمية العمل على بناء تعاون اقليمي في الشرق الاوسط يقوم على مرتكزين اساسيين :

الجغرافي والاقتصادي كبديل عن التعاون الاقليمي المبنى على اساس قومي سياسى (تقصد النظام الاقليمي العربي) ويشمل ما سبق اعتراف العرب باسرائيل وادماجها في النظام الاقليمي للمنطقه ومن ناحية البعد الجغرافي تتجه الوثيقة إلى التأكيد على قيام بنية اقليمية تضم دول الشرق العربي بجانب اسرائيل وايران (في عهد الشاه) وتركيا وتحدثت الوثيقة عن الاساس الاقتصادي وكيفية تحقيق تعاون اقليمي عبر مراحل ثلاث : قصيرة متوسطة طويلة الامد على النحو التالى (4) .

1- تنمية التعاون في مجالات عملية وتكنولوجية في المرحلة القصيرة مع شق الطرق الاقليمية واقامة محطات للاتصال وبحث بدائل الطاقة بجانب السياحة والطب .

2- تطوير مصادر المياه بصفة اساسية في المرحلة متوسطة الاجل من خلال مشروعات مختلفة مثل البحر الميت ،خليج العقبة، نهر الاردن ،الشاطئ الشرقي للبحر للمتوسط ، شبه جزيرة سيناء .

3- اما في المرحلة طويلة الاجل يتم تجاوز الابنية السياسية المتعارضة والمشكلات التي تعرقل العلاقات مثل الصراع العربي - الاسرائيلى من خلال تنمية البنية الاقتصادية وفتح الاسواق المحلية .

وسبق ان اقترح « بريجنسكى» مستشار الأمن القومي الامريكي الاسبق قيام اتفاق بين دول « الشرق الاوسط » على غرار مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبي يضم كلاً من دول المنطقة (5).

وكانت ازمة وحرب الخليج الثانية دفعت بهنرى كيسنجر إلى الحديث عن اهمية اضطلاع الولايات المتحدة في « الشرق الاوسط» بالترتيبات التالية : الحد من التسليح ، رعاية اتفاق للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، تقديم برنامج دولي لحصار الارهاب ومعاقبته بصرامة، الحفاظ على ميزان القوى الجديد ، ترتيبات للامن الجماعي ،الابقاء على ميزان اقليمى ودولي يتمكن من منع الظروف التي تخلق فراغا سياسيا قد يغرى بعض الدول الراديكالية بالتقدم بحل لـ « النزاع العربي - الاسرائيلى (6)

وكان « جيمس بيكر» وزير الخارجية الامريكي السابق قد عبر عن نفس المعنى بقوله « الولايات المتحدة تعتبر أمن الشرق الاوسط ، وحدة لاتتجزأ كما ان مبدأ توازن القوى يقتضى عدم استبعاد الدول الاقليمية الاخرى من المنطقة وضمان الأمن من خلال إقامة مؤسسات وتنظيمات

اقليمية مستقلة ودائمة لتوفير الاستقرار مع استعداد الولايات المتحدة وبريطانيا للمعاونة في هذه الترتيبات (7)

ومن الجدير بالذكر هنا ان التصورات الغربية والامريكية لاتختلف عن التصور الاسرائيلى عن « الشرق اوسطية » ولكنها تختلف جذريا عن التصور العربي في تحديد هوية هذه المنطقة ففيما يركز العرب على التاريخ والثقافة للتأكيد على وجود أمة عربية يركز المفهوم الغربي على الجغرافيا والاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية للتأكيد على وجود « شرق اوسط »وتعبر الفكرة العربية عن مشروع سياسى حضارى متكامل بينما تضع الفكرة الثانية اساسا للافتراق العربي وللاختلاط بصورة غير مرغوب فيها مع دول الجوار الجغرافي (8)

ومما يلفت النظر ان الدول والمؤسسات المالية الغربية بادرت دائما وخاصة مع بداية مؤتمر مدريد اواخر 1991 إلى اقتراح وتوفير الموارد الذاتية والخارجية الكبيرة لكي تضمن للمشروع شرق اوسطي القيام والاستمرار ذلك الاستمرار الذي حرم منه النظام العربي لأنه نشأ مفتقراً إلى الموارد الذاتية الضرورية لتحقيق التكامل والأمن الاقليمى وعندما توافرت له هذه الموارد تم استنزافها وتبديدها في النزاعات والخلافات العربية وايداعها في المصارف واسواق المال الغربية الكبرى .

فعلى الرغم من الامكانات التي تنجم عن عملية التسوية وقيام دول المنطقة بتحرير تجارتها الخارجية وفتح اسواقها أمام بعضها البعض اي فيما بين العرب واسرائيل وتركيا فان هناك ضرورة هامة لاستمرار المشروع شرق اوسطى تتمثل في المساعدات الغربية حكومية وغير حكومية وتلك التي يقدمها البنك الدولي (10)

وكذلك المساندة السياسية وأيضاً اهمية حدوث مزيد من اندماج اقتصاديات « الشرق الاوسط» في الاقتصاد العالمي بعبارة اخرى ان يكون التكامل الاقليمي المزمع أو المنشود موجها للخارج بحجة توفير ضمان استمراره..

ولقد ترتب على أزمة وحرب الخليج الثانية وانتهاء عصر الحرب الباردة ان شغل الوطن العربي ودول الجوار الجغرافي مركزاً متقدماً في الاستراتيجية الامريكية وعادت المنطقة إلى صدارة بنود اجندة السياسة الكونية للولايات المتحدة وذلك لعدة اسباب منها وقوع الغزو العراقى للكويت وما حمله من مفاجأة تامة لواشنطن ومن تهديد لمنابع البترول ولتدفقه إلى الاقتصادات الصناعية الغربية والاخلال بتوازن القوى التي تحافظ عليها واشنطن دائما لصالح التفوق العسكرى الاسرائيلى وكذلك من تحديات الترتيبات الاقليمية التي كانت واشنطن توشك ان تدخلها في اطار قيادتها لعملية التسوية السلمية للصراع العربي - الاسرائيلى وبدأت الفرصة سانحة لحل معضلة صعبة ظلت تحير الفكر الاستراتيجي والسياسى الامريكي طوال أربعة عقود كاملة حيث مثل النظام العربي عقدة مستعصية فجاء الوقت للحسم لصالح المشروع الشرق اوسطى سواء من ناحية الأمن للمنطقة ككل ، اولا من منطقة الخليج بصفة خاصة وتجاه ادماج اسرائيل في هذا النظام المستهدف .

وعبرت تصريحات المسؤولين الامريكيين عن المكانة المتميزة لـ « الشرق الاوسط» سالفة الذكر فقد كتب «ريتشارد هاس» المساعد الخاص للرئيس الامريكي السابق « بوش » لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا وعضو مجلس الأمن القومي الامريكي يقول « ان هذا الجزء من العالم لنا فيه مصالح دائمة تواجه تهديدات دائمة أيضاً لذلك فهناك دور رئيسى للولايات المتحدة يجب ان تلعبه ، لقد وضعت هذه المنطقة معضلات محيرة أمام السياسة الخارجية الامريكية منذ نصف قرن فهذا الجزء من العالم لنا فيه حلفاء قد يكونوا اقوياء اقتصاديا لكنهم ضعفاء عسكرياً وهم يواجهون مخاطر جسيمة ولنا فيها مصالح شديدة الاهمية خاصة ما يتعلق بالبترول غير أن قدرتنا على حمايتها لم تكن ابداً كما يريد لذلك ، كانت هناك دائماً فجوة بين أهمية هذا الجزء من العالم وقدرتنا على حمايته ومن حقائق الحياة ان هذه الهوة مازالت قائمة ولا ارى وسيلة لسدها إلا بالجهود المنسقة» (11).

وفي نطاق سعى الولايات المتحدة لاقامة ما تسميه « النظام العالمى الجديد » اعطت أهمية كبيرة لتدشين نظام اقليمى جديد للمنطقة يتوافق

مع التغيرات العاصفة في النظام الدولي والتي اكتسبت واشنطن وضعية القطب الواحد خاصة في المجالين السياسي والعسكرى وقد اقتضى ذلك اعادة ترتيب الاوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية والامنية والاجتماعية من خلال السيطرة على التطورات الاستراتيجية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وما تتضمنه من تفاعلات .

وتميزت السياسة الامريكية بالسرعة الملحوظة في اقرار وانفاذ الترتيبات الاقليمية الجديدة واهمها ما يتعلق بالأمن الذي سوف نتناوله فيما بعد وعملية التسوية وكان من أهم الاسباب وراء هذه السرعة ضعف الاقتصاد الامريكي ومعاناته من ازمات حادة وظهور شكوك ليست يسيرة حول قدرة الولايات المتحدة في السباق التكنولوجي مع اليابان والمانيا واللذين وصلا إلى المرتبة الاولى من حيث الطاقة التصديرية والتفوق التكنولوجي وفي ذلك يذكر « هنرى كيسنجر» لقد اسفرت هذه الحرب - يقصد حرب الخليج الثانية عن انخفاض هائل لعالم الحرب الباردة وليس عن فجر جديد لعهد تفوق امريكي - ستنمو مراكز قوة جديدة في آسيا واوروبا (12) في نفس الاتجاه سبق لـ « جيمس ايكنز » السفير الامريكي الاسبق في السعودية التأكيد على أهمية السيطرة على احتياطات النفط بعد صدمة الغزو العراقى للكويت لمصلحة بلاده ومن أجل تكريس سيطرتها على النظام الدولي وللضغط على الحلفاء الغربيين واليابانيين ويطرح « ايكنز» خطة لتدويل منابع النفط العربي والابقاء على قوات امريكية بصورة دائمة (13).

هذا بالاضافة إلى تنبيه الرئيس الامريكى الاسبق « نيكسون »المبكر إلى أهمية اعادة تكييف الاوضاع والتطورات في المنطقة لصالح المشروع الاوسطى ، يذكر في ذلك ان مشكلة السلام الاساسية في القرن العشرين وكانت ولازالت هي تكييف نماذج من النظام ولابد من تكييف علاقات جديدة في الشرق الاوسط (14) .

ويشير « وليام كوانت» احد اشهر خبراء السياسة الخارجية الامريكية إلى أن الولايات المتحدة تريد السلام في صورة نظام جديد في « الشرق الاوسط » ليس فقط في صورة وقف اطلاق النار ولكن أيضاً في حدوث تغير حقيقي في بنية نظام « الشرق الاوسط » حيث ينبغى احلال النظام العربي الذي قام حسب رأيه على الاستبعاد **The Arab Exclusivist System** يقصد استبعاد تركيا وايران واسرائيل بنظام « شرق اوسطى متجانس » حيث تضطلع اسرائيل وتركيا وايران فيما بعد بأدوارها مع الدول العربية ويشير إلى ضرورة قيام اقتصادات الاقليم على اساس سوق مفتوحة ونظم سياسية ديمقراطية تحترم مواطنيها (15) .

وحول البعد الاقتصادي للنظام شرق اوسطى تطرح الوثائق الامريكية والاوروبية اطاراً أوليا عبارة عن تجمع اقتصادى ثلاثى يضم الاردن والكيان الفلسطينى واسرائيل على غرار التجمع الاقتصادى القائم بين دول « البنولوكس» الاوروبية الثلاث ذات الاقتصادات الصغيرة (هولندا ، بلجيكا ، لوكسمبورج) فقد تبنى هذا الخيار معهد واشنطن لسياسات الشرق الادنى في دراسته الصادرة عام **1991** والذي يقوم على حرية انتقال السلع ورؤوس الاموال والعمالة فيما بين البلدان الثلاثة مع امكانية اقامة اتحاد نقدي (16) .

وتعبر ادارة العلاقات الخارجية للمفوضية الاوروبية في بروكسل في دراسة غير منشورة لها في فبراير **1992** عن نفس المعنى عندما تذكر ان منطقة التجارة الحرة الفلسطينية الاسرائيلية سوف تعطى الفلسطينيين دور الوسيط المميز بين اسرائيل ودول الاقليم (17) بناء على ذلك تعتبر التصورات الامريكية والاوروبية منطقة التجارة الحرة بين اسرائيل والاقطار العربية الدعامة الرئيسية لقيام اقتصاد الشرق الاوسط الجديد انطلاقا من ان التبادل التجارى يوحد الشعوب ويخلق نماذج من الاعتماد المتبادل ونسيجا من المصالح المشتركة وهو ما اكدت عليه أيضاً ورقة المفوضية الاوروبية في جلسات الدورة الاولى لاجتماعات « لجنة التنمية والتعاون الدولى » في اطار المفاوضات متعددة الاطراف في بروكسل في مايو **1992** (18) .

التصور الإسرائيلى لـ « الشرق الأوسط» .

تعتبر التصورات والمشروعات الاسرائيلية بخصوص النظام الاقليمي الجديد في الشرق الاوسط وخاصة تلك التي طرحها شمعون بيريز وزير الخارجية وحكومة حزب العمل برئاسة رابين اكثر المشروعات دقة ووضوحا وتحديدا في تعيين دور اسرائيل القابض والقائد في النظام شرق اوسطى بل وفي صياغة ادوار محددة للدول العربية وللنظم الفرعية داخل النظام العربي مثل المشرق العربي والخليج العربي والمغرب العربي وجدير بالذكر ان المشروع الاسرائيلى للشرق الاوسط يضم مصر إلى منطقة المشرق العربي لكى تلحق حسب هذا المشروع بنظم وآليات التعاون الاقتصادى والترتيبات الاقليمية الاخرى وقد حذت الدوائر الامريكية والاوروبية حذو هذا التصور واعتبرت مصر احدى دول المشرق أو احدى دول منطقة « الشرق الاوسط» او التي تمثل القلب من داخل النظام الشرق اوسطى حيث تصبح اسرائيل وتركيا ومصر والاردن والكيان الفلسطينى دول القلب لهذا النظام .

ويلاحظ بصفة عامة ان المشروع الاسرائيلى للنظام شرق اوسطى يلح اولا على أهمية اتخاذ اجراءات لبناء الثقة بين العرب والاسرائيليين والتي تقتضى تقديم تنازلات من قبل العرب حول قضايا الاراضى المحتلة والسيادة والمياه والتنمية الاقليمية المشتركة بل وترتيبات الأمن والاطار التنظيمى والمؤسسى للمنطقة ، يعبر عن ذلك شمعون بيريز بصراحة في كلمته أمام البرلمان الاوروبى في ستراسبورج في **1993/3/9** اذ قال:« ان على العرب ان يفاضلوا بين كابوسين : الكابوس الاول هو بقاء الوضع كما هو (بمعنى استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية) والكابوس الثانى هو السلام بما يتضمنه من تنازلات وحلول وسط تشبه عملية بتر جراحية »**(19)** .

وفي كتابه « الشرق الاوسط الجديد » يذكر ما يلى « يؤدى السلام بين اسرائيل وجيرانها إلى خلق مناخ لاعادة تنظيم اساسية لمؤسسات الشرق الاوسط وإلى نوع جديد من التعاون ويعتبر التنظيم الاقليمي مفتاح السلام والأمن وسوف يشجع الديمقراطية والتنمية الاقتصادية والتطوير القومى ورفاهية الافراد .

ان اقامة السلام تتطلب ثورة في المفاهيم وان هدف اسرائيل النهائي هو خلق مجتمع اقليمى من الدول بسوق مشتركة وهيئات مركزية منتخبة ومصممة على غرار الجماعة الاوروبية **(20)**.

الشرق الاوسط اذن كنظام اقليمي ينبغى ان يتأسس لدى بيريز ليس فقط على ترتيبات لبناء الثقة او للتعاون الاقتصادي بل يجب خلق مؤسسات اقليمية تتكون على اساس مركزى وتنتخب من قبل شعوب الاقليم على غرار مؤسسات الاتحاد الاوروبي، المفوضية، البرلمان، مجلس وزراء الاتحاد .. الخ اى اننا ازاء مشروع متكامل لنظام اقليمي يتأسس على هندسة سياسية واقتصادية جديدة فمعالم هذا النظام هي اولاً وقبل كل شئ هندسة معمارية ضخمة وهندسة تاريخية لبناء شرق اوسط جديد متحرر من صراعات الماضى ومستعد لأخذ مكانه في العصر الجديد العصر الذي يطيق المتخلفين ولايغفر للجهلة **(21)** .

مثل هذه « الهندسة التاريخية » التي يتحدث عنها بيريز تقوم اولاً وقبل كل شئ على ضرورة تجاوز الاعتبارات القومية والوطنية وعدم الاعتداد بالانتماءات العربية في اطار العروبة والاسلام بحيث يتأسس الشرق الاوسط الجديد على نظام لاقومى اقليمى ويعبر عن ذلك « موشيه ارينز » وزير الدفاع الاسرائيلى الاسبق عندما يذكر ما يلى « اذا دققنا النظر في تاريخ اوروبا فسنرى انه في نهاية الامر تصل الشعوب إلى الاستنتاج بأن المشكلات الاقتصادية أهم من النزاعات القومية **(22)** .

وينظر « ابراهام تامير » رئيس جامعة« بير سبع » الاسرائيلية إلى السلام الشامل بكونه القادر على ازالة الاخطار ووثيق الصلة بنظام اقليمى للأمن والاقتصاد دون الالتفات للروابط القومية فقط في اطار دول كومنولث تملك سوقاً مشتركة وحدوداً مفتوحة سيكون متاحا الوصول إلى حل وسط بشأن الحدود الدولية بين اسرائيل وجيرانها في

الشرق الاوسط وهذه الحدود ستكون ذات طابع ادارى وليست خطوط تحصينات (23) ويذكر كاتب اسرائيلى آخر ان ملاءمة الايديولوجيات القومية سيتم بواسطة الاندماج في نظم فوق قومية ستلغى الوزن الخاص لعناصر تاريخية في النزاعات بين الشعوب حتى النزاع العربي – الاسرائيلى سيجد حلاً له في اطار مجموعة الشرق الاوسط (24).

يغفل المشروع الاسرائيلى للشرق الاوسط عن عمد قضايا الصراع الرئيسية مثل السيادة والأرض المحتلة والاحتكار النووى والمستوطنات المدنية والعسكرية والحدود واغتصاب فلسطين والدولة الفلسطينية والقدس كما لا يتعرض لميزان القوى الحالى الذي يميل بشدة لصالح اسرائيل وانما يعتبر بقاء توازن القوى على وضعيته الحالية واستمرار الاحتلال والمستوطنات والقدس الفلسطينية والتفوق التكنولوجي و احتكار الردع النووي امورا مسلما بها وغير قابلة للنقاش والتفاوض ويطرح نقاطا اخرى أقل أهمية يفرضها كاجندة للتفاوض الثنائى ومتعدد الاطراف وهذا ما يقدمه « شمعون بيريز » فهو يحدد قضايا اربع رئيسية تشكل من وجهة نظره دعائم النظام الاقليمي للشرق اوسطى الجديد (25) .

1- الاستقرار السياسي : فهو يعتبران الاصولية المتطرفة تهدد الاستقرار .

2- اقتصادات المنطقة: ويشير هنا إلى ضرورة خلق منظمة للتعاون الاقليمي تتجاوز الاطار القومي وتكون مهامها انشاء نظام للرى عالى التكنولوجيا مشترك لتنمية الصحراء وتمكين بلدان المنطقة من انتاج غذائها ووظائف كافية لسكانها وكذلك التعاون الاقليمي في مجال السياحة ووسائل الاتصال .

3- الامن القومي : ففي عصر الصواريخ والقدرة النووية يذكر « بيريز » ان نظاماً اقليميا للرقابة والاشراف يعد وسيلة وحيدة لضمان مستوى معقول من الأمن القومي ولا يشير إلى اى احتمال لرقابة الصناعة النووية والرؤوس النووية الاسرائيلية وانما يذكر ان القرن القادم سوف يشهد عدم جدوى مفهوم « العمق الاستراتيجي» .

4- الديمقراطية : فالديمقراطية تعد حارسا للسلام عند « بيريز» وعنصراً اساسيا لمواجهة التطرف هذا فضلا عن ان الدول الديمقراطية لايمكن ان تدخل في حرب فيما بينها حسبما يزعم ويرى أيضاً ان النظام الشرق الاوسطى سوف يخلق المنافسة على تبنى العمليات الديمقراطية بل ويفترض التعاون بين دوله لمنع اى تهديد داخلى للحكومات فالشرق الاوسط يحتاج لتجديد حكوماته خاصة وان النظم الاوتوقراطية تنتشر فيه باكثر مما يوجد في اية منطقة اخرى من العالم .

وينصب تصور « بيريز » للترتيبات الامنية لما بعد « السلام » على قضايا فرعية وثانوية لكي يتجنب الخوض في المشكلات الرئيسية وعلى رأسها بالطبع الرادع النووى الاسرائيلى الذي يمثل مصدر خطر دائم حتى على « الاستقرار الاقليمي» الذي يقترحه كما لايتعرض لضرورة انضمام اسرائيل إلى اتفاقية منع انتشار السلاح النووي عام **1968** ولا يشير ذلك لأهمية قبول اسرائيل لاشراف وتفتيش وكالة الطاقة الذرية الدولية التي تمارس ذلك بالفعل على العراق منذ نهاية حرب الخليج الثانية وعلى كوريا الشمالية منذ اتفاقها مع الولايات المتحدة في سبتمبر من عام **1994**.

وهكذا يقتصر ضمان الامن الاقليمي عند « بيريز» على ما يطرحه مما يسميه « برنامج اقليمي يضم نظاماً لجمع المعلومات عن الانشطة العسكرية ويقدم تقريراً عنها لكل الاطراف » وليست هناك مصداقية بالطبع لهذا النظام في ضوء ان اسرائيل والولايات المتحدة سوف تسيطران عليه بفعل عدم امتلاك الدول العربية للاقمار الصناعية التجسسية المتطورة وهذا مادعاه لاقتراح نشر اقمار صناعية بالتعاون مع القوى العظمى وان كان هذا لايعنى حسبما يرى بيريز انشاء حلف على غرار الناتو فبعد تحقيق السلام تصبح مشكلات الامن الرئيسية هي عدم الاستقرار واشكال التخريب السياسي ووجود شبكة من العداوات الدينية والعرقية والاقتصادية فيما بين دول النظام شرق الاوسطى وهناك أيضاً نظام للامن الاقليمي مصمم لمنع حرب قد تنشب نتيجة

نقص في الاتصالات (26) ويعتبر نظام الرقابة لدى « بيريز» بديلا منطقيا لمفهوم « العمق الاستراتيجي» .

ومن المعروف ان اسرائيل ماتزال تصر على المضى قدما في مسار المفاوضات متعددة الاطراف والتي تبحث في قضايا خمس : الامن والحد من التسلح ،المياه والتعاون الاقتصادي، اللاجئون ،البيئة وحيث استهدفت هي والولايات المتحدة ودول الاتحاد الاوروبي اقامة شبكة مكثفة من التفاعلات والمصالح المتبادلة بين الدول العربية واسرائيل قبل تحقيق تقدم في المسار الثنائى وخاصة على المستويين السورى واللبنانى فقد بدأت المفاوضات متعددة الاطراف في موسكو في يناير 1992 بحضور اربعين دولة عربية واوربية بجانب اسرائيل والولايات المتحدة وكندا واليابان وفي هذا الصدد يذكر « شمعون بيريز » ما يلي .

سيلعب مؤتمر موسكو دورا بالغ الاهمية حيث لن يتناول فقط اشكاليات النزاع العربي الاسرائيلى وسبل حلها وانما سيبحث الشكل الجديد الذي ستكون عليه منطقة الشرق الاوسط من المتصور ان امكانات خلق شرق اوسط جديد ليست وهما بعيد المنال ولن يتحقق هذا الهدف إلا عن طريق الاهتمام بموضوع التعاون الاقتصادى حيث ان الاقتصاد هو الوسيلة الوحيدة التي من شأنها اخماد نيران المواجهة العسكرية وخلق ارضية من المصالح المشتركة بين دول المنطقة اريد ان اقول ان المصالح لاتولد وانما تخلق (27).

ويتحدث المحلل الاسرائيلى « افرايم سينية » عن اربع مشاكل يجب تسويتها لضمان استقرار النظام الشرق اوسطى الجديد (28).

أ / عدم التوازن بين وفرة موارد المملكة السعودية ودول الخليج وبين مقدرتها في الدفاع عن نفسا .

ب/ تفاوت الثروة في المنطقة بين الدول الفقيرة كثيفة السكان والدول الغنية بالكثافة السكانية ذلك ان احد اسس النظام الجديد هو ان يتم تكوين نظام شرق اوسطى للاستثمارات والتطوير في المنطقة وحسبما يرى فانه ينبغى ان يكون التقسيم الجديد لارباح النفط مقبولا من أجل تبريد مشاعر الجماهير .

ج/ المشكلة الفلسطينية فبامكان الراديكالية الاسلامية استخدام هذه المشكلة كصاعق للقنبلة حيث يصبح اى استقرار في المنطقة قصير الاجل اذا لم تحل هذه المشكلة .

د/ أمن اسرائيل وهذا يقتضى خفض السلاح التقليدي (مما يؤثر سلبا على العرب بالطبع) حيث يزعم انه ينبغى استثناء اسرائيل من هذا الخفض لتعديل التوازن الاستراتيجي بين اسرائيل ومحيطها .

ومن أجل التغلب على ما يسميه « بيريز» التطلعات القومية الذاتية لدول الاقاليم والتي انتجت تفاوتا وتنافرا بين مستويات المعيشة ومتوسط الدخول ومستويات التطور الاقتصادي الاجتماعي يرى « بيريز » ضرورة دمج الاقليم في شبكة من الروابط على النحو التالى (29).

اولا : نزع السلاح بمعنى تخفيض النفقات الهائلة على التسلح في المنطقة والتي بلغت 60 مليار دولار سنويا إلى النصف بحيث تتوافر اموال هائلة لتنمية الاقليم ككل .

ثانيا : الماء والتكنولوجيا الحيوية والقضاء على الصحراء من أجل توفير الغذاء لكل إقليم .

ثالثا: انشاء بنية تحتية للنقل والاتصالات لاستغلال الميزة النسبية للتقارب الجغرافي .

رابعا : السياحة : فبجانب ان صناعة السياحة تولد ارباحا وتخلق فرصا جديدة للعمل فهي تنطوي على قيمة سياسية من ناحية انها تتطلب لهدوء كما انها هامة للامن .

ويزعم « بيريز» ان مثل هذه الروابط تفتح الطريق لمحاكاة تجربة الجماعة الاوروبيةوتمكن المنطقة من إزالة عوامل الكراهية التي توجد في منطقة البلقان .

ويعبر كاتب اسرائيلى آخر عن نفس المضمون عندما يرى انه يمكن احتلال العالم بالانتاج والنوعية واسعار المال القادرة على المنافسة ونسبة التضخم المنخفضة بمعنى ان « الغزو الاقتصادى» سوف يحل محل الغزو العسكرى (30).

خلاصة المشروع الاسرائيلى للشرق الاوسط الجديد فيما بدا مما سبق تناوله تكريس الهيمنة الاستراتيجية لاسرائيل على المنطقة العربية من

خلال دور مركزي في تحديد صياغات وترتيبات الامن الاقليمي وفي اداء دور امني بارز في الدفاع عن منابع النفط في الخليج العربي عن طريق اشتراك اسرائيل في توجيه ارصدة النفط ومن أجل « تنمية مشتركة » تقلل من تفاوت الثروة بين «عرب اليسر وعرب العسر » ومن واقع الدوائر أو الانظمة الفرعية التي يحددها المشروع الاسرائيلي للشرق الاوسط الجديد داخل النظام الاقليمي المخطط له نلاحظ ان اسرائيل تحدد دوائر تتدرج في اتساعها مع التقدم في مجالات التعاون المختلفة خارج مسار التفاوض الثنائي بالطبع منطقة تجارة حرة مع الاردن والكيان الفلسطيني، نظام اقليمي فرعي لـ« المشرق» يشمل مصر وتركيا واسرائيل والاردن والكيان الفلسطيني ، اقليم فرعي آخر يضم دول الخليج وتشترك فيه اسرائيل ، نظام فرعي آخر للمغرب العربي ترتبط معه اسرائيل بشبكة من العلاقات الاقتصادية والتجارية والتمثيل الدبلوماسي مما يعني ان ثقل اسرائيل في داخل كل نظام فرعي وظيفي (او اقليمي) سيكون اعلى ممالو شاركت مجموع الاقطار العربية في تلك الانظمة الوظيفية مما يعني السيادة الاستراتيجية لاسرائيل في المنطقة العربية (31).

ويمكن القول ان المشروع الاسرائيلي للشرق اوسطية بوضوح مخططاته وشمولها على النحو السابق قد وضع في الاعتبار ان تتطابق دوائر نظرية الأمن الاسرائيلي المعروفة والتي تمتد من باكستان إلى المغرب مع دوائر التوسع والتعاون التكنولوجي في المجالين المدني والعسكري والتفوق المعلوماتي والنووي وعلى اساس من احتكار تلقي المساعدات الخارجية بعد التسويات الاخيرة وكذلك احتكار تلقي وتوزيع الاستثمارات الغربية ذلك ان هذا المشروع يعطي اسرائيل دور « السيد » والمركز الاقليمي القابض على تطورات المنطقة سياسيا واقتصاديا وعلى اساس هذه المهام الجديدة حددت الولايات المتحدة ثلاثة محاور لحركتها ازاء المنطقة وهي انشاء نظام امن مستقر في الشرق الاوسط والخليج ،المبادرة بانهاء الصراعات والمنازعات الاقليمية والعمل على حلها سلمياً و اعادة تكييف اقتصاديات المنطقة (31).

ومن اللفت للانتباه هنا ان تحرك الولايات المتحدة تجاه مراقبة نظم التسليح الرئيسية من القوات التقليدية اساسا ومنع اسلحة الدمار الشامل لاسيما السلاح الكيماوي وتقوية نظام منع انتشار تكنولوجيا الصواريخ في « الشرق الاوسط» وشمال افريقيا ومضاعفة القيود المفروضة على عمليات تصدير السلاح وتشجيع التعاون بين دول حلف شمال الاطلسي والدول الصديقة من غير اعضاء الحلف بغيةاحتواء عمليات انتشار الاسلحة لدول منطقتي حوض المتوسط و« الشرق الاوسط» التي تناوئ حلف الناتو وتهدد « مصالح » دولية هذا التحرك اغفل مسألة السلاح النووي الاسرائيلي ولم يعتبرها ضمن قضايا التسلح التي يجب السيطرة عليها وقد برر « فرانك ويزنر» مساعد وزير الدفاع الامريكي للشؤون السياسية في **1993/12/5** ذلك الامر بقوله « ان التهديد الذي تواجهه اسرائيل لا يأتي من جيرانها المباشرين بل من محيطها القريب وان احتكار اسرائيل للسلاح النووي في الشرق الاوسط له ما يبرره لأن اسرائيل تواجه مخاطر من ايران والعراق (32).

اختلال التوازن الاستراتيجي :

من أهم النتائج المترتبة على الاحتكار النووي الاسرائيلي تهديد الاستقرار الاقليمي الذي تنشده السياسة الامريكية ذاتها ، فضلا عما ينطوي عليه اخراج القدرة النووية الاسرائيلية من ترتيبات ضبط التسلح ومراقبته ومبيعات السلاح وتطويره وتدمير اسلحة الدمار الشامل من احداث خلل استراتيجي جوهري في توازن القوى في المنطقة بصورة صفرية لصالح اسرائيل ، ويزداد هذا الخلل في ضوء الملاحظات التي تبديها الدول العربية حول اهمية ربط الرادع النووي الاسرائيلي بالاطار العام لمعاهدة الاسلحة الكيماوية ، وكذلك البنود التالية (33).

أ- ما يتعلق بتعريف السلاح الكيماوى والمواد الداخلة في انتاجه والتي تضم عدداً كبيرا من المواد ذات الاستخدام المزدوج والتي تحتاج اليها

عدة دول عربية في مجالات التنمية الصناعية والزراعية .

ب- ما يتصل بنظام التفتيش الكيماوى والذي يمنح الدولة التي سوف يتم عمل التفتيش الكيماوى عليها فترة 12 ساعة فقط قبل وصول فريق التفتيش الدولي وذلك من شأنه المساس بأمن وسيادة الدول التي سوف تنضم للمعاهدة .

ج/ هناك تحفظ آخر لبعض الدول العربية (وبخاصة سوريا) على قضية حظر الاسلحة الناقلة للأسلحة الكيماوية (الصواريخ والرؤوس التقليدية) حيث نصت المعاهدة على منعها ذلك ان هذا النص يخدم الهدف الاسرائيلى من واقع ان اسرائيل تمتلك بالفعل هذه الصواريخ ولا تستطيع الدول العربية التي انضمت إلى المعاهدة ان تبادر لامتلاك هذه الصواريخ .

هذا بالاضافة إلى ان ايا من المفاوضات متعددة الاطراف والثنائية وما اسفرت عنه من توقيع اتفاقيات مع الاردن والفلسطينيين وتطبيع مع دول الخليج وتعاون اقتصادي وازالة للمقاطعة الاقتصادية لم تؤد إلى تغيير يذكر في العقيدة العسكرية الاسرائيلية ولم تؤد إلى تخفيض في ميزانية الدفاع الاسرائيلية التي تبلغ 13٪ من الناتج المحلى الاجمالى الذي يقارب 69 مليار دولار ففي حين توالى اسرائيل التقدم في تأسيس شبكة المصالح والتفاعلات الاقتصادية القائمة على النفط السعودى والايدى العاملة والسوق المصرية والمياه التركية والعقول الاسرائيلية كما ذكر « بيريز »(34) لايحدث تعديلا في الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية بل تضيف ابعادا ومصادر تهديد جديدة وهو ما عبر عنه « بيريز» أيضاً بقوله « من المستحيل التفكير فقط في الدفاع عن الحدود واغفال ما يجرى في الاماكن البعيدة من غير المعقول ان يصلنا صاروخ عن بعد الف كيلو متر بينما نشغل انفسنا برسم حدود قابلة للدفاع وبكلمات اخرى علينا ان نبنى شبكة من العلاقات السياسية يكون بمقدورها تغطية كل مواقع الخطر في شبكة العلاقات العسكرية المجردة (35) .

وتركز بعض الدوائر الغربية والاسرائيلية والعربية على اهمية السلام والتعاون الاقليمي في اطار « الشرق الاوسط الجديد » في خفض النفقات الباهظة على التسلح وتقليل سباق التسلح المروع ذاته وتبدو ميزة ذلك بارزة بالنسبة للدول العربية وخاصة دول المواجهة التي يحصل فيها الانفاق العسكرى على مالايقل عن 15٪ من مجمل دخلها القومي وحيث وصل هذا الانفاق بالنسبة لمجموع الدول العربية إلى نحو 14.8 مليار دولار في عام 1993 بما يوازى 10٪ من مجمل النواتج المحلية العربية (36) وهو ما يشكل عائقاً ثقيلاً أمام الاستثمارات الموجهة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ويتوقع المؤيدون لأثر التسوية الايجابي في خفض مخصصات التسلح والدفاع ،ان هناك امكانية للاستفادة بـ 5.50 من هذه المخصصات لاغراض الاستثمار المدني بما يمكن ان يستخدم في رفع معدلات النمو الاقتصادي السنوى بحوالى 1.25٪-1.67٪(37).

غير ان هناك شكوكاً قوية وعديدة حول حدوث ذلك الاحتمال في ضوء استمرار اسرائيل في معدلات انفاقها العسكرى السنوى بل وزيادتها فضلا عن ان الانفاق العسكرى يتزايد على الدوام في الدول العربية ليس فقط الاعتبارات الصراع مع اسرائيل وانما لمشكلات وصراعات ونزاعات اخرى من اهمها التوترات الداخلية التي تعانى منها معظم الدول العربية وتوجه هذه الدول إلى اعتبار القوات المسلحة رادعا داخليا ضد احتمالات السخط الشعبي وكضامن للاستقرار السياسى الداخلي فضلا عن نزاعات الحدود بين الدول العربية ومضاعفات حرب الخليج والخلافات العربية - العربية ومع دول الجوار ومنها تركيا وايران اللتين اخذتا في مضاعفة قدراتهما العسكرية وتقويتها وامتلاك احدث انواع السلاح وانظمة الدفاع وزيادة مشتريات السلاح وحتى فيما يتعلق بالدول العربية المجاورة لاسرائيل ذاتها فان الانفاق العسكرى سوف يتجه إلى الاستثمار في نظم الانذار المعقدة وباهظة التكاليف مما يعنى الانفاق العسكرى .

هذا فضلا عن الآثار السلبية بعيدة المدى لتخفيض حجم الانفاق العسكري على القوات التقليدية في كل من مصر وسوريا والاردن فذلك يعنى تأكيد التفوق العسكرى الاسرائيلى على سائر

البلدان العربية ولاسيما بلدان المواجهة في غياب اى اجراء لنزع السلاح النووي الاسرائيلي إذأن تخفيض الانفاق العسكرى على القوات والاسلحة التقليدية في كل من مصر وسوريا والاردن يجردها من مصدر القوة الوحيد الذي يحقق لها بعض التعادل مع اسرائيل بينما اسرائيل تعتمد في تفوقها العسكري على السلاح النووي والتفوق الجوى كأساس للردع الفعال في نزاعاتها المسلحة مع العرب ومما يضاعف من الاختلالات في توازن القوى بين العرب واسرائيل ، ان صناعة السلاح في الدول العربية ما تزال متخلفة وغير قادرة على تطوير قدراتها التقانية والتسليحية كما تفتقر إلى الاطار المعلوماتى المتطور (38) وان الجانب الاعظم من نظم التسليح العربية سواء في الدبابات أو الصواريخ أو الطائرات أو الرادار يتم استيراده من الخارج وهو الامر الذي تأثر بشدة مع فقدان الامداد السوفيتى بالسلاح والذي كان يعد مصدرا رئيسيا لبعض الدول العربية ودول المواجهة على وجه الخصوص في حين تتمتع اسرائيل بتفوق تقاني ومعلوماتى ساحق على الدول العربية في مجال تكنولوجيا تصنيع السلاح وتطويره فهي لاتمتلك فقط الرؤوس النووية التي تزيد عن ثلاثمائة رأس بل قامت بتطوير التقانة لحمل هذه الرؤوس نحو اهدافها فلديها طائرات قادرة على حمل رؤوس نووية هذا فضلا عن قيامها بتطوير صواريخ ارض - ارض يمكن تزويدها برؤوس نووية مثل صاروخ لانس (110) كم واريحا -(500) كم واخيرا اريحا - 2(1500كم) بجانب اطلاق قمر التجسس الصناعي في الفضاء .

آفاق الخلل الاستراتيجي :

لاحظ « برنارد لويس » من خبرة حرب الخليج الثانية وما يؤيد ما سبق ان هذه الحرب قد انهت وهم فعالية التقانة العسكرية المشتراة من الخارج بالمقارنة مع فعالية التقانة المطورة محليا (39) ولقد وصلت القدرة التقانية الاسرائيلية على تطوير الصواريخ إلى حد التوصل إلى انتاج صواريخ اريحا - 2 التي تستطيع ان تصل عدداً كبيراً من دول جنوب اوروبا المطلة على البحر المتوسط (40) وحيث يزداد الخلل الاستراتيجي في ضوء الهجرة الدائمة لآلاف العلماء اليهود ذوي التخصصات الدقيقة في الفيزياء والذرة وغيرهما لاسرائيل منذ فتح ابواب هجرة اليهود السوفيت اليها .

ويبدو ان الخلل الاستراتيجي- عسكرياً وتقانياً بين العرب واسرائيل - تم النظر اليه في الدوائر الامريكية والاسرائيلية على انه يشكل مدخلا مناسبا وقاعدة ملائمة لاقامة النظام الاقليمي الشرق اوسطى بما تخلله من نهاية حرب الخليج الثانية بالصورة التي تمت بها وبجهود الولايات المتحدة في مراقبة وحصار وضبط التسلح في المنطقة وبما يؤثر سلبا على الدول العربية وبصفة اساسية هناك إذن علاقة بين الخلل العسكرى التقاني وقيام الشرق الاوسط الجديد بنتائجها السلبية على العرب فعند اسرائيل امكانات واسعة لتصدير عناصر معينة من هذه الثقافة كما هو حاصل حاليا مع الصين او الهند او بعض الدول الاخرى من خلال مبيعات السلاح العادية او عمليات نقل ثقافة متقدمة تتحفظ دول الغرب المصنعة على نقلها إلى بعض الاطراف (41).

فالى ماذا يمكن ان تتطور الامور ؟ يتصور غسان سلامة الوضع على النحو التالى : لماذا لانتصور لجوء اسرائيل إلى مبيعات سلاح إلى اطراف عربية او إلى عملية نقل تقانة محدودة إلى هذا الطرف العربي او ذاك بهدف مكافأته على موقفه المتعاطف مع اسرائيل ؟ وان حصل هذا التطور واعتقادي ان احتمال قيام تلك السوق سيقوى كثيراً من احتمالات حصوله ، فنتائجه هو تحول تدريجي لاسرائيل من موقع العدو الشامل لجميع العرب إلى حكم في نزاعاتهم إلى مرجع لبعضهم ضد البعض الآخر آنذاك يكون التطبيع قد وصل إلى حدوده القصوى اذ لاتكون اسرائيل طرفا مقبولا من العرب فحسب بل تصبح ايضا طرفا مرغوبا بالصداقة معه والتحالف بحيث يتم الاستقواء به ضد اي طرف عربي آخر من خلال ادماجه الضمنى أو المعلن في صلب الخلافات العربية وفي مضمون ميزان القوى الداخلى في المنطقة العربية (42) .

هوامش :

1) التقرير الإستراتيجي العربي . 1993(القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، 1994)ص 33.

2) Bernard Lewis rethinking theMiddle Esat Foreign Affairs,Vol.71,No.4, Fall 1992 , P . 101.

3) bid,P.11241) ورد في : ماجد كيالى «النظام الاقليمي في الشرق الاوسط ومفهوم التسوية الامريكية الاسرائيلية » الفكر الاستراتيجي العربي (بيروت: معهد الانماء العربى) العدد 41 يوليو 1992.ص 68.

5) نفس المصدر . ص 68.

6) هنرى كيسنجر ، برنامج لما بعد حرب الخليج نيوزويك . 1991/1/28، منشور في جريدة السفير اللبنانية ،1991/1/31.

7) ورد في : د وليد عبد الحى ، الصراع العربى ، الصهيوني ، نظرة مستقبلية ، شؤون عربية . العدد 56 يناير / 1988ص 51.

8) انظر في ذلك Mohammed H.Heikal,, "Egyption Foreign Policy",Foreign Affairs,Vol.56,No.4,July 1978.

9) جميل مطر ، مستقبل النظام الاقليمي العربي ".المستقبل العربي السنة 14، العدد 158، ابريل / 1992. ص 18.

10) Nemat shafig,"Learning from Doers:lessons on Regional Integration for the Middle sast ", Presented to:Conference on Economic cooperation in the Middle East, Economic Dept., Faculty of Economics, Cairo University , Cairo , 14-16 May 1994,PP.19-20.

11) هنرى كسينجر "ليست قوة عظمى وحيدة " يد يعوت اجرونوت . نشرته السفير اللبنانية ، 1992/1/14.

12) Washingto n Post , 12 sPet , 1990.

13) ورد في : طاهر عبد الحكيم . حرب تشرين والتسوية الامريكية (دمشق مؤسسة الدراسات العربية ، 1976)ص 50.

14) William Quandt, "Peacemaking Paradox:The Kie klinton Administration and Arab-Israeli Negotiations oemtre for Politi cal Resrsreh & studies,stratehic Pa-Pers.1995,P.13

15) ورد في : د . محمود عبد الفضيل " مشاريع الترتيبات الاقتصادية " الشرق اوسطية " المستقبل العربي ، السنة 16. العدد 179 ، يناير 1994،ص93.

16) نفس المصدر . ص93

17) نفس المصدر . ص 93-94.

18)ورد في :نفس المصدر . ص 105.

19) Shimon Peres . The New Middle East (New york: Holt and Co. lnC.,1993)P.62

20) شيمون بيريز : عصر جديد لايطيق المتخلفين ولايغفر للجهلة " في : ماذا عاصفة الخليج ؟(مجموعة مؤلفين) القاهرة :مركز الاهرام للترجمة والنشر 1992) ص104.

21) ورد في : السفير 1991/9/28.

22) يديعوت احرونوت . 1991/1/5، السفير 1991/1/29.

23) ماجد كيالى . مصدر سابق ص79.

24) Shimon Peres , OP. Cit , PP . 67.26

25) Ibid.,P .76.26 ورد في : ماجد كيالى ، مصدر سابق . ص 79.

27) ورد في : نفس المصدر . ص 80.

28) Peres , OP , Cit , PP . 67-74

29) طه المجدوب . عبدالفتاح الجبالى . احمد ابراهيم محمود . الولايات المتحدة والشرق الاوسط ، اوراق الشرق الاوسط (القاهرة : المركز القومي لدراسات الشرق الاوسط)، يوليو 1992. ص 23 30) ورد في : مراكز ابراهيم الدسوقى : الامن العالمى والامن الاقليمي في عام 1993، مصدر سابق ، ص 60.

31) نفس المصدر . ص61

32) ورد في : د. محمود عبد الفضيل ، مصدر سابق . ص 106

33) شيمون بيريز :"عصر جديد لايطيق المتخلفين ولايغفر للجهلة مصدر سابق 107.

34) مراد الدسوقي ، مصدر سابق ، ص 59.

35) د . محمود عبد الفضيل ، مصدر سابق ، ص 103.

36)نفس المصدر ، ص 105

37) B.L ewis , oP . Cit , PP - lol-102-38

38) غسان سلامة " افكار اولية عن السوق الشرق اوسطية " المستقبل العربي العدد 179 يناير 1994 ص 77.76.

39) نفس المصدر ص 78.

40) نفس المصدر ص 78.

السوق شرق اوسطية وحتمية البديل القومي

أ . علاء عبد الوهاب / مصر

1/ ان الاحداث والتطورات التي ترتبط بطرح مفهوم « الشرق اوسطية» في هذه المرحلة ليست وليدة اللحظة ، لكنها حصيلة تفاعلات عميقة الجذور فضلا عن متغيرات (قطرية واقليمية ودولية) عديدة شهدها نهاية عقد الثمانينات والنصف الاول من عقد التسعينات

2/ اما فيما يتعلق بالجذور فإن الامر يرتبط - اساسا باحداث تاريخية ثلاثة كبرى هي : ظهور المسألة الشرقية في القرن التاسع عشر والتطور النوعي للظاهرة الاستعمارية في اواخر القرن الـ 19 ومطلع القرن الـ 20 واخيرا زرع الكيان الصهيوني واعلان قيام دولته عام 1948

3/ وبالنسبة للمتغيرات التي شهدها نهاية العقد الماضي وبدايات العقد الحالي فتتمثل في التحول الاستراتيجي بالمنطقة عقب انتهاء الحرب الباردة ومالقاه من ظلال قاتمة على الصراع العربي الصهيوني ثم اندلاع حرب الخليج الثانية التي كانت اخطر نتائجها الاعلان عن عجز النظام العربي وانكساره ووقوفه على حافة الانهيار واعقب ذلك السقوط السوفيتي المدوى وميلاد عصر القطب الواحد ثم طرح صيغة مدريد وصولا الى اتفاق اوسلو وتداعياته

4/ اذا كان طرح الفكرة الشرق اوسطية كنظام سواء أكان المدخل اليها في صورة منظومة امنية او سوق اقتصادية سابق على فرض الكيان الصهيوني فان فكرة السوق الشرق اوسطية اكثر تجذراً إذ لاحت في رؤى وتنظيرات عدد من اباء الصهيونية وان لم تحمل ذات التسمية

5/ والادبيات الصهيونية حافلة بارشادات واضحة الى فكرة المزاوجة بين الخبرة والعقلية الصهيونية والثروات العربية ويمكن اعتبار «هرتزل» هو الاب الحقيقي لهذه الرؤية عندما طرح في كتاباته فكرة انشاء كومنولث اوسطى ثم اعقبه جابوتنسكى وبن جوريون وجاء التابعون لينسجوا اطروحاتهم وافكارهم على ذات المنوال

6/ واذا كان للمشروع الصهيوني عدة وظائف سياسية وعسكرية واقتصادية فان هذه الاخيرة تمثلت في حراسة التخلف العربي وتنمية شروط للتبعية وضرب تجارب النمو . خاصة التكنولوجي والتضييق على اي توجه للاندماج الاقتصادي العربي مهما كان متواضعا وصولا الى تعميق مستديم للتبعية بما يضمن تدفق الثروات العربية مالية ، معدنية بشرية الخ للخارج

7/ ان الطموح الصهيوني للنفاذ الى تحقيق حلم « اسرائيل العظمى» المهيمنة على المقدرات العربية عن اسرائيل الكبرى جغرافيا كان حاضرا دائما في كل المبادرات التي تبنتها واشنطن وتل ابيب وكذلك ماتم فرضه عبر كل اتفاقيات التسوية التي تم اقرارها فرضا خلال مراحل الصراع العربي الصهيوني

8/ لقد حرصت اسرائيل دائما كترجمة لمفهوم الاستعمار الاقتصادي الجديد المسلح بالتكنولوجيا والدروع العسكرية بما في ذلك القدرة النووية والمدعوم بالشركات المتعددة الجنسيات حرصت على فرض هدفها الاستراتيجي في الهيمنة الاقتصادية عبر كامب ديفيد ومعاهدتها مع مصر عام 79 مروراً بالاتفاق الاسرائيلي - اللبناني في عام 1983 وصولا الى اتفاقي اوسلو والقاهرة مع القيادة الفلسطينية واخيرا الاتفاق الاردني الاسرائيلي في كل هذه النصوص كان الحرص

على تضمينها بنودا ملزمة في المجال الاقتصادي .

9/ ان التركيز الصهيوني عبر هذه الاتفاقات على تأكيد البعد الاقتصادي يعني ان الكيان الصهيوني يرى العائد الاساسي من جراء السلام هو تحقيق مكاسب اقتصادية ومن ثم فان جوهر مايسعى اليه هذا الكيان هو استحداث آليات للابقاء على راهنية ظرف التفوق الذي يتمتع به .

10/ في سبيل ذلك فان الكيان الصهيوني يستهدف في مخططاته السعي لصياغة نظام قطبي مصغر للمنطقة يكون فيه بمثابة المركز وتكون بقية الدول الاطراف المرتبطة به إماثنانيا بعلاقات اشعاعية او جماعيا بعلاقات دائرية يحيط به تأكيدا على مركزيته وتعد هذه الفكرة امتداد نوعيا وتطويراً للفكر الصهيوني التوسعي اتساقا مع ادوات العصر واساليبه وسوف يفرض هذا النظام حال زرعه انماطاً جديدة على طبيعة العلاقات بين دول المنطقة تأسيسا على ان مصلحة اسرائيل سوف تكون جزءاً لايتجزأ من نظام الشرق الاوسط الجديد المزمع فرضه

11/ ان هذا لايعني ان الكيان الصهيوني بمشروعه الطموح سوف يسعى الى عملية تكامل اقليمي بمواصفات خاصة تناسب مقاييسه واهدافه مع اقصى توظيف ممكن لموازين القوى الاقليمية والدولية الجديدة التي توفر فرصة تاريخية لاضعاف المنطقة بحيث تصبح الهيمنة الصهيونية عليها ممكنة .

12/ على ان الوجه الآخر لفرض المشروع الصهيوني الجديد القديم بقيام سوق شرق اوسطية يمثل في جوهره فضحا للعجز العربي خلال عقود مضت عن انتاج اي صيغة للاندماج الاقتصادي ولو في ادنى مراتبه لوقف تفتيت المصالح العربية ازاء المخاطر التي تهدد المستقبل العربي برمته ، يجب ان تقود الى مناقشة جادة لامكانية البديل العربي بل وحتميته

13/ ولعل الرفض المبدئى المطلق للبديل الشرق اوسطي كنظام او منظومة امنية .. الخ انطلاقا من الثبات على مبادئ النظام القومي العربي يمكن ان يمثل هذا الموقف نقطة البدء لتجاوز الحالة الراهنة شريطة ان يتلازم ذلك مع امتلاك استراتيجية كبرى (عليا) لبديل مستقبلي عربي .

14/ ويمكن وضع شروط عامة لتجاوز الوضع الراهن الى البديل القومي لعل اهمها حل التناقض بين القطرية ومافوق القطرية جدية المشاركة الشعبية الالتزام بمشروع تنموى قومي في مدى زمني محدد يجمع اقصى عدد من مصادر الثروة العربية ، تطوير مؤسسات النظام العربي لمواجهة التحولات الاقليمية والدولية ، ابتداع آليات جديدة للارتقاء بالعمل العربي .

15/ ان البديل العربي وشروط انجازه لايجب النظر اليه على سبيل الحلم الطوباوي او ممارسة الترف الفكري ولكن على اساس انه في ظل اي بديل آخر ستكون الهوية القومية والمستقبل العربي واقعاً تحت خطر مزدوج يتمثل في الذوبان التدريجي في اقطار الجوار والتهدد بالانفجار الداخلي

16/ على ان عملية بناء البديل تتطلب بداية مراجعة نقدية شاملة لمفاهيم الاداء العربي خلال المراحل السابقة وان تحدد الاولويات طبقا لحسابات واقعية دقيقة وان تكون العملية برمتها نتاج حوار ديمقراطي حقيقي وموضوعي والتعامل مع الواقع بثقافة معرفية واسعة الافق تتجاوز الجمود الايديولوجي والدوجمانية ولكن دون الوقوع في شراك الواقعية الساذجة او حبائل الانتهازية

17/ ولابد من التسليم بان الاخذ بأي نموذج وحدوي كمثل أعلى لتطوير السياسات والعلاقات العربية لايحتم الانتقال اليه مباشرة قبل تكثيف المصالح العربية المتبادلة وخلق حسن التوحد عمليا وتدريجيا ولكن مع ضرورة تجاوز محظور تأجيل الاقدام على الدخول لحظة الخيارات المصيرية الى الوقت غير المناسب ودون اجبار اوضاع طارئة يكون زوالها داعيا للتقهقر عن الخطوات التي تم انجازها

18/ ومما لاشك فيه ان البديل العربي قائم بقوة الكمون بكافة عناصره عبر الجماهير صاحبة المصلحة والمؤسسات والمشروعات والاتفاقات والمفكرين القوميين والمطلوب الان اتاحة المجال لحركة فرعية مخططة مبادرة باتجاه ترجمة هذا البديل الى دافع بدءاً بالممكن ، وصولا للامثل

تعظيما لعناصر القوة وتحجيما لمظاهر الضعف والانكسار

19/ ان الاعتراف بوجود معوقات امام انطلاق مسيرة الاندماج الاقتصادي العربي فضلا عن السمات السلبية المشتركة بين اقتصاديات الاقطار العربية من تخلف وتنافس وتبعية وتكامل في خدمة الاجنبي لايعني ذلك كله التقاعس عن الاقدام على انجاز البديل العربي

20/ ولعل نظرة تقويمية على مسيرة الاندماج الاقتصادي العربي منذ ان قامت جامعة الدول العربية هي ضرورة لازمة للخروج بالدروس المستفادة من الماضي قبل استشراف المستقبل بنفس الدرجة التي يستوجبها عدم الانفصال عن حقائق الواقع على الانكون اسرى له .

21/ واذا كانت مسيرة الاندماج الاقتصادي العربي تتمتع على المستوى النظري والتنظيمي بقدر من البريق فانه على المستوى العملي والاجرائي ثمة سلبيات عدة قادت الى وصول هذه المسيرة في المحصلة النهائية على ارض الواقع الى نتائج متواضعة مقارنة بالاهداف التي تم تحديدها

22/ لقد غاب التصور التنموي الذي يربط القطري بالقومي ولم تستند كثيرا من المشروعات العربية المشتركة الى المعايير السليمة للاندماج الاقتصادي فضلا عن تواضعها بما لايتناسب مع حجم المشاكل التي تعاني منها الاقتصادات العربية او الطاقات والموارد الهائلة التي تحوزها على السواء ثم هناك الافتقار الى عنصر التنسيق الحقيقي والتباطؤ في تنفيذ المشروعات العربية المشتركة التي تم الاتفاق على انجازها هذا الى جانب عدم توافر الارادة السياسية الكامنة وعدم القدرة على استيعاب اهداف ومفهوم الاندماج على الصعيدين (العملي والعلمي)

23/ ادى ذلك كله الى تعاظم تأثير الفكر المضاد لمفهوم الاندماج الاقتصادي العربي وكان ذلك في جانب منه نتيجة وسبباً في آن معا للصعوبات العديدة التي واجهتها فكرة الاندماج والاخفاقات المتتالية في تحقيق الاهداف المنشودة

24/ ان التحدي القائم بشأن دفع الاندماج الاقتصادي العربي . كان في حاجة الى وقفة تقويمية قبل القيام بأي محاولة لوضعه على مساره الصحيح على ان هذا التحدي يعد تحديا مزدوجا فهو : اولا تحدى للذات العربية لتجاوز سلبيات و معوقات شهدتها مراحل سابقة ثم انه ثانيا تحد لشروع السوق الشرق اوسطية ويفرض ذلك توخي الدقة والحرص في انتخاب البدايات حتى وان كانت متواضعة كمدخل للاندماج الاقتصادي العربي .

25/ ان الامر لايرتبط بالطموحات المشروعة او مواجهة خطر داهم بل ان المسألة اخطر واعظم فاي قرار عربي يتصل بمستقبل الاندماج الاقتصادي لابد ان يضع في الاعتبار تأثير الاسواق العالمية الكبرى والشركات المتعددة الجنسية التي تحكم العالم بأسره فالاقتصادات القطرية العربية مكبلة بعشرات العوائق الاقتصادية والادارية والقانونية فهي مكيفة اصلا لتصب في اتجاه الاقتصاد العالمي المهيمن ارسالا واستقبالا

26/ ان القبول بالحد الادنى او بالدرجات الاولى على سلم الاندماج الاقتصادي يحتم بالتالي مد البصر الى الامام لتحصيل رؤية لها قدر من الشمول على المستوى التخطيطي بهدف الارتقاء خطوة خطوة بعملية الاندماج وفي هذا الاتجاه فان استكمال مقومات اتفاقية الوحدة الاقتصادية اصبح امراً لامناص من انجازه قبل التفكير في اي خطوة تالية وعلى ذلك يجب ان تنضم الى هذه الاتفاقية الدول العربية التي لم تنضم اليها بعد والامر ذاته ينسجم على اتفاقية السوق العربية المشتركة إذا ان الالتزام بتفعيل الاطر المؤسسة يصبح ضمانة اساسية للخطوات العملية التالية .

27/ ان التخطيط لبناء تجمع اقتصادي اقليمي عملاق في الوطن العربي وفقا لمبادئ الاستراتيجية الاقتصادية العربية الشاملة التي تضمنها تقرير الامين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية للدورة العادية رقم **58**في ديسمبر **93** يمكن ان يمثل الحد الادنى الذي يمكن ان تتراضى عليه كل الاقطار

العربية ، وقد تم في ختام اعمال هذه الدورة الاتفاق على انشاء اول منطقة تجارة حرة بين الدول العربية طبقا لخطة زمنية تتراوح بين خمس وعشر سنوات

28/ اذا كان هناك من ينظر لهذه الخطوة على انها تمثل تراجعا باعتبارها اول مراحل الاندماج الاقتصادي بعد مرور اكثر من **30** عاما على اتفاق مجلس الوحدة الاقتصادية على قيام السوق العربية المشتركة فانه يمكن النظر للامر من زاوية ان انشاء منطقة التجارة الحرة اتجاه يرتبط بمفردات الواقع القائم بعد ان حملت الطموحات العربية في السابق ماهو فوق طاقة الواقع بعيدا عن المنهج العلمي والسبل العملية .

29/ على ان الطرح السابق لايجب ان يصادر على التطلع الى اشكال ارقى واكثر فاعلية على طريق الاندماج الاقتصادي العربي مع المزج بين التدرج والتداخل فيما بين البدائل الداعمة لعملية الاندماج والاتحاد الجمركي كمثال صيغة تسمح باختلاف السياسات الاقتصادية فيما بين الاقطار العربية ولكنها تحقق وضع الخطوط العامة التي توجه السياسة الاقتصادية للاقطار العربية الداخلة فيه .

30/ وكأمثلة اخرى للبدائل المتدرجة المتداخلة هناك : تطوير دور المجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي وتعزيز الادارة العامة للشؤون الاقتصادية بالجامعة العربية ، والتنسيق بين مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك عبر اعادة تحديد دور كل المنظمات والهيئات العاملة في هذا الحقل وتشجيع المشروعات العربية المشتركة بين مؤسسات القطاع الخاص

31/ ان التنسيق العربي في مجال العلاقات الخارجية مع التجمعات الاقتصادية لابد ان يمثل احد المحاور الرئيسية للتحرك الموازي على صعيد الجهود الاندماجية وذلك بهدف الحصول على اكبر قدر من المزايا التفضيلية اذ ان تنوع العلاقات الاقتصادية الخارجية للمجموعة العربية مع التكتلات الاقتصادية الكبرى يتيح للاقتصادات العربية درجات اكبر للمساومة والمناورة وهو مايعود على الاقتصاد العربي في مجمله بفوائد اكبر في هذه المرحلة من مراحل بناء البديل العربي

32/ يمكن التركيز مرحليا على احد قطاعات الاقتصاد العربي عبر تنسيق في مجال الزراعة لتحقيق الامن الغذائي مثلا او التكامل في الصناعات الحديثة من خلال مجال التصنيع العسكري كمثال آخر وذلك دون تجاهل بقية القطاعات كمقدمة لبرنامج اشمل شريطة ان يجمع هذا الخيارين الاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية ويحقق نتائج محفزة تدفع لخطوات تالية لمسيرة الاندماج الاقتصادي العربي

33/ ان الامر يتطلب اذا ادراكا واقعيا من خلال منهج علمي لفهم الظواهر لا التسليم بما هو قائم او الخضوع لما يفرض ادراكا يبتعد عن المبالغات والمطلقات يتطلب الامر كذلك تواجد الارادة السياسية المسلحة ببصيرة صافية وعلى هذا فانه حتى اذا فرضت بعض المتغيرات الدولية والاقليمية على بعض الانظمة العربية القبول تكتيكيا بوضع اسرائيل كأمر واقع فان ذلك لايجب ان ينتقص من حق العرب كافة في تحقيق ذاتهم ودعم مؤسساتهم القومية وكذلك المبادرة الى خطوات جادة وغير تقليدية على طريق انجاز الاندماج الاقتصادي العربي في مواجهة السوق الشرق اوسطية .

34/ في هذا الاطار يمكن اعطاء اولوية في النقاش للاجابة على الاسئلة الرئيسة التالية .

ماهي نقطة الاتفاق المشتركة (الارتكازية) التي تمثل حدا يمكن التراضي عليه اجماعيا والانطلاق من عندها نحو بناء البديل العربي ؟

مامدى واقعية فكرة البديل القومي ؟ وكيف يمكن التوظيف الايجابي لآثار المتغيرات الاقليمية والدولية خاصة دعوة الاعتماد المتبادل وتسارع العولمة على طريق انجاز البديل القومي ؟

هل يقود التكتيك العملي والمتدرج الى ضياع الخط الاستراتيجي الساعي للارتقاء بخطوات الاندماج الاقتصادي العربي الى ذروتها ؟

تطوير الهيكل المؤسسي القائم للعمل الاقتصادي العربي : تحدٍ ام امكانية ؟

الشرق اوسطية محاولة لاجتثاث الهوية

د . محمد مورو / مصر

بحث في المخاطر المحتملة

في التعامل المنهجي مع مصطلح الشرق اوسطية .. وكذا مع آلياته واهدافه القريبة والبعيدة ينبغي ان نهتم اهتماما مبكرا بتجريد المفهوم مما لحقه من سوء فهم وتصور سواء بسبب رد الفعل السريع تلقائياً ضد المصطلح كنوع من المقاومة الملموسة ولكن غير الواعية لهذا المفهوم.

الشرق اوسطية نسبة إلى الشرق الاوسط وكلمة الشرق الاوسط ليست جديدة بل هي قديمة قدم الاستعمار والمخططات الاستراتيجية الغربية للمنطقة واستعمال المصطلح اساسا يدخل في صميم حرب الهوية لأنه جاء بديلاً عن استخدام المنطقة العربية او المنطقة العربية الاسلامية اي اعادة التقسيم الجغرافي للعالم حسب متطلبات الاستراتيجية الغربية الاستعمارية وهكذا فالمصطلح يعكس مبدأ ثقافيا قبل بعده السياسي او الاقتصادي او العسكري وهو جزء من خطاب طمس الهوية ..

وكذا مصطلح السوق الشرق اوسطية وهو مصطلح إلى حد كبير أو قل انه يمثل الجزء الطافي من جبل الجليد ، فالمصطلح بمعنى السوق وهو في الحقيقة يحمل ابعادا حضارية وثقافية ومحاولات لاجتثات الهوية حيث يشكل السوق الاقتصادي احدى آلياتها بل لعله من الممكن الايقام سوق اصلا كما يقول الدكتور عصمت سيف الدولة في مداخلة له في ندوة السوق الشرق اوسطية التي نظمتها مجلة منبر الشرق (1) .

وحتى مصطلح السوق الشرق اوسطية ليس جديدا تماما فقد استخدمته المنظمة الصهيونية الامريكية عام **1945** في دراسة لها بعنوان (الاتحاد الشرق اوسطي)(2) قدمت فيها افكارا حول تنمية مشتركة لشبكة المواصلات والسياحة والتجارة والاسواق المالية في المنطقة عن طريق تعاون عربي يهودي(3) ويمكننا ان نلاحظ نفس الافكار فيما طرحه د . مصطفى خليل رئيس الحزب الوطني في مصر مع شيمون بيريزحول مشروع مارشال - الشرق الأوسط - وكذلك في الوثيقة التي اعدتها وكالة التنمية الدولية الامريكية في الثمانينات تحت عنوان (التعاون الاقليمي في الشرق الأوسط)(4) وكذا اقتراح بريمنسكي مستشار الأمن القومي الامريكي الاسبق حول قيام اتفاق بين دول الشرق الأوسط على غرار مؤتمر الأمن والتعاون الاوروبي يضم كل دول المنطقة وعلى نفس المستوى والطريقة وهناك افكار واقتراحات لكل من هنري كيسنجر وجيمس بيكر وغيرهم ..(5)

وهكذا فالتصور ليس جديداً ولكن الجديد في المسألة هو تبني اسرائيل للموضوع وطرحه كسياسة اسرائيلية ثابتة تحظى بموافقة امريكية غربية ، وهو ماعبر عنه شيمون بيريز وزير

الخارجية الاسرائيلي في كتابه الشرق الاوسط الجديد .

وهذا فلسنا امام سوق اقتصادي .. بل محاولة لاعادة هيكلة حضارية وثقافية للمنطقة بادماج اسرائيل فيها ، وكذا لسنا امام شيء جديد ، ولكنه تطور كمي ونوعي في اطار الصراع بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية وليس الشرق اوسطية أو اسرائيل إلا احدى اخطر تحدياتها .

السياق التاريخي

لاتستطيع ان تفهم الشرق اوسطية كمفهوم شامل الابالاستناد إلى جذور الصراع الطويل بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية وهوصراع يضرب في التاريخ والجغرافيا بدءاً من الرسالة المحمدية وحتى اليوم .. انه صراع بين حضارة تقوم على التوحيد والعدل والحرية واخرى تقوم على القهر والنهب والعنف وهو صراع طبيعي وحتمي ، في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حدثت اربع مواجهات مع الروم وحلفائهم مرة في دومة الجندل ومرة في مؤتة ومرة في موطن قبائل قضاعة ومرة في تبوك(6) .

وفي آخر حياة الرسول صلى الله عيله وسلم تم تجهيز جيش اسامة بن زيد للذهاب إلى قتال الروم ، ولما مرض الرسول صلى الله عليه وسلم تعطل خروج هذا الجيش وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كلما افاق من وطأة المرض يوصي بانقاذ جيش اسامة(7) وهذا ادراك رسالي لخطورة واهمية وامتداد الصراع مع الحضارة الغربية .

ولم يتقطع هذا الصراع منذ وفاة الرسول حتى اليوم في كل مكان تقريبا في الشام ومصر في المغرب العربي في الاندلس في اوروبا ذاتها ، ثم المرحلة الاستعمارية ثم اخيراً اسرائيل التي هي في احدى صورها نوع من التحدي الحضاري للأمة الاسلامية وهي تعبير عن الصراع بين الحضارة الاسلامية والحضارة الغربية ، وهي محصلة لتحالف جديد بين اليهود والغرب لضرب محاولات الصعود الحضاري الاسلامي حيث ان الغرب المتصارع دائمًا مع الحضارة الاسلامية وجد في اليهود مطية يستخدمها في هذا الصراع ووجد اليهود الحاقدين دوما على الاسلام في الغرب رغبة استغلوها في اقامة دولتهم على انقاض شعب فلسطين(8) .

والموالاة والتحالف بين اليهود والغرب هي حالة تاريخية جديدة حيث ان تاريخ الصراع والاضطهاد بين اليهود والغرب طويل جدا ولم يظهر هذا التحالف إلا في القرن الحالي فقط وقد شن هذا التحالف بظهور تفسيرات مسيحية برءتستاتنية وكاثوليكية تبرر التعاون مع اسرائيل أوتسقط دم المسيح عن كاهلهم .

وبسقوط الاتحاد السوفييتي السابق فإن التحالف اليهودي الذي اصبح واضحا ومحددا في اتجاه اجتثاث جذور الحضارة الاسلامية فالغرب يستهدف اعادة تنميط العالم وفقا لمفاهيم وقيم محددة تبيح له اقصى حد من السيطرة والنهب (9) بل وتحويل البشر إلى كتل هلامية بلا هوية والوصول بها إلى حالة ادمان الخضوع بمعنى ان يصبح الخضوع مطلبا لكل شعوب العالم تحت اسم التحديث والعلمنة والعصرنة وغيرها من المصطلحات وفي هذا الاطار ينبغي ان نفهم الشرق اوسطية الجديدة كسوق وكحالة لتحقيق إبادة واجتثاث الهوية والخضوع في النهاية للغرب .

لو اخذنا المسألة في سياقها التاريخي ، لوجدنا مسألة ابادة الهوية الحضارية لبلادنا مطلباً استعماريا ثابتا مارسه الاستعمار بنفسه ثم اوكل عنه عددا من المثقفين والأحزاب العدوانية التي استنبطت التبعية الحضارية وبشرت بها وتطرقت في غربيتها حتى اصبحت اكثر غربية واوروبية من الاستعمار نفسه وفي هذا الاطار يمكن ان نرصد الدعوات الاقليمية والطائفية والانعزالية كالدعوة إلى الفرعونية والفنيقية والاشورية ثم الدعوة إلي ثقافة البحر المتوسط(10) ثم النعرات الطائفية المقرفة ثم اخيرا الدعوة إلى الشرق اوسطية ، والتي تستهدف الخروج من الانتماء العربي الاسلامي إلى الانتماء الشرق اوسطي الذي يجعل العربي مثل الاسرائيلي ينتمون إلى نفس الهوية أو اللاهوية إذا صح التعبير وعلينا ان نرصد في هذا

الاطار تغيير مناهج التعليم في عدد من البلدان العربية بحيث تخدم هذا الاتجاه وبحيث تقطع الصلة بالماضي والحضاري وتحذف كل مايؤكد على الهوية العربية والاسلامية وخلق مايسمى بإنسان معاق وهو في الحقيقة مسخ شأنه وكذا الاغراق الاعلامي والاعلاني باتجاه تجريد الانسان من كل بعد سوى البعد الاستهلاكي والحسي ووصل الأمر إلى أن احدهم لخص الأمر في ان الهدف هو تحقيق الاشباع الاقتصادي وان الهوية تفوق التنمية الاقتصادية .

يقول الدكتور عبدالوهاب السيري(11) (انا اعتقد بأن اتفاقية غزة - اريحا والسوق الشرق اوسطية مطروحة في هذا الاطار بمعنى ان العالم في نهاية الامر كله مادة استعمالية والبشر مادة استعمالية ، وبالتالي فأنا اعتقد انه نظام شرق اوسطي عسكري وسياسي واقتصادي واجتماعي واخلاقي وقيمي ولكن مع هذا نجد ان الصورة الاساسية في هذا النظام هي السوق بمعنى ان ينظر إلى الأوطان باعتبارها معالم سياحية وفنادق وسوق استثمارية وينظر إلى الانسان ليس باعتباره كائنا مركبا استخلفه الله في الكون وانما باعتباره مادة استعمالية ينتج ويستهلك حسب آليات مادية كبرى تتحكم فيه وفي احلامه .

بيريز يلتقط الخيط

ادرك بيريز مبكراً ان المرحلة الراهنة هي مرحلة محاولة اجتثاث الهوية الاسلامية من العالم ، باعتبار ان الاسلام دين وحضارة هو اخطر قوة حضارية تستطيع مواجهة التحدي الغربي الامريكي الذي يريد الهيمنة على العالم نهائيًا عن طريق اعادة تنميط الانسان وكان لابد لبيريز من ابانة استغلال هذا السلوك الغربي والاستفادة منه اسرائيليًا إلى اقصى درجة يقدم بيريز نفسه واسرائيل واليهود كوكيل لاداء هذه المهمة بحيث تصبح اسرائيل هي القوة الاقليمية الكبرى القادرة على تنفيذ المهمة ، وهو بهذا يحقق عدة اهداف منها ان اجتثاث الهوية العربية الاسلامية يعني مسخ الاسلام وتحويله إلى كائن هلامي لايستطيع مواجهة اسرائيل ولايجد مبررا لذلك وبذلك وفي ظل تفوق عسكري اسرائيلي ومظلة نووية فإن المنطقة تخضع عسكرياً وسياسيًا واقتصادياً لاسرائيل ومنها ان اسرائيل بهذه الطريقة تدمج نفسها عن قدرة واستقلال وارادة في النظام الدولي الجديد بحيث تصبح احد اللاعبين الكبار تتناول ثمار هذا الأمر سياسيا واقتصادياً ومنها ان تمحو الصحوة الاسلامية وما افرزته من منظمات مجاهدة تشكل خطراً على اسرائيل مثل حماس والجهاد الفلسطيني وحزب الله في لبنان.

وهكذا طرح بيريز تصوره وجهز خططه وقدم لاسرائيل وللعالم الغربي في نفس الوقت طرحا جاهزا متماسكا قابلا للتنفيذ وهكذا جاءت افكاره ومشروعاته وتصوراته في كتابه الهام والخطير (الشرق الأوسط الجديد) مع ملاحظة ان هذا الكتاب ليس موجهًا للعرب ، بل فيه الكثير من الاهانات لهم ، ولكن ينبغي على كل حال قراءته عربيًا وفهم العدو جزءًا من مواجهته (الكتاب يؤسس لدور اسرائيلي في المنطقة انتقالا من دور الشرق الاستعماري إلى دور الوكيل الاقليمي الشامل الذي يصبح تدخله هو القاعدة وليس الاستثناء وذلك عن طريق تمليكه مفاتيح الهيمنة الشاملة على مقدراتنا)(12) .

وتدور افكار بيريز على ان العرب مسلمين يشكلون خطراً حتميًا على الغرب فيقول (ان احياء النزعة الاسلامية يتميز بمعارضة القيم والثقافة الغربية والتراجع عن الحداثة) .. مادام الأمر كذلك فإنه يجب اجتثاث الهوية الاسلامية للمنطقة واعادة دمجها وعصرنتها عن طريق الانتماء للشرق اوسطي ، تكون فيه اسرائيل هي القائد والوكيل الاقليمي والغريب ان مثقفين عرباً رددوا نفس الافكار ووصل الأمر بأحدهم ان يوافق على اننا شرق اوسطيون وان كان لم يصل بعد إلى حد انكاره اننا عرب (13) .

المواجهة هي الحل

نحن امة وحضارة نحرص على التعاون بين الأمم بل ان احدى مميزات حضارتنا انها ساهمت في

المحافظة على التراث الحضاري والثقافي للآخرين ولكننا في نفس الوقت نرفض الخضوع الحضاري والاستبعاد الحضاري وطمس الهوية تحت شعار الانفتاح والتعاون .

وأرى ان الحضارة الغربية لاتريد ولاتستطيع ان تتعايش مع الحضارة الاسلامية ، نظراً لأن الحضارة الغربية حضارة عنصرية ولاتستطيع ان تحيا إلا بالقهر والنهب والعنف وان الحضارة الغربية غيرعالمية لكي تستطيع ان تسود العالم طواعية لأن من سمات الحضارة العالمية ان تكون عالمية في قيمتها ومعاييرها ، ولاشك ان الحضارة الغربية عنصرية ومزدوجة المعايير وبالتالي لايمكن ان تكون حضارة عالمية ولاشك ايضاً ان الحضارة الاسلامية نصوصاً وممارسة حضارة عالمية لاعنصرية فيها ولاازدواج معايير وقد اسهم فيها الأبيض والأسود والأحمر ، الافريقي والاسيوي والاوروبي ، العربي والفارسي والتركي ، وهذا يجعلها الحضارة الوحيدة القادرة على سيادة العالم طواعية وليس عن طريق الاكراه ، كما انه تقبل وترغب في التعايش مع الحضارات الأخرى بدون شبهة اكراه وادماج او هيمنة ، وهكذا فلاسبيل لتجنب المواجهة وصحيح اننا في حالة ضعف شديد ولكن سلاح الاستشهاد يمكن ان يعدل المعادلة المختلة لصالحنا وفي كل الأحوال فإن الاستسلام والخضوع يعني النهاية الحتمية لحضارتنا وامتنا اما المواجهة فقد تعني ايضاً الهزيمة وقد تعني الانتصار ولكن حتى في حالة الهزيمة فإن روح المواجهة ستحافظ على الشعلة المتقدة تحت الرمال ستظهر يوما ما ولكن الاستسلام يقتل حتى الجذور والبذور تحت التراب .

الهوامش :

1 ـ ندوة مجلة منبر الشرق في 1993/11/25 والمنشورة في نفس المجلة في العدد (11) يناير 1994 .

2 ـ د . احمد ثابت . مخاطر وتحديات المشروع الشرق اوسطي فصلية مستقبل العالم الاسلامي العدد 14شتاء1995 .

3 ـ د . محمد السيد سعيد . التوزيع الاستراتيجي العربي ،1993 .

4 ـ ماجد كيالي النظام الاقليمي في الشرق الاوسط ومفهوم التسوية الامريكية الاسرائيلية الفكر الاستراتيجي العربي العدد 41يوليو1992 .

5 ـ د . احمد ثابت ، مخاطر وتحديات المشروع الشرق اوسطي .

6 ـ الشرق الأوسط الجديد شيمون بيريز ترجمة دار الجليل ، عمان1993.

7 ـ سيرة الرسول .. الرحيق المحتوم .. المياركغوري دار الوفاء ، القاهرة .

8 ـ د. محد مورو ـ المواجهة بين الاسلام والغرب ـ الدار المصرية القاهرة 1993 .

9 ـ سيرج لاتوش ـ تغريب العالم .

10 ـ محمد محمد حسين ـ اتجاهات وطنية في الأدب المعاصر .

11 ـ عبدالوهاب السيري ـ ندوة المركز العربي الاسلامي للدراسات حول السوق اوسطية، مستقبل الأمة نوفمبر 1993 .

12 ـ عادل لطفي مراجعة لكتاب الشرق الأوسط الجديد شمعون بيريز دار الجليل ـ عمان .

13 ـ لطفي الخولي عرب نعم وشرق اوسطيون ايضاً مؤسسة الاهرام القاهرة 1994.

الشرق أوسيطة
الدلالات والتطورات المحتملة

د . محمد بوعشة / الجزائر

أولاً في المفاهيم .

1 ـ إن مركز مجال «الشرق أوسطية» هو المشرق العربي وتفاعلاته الجيوسياسية والاستراتيجية والجيو اقتصادية والجيو ثقافية .. التى تمتد شرقاً إلى باكستان وافغانستان والجمهوريات الاسلامية المستقلة فى الاتحاد السوفييتي سابقاً ، وغرباً إلي المغرب الأقصى والعديد من البلدان الافريقية وبالأخص المجاورة للبلدان العربية الافريقية ، وأعتقد كذلك أن محرك هذه التفاعلات يبقى النزاع حول فلسطين ومانتج وينتج عنه من تطورات ونزاعات فرعية (حروب السودان ، حروب مصر والعرب مع إسرائيل فى 56 و 67 ، 73 ، حروب لبنان ، الحرب العراقية ـ الايرانية والحرب العراقية ـ الامريكية أو حرب الكويت ، العدوان ثم الحصار الامريكى ـ الغربى على ليبيا ، وحروب الصومال ، الأزمة / النزاع فى الجزائر) وتحولات فى السياسات العربية والدولية .

2 ـ الملاحظة الأخرى فى هذا المجال تنحصر فى العلاقة بين هذا المفهوم «والأمن القومى العربى» بمعنى هل هناك تأثيرات لـ(الشرق أوسطية» على الأمن القومى العربى ؟ وهنا أيضاً أرى أن هناك أهمية فى تحديد معنى «الأمن القومى العربى» قبل تحديد طبيعة العلاقة بينه وبين «الشرق أوسطية» فمفهوم الأمن القومى بشكل خاص يبقى غامضاً ، زد على ذلك أن لكل نظام مفهومه الخاص بهذا الشأن ، بل انه يرى الأمن القومى العربى عادة بنظرة قطرية ، أى كيف يمكن استعمال (أو استغلال) هذا العامل لتعزيز الأمن الفردى لاغير ؟

3 ـ على هذا الأساس يمكن فهم طبيعة العلاقة بين «الشرق أوسطية» والأمن القومى ، وهى أن «الشرق أوسطية» بالمعنى المحدد أعلاه لايحتل إلا مكانة ثانوية فى غالبية السياسات العربية بسبب استعمالها كورقة للاستهلاك الداخلى مثلها مثل مسألة الأمن القومى العربى تماماً أو أكثر .

4 ـ وتبين الخبرة التاريخية للخمسين سنة الماضية ، وهو عمر الدولة الإسرائيلية تقريباً ، أن العرب عموماً لم يربطوا بين «الشرق أوسطية» والأمن القومى للعالم العربى رغم أن الصلة بينهما واضحة ولاتطرح ـ بالمعنى الإستراتيجى للمسألة أي التباس ، فى حين أن إسرائيل ربطت بين الاثنين وفكت رموز كل واحد للقياس بدقة أثر الواحد على الآخر فأثر كل ذلك على الأمن القومى الإسرائيلى ، ومن ثم اتخاذ الإجراءات المطلوبة للتخفيف أو التحكم فى الآثار السلبية التى قد تلحق بتل أبيب ، طبعاً لشل كذلك أى تحرك عربى مدرك للضعف الإسرائيلى ولأبعاد العلاقة الوثيقة بين «الشرق أوسطية» والأمن القومى العربى ككل ومن هناك إمكانية تهديدها للأمن الإسرائيلى .

5 ـ هل هذا سيتواصل ؟ نعتقد أن تحولات عميقة وعنيفة تهز العالم العربى فى العشرية المقبلة (الفترة يمكن أن تطول) ، ولاشك أن هذه التحولات ستقودها قوى جديدة بعد إفلاس القوى التقليدية (الجبهات القطرية ، والبعثية والعشائرية) ويبدو أنها ستكون مرحلة تهيمن فيها الحركات الإسلامية بالتحالف مع بعض القوى التقليدية (الحليف المرحلى) وقد تتسبب فى «تثوير العقول» وتغيير العديد من المفاهيم ، وهو ماقد تخشاه إسرائيل مما قد يجعلها تتحرك لاسيماعبر شبكتها الدولية ـ

مثلما فعلت مع حركات تقليدية - لتشجيع أو مساعدة الحركات «الجديدة» للاستيلاء على السلطة بهذه الطريقة أو تلك بغية إشراكها فى اللعبة أو العملية السياسية وفقا للمنظور المستقبلى الإسرائيلى - الامريكى فى «الشرق أوسطية» فهذا قد يؤدى إلى مراجعة هذه الحركات نفسها وسياستها التى كانت تؤديها وهى فى المعارضة ترك جانب مسألة الأمن القومى العربى ، لأن المسألة الإستراتيجية قد تصبح كيف يمكن الاستمرار فى السلطة أو الحفاظ عليها ، تماماً كما حصل لحركات عربية عديدة سابقة ..

6 - هكذا قد تتطور المسألة ، ولكن قد لايتم ، وهو احتمال وارد كذلك ، وفقاً لهذا المسار ، بل قد تؤول الأمور «الشرق أوسطية» إلى نهج يمكن أن يوصف بالتطرف (مقارنة بالمناهج السابقة) ، خاصة فى حالة مسألة الأمن الإسرائيلى وطرح مفهوم بديل للمفهوم التقليدى للأمن القومى العربى على النحو المحدد أعلاه .

ثانياً : فى الدلالات .

دلالات عديدة يمكن تسجيلها ، منها التى بدأت تتشكل ومنها تلك التى قد تظهر مستقبلاً ، وهى جميعها تبرز التحولات العميقة التى يمكن أن تتم وفقاً لما أشرنا إليه أعلاه . ومن أهمها :

1- تتواصل هيمنة ماصطلح على تسميته بـ«السلام الإسرائيلى» : إضافة إلى تعميق اتساع مجاله ونفوذه السياسي والأمنى فى الدول التى تعاملت وتتعامل معه مصر ، حركة فتح الفلسطينية ، الأردن ، وبعض دول الخليج [الإطار الاقتصادى والتجارى] فإنه سيشمل دولاً عربية عديدة أخرى ، وأن سبب تأخر التحاقها يفسره «المناورة» أو الخوف من فقدان كل شئ بما فيها بعض المناطق التى قد تحتفظ بها إسرائيل تحت هذا السبب أو ذاك بالمفاهمة أو عدم المفاهمة ، وهناك دول أخرى ، خاصة منها البعيدة جغرافياً عن تل أبيب ، سوف تأخذ الوقت الكافى لالتحاق النهائى بـ«قافلة السلام الإسرائيلية» وذلك لتحضير شعوبها على ماستؤول إليه لا محالة .

2 - المسألة إذن بالنسبة لهؤلاء وأولئك مسألة وقت لاغير ، فـ«السلام الإسرائيلى» سيتطور وفقاً لمنحى تصاعدى ليمتد إلى الشرق والغرب ، وإلى الشمال والجنوب من العالم العربى ، ولكنه سوف يبقى بحاجة ماسة ، حتى يحقق مراده هذا ، إلى استمالة «الشرق أوسطية» استمالة «تامة» له ، باعتباره القلب الذى يتحكم فى نجاح أو عدم نجاح استراتيجية السلام الإسرائيلى .

3 - غير أن هذا قد لا يحصل إطلاقاً فإذا كانت لحكومات وفئات اجتماعية معينة قد تعاملت (ولازالت) مع «السلام الإسرائيلى» أو ستتعامل معه لاحقاً ، فإنه لايمكن القول بالنسبة لقوى سياسية واجتماعية أخرى التى تطمح إلى السلطة ، بل قد تكون وسيلتها فى ذلك ، من بين أخرى ، رفض «السلام الإسرائيلى» ذاته .

لذلك فاستمالة العالم العربى بصفة «شاملة» غير واردة - على الأقل فى الظروف الراهنة والمنظورة فى الأمدين القريب والمتوسط ، وهو ماتخشاه إسرائيل لأنه قد ينعكس سلباً على مستقبلها ، بما فيها مستقبلها كدولة فى المنطقة على المستوى البعيد .

4 - ستظل إسرائيل تخشى التقلبات التى تحصل أو ستحصل فى المنطقة العربية ، وخاصة التى تتم بعيدة عن مرأى تل أبيب أو تلك التى تكون من ورائها قوى تبرز بغموضها وتحفظها على السياستين العبرية والامريكية سواء فى استراتيجية مدروسة أو دون ذلك (كما كان الأمر عند فريق 23 يوليو المصرى) : فالغموض يربك الاستراتيجية والتحفظ يجعل منها قوى قابلة للتطور نحو احتمالات قد تكون غير منتظرة إطلاقاً (أو على الأقل هكذا قد تبدو) ، وهو مالاترتاح له إسرائيل والبعض من حلفائها كذلك ، مما قد يجعلها تحت ضغوطات نفسية شبه دائمة .

5 - استفحال التفكك والتطاحن داخل معظم المجتمعات فى العالم العربى ومابين البلدان العربية ، وقد يؤديان إلى سبيلين متناقضين : إما أن يؤول

هذا التفكك / التناحر فى آخر المطاف إلى سيطرة إسرائيلية واضحة (بالتعاون مع أمريكا) على «الشرق أوسطية» ومن ثم هيمنة على أجزاء عربية أخرى ، هيمنة قد لاتختلف كثيراً عن الإستعمار التقليدى ، من هذه الزاوية قد يصبح مايسمى بـ«الأمن القومى العربى» من اختصاصات الدولة العبرية ، وعليه قد يحمل اسم «الأمن القومى العربى ـ الإسرائيلى» وبهذا المعنى تصبح إسرائيل تحسب حسابات للدول الأجنبية التى يمكن أن تنافسها أو تقلص من نفوذها فى العالم العربى ، وإما أن تنتهى ، وهو الوجه الآخر إلى قطيعة حقيقية فى المفاهيم والسياسات السابقة والتحالفات ومابين القوى ، فيظهر بعدها إطار لبناء مجتمعات حديثة وقوية ومسلحة بالعلم ، بعيدة عن العاطفة فى معالجة الأمور والمسألة «الشرق أوسطية» وإسرائيل وعن المصالح الضيقة ، وواضعة الدولة فى خدمة المواطن العربى وقضاياه المصيرية والاستراتيجية (المستوى المتوسط البعيد) ...

6 ـ تجسيداً لماقيل أعلاه ، فإن المنطقة العربية قد تشهد تسابقاً واحتدام تنافس عربى ـ عربى بشأن اعتناق «السلام الإسرائيلى» لأسباب مختلفة : الانتقام (العراق) ، الحماية (الأردن ولبنان لاحقا) ، الدعم الامريكى (مصر) ، الاستقرار (دول الخليج) ، التطبيع والتجارة (المغرب وتونس) وقد يرافق ذلك ظهور مصطلحات تعبر عن واقع معين مثل «السلام العربى ـ الإسرائيلي» «المنطقة العربية ـ الإسرائيلية» «الأمن العربى ـ الإسرائيى» «التعاون العربى ـ الإسرائيلى» «الصداقة العربية ـ الإسرائيلية» وهلم جرا .

7 ـ وستهيمن فى هذه المصطلحات أسبقية كلمة «الإسرائيلية» على «العربية» بسبب العلاقة الوثيقة بين مراكز ومخابر صنع المعلومات والدعاية والإعلام من ناحية والحركة اليهودية العالمية من ناحية أخرى ، وواضح أن دلالات ذلك قد تعنى هنا «أسبقية» إسرائيل كتاريخ وحضارة وأيضاً كدولة راقية وديمقراطية وما إلى ذلك (بالمقارنة مع العرب) والغريب أن وسائل إعلام عربية قد تعتنق هذه المصطلحات كما هى ـ مثلما حصل مع قضايا أخرى فى السابق ـ بالرغم من المغالطات التى تحملها ، وبالتالى تتولى الدعاية للنموذج الإسرائيلي بوعى أو بدون وعى ...

8 ـ تراجع النفوذ السياسي للاتحاد السوفيتى سابقاً وكذلك للصين ولكن روسيا الفدرالية سوف تحاول استعادة بعض نفوذها اعتماداً على التجارة والاقتصاد وأستغلال التناقضات التى قد تحدث فى العالم العربى وخاصة بين الدول الغربية الكبرى من ناحية وبينها وبين الأنظمة العربية وإسرائيل من ناحية ثانية ..

على هذا الأساس سوف تتدخل روسيا فى السياسة «الشرق أوسطية» بالعالم العربى ووفقا لهذا قد يحدث الانسجام أو عدم الانسجام مع القضايا العربية ، وبمعنى آخر فإن حسابات مصلحية اقتصادية بحتة هى التى ستحدد الاستراتيجية الراهنة والمستقبلية فى «الشرق أوسطية» والعالم العربى عموما ، وليس على أساس أيديولوجى أساساً كما كان الأمر سابقاً .

وهو الأمر ذاته الذى بدأ الصين يسير وفقاله منذ سنوات ...

9 ـ ظهور تنافس دولى بثياب جديدة بخصوص السيطرة على السوق «الشرق أوسطية» وسوف يشتد هنا التنافس بين بعض العرب وإسرائيل والدول الكبرى ، وإذا كانت إسرائيل وأمريكا سيحتلان الدور الأول فى هذا ، فإن تنافساً حاداً قد تشهده المنطقة بين مصر وإسرائيل ، وأيضاً بين امريكا وفرنسا والصين واليابان وبريطانيا ، وإضافة إلى ما اصطلح على تسميته بـ«النسور الخمسة» فى آسيا (تايوان ، هونغ كونغ ، تايلاند ، ماليزيا ، سنغافورة)

ثالثاً : فى التطورات المحتملة

يمثل العالم العربى مجتمعات غير قادرة ومتحولة باستمرار بفعل جملة من العوامل ـ الداخلية والدولية ، وهى على كثرتها (التحولات المحتملة) يصعب حصرها ومنها نرى :

1 ـ هيمنة النموذج الاقتصادي / التجاري الإسرائيلي في المراحل الأولى من سيطرة «السلام الإسرائيلي» ، وتحكم إسرائيل بالتالي في قدرات اقتصادية عربية معتبرة وهي فرصة لن تضيعها إسرائيل لبناء قاعدة متينة مع أرباب العمل العرب . وهم الحكومات عادة ـ وإقناعهم بجدوى هذا النموذج في التخلص من التخلف ومن ثم من القلاقل الاجتماعية التي تواجههم ، على أن الهدف لديها سوف لن يكون أبعد مما فعلته في افريقيا وهو ـ بالإضافة إلى المكاسب والارباح الاقتصادية التي ستجنيها ـ محاولتها خلق قوى قوية وفاعلة موالية لها يمكن الاعتماد عليها عند الحاجة وأثناء الظروف الصعبة ، تماماً كما حدث مع الأفارقة وقت «قطع» العلاقات الدبلوماسية مع تل أبيب . وهذا قد يوضح أن إسرائيل سوف يظل يراودها الشك في العلاقات التي تجمعها بالعرب ، بما فيها تلك التي تجري في إطار «العملية السلمية» الحاصلة حالياً أو قد تحصل مستقبلاً .

2 ـ استمرار وتعميق العنف وانتشاره زمانا ومكانا في العالم العربي بالأشكال التي تظهر به حالياً وبأشكال أخرى قد تكون أكثر درامية ، وإمكانية اتساعها إلى أطراف جديدة من بينها الجيوش النظامية أو جناح من أجنحتها ، فتتمرد على الوضع القائم ، تعبيراً عن رفض الاستمرار في تسيير الفشل الاقتصادي والسياسي والايديولوجي الذي منيت به الغالبية العظمى من الأنظمة العربية ، وتعبيرا كذلك عن رفض سياسات الرشوة وتهريب وتبديد خيرات وأموال الشعوب وأخيراً تعبيراً عن الرغبة في ظهور قادة جدد يدركون مصالح أوطانهم ويعملون من أجل إقامة دولة منصفة في الداخل وقوية في الخارج وذات هيبة وسمعة طيبة ورادعة في ذات الوقت مابين الشعوب والأمم .

3 ـ تحول السلطة إلى قوى جديدة بالتحالف مع الجيش ـ مركز هذه السلطة عموماً في العالم العربي . ومن بين القوى المرشحة ، التيار الإسلامي الوطني ، وهذا لسيطرته على فئات اجتماعية واسعة ، لاعتباره القوة الحقيقية الوحيدة حالياً التي تمثل قوى معارضة فعلية بالمفهوم المتعارف عليه ، ولطرحها برنامجاً سياسياً مغاير تماماً للفلسفات السابقة أساسه ديني ووسيلته انفتاح اقتصادي وتجاري ، وغايته وحدة إسلامية فدرالية ـ تتسع إلى دول إسلامية غير عربية ـ يقودها رئيس قد يحمل لقب خليفة (لكن قد يتخلى عن بعضها ـ كما جاء أعلاه ـ عند استلام السلطة ، بل ان البرنامج كله قد يُحورّ ويأقلم مع الأوضاع المحنية والدولية) وللأمل الذي ظل يراود عامة الناس وهو تحقيق أمن داخلي ووطني حقيقي بمفهومه الواسع انطلاقاً من تطلعاتهم في تنمية شاملة وفعلية بما فيها الدولة ذاتها ..

4ـ قابلية سقوط العديد من الأنظمة في المنطقة العربية ، خاصة منها في ـ مرحلة أولى ـ تلك التي لم تتعامل مع «السلام الإسرائيلي» أي تلك الأنظمة البعيدة جغرافياً عن «الشرق أوسطية» وتلك التي لاتحظى بالدعم المالي والأمني اللازم من قبل حلفاء إسرائيل لاسيما أمريكا ، مقارنة بما هو حاصل مع دول مركز «الشرق أوسطية» ولكن أثر هذا السقوط قد يكون ضعيفاً على دول قلب «الشرق أوسطية» بما فيها إسرائيل وبالتالي ستستمر «الشرق أوسطية» كنموذج إسرائيلي أساسا ، لاسيما في أبعاده السياسية والأمنية والاقتصادية ، إلى أن تأتي رياح تغيير ضمن هذا المركز ذاته قد تكون أكثر درامية ، وقد يحصل هذ في مراحل لاحقة قد يطول نسبيا (مع نهاية العشرية المقبلة أو تمتد إلى أكثر من ذلك) . وهذا مرتبط بالطبع حالة استغلال عقلانية هذه التحولات) بقدر القوى التي تأتي بالتغيير الانقلابي في إعادة النظر في المفاهيم والوضع القائم وموازين القوى المحلية والإقليمية بكيفية لاتجرح المنافسين وعلى كسب تأييد أو تحييد بعض الدول الكبرى ، مع القيام بأكثر من حساب لما ستقبل عليه امريكا في مثل هذه الحالات ، وهي حالات لن تكون في معالمها الأولى لصالح إسرائيل ، وقد لاتكون كذلك إطلاقاً

5 ـ تحولّ النزاع في فلسطين وعودة الحروب النظامية الدورية بسبب (من بين آخري) احتمال

فشل استراتيجية السلام التى يطلق عليها حالياً «العملية السلمية فى الشرق أوسطية» ولكن فعالية هذه الحروب ستظل أقل تأثيراً من حروب العصابات فالأولى انتصرت فيها دائماً إسرائيل (بالرغم مما قد يقال بشأن حروب 1973 بسبب تفوقها التكنولوجى وقدرتها العسكرية والاستراتيجية والتنظيم العالى ووحدة القيادة وتطويعها للإدارة الامريكية وفقا لمصالحها .

6 ـ قد يتبع ذلك سقوط منطقة التحرير الفلسطينية بشكلها الحالى ، بل وانتهاء دورها (على ضوء طبيعة المرحلة الجديدة) مثلما حدث للجبهات والتيارات التحريرية فى العالم العربى ، ورحيل رئيس «مقاطعتى غزة ـ أريحا فى ظل الحكم الإسرائيلى «السيد ياسر عرفات» ومع هذا ، فإن الذى سيخلفه سوف لن يخرج فى الواقع (على الأقل فى الأمدين القريب والمتوسط) على القاعدة التى ظل يعمل فى إطارها سابقوه أما الأسلوب والخطاب فقد يتغيران ، والأمر ذاته بالنسبة للشكل الذى سيعطى للمقاطعتين لكن إطارهما العام سوف لن يتغير كثيراً كذلك .

7 ـ وقد تتوسع كذلك الاغتيالات السياسية ، كنتيجة لذلك ، فى الأوساط الفلسطينية والعربية والإسرائيلية ...

8 ـ ويبدو أن الأمل ضعيف فى الأمد القصير فى بروزجيوش عربية قادرة على مواجهة (ولانقول هزم الجيش الإسرائيلى فقد ضاع هذا «الأمل الشعبى» بعد «الإصرار» (أؤكد على هذا مرة ثانية) على تحطيم القدرات العسكرية العراقية ـ رغم نتائج بعض الدراسات العراقية (وغير العراقية) التى ألمحت إلى ذلك فى حالة غزو الكويت أو البقاء هناك ... وبعد تفكيك القدرات المشتركة الجزائرية ـ الليبية لاسيما ابتداء من 1984وطبعاً بعد ماحصل ويحصل لمصر ابتداء من اعتمادها على امريكا لإيجاد حلول لنزاع فلسطين وانتهاء بالدفاع ومحاولة فرض الخط المصرى ـ الأمريكى ـ الإسرائيلى المحدد فى كامب ديفد على بقية البلدان العربية ..

9 ـ لكن حرب العصابات ، فإنها ـ بالعكس ـ قد تلحق بإسرائيل والمتعاونين معها من العرب (فى إطار ما أصطلح على تسميته بـ«العملية السلمية» ، وهى فى الواقع عملية (أحادية الإنجاب) الكثير من الخسائر وعدم الاستقرار ... مما قد يؤدى إلى تعميق الشك فى هذه «العملية السلمية» من قبل صانعيها أنفسهم ، ومن ثم إمكانية استبدال محتواها ولاسيما أساليبها طبعا هذا الشكل من الحروب يبقى مرتبطاً بالمساومات السياسية للأنظمة الحالية وبطبيعة الأنظمة الجديدة التى قد تحل محلها ودورها فى فتح أو عدم فتح حدودها لأداء تلك الحرب انطلاقاً من أراضيها تجاه إسرائيل .

10 ـ على ضوء هذه التطورات قد تستعمل إسرائيل بشكل علنى وجهرى ـ بعد أن ظلت تنفى امتلاكها له ، رافضة بذلك توقيع اتفاقية انتشار مثل هذه الأسلحة ـ السلاح النووى كسلاح رادع ، وإذا كان احتمال استعماله غير وارد ، إلا أنه يمكن أن يستعمل فى حالة واحدة ، أى إدراك قادة إسرائيل إمكانية تهديد أو انهيار دولتهم بفعل ماقد يحدث من تطورات مصيرية داخل العالم العربى .

11 ـ احتمال حصول تدخلات أجنبية قوية تحت مظلة «الدفاع» عن حقوق الإنسان أو «حماية» الأقليات ، أو «انقاذ» حياة المواطنين الأجانب ـ التابعين للدول الغربية أساساً ، أو تحت غطاء هذه العوامل مجتمعة التى قد تحمل هذه المرة ـ كما تم فى شمال العراق مع الأكراد ـ اسم (حق التدخل) أو (التدخل الإنسانى) ولكن وفقا لمنظار آخر بيد أن الأهداف الحقيقية لهذا التدخل تبقى ـ مع سريتها ـ بعيدة كل البعد عن هذه العوامل ومتناقضة فى كل الأحوال والمصالح العليا للبلدان محل هذا التدخل بشكل خاص وللعالم العربى بشكل عام ...

رابعاً : خلاصة

نلفت الانتباه إلى أن هناك تفاعلاً فى هذه الورقة بين المفاهيم وتداخلاً بين الدلالات والتطورات المحتملة فالدلالات مثلاً عادة ماتكون حاملة

لتطورات محتملة وهذه التطورات متى تصبح واقعا فإنها تضحى حاملة أو معبرة عن دلالات جديدة بشأن تطورات مستقبلية وهكذا لذلك قد نجد نوعا من الصعوبة فى تناول أحدهما بعيداً عن الآخر لهذا نشير إلى أنه حفاظاً على التسلسل فى الأفكار أدرجنا أحيانا بعض التطورات المحتملة مباشرة بعد دلائلها .

كما أن كل ماقيل بهذه الورقة ينبغى النظر إليه بتحفظ شديد ذلك أننا نتعامل مع نشاط بشرى يصعب قياسه بدقة حتى وإن تم بعد رصد مخبرى وعلمى .

وأخيراً فإننا نشيد بأهمية مثل هذه الندوات فى تقييم تجارب العالم العربى ورصد مستقبله .

تحديات النظام العربي الراهن والنظام الشرق اوسطي

أ. محمد خنوش / الجزائر

في ظل المتغيرات الاقليمية والدولية خاصة منذ توقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وفي اذار مارس 1979ف تم توقيع الاتفاق الفلسطيني ـ الاسرائيلي في سبتمبر 1993ف، اضافة الى تغيير تفاعلات العلاقات العربية مع دول الجوار الجغرافي تركيا وايران وانعكاسات مؤثرات مايسمى بالنظام الدولي الجديد، اعادت كل هذه التطورات طرح قضية النظام العربي والنظام الشرق اوسطي مجددا، وعلى نحو ملح، وغني عن الذكر بطبيعة الحال ان هذا الطرح ليس جديدا.

وانما هو طرح يمكن رده الى ظهور مفهوم الشرق الاوسط على ايدى القوى الدولية ذاتها التي تتناقض مصالحها مع تجسيد الرابطة العربية بشكل او بآخر بدءاً بمشروع قيادة الشرط الاوسط ، ومرورا بحلف بغداد ووصلا الى مشروع ايزنهاور ور واذا كانت الحركة القومية العربية قد تكفلت الى حين ، بفضل عنفوان المد الذى اتسمت به فى تلك المرحلة ، باجهاض معظم هذه المشاريع ووأدها في مهدها فان ظروف الانحسار القومي اعتبارا من النصف الثانى من الستينات قد سمحت من جديد بإحياء الطرح الشرق اوسطى لمستقبل المنطقة التى تعيش فيها .

وقد بدأ الطرح الجديد على نحو جاد ، وان يكن جزئيا بموجب السلام المصرى ـ الاسرائيلى الذى اكتملت ابعاده القانونية بتوقيع معاهدة السلام بين مصر واسرائيل فى مارس 1979ف ، إذ أنه طبقاً لاسس هذا السلام اصبحت اسرائيل طرفا فى علاقة أكيدة بدولة ذات ثقل فى النظام الاقليمى العربي ، ولهذا دلالته التى لاتحتاج ـ دون شك ـ الى تعليق بخصوص دخول اسرائيل طرفا ولو على نحو غير مباشر فى التفاعلات العربية وقد تكفل الرفض العربى شبه الشامل للسياسات المصرية فى حينه من جانب ، والاحجام الشعبى المصرى عن الاندفاع فى طريق التطبيع مع اسرائيل ، تكفل ايقاف الاطار الشرق اوسطى الجديد عند حدود معينة ، غير ان هذه الحدود بدأت تنفرج بالتدريج بعد ان دأب الرفض العربى ، سواء بسبب الاخفاق المتكرر فى تقديم بديل حقيقى لسياسات السادات فى التسوية السلمية مع اسرائيل ، اوبسبب الحقائق الاقليمية الجديدة التى طرأت على المنطقة فى اعقاب نشوب الحرب العراقية الايرانية التى تزامنت تقريبا مع بدايات العلاقات المصرية ـ الاسرائيلة الرسمية الجديدة ففى ظل الاخفاق من جانب ومابدأ من اجتياح للوزن المصرى فى مواجهة التطورات المقلقة للحرب العراقية ـ الايرانية من المنظور العربى من جانب آخر ، اتخذت قمة عمان 1987ف قرارها بتكييف مسألة استئناف

العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول العربية باعتبارها مسألة ثنائية من صميم حقوق السيادة الخاصة بكل دولة عربية ، وعليه فقد اعادت كافة الدول العربية ، وان يكن على نحو تدريجي علاقاتها مع مصر فضلا عن انتهاء تعليق عضوية مصر فى الجامعة العربية وماترتب عليه من اجراءات بحضور مصر قمة الدار البيضاء فى مايو 1979ف وهكذا تمت تسوية معضلة العلاقات العربية ـ المصرية ، ولكن على النحو الذى اوجد فى النظام العربى ، الذى استعاد تماسكه الى حين « بعد شرق اوسطى » اكيدا من خلال استمرار العلاقة المصرية ـ الاسرائيلية من جانب واعادة العلاقات المصرية ـ العربية من جانب آخر .

وفى حينه تكفل مابدأ انه صحوة مؤقتة فى النظام العربى « مابين قمة عمان فى نوفمبر 1987 ف الى قمة بغداد فى مايو 1990ف » باخفاء السمة الشرق اوسطية الجديدة التى بدأ وجودها بوضوح وان يكن على نحو ضعيف ، غير انه مع زلزال الخليج اعتبارا من اغسطس 1990 ف فقد الجسد العربى كثيرا من مناعته وتسارعت الاحداث بما فى ذلك التطورات التى استجدت على طريق التسوية السلمية للصراع مع اسرائيل ووقع الاتفاق الفسلطينى ـ الاسرائيلي فى هذا الاطارفى 13سبتمبر 1993ف ليصبح سواء من حيث دلالاته غير المباشرة او نصوصه المباشرة ركنا اساسيا فى استمرار تبلور البعد الشرق اوسطى فى المنطقة واذا استمر النموذج العام الحالى لمنظور الصراع ـ هو امر من المرجح ان يحدث فى المستقبل ـ فان النظام الشرق اوسطى سيزداد نموا على الارجح ويطرح هذا كله تحديات بالغة الخطورة على النظام العربى حاضرا ومستقبلا .

وفى الوقت الذى يثار فيه موضوع نظام الشرق اوسطى تواجه الامة العربية تحديات خطيرة وكبيرة وسط اوضاع عربية يمكن تلخيصها بالآتى :

1ـ ان النظام الاقليمى العربى فى اسوأ حالاته وهو فى حالة قريبة من الشلل بعد ان تعرض هذا النظام وفى السنوات الاخيرة بشكل خاص الى امتحان ، بل محنة كبيرة لم يستطع الخروج منها حتى الآن فقد فشل فى هذا الامتحان والمحنة مانسميه « الأمن القومى العربى » واتفاقية الدفاع العربى المشترك بشكل خاص ودفعت واندفعت الانظمة العربية فى مواجهة عسكرية مع بعضها البعض ، وغزا وتحالف بعضها ضد بعض مع قوى من خارج النظام الاقليمى العربى . ولم يستطع النظام الاقليمى العربى حتى الآن ان يوجد آلية قانونية عربية وسلمية لحل النزاعات العربية ـ العربية ناهيك عن عجزه حتى الآن عن تحقيق تنمية عربية شاملة ، كما زادت تبعيته السياسية والاقتصادية الخارجية .

2 ـ لقد اصاب نسق القيم فى هذا النظام الاقليمى العربى خلل شديد واصبحت بعض المسلمات والثوابت من تلك القيم موضع تفسير وتساءل وانتهاك صارخ احياناً فلم يعد تحرير الارض العربية فى فلسطين المحتلة هدفاً سياسياً ، بعد ان اصبح طلب المفاوضات المباشرة غير المشروطة مطلباً عربياً رسمياً للكثيرين ، وازدادت تنازلاتنا لاسرائيل وامريكا . ومارفضناه فى الخمسينات والستينات صرنا نقبله فى السبعينات والثمانينات والتسعينات ، بل حتى نتوسل فى الحصول عليه ، ودون ان نتمكن من ذلك ويحوى ذلك كله باسم « الواقعية » ووسط حملة اعلامية مكثفة من « التطبيع النفسى » للتعامل مع العدو الصهيونى والى مزيد من التنازلات وللاسف فان بعضا من النخبات المثقفة تساهم باشكال مختلفة فى الترويج لهذا التطبيع مع العدو .

3ـ لم يعد الاستقلال الوطنى والقومى ، الذى ناضل العرب على مدى ثمانية عقود دفعوا وضحوا بالكثير من اجله ، لم يعد ذا قيمة وقضية مسلما بها اذعاد بعض العرب الى الترحيب ، بل الدعوة الى التواجد الاجنبى على اراض عربية ويتم ذلك كله صراحة وعلانية ، ووسط سكون وتسليم معلنين او مبطنين واحياناً مدفوعى الثمن من اطراف عربية اخرى .

4- ان الشعوب العربية فى اقطارها المختلفة مغيبة بدرجة او بأخرى على المشاركة فى صنع القرارات المصيرية وان الخطوات المتواضعة والخجولة التى خطاها البعض فى مجال الانفتاح والتعددية السياسية مالبث ان انعكس بعضها ولايزال القليل الباقى منها مجهول المصير كما ان الانتهاكات الصارخة لحقوق الانسان مستمرة ومتزايدة على امتداد الوطن العربى .

وفى وقت يجنح فيه الكثير من السياسات المتبعة على صعيد الامن الداخلى الى ردود افعال متسارعة تنتهك القوانين المرعبة وحقوق الانسان بما يبشر بالمزيد من الكوارث الامنية ، وهو ماأدى الى ظهور مايسمى بالعنف السياسى بشكله الرسمى والشعبى فى كثير من الدول العربية .

واضافة الى التحديات التى تواجهها امتنا العربية فان هناك مجموعة من الحقائق عن النظام الاقليمى العربى يمكن اجمالها فيما يلى :

1 انه رغم فشل هذه الانظمة العربية عموما وبدرجات متفاوتة فى تحقيق الاهداف والطموحات الرئيسة لشعوبها وانها هي التي اوصلتنا الى ماهى عليه ، فانها الاطول عمرا فى التاريخ العربى المعاصر باستثناء اقل من القليل .

2 ان الانظمة العربية الحالية عموما مفروضة على شعوبها بشكل او بآخر ، وانها لم يتم اختيارها من قبل شعوبها اختيارا حرا . كما ان هذه الشعوب غير راضية عن انظمتها بدرجة مختلفة من الرفض وانها غير قادرة حتى الآن على الاقل على تغيير انظمتها وحكامها مهما كان ذلك مطلوبا ومرغوبا فيه .

4 - ان هذه الانظمة العربية هي مابين خائفة او مرعوبة او مخترقة او تابعة او محاصرة من القوة الاعظم المسيطرة حاليا على النظام العالمى اي الولايات المتحدة الامريكية .

4- ان الشعوب العربية ، رغم معاناتها الشديدة من انظمتها اثبتت رغم مايبدو احيانا من نجاح الانظمة العربية فى ترويضها - فى مناسبات كثيرة انها لاتزال تحمل قدرات على النهوض والاستجابة اذا ماتوفر لها من يدلها على طريق الخلاص ، ويتمتع بالمصداقية ، ولذلك فانها يمكن ويجب ان تكون محط املنا فى المراهنة عليها فى المستقبل .

5- ان اية رؤية وخطة عملية مستقبلية لابد ان تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة وواقع هذه الانظمة العربية وحال شعوبها ، وان يتفتق فكرها وتبدع اطروحات ممكنة ومرحلية وانتقالية ، الى اوضاع افضل .

فى ظل هذه التحديات والحقائق تثير قضية النظام « الشرق اوسطى » مسألة علاقة العرب بالدول المحيطة بهم فى الاطار الاقليمى ، ومن حيث المبدأ فان العروبة لاتعنى العزلة ، ولاتنفى وجود التفاعلات الكثيفة الايجابية مع دول الجوار ، وكذلك امكانية تنظيم هذه التفاعلات بشكل معين بل لعل ذلك من المرغوب فيه من منظور مصالح كل الاطراف لكن المرفوض هو ان تكون مثل هذه الترتيبات مفروضة من الخارج ، وعلى نحو يتجاهل الهوية والمصالح العربية تحديدا ويلحق الضرر بها ، وهو هدف ظاهر دائما لقوى عالمية واقليمية عديدة وتؤكد الطريقة التى نظمت بها مباحثات السلام وجود هذا الهدف بوضوح فى اذهان عرب هذه المباحثات والمفاوضات .

من الواضح الآن وبناء على ماسبق تبيانه من تحديات تواجه الامة العربية وحقائق واقع النظام العربى الراهن فى ظل متغيرات البيئة الاقليمية والدولية وتفاعلات علاقات الدول العربية مع دول الجوار الجغرافى.

ان النظام الشرق اوسطى قد اصبح حقيقة واقعة على الاقل من حيث بداياته والخطورة هنا ليست فى بداية تشكيل هذا النظام فى حد ذاته ، وليست فى كونه مفروضا من خارج النظام العربى فحسب ، ولكن فى ان توقيت بداية التسوية قد تزامن مع مرحلة ضعف وتفكك عربيين واضحين ، بحيث ان السيناريو الاكثراحتمالا ، دون شك ، هو ان تدخل الدول العربية هذا النظام فرادى ، وليست فى اطار عربى متماسك وبهذا تتفاقم المخاوف من ان يكون النظام الشرق اوسطى اطارا لتذويب الهوية العربية ، وليس اطاراً للتفاعل بين نظام عربى وبين الحقائق الاقليمية والدولية من حوله يقوم على الندية والتكافؤ .

ولايبدو للاسف سواء بسبب الضعف العربى الرسمى او بسبب الضعف الراهن للحركة الجماهيرية العربية ، ان ثمة وقاية اكيدة ضد احتمالات تشكل نظام شرق اوسطى لايضم النظام العربى كنظام فاعل ، وانما كوحدات متناثرة ، وخاصة ان خطوة من خطا عملية السلام ، على الرغم من بطئها تؤدى الى خطوة مماثلة في بلورة النظام الشرق اوسطى « على الاقل فى مجال التطبيع الاقتصادى » وعلى الرغم من ذلك كله .. اي على الرغم من فرض النظام الشرق اوسطى على المدى القصير ـ فان فرضه على المدى الاطول كإطار لتنظيم واستقرار التفاعلات الاقليمية غير موجودة وليس هذا نوعا من الرجم بالغيب المتسق مع بعض الامانى الايديولوجية ، ولكنه توقع مبنى على عدد من الاسباب اهمها سببين اثنين هما :

– السبب الاول : يتعلق بفكرة العدالة ليس من منظور مثالى ، وانما من منظور واقعى ، بمعنى ان النظام الشرق اوسطى سوف يبنى اساسا على عدم العدالة نظرا لأن فكرته البسيطة ان اسرائيل سترد للعرب اراضيهم المحتلة التى هي فى الاصل حقوق اصيلة لهم مقابل الحصول على مزايا اقتصادية غير اعتيادية ، لن يكون اهمها هو التطبيع الاقتصادى بمعناه العام ، وانما محاولة امتصاص رؤوس الاموال العربية لتغذية التنمية الاسرائيلية ولو بطريق غير مباشر ، وهذا ماتوضحه الادبيات السياسية والاستراتيجية لصانعي القرار فى اسرائيل بحيث يقول « شيمون بيريز » فى كتابه الشرق الاوسط الجديد « ان السلام لايتحقق الا فى ظل نظام امنى اقليمى يبنى على السياسة والاقتصاد ، فالتفوق الحقيقى لم يعد قائما فى معسكرات الجيوش ولكنه قائم فى الحرص الجامعي وفى مزيد من التعاون السياسى والاقتصادى فلا حرب بعد اليوم بناء على السلام بين العرب واسرائيل سوف يقضى على التوتر ولافائدة من سباق التسلح فبالرغم من ان اسرائيل قوية استراتيجيا وعسكريا تستطيع مواجهة اي تحالف عربى مناوي ، فان النصر الكلى عصي على المنال ففى استطاعة الطرفين تدمير بعضهما البعض لاهزيمة بعضهما البعض لان الموازين الدولية تمنع ذلك ولكن بالرغم من ذلك علينا ان نواصل تعلم الحرب .. للحفاظ على السلام وصد العدوان لان من يرغب فى السلام عليه ان يستعد للحرب ، ولذلك فلم يحن الوقت بعد لتقليل اسلحتنا واعادة الجنود الى بيوتهم ويجب ان تتجه المنطقة الى التعاون والنمو الاقتصادى الذى سيبنى على اربعة احزمة نزع السلاح ، المياه والتكنولوجيا الحيوية والحرب ضد الصحراء ، النقل والمواصلات ، وآخر الاحزمة هو السياحة وذلك للانتقال من الاستثمار فى الحاجات العسكرية الى استثمار الحاجات الانسانية ، ويختم شيمون بيريز تصوره للسلام بكلمات يفهم منها ان مافات مات فلا يمكن اقامة شرق اوسط جديد على اساس سياسى فقط ، توضع فيه علامات حدود جديدة وفصل حدود قديمة لان اسباب النزاع اسباب اقتصادية واجتماعية اكثر منها سياسة فارغة تتجاهل جذور الكرب والعوز »

وفى ذلك نرى نظريته تتلخص فى ان السلام مقابل السلام فالسياسة والاقتصاد توأمان والسلام لن يسود فى جو المجاعة والحرمان وان زمن هدير الطائرات والمدافع ينبغى ان يحط رحاله فى استراحة المحارب العربى ويظل المحارب الاسرائيلى مدججا بالاسلحة التقليدية وفوق التقليدية والنووية للمحافظة على السلام ولفتح الطريق للهيمنة الاسرائيلية عن طريق الغزو الثقافى والاقتصادي مع الاحتفاظ بالارض فى ظل ماابتدعوه من تعرية الحدود الآمنة التى تعطى باليد اليمنى وتأخذ اكثر باليد اليسرى . ومانستنتجه من كلام « شيمون بيريز » مايلى .

1ـ إن صانع القرار فى اسرائيل لايثق فى معاهدات السلام مع العرب ، وبالتالى فان ميزانية التسلح والانفاق العسكرى سترتفع وليس هناك مايؤشر على انخفاضها من خلال استقراء الادبيات السياسة والاستراتيجية لصانعى ومتخذى القرار فى اسرائيل .

2ـ ان الادبيات السياسية والاستراتيجية تركز

على الانتشار الوطنى « تجاريا ـ اقتصاديا ـ ثقافيا » والتطبيع مع العرب اكثر مما تركز على التسوية السياسية ، وهو مايدل على ان صانع القرار فى اسرائيل ، والنخب السياسية تفكر في تكبيل الوطن العربى اقتصاديا فى اطار مايسمى بالنظام والسوق شرق اوسطية يكون الوطن العربى سوقا للمنتجات الاسرائيلية بحيث تصبح اسرائيل هي المركز والوطن العربى المحيط بتعبير الدكتور « سمير امين » ٠

ـ السبب الثانى ان النظام الشرق اوسطى يبنى حاليا مستندا الى معادلة دولية معينة تقوم على اساس الهيمنة الامريكية على وظيفة القيادة فى النظام العالمى ، وثمة اتجاه تحليلى يعتقد كثير من خبراء الاستراتيجية بصحته من بينهم « بول كيندى » فى كتابه « نشوء وسقوط القوى العظمى » يرى بان هذه الهيمنة المنفردة مؤقتة بالمعنى التاريخى ، بمعنى انها قد لاتدوم لأبعد من بداية القرن المقبل ، او نقطة زمنية مافى ربعه الاول على اقصى تقدير ، وانها سوف تخلى السبيل امام صيغة تعددية جديدة لقيادة النظام الدولى ، وهو مايعبر عنه الدكتور « وليد عبدالحى » بالقوة الصاعدة والقوة الهابطة ، واذا حدث هذا ، فان كل الترتيبات الاقليمية التى بنيت فى ظل هيمنة امريكية لابد وانها سوف تهتز وتتأثر الى حد بعيد بالمعطيات الجديدة على قمة النظام العالمى ٠

ان الترتيبات التى يجرى الاعداد لها بحماس الان لتنظيم المنطقة وان كانت لها فرصة كبيرة فى التجسيد على ارض الواقع فى المدى القصير ، وربما المتوسط فليست لها فرصة كبيرة فى الصمود على المدى الطويل واعتقد ان هذه هى الفرصة الباقية للحركة القومية العربية فهذه الحركة تعانى ضعفا لاشك فيه فى الوقت الراهن ولذلك فالاغلب للاسف انها لم تستطع ان تستفيد من هزال البديل الشرق اوسطى فى تحقيق مواجهة ناجحة له ، كما فعلت فى السابق فى الخمسينات والستينات ، غير ان مقوماتها لازالت باقية ومن الصعوبة بمكان ان يقبل المرء ذلك الاستخفاف المبالغ فيه بالهوية العربية بسبب وجود الخلافات العربية ـ العربية الرسمية وايضا بين الجماهير العربية ذاتها والواقع ان النظرة الموضوعية المدعمة بشواهد من الواقع تشير الى ان الاحساس بالهوية العربية والتصرف طبقاً لها مازال حتى الآن يشل حالة المواطن العربي العادي حتى فى المناطق التى يقال بحق ان العروبة تتعرض فيها بخطر التراجع فى مواجهة انتماءات اوولاءات اخرى اضيق منها او اوسع ٠

ان اسرائيل التى تسعى الى تحقيق غايات مشروعها الصهيونى بأدوات متجددة ومتغيرة ادركت ان الحرص على القطرية فضلا عن تسول بعض العرب للأمن والحماية ـ لدى الولايات المتحدة الامريكية USA وغيرها ـ يعبر عن حالة انهيار عربى غير مسبوق تتيح نتائجه فرصة مناسبة مثلى للمضى فى خطوات ترجمة مشروعها الذى لم تعلن تخليها عنه ، الى واقع ملموس لذا كان الدفع باتجاه غزة ـ اريحا اولا وعقد اتفاقيات الصلح المنفردة مع العرب سبيلاً اسرائيليا ـ امريكيا مشتركا ولغاية مشتركة مفادها تحقيق الانتشار الوظيفى « اقتصاديا ـ ثقافيا ـ تجاريا » الاسرائيلى داخل الوطن العربى تمهيدا للسيطرة على ثرواته واسواقه وبالتالى التحكم بادائه ودوره السياسى الدولى وصولاً الى جعل العرب مجرد اطراف فى منطقة متعددة الهويات الثقافية مركزها الاقتصادى والتكنولوجي والسياسى دولة اقليمية اسمها « اسرائيل » فهل سنكون فى مستوى الحدث ؟

المستقبل المنظور وغير المنظور جدير بالاجابة فى ظل تفاعل المتغيرات الاقليمية والدولية ٠

● ملف حالة

الشرق اوسطية محاولة لاجهاض النظام العربى المحتمل

د . حسين الورد : اليمن

1- المقدمة

لا أحد يجاهر اليوم بالعداء تجاه الغرب الصليبي الصهيوني المدعوم بالترسانة الامريكية الضخمة والمتطورة إلى حد يفوق الخيال وكذلك لا أحد يتجرأ على تحدى الاساطيل المنظورة والمخفية لهذا المارد المتجبر الذي انفرد فجأة بالعالم ليمارس هيمنته الطاغية تارة بامركة عملائه عقانديا وتارة بالاموال الطائلة التي لاتنضب والمستولى عليها من ثروات الشعوب الفقيرة المغلوبة على امرها وتارة بالحصار الجائر المتعدد الجوانب واخيرا بالتدخل العسكرى السافر ان لم تفلح جميع الوسائل المذكورة وهذا الاخضاع المذل للعالم في مجمله يشكل لوحة قبيحة تسمى بالنظام العالمى الجديد .

وفي ظل هذا التفرد والطغيان لاتجد الولايات المتحدة الامريكية من يقف في وجهها اليوم إلا القلة القليلة من دول العالم، وفي مقدمة هذه الدول الجماهيرية العظمى والتي تؤمن ايمانا لايلين ولايتزحزح بأن صبح الخلاص من البربرية الامريكية سوف ينبلج مهما طال الليل وبأن هناك رجالاً يؤمنون بأن الله اقوى من كل مبتكرات التكنولوجيا الامريكية وبأن الشعوب هي التي ستقرر مصير العالم في النهاية .

وتعرف الولايات المتحدة الامريكية حق المعرفة ان الشعب العربي يعتبر في مقدمة هذه الشعوب امكانات وتاريخا وعقيدة تؤهله لأن يكون في مواجهة هيمنتها وبالتالى فلابد من ازاحته عن طريقها لتجثم بعد ذلك على صدر العالم دون منازع .

ولنسف الاسس العقاندية لقيام النظام العربي القومى لابد من فرض نظام شرق اوسطى جديد ذي بريق مزيف تكون (اسرائيل) في مركزه يحل محله ويلغى على المدى المنظور فكرة النظام العربي وإلى الابد لكى تتحول القومية العربية بعد ذلك إلى قومية مسخ تتبع النظام العالمي الصهيوني الصليبي الجديد وتدين بالولاء لهيمنته .

2- ما هي الشرق اوسطية ولماذا ومن هم المهتمون باقامة هذا النظام ؟

منذ أمد بعيد والولايات المتحدة الامريكية تتطلع إلى بناء امبراطورية امريكية تشمل العالم كله ولقد خاضت من أجل ذلك حروبا شرسة ولعل الدافع السيكلوجي يلازم الدافع المادي في هذا الهدف حيث ان تاريخ الولايات المتحدة الامريكية قصير وغير مشرف ويفتقر كثيرا إلى تلك العظمة التي تميزت بها أمم مثل الاغريق والرومان والعرب وغيرهم وبدعم من الصليبية الجديدة والصهيونية العالمية تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من اخضاع كثير من امم العالم وان لم نقل كلها إلا انه مازالت هناك جيوب مقاومة شرسة وواعدة في بعض مناطق العالم وفي مقدمة هذه الجيوب تلك الموجودة في العالم العربي الذي يحمل في طياته امكانات هائلة ومخزون لا ينضب من الثروات البشرية والعقائدية والمالية وتجد الولايات المتحدة الامريكية ان الخطر الحقيقي على مشروعها العالمى ينبع من هذا المكان ولابد من ازالة هذه العقبة المميتة من امامها لكى لاتتظافر العوامل المذكورة في وقت من الاوقات لبناء نظام عربى متحرر يتحدى نظامها الشمولى الجديد .

لذلك خططت الولايات المتحدة الامريكية ومعها (اسرائيل) المهتمة باضعاف الروح القومية لدى العرب وكذلك الحكومة التركية التابعة وبعض الدول الأخرى المستفيدة من طمس الهوية العربية لاقامة نظام بديل يؤدى تطبيقه إلى الخلاص من العرب ونظامهم المحتمل ألا وهو النظام الشرق اوسطى وهو نظام يضم الدول الواقعة في الشرق الاوسط تكون اسرائيل في مركزه والمهيمنة عليه تابعا تبعية تامة للولايات المتحدة الامريكية سياسيا واقتصاديا وعسكريا يؤدى في النهاية إلى العدمية القومية لكل دول الاقليم وعلى رأسها المستهدف الاول وهو الشعب العربي وبقاؤه على الاطلاق .

3- كيفية بناء النظام الشرق اوسطى الطرق والوسائط والادوات .

لاشك ان ما حدث حتى الآن من هجمات شرسة ضد الوجود العربي ومستقبله من قبل الولايات المتحدة الامريكية و(اسرائيل) ومن يتبعهم لم تكن إلا خطوات مرسومة سلفا للوصول إلى تدمير الروح المعنوية للشعب العربى والوصول به إلى الياس التام وشل حركته لكى يستسلم في نهاية المطاف لمخططات امريكا و(اسرائيل) الهادفة إلى محو كيانه من الوجود ولقد استخدم اعداء العرب كل الوسائل والادوات لتنفيذ هذا المخطط الجهنمي فمن الحرب الدعائية والنفسية بعدم جدوى المقاومة إلى الغزو المباشر وضرب المرافق العلمية والسيطرة على ثروات هذه الامة إلى فرض الحصار الجائر المتعسف عليها وممارسة الاذلال أو اغتيال العقول او تفريغ الوطن منها وكذلك شراء الذمم وتجنيد العملاء ومساعدتهم على تسلم المراكز القيادية وكذلك توظيف المنظمات الدولية ضدهم والتلويح بالرعب النووى كل ذلك ادى بالعرب إلى ما هم عليه اليوم من تشتت وهزائم واقتتال ويأس مطبق يعتقد معه العدو انهم قد يقبلون بنظامه الشرق اوسطى لامحالة كبديل عن النظام الذي حلموا به طويلا كطريق وحيد للخلاص .

ولكي يدخل العدو ذلك إلى حيز التنفيذ لابد اولا من ضمان جعل (اسرائيل) عضواً يتمتع بكامل الشرعية في المنطقة وذلك عن طريق الاتفاقيات الاستسلامية المتتابعة ثم تجويع المجتمع العربي بعد اذلاله واستلاب مقدراته وتعميق الازمات الاقتصادية في المنطقة وفرض التهديد العسكرى المباشر على من يرفض الرضوخ وتدعيم القيادات التابعة والمزعومة سلفا لضرب الوطن والتعاطى بل والتحالف مع (اسرائيل) وضرب اية روح للمقاومة أو حتى مجرد التفكير بها للوصول بعد ذلك إلى فكرة قبول النظام الشرق اوسطى كحتمية لامفر منها أو كمخرج من هذه الحالة المستعصية والمأزق التاريخي العضال .

4- النظام الشرق اوسطى ضمن النظام العالمي الجديد : ما هي الادوار المرسومة له ؟.

النظام العالمي الجديد هو النظام الامريكي ذو القطب الواحد المتفرد بالعالم حيث لايوجد قطب آخر يذكر بامكانية الوقوف في وجهه ولان هذا النظام هو امريكي الروح والاهداف فإن هذه الروح

ينبغي ان تشمل العالم وهذه الاهداف ينبغي ان تطال اركانه ويتوجب ذلك عدم وجود معارض لانتشاره وسيطرته مهما كان الثمن والنظام الشرق اوسطي جزءاً لايتجزأ من النظام العالمي الجديد وعضواً فعالاً يخدم اهدافه ومخططاته الرامية إلى الهيمنة الامريكية على العالم وعلى النظام الشرق اوسطى ان يكبح جماح شعوبه ويربطها بالعجلة الامريكية لكى تتحول هذه الشعوب إلى وقود لخدمة الآلة الامريكية البربرية الطاحنة لكل المقدرات والحريات والكرامات والحقوق لكل شعوب الأرض قاطبة .

5- ما هي المواصفات المطلوبة للقادة المحليين لهذا النظام ؟

اذا ما افترضنا ان النظام الشرق اوسطى اصبح امرا واقعا ولم تستطع الارادة العربية المثخنة ايقافه عند حده كفكرة في مخيلة العدو الامريكي فان بروز قادة محليين اكثر عمالة وشراسة وارتباطا بالمخطط الامريكي سيكون امراً لا مفر منه للمحافظة على تنفيذ خطط هذا النظام وهؤلاء قد يكونوا المنفذين الان او قد يخرجوا من قماقمهم ليتحولوا إلى مردة مبرمجين يلبسون جلوداً عربية ولكنهم عديمو المشاعر لايحملون لأوطانهم ذرة من الولاء بل يدينون بوجودهم وولائهم للعدو فهم في الظاهر عرب ومحتواهم وجوهرهم امريكي اصيل ويعتبرون (اسرائيل) حليفا لهم ضد شعبهم الذي يرزخ تحت وطأتهم العاتية مدعومين دوما من السيد الجديد للعالم الولايات المتحدة الامريكية .

6- السيطرة الثقافية ودور المجتمعات والشعوب في ظل النظام الشرق اوسطى .

بالامكان هزيمة الجيوش وكسر المقاومات ولكن لايمكن ضرب عقيدة راسخة كتلك التي يتمتع بها العرب الا بعقيدة اخرى اكثر منها قوة ومنطقية ولذلك ركزت وسائل الاعلام المعادية للعرب نفث سمومها على العقول العربية لمارسة غسيل الادمغة منذ فترة طويلة وبالتدريج وذلك لطمس الرواسخ فيهم وتعبئة هذه العقول بشكل منتظم بالتفاهات والبريق المزيف لطريقة الحياة الامريكية ومن ثم لقبول فكرة التبعية لهذا الغزو الثقافي الجارف والرضوخ لاهدافه النهائية .

وبالطبع لايجرى ذلك عبثا فالقيادة الامريكية التي تعد نفسها للهيمنة على العالم تصبو إلى أشياء محدودة من وراء ذلك فهذه الثقافة التي تميت الصحوة القومية ومن ثم غريزة حب البقاء تحول المجتمعات في هذه المنطقة إلى (ربوتات) مبرمجة لنشر الثقافة المعادية المدمرة داخليا وإلى ابعد مدى ممكن فتحول هذه الثقافة إلى وباء يعم الجميع وتعمل بشكل آلى إلى تدمير الشعوب وخدمة اهداف الصليبية الامريكية والصهيونية الاسرائيلية وذلك على انقاض الثقافات التي كانت في يوم من الأيام مناراً لهذه الشعوب نحو بناء مستقبلها الحر الكريم .

7- الاقتصاد والدفاع والثروات في النظام الشرق اوسطى بيد من ؟.

للمحافظة على تطبيق النظام الشرق اوسطى ينبغي الابقاء على شعوب هذه المنطقة ضعيفة ومغلوبة على امرها ويائسة ومن ثم ارغامها على قبول فكرة السوق الشرق اوسطية والتي ستكون فيها مستهلكة فقط ومرتبطة به مصيريا وفكرة البنك الشرق اوسطى والذي سيسحب رأسماله من دمائها لتغذية الاهداف الامريكية والاسرائيلية وستبقى ثروات هذه الشعوب نهبا كما كانت دائما للاعداء اما الدفاع فسيكون شكليا يحدد العدو مداه واهدافه بحيث لايوجه في يوم ضد الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها وبحيث يفى بغرض ضرب اية مقاومة او تمرد وطنى او قومى مع اعطاء (اسرائيل) اليد العليا في المنطقة و لسكوت على حيازتها للرعب النووى وعدم التفكير في مجاراتها في هذا المضمار وما شابهه كزعيمة وحيدة مخولة بتأديب من يحاول الخروج عن هذا النظام والمساس به .

8- النتائج الحتمية لتطبيق هذا النظام

في حال نجاح تطبيق النظام الشرق اوسطي فإنه من المحتم ضعف الروح القومية للعرب ومن ثم

انعدام روح المقاومة والقتال وكذلك تشوه الفكر العربي واضمحلال الثقافة العربية ويترتب على ذلك افساح المجال للسيطرة على اراضيهم ومقدراتهم ومقدساتهم ويتحولون إلى مرتزقة يخدمون اعداءهم وجعلهم تابعين مستهلكين غير منتجين ويتهربون من العلم إلى اللهو والقبول بكل شئ ومن ثم يصلون إلى العدمية التامة واللا مبالاة مما يجعل عدوهم يظفر بهم دون عناء وهم راضون .

9- البديل المضاد : النظام القومي العربي .

ونحن العرب على اعتاب القرن الواحد والعشرين نقف على ابوابه مثخنين بالجراح منهزمين حتى العظم مشتتين متقاتلين يائسين مستسلمين إلا ان جذوة الرفض لحالتنا الراهنة كامنة فينا وروح التحدي والامل تلازمنا فنحن وكما يعرف العدو قبل الصديق لسنا ولم نكن في يوم من الأيام امة هينة رافدنا في ذلك تاريخ طويل من الامجاد والبطولات والانجازات الحضارية العظيمة ودين قويم لانفرط فيه ابدا ومجال حيوى رحب نستطيع ان نقاتل في كل زواياه حتى نرهق اعداءنا فنرغمهم على تركنا وشأننا اذا ما عزمنا الامر وعدنا إلى الثوابت وبالتالى فمن أجل دحر مخطط النظام الشرق اوسطى ومن ورائه النظام العالمي الجديد ينبغي الاصرار على بناء النظام العربي وعدم التنازل عنه فنحن لانستطيع المشاركة ايجابيا بأى عمل ونحن غير موجودين على الساحة العالمية فلابد ان نتواجد اولا ثم نشارك بارادتنا دون فرض او ضغط ودون تفريط بأى عنصر من عناصر وجودنا .

وينبغى ان يكون النظام العربي نظاما غير معاد لأحد مدافع عن القضايا المصيرية للامة العربية ممثلا لمصالحها القومية العليا معيدا لكل اسباب القوة المطلوبة لمواجهة الاعداء مطهرا لكل جزء من ارضها من دنس الاحتلال الاجنبي معيداً لكافة العرب كرامتهم واستقلالهم محافظا على روح الديمقراطية في تقرير المصير والاختيار الحر .

ولا يبنى مثل هذا النظام إلا بعودة الوعي العربي واختيار القادة الانسب وتحقيق الوحدة بشكل لاتضر بأحد ولكن تراعى المصلحة العربية العليا يتم الاتفاق بشأنها على أسس حضارية بعيدا عن الانانية تحدوها غريزة البقاء والتحدى .

ان قيام نظام عربي مستقل وحر هو الكفيل بدحر مخططات الاعداء وردهم على اعقابهم وكذلك المحافظة على الوجود العربي المهدد ذاته .

● ملف حالة

الشرق اوسطية وتأثيرها على البيئة العربية اجتماعيا

د. محمد البكاء / اليمن

مدخل :

تعيش الامة العربية مرحلة دقيقة بالغة الخطورة من خلال التحديات التي تواجهها والتى تعد من اخطر التحديات التي تمر بها في تاريخها المعاصر.

ولعل هذه التحديات تكمن في ماهو (داخلي) متعلق ببنية الكيان العربي سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا وفي ماهو (خارجي) فرضته طبيعة الاحداث المتلاحقة التي تشهدها الساحة الدولية والاقليمية منذ انسحاب الاتحاد السوفيتي من الحرب الباردة ثم انهياره وتفككه خلال المدة (1989- 1991) وما رافق ذلك من نشوب حرب الخليج (الثانية).

ان وقفة جادة امام الواقع العربي ومايعيشه من تحديات داخلية تؤشر لنا ابرز المعضلات التي تواجه الامة العربية كياناً ووجوداً والتي تتمثل في :

1/ تغليب المصالح القطرية على المصالح القومية للامة وبشكل يدعو الى التقاطع بين ماهو وطني وقومي

2/العزلة القطرية وماتسببه من تغييب للارادة العربية الموحدة ومن ثم تهمشها وتشتيت الجهد القومي في مواجهة التحديات المحدقة بالوطن العربي

3/ الانشغال بتعميق الخلافات العربية وتغليب ماهو هامشي على ماهو مصيري ومايجره ذلك من الاستنفاذ للطاقة والجهد العربيين بدل توظيفهما لخدمة مصالح الامة القومية والعمل على تنمية مجتمعها وانقاذه من حالة التخلف التي يعيشها

4/ الاستقلال السياسي الهش والذي لم يعزز باستقلال اقتصادي ناجز وفعال الامر الذي جعل من الاقتصاد العربي اقتصادا وحيد الجانب ، معتمدا على الثروة النفطية الموظفة لتحقيق النزعة الاستهلاكية وعدم خلق اسس تنمية حقيقية تدعم الاستقلال السياسي وتحرره من قيود التبعية والسيطرة الخارجية

5/ التكوين الثقافي والاجتماعي للامة وماتتحكم به من هياكل قطرية تعمل على توظيفه باتجاه خدمة مصالحها الضيقة ومن ثم افشاله في تحقيق الاستجابة المطلوبة لمهمات مرحلة التحدي التي تعيشها الامة وذلك من خلال تحريك روح الماضي باتجاه المستقبل ومد الجسور التي تربط ماضي الامة بحاضرها المنفتح على المستقبل ومايستلزمه في التطوير والفعل لانتاج انماط من التكيف الاجتماعي والثقافي الفعال

6/ نظام الوصاية الذي تحاول فرضه بعض

الدول الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وذلك من خلال التدخل في الشؤون الداخلية لبعض الاقطار العربية من خلال مايسمى بحماية حقوق الانسان او توفير المظلة الامنية لمواجهة التهديدات الخارجية ومن ثم التحكم باقتصادياتها وثوابتها الوطنية والقومية وخياراتها السياسية .

هذه ابرز المعضلات التي تواجه امة العرب في عالم اليوم ناهيك عن التحديات الخارجية التي يمثلها النظام العالمي الجديد القائم على الاحادية القطبية بعد التغييرات الجوهرية التي طرأت على بنية النظام الدولي ذى القطبية الثنائية والذي يمكن وصف هيكله في مرحلة تكونه الراهنة بانه نظام يقوم على القطبية الاحادية من الناحية العسكرية - الاستراتيجية التي تمثلها (الولايات المتحدة الامريكية) وان بين هذا القطب والدول التي لديها قدرات استراتيجية محدودة فجوة واسعة .(1) .

ان هذا التفرد لابد ان ينعكس سلبا على النظام العربي ويشكل تحديا خطيرا بالنسبة له وذلك من خلال مايمثله من :

1/ اضعاف الدور العربي اقليميا ودوليا وفرض نوع من الوصاية على الامة العربية وتحجيم حركتها التاريخية واعادة رسم المنطقة العربية بما يتوائم ومصالح القطب الاعظم .

2/ دفعها للتخلي عن وثابتها القومية وروابطها المصيرية وجرها الى افاق التغبيب والتشرذم خارج اطار النظام الاقليمي العربي.

3/ شل فاعلية النظام الاقليمي العربي وافشاله في معالجة بؤر التوتر والخلافات العربية بعد خلقها وتغديتها لزعزعة (الامن القومي العربي) وتعطيل اتفاقية (الدفاع العربي المشترك) الامر الذي دفع بعض الاقطار العربية الى التحالف مع قوى من خارج النظام الاقليمي العربي ضد بعضها الاخر ، وذلك بعد ان اصبحت الولايات المتحدة واقعيا ، عضوا فعالاً رئيسياً وموجهاً وان كان غير رسمي في ماتبقى من النظام الاقليمي ومؤسساته الرسمية وبخاصة جامعة الدول العربية التي تعانى اضافة الى امراضها الاخرى وصاية مصرية وامريكية واقعية .(2)

4/ التحدي الذي تمثله دول الجوار بالنسبة للوطن العربي ومحاصرته بدول غير عربية طامعة تنسجم مصالحها واستراتيجية ابن غوريون الشهيرة الداعية الى تطويق العرب بسوار في الدول الصديقة لاسرائيل والمتعاملة معها في العالم الاسلامي وفي افريقيا على السواء ليصبح عالم العرب موضوعاً بين فكي كماشة : فك « دول الاطراف » في جوارهم المباشر وفك القطب الامريكي الخارج منتصراً من عقود الحرب الباردة .(3)

وفي ظل هذه الاوضاع المتردية عربياً وشراسة الحملة المضادة دولياً والتي تتناقش مصالحها مع مصالح الامة العربية وتتقاطع وتجسيد الرابطة العربية بشكل او بأخر لابد من وقفة جادة تؤشر خطورة الحال الذي وصلت اليه امة العرب خاصة منذ بداية العقد الاخير من هذا القرن وظهور مايسمى بـ (النظام الشرق اوسطى وذلك من خلال معالجة :

* **النظام العربي : نفى ام وجود .**
* **السلام المزعوم ، والزحف الشرق اوسطى**
* **الشرق اوسطيه وتأثيرها على البيئة العربية اجتماعياً**

1/ النظام العربي : نفى ام وجود

فبعد خروج مصر من خندق النضال العربي المشترك بتوقيع معاهدة السلام (مارس **1979**) مع الكيان الصهيوني ومن تم عودتها الى الصف العربي (قمة الدار البيضاء - مايو **1989**) بعد ان اتخذت قمة عمان **1987**) قرارا بتكييف مسألة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر والدول

العربية باعتبارها مسألة ثنائية في صميم حقوق السيادة الخاصة بكل دولة عربية تمت تسوية معضلة العلاقا العربية – المصرية ولكن على النحو الذي اوجد في النظام العربي الذي استعاد تماسكه الى حين (بعد شرق اوسطى) اكيداً من خلال استمرار العلاقة المصرية – الاسرائيلية من جانب اعادة العلاقات المصيرية العربية من جانب اخر .(4) .

وعلى الرغم من ان العودة المصرية الى الصف العربي كانت مثقلة بالعلاقات القانونية مع اسرائيل والتي جعلت منها طرفاً ولو على نحو غير مباشر في التفاعلات العربية الا ان ذلك لم يكن له تأثيره الكبير المباشر على الكيان العربي اذا اختفت السمة (الشرق اوسطيه) التي بدأت تتضح مؤشراتها خاصة وان الهدف من العودة المصرية الى الساحة العربية ، هو انتشال مصر من الخندق الذي سقطت فيه وهذا ماجسدته قمة بغداد (مايو 1990) والتي شكلت وقفة عربية جادة ومسؤولة امام التحديات الخطيرة التي تواجه الامة العربية في عقر دارها ولكن احداث الخليج وماسببته من انقسام في الموقف العربي ورمى كرة الخلاف في شباك الدوائر الغربية والاستعمارية زادت من تسارع الاحداث في الساحة العربية وبشكل لافت للنظر سواء مايتعلق منها بالعلاقات العربية – العربية . او مايتعلق بالعلاقات العربية الاسرائيلية اذا انتقلت ماتسمى بدول المواجهة من الخندق المضاد لاسرائيل الى حلبة التفاوض (مؤتمر مدريد – اكتوبر 1991) ثم مواصلة التفاوض في ماتفرغ عنه مسارات ثنائية اسرائيلية اسفر عنها الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي (13سبتمبر 1993) كمولودبكر وليصبح من حيث دلالاته غير المباشرة او نصوصه المباشرة ركنا اساسيا في استمرار تبلور البعد الشرق اوسطى في المنطقة (5)

والذي بدأت ملامحه تتضح بعد اللقاءات الفلسطينية الاسرائيلية ثم تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية في غزة واريحا وماتشهده الساحة الفلسطينية الان من مفاوضات الحكم الذاتي مع الطرف الاسرائيلي ثم الاتفاق الاردني الاسرائيلي وحضور اسرائيل في بعض المؤتمرات الاقليمية والدولية التي عقدت على الساحة العربية .

كل هذا لابد ان يثير تساؤلا مشروعاً هو هل ان النظام العربي الذى بدأت اسرائيل بخرقة موجودا اصلا ام ان الساحة العربية هي ساحة اللانظام التي كانت بانتظار الفرصة السانحة لاستقطابها ؟

اننا لاننكر وجود نظام عربي قائم وان كنا نختلف في فاعلية هذا النظام وذلك لان هذا النظام تأسس عن خمسة اركان مثلت قواعده الثابتة الركن الاول : هو انتماء اعضائه الى العروبة وتبينهم اهداف الامة التي بلورها جهادها المتصل وهذا هو الاطار المرجعي للنظام الركن الثاني هو توافق الاعضاء على الالتزام بمواثيق وقعوا عليها تنظم عمل هذا النظام الركن الثالث هو تعاهد الاعضاء على العمل معاً لدفع اخطار الغزو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني والعمل لتحرير فلسطين . الركن الرابع : هو تحديد دور خاص لكل عضو وفقاً لوزنه يتكامل مع بقية الادوار الركن الخامس هو تخصيص مصر بدور متميز في النظام باعتبارها دولة مقر بعامة ، ومقر اللجنة العسكرية بخاصة

وهذا يعني ان هناك ثوابت تحكم عمل هذا النظام وقد دلل مسار العمل في هذا النظام على ان الاخلال باحد هذه الثوابت يؤدى الى خلل فيه ويسبب ازمات له .(6) .

صحيح ان هذا النظام قد حفل بالعديد من الصراعات والخلافات الا انه كان فاعلاً في الرد والتصدي على كل من استهدف خرق هذا النظام واجهاضه وخاصة في فترة الخمسينيات ومابعدها بدءا من مشروع حلف بغداد والرد على هزيمة حزيران باسقاط بعض الانظمة جماهيريا وحل

المعضلة التي خلفتها (اتفاقيات كمب ديفيد) التي اعقبت زيارة السادات الى القدس (نوفمبر 1977) وحققت الجماهير العربية انصارات متلاحقة على الصعيد الشعبي والنضالي في وقف الزحف الاستسلامي وصولا الى الانتفاضة الفلطسينية (ثورة الحجارة كانون الاول 1987) كل هذه مؤشرات ايجابية تدل على الحفاظ على اركان النظام العربي وعدم خرقها وعد المساس بها خرقا فاضحا لهوية اي نظام يعمد على تجاوز الثوابت .. ولكن التسعينات التي شهدت الخروج الفاضح على القواعد الثابتة للعمل العربي المشترك والاخلال باركانه دفعت البعض منا الى انكار النظام العربي اصلا ليلتقوا بذلك مع الدوائر الاستعمارية التي كانت ومازالت ترفض وجود نظام عربي اصلا لان النظام القائم في تقديرها هو (نظام شرق اوسطي) بحكم وجود اسرائيل فيه منذ عام 1948 وان النظام العربي غير موجود وحسب زعمها الا اننا حين نتحدث عن النظام العربي فاننا نقصد بالتأكيد (النظام القومي العربي) المعتمد على الاركان الخمسة المشار اليها وليس النظام الاقليمي الذي يتسع ليشمل اقطاراً غير عربية مثل : ايران ، تركيا اضافة الى اسرائيل مع بعض التوسع في رقعة هذا النظام .

2/ السلام المزعوم والزحف الشرق اوسطي

ان زحف النظام شرق اوسطي نحو تغييب نظامنا الاقليمي القومي العربي متوقف على فعالية هذا النظام في صده بعد ان اختار وقتا يعد مثاليا بالنسبة له الاوهو (مرحلة الضعف والتشرذم العربي) فمنذ ان نجحت الدول الاستعمارية في انجاز مشروع تجزئة الوطن العربي وهي تسعى جاهدة الى انجاز مشروع (تجزئة التجزية) وفي ظل تكريس (القطرية) وبروز الهيمنة الامريكية .. يبدو ان الوصول الى هذا الهدف امر ليس بعيد المنال مالم نعد العدة اللازمة لترتيب وترميم اركان النظام التي اوشكت على السقوط لان النظام الشرق اوسطي يعد واحدا من اخطر المشاريع المعدة لتنفيذه عدة اغراض يراد بها احلال فكرة (جغرافية - سياسية) تكون بدلا لفكرة القومية العربية والهوية والثقافة العربيتين ان هذا النظام الشرق اوسطي يأتي امتدادا للافكار والسياسات الصهيونية الامريكية التي باتت اكثر وضوحا بعد الاحداث التي شهدها العالم منذ عام 1989 وفي مقدمتها انهيار اوروبا الشرقية ثم انهيار الاتحاد السوفيتي كبنية وقطب مناوئ هذا الانهيار الذي اعتبره الغرب انتصاراً لقيمه ومثله السياسية والاقتصادية (الانموذج الليبرالى) مما دفعه الى ترويج المشاريع الاقليمية المنسجمة وسياساته بحكم بروز امريكا كقوة قائمة في النظام الدولي الجديد .

ان ماشهدته التسعينات من توجه بعض الانظمة العربية نحو الاستسلام المرتبط ببروز النظام الشرق اوسطي متوقف على فاعلية كل منهما وتقدمه فبقدر تحقق نجاح الطرف الاول ستكون النتائج محسوبة لصالح الطرف الثاني فمنذ قمة فاس (1982) والخروج بصيغة عربية للتسوية السلمية وهذه الصيغة بين كر وفر ، صحيح ان الاتجاه الى التسوية السلمية للصراع قد اخذ في المضى قدماً منذ عام (1967(وفض الاشتباك المصري الاسرائيلي الثاني (1975) ومن قبله القبول بقرارمجلس الامن (242) ولكن (السلام المزعوم) لم يصبح حقيقة راسخة في الذهن العربي اوامرا واقعا لابد من قبوله وذلك . لان صراع الامة مع اعدائها هو صراع قومي اجتماعي فنحن ابناء امة مجزأة مستهدفة في ان تبقى مجزأة مستعمرة مسلوبة الارادة في الوقت الذي تحاول فيه بعض الانظمة الابقاء على هذا الوضع لتناقض مصالحها مع مصالح وتطلعات الغالبية العظمى وهذا هو الدافع لجر الامة كيانا ووجودا وحضارة الى مستنقع الاستسلام اولا ثم الالتحاق فرادي (انظمة هشة) بالنظام الشرق اوسطي الذي سيكون كما هو مرسوم له : الاطار الفاعل لتذويب الهوية العربية وليس كما يردد في المحافل

الرسمية العربية . من انه نظام تفاعل بين العرب والحقائق الاقليمية والدولية ان الندية غائبة في هذا النظام الشرف اوسطي اضافة الي فقدان عنصر التكافؤ والتوازن الاستراتيجي مع الطرف الفاعل في هذا النظام (اسرائيل) من يقف خلفها من دوائر استعمارية (امريكا) سواء من الناحية الاقتصادية او الناحية العسكرية والواقع الاجتماعي انه نظام يقودنا الى :

1/ التسليم بالواقع القائم(المرفوض جماهيريا) ومن تم تثبيته من خلال صيغة (الحكم الذاتي) التي تكرس الاغتصاب الصهيوني للحقوق الوطنية غير القابلة للتصرف لشعب فلسطين العربي ومنها حقة في العودة وحقه في تقرير المصير وحقه في الاستقلال

2/ التركيز على العامل الاقتصادي الاجتماعي والقفز فوق العوامل الاخرى في الاجتماع الانساني وهي في تركيزها على ذلك العامل تغفل اثر العوامل الاخرى فيه من فكرية وروحية وعقيدية وحضارية

3/ الرهان على قطاع من النخبة والنجاح في استيعابهم ضمن وضعهم في شريحة خاصة بهم واسقاط الجماهير الشعبية الواسعة وقطاع النخبة الاخرى المتلاحمة معها .(7)

ان الخطر الداهم الذي يهدد امة العرب ومستقبلها يكمن في مايشكله هذا النظام من دلالات وغايات فاسرائيل التي تسعى جاهدة الى انجاز مشروعها الصهيوني مستفيدة من استحكام (النزعة القطرية) في السياسة العربية وحالة التردي المعبر عنها بالتسول العربي للامن والحماية الامريكية والاوروبية كل هذا يجعل الصهيونية في حالة اقتراب جدى من ترجمة مشروعها كواقع عملي والانتشار داخل بنية الكيان العربي ومن ثم السيطرة على ثرواته واسواقه والتحكم باداته ودوره السياسي فمنذ حصول الاقطار العربية على استقلالها والدول الاستعمارية تعمل وكأنها موجودة بشكل او بأخر خاصة بعد ان وجدت في الصهيونية وكيانها المسخ (اسرائيل) ضالتها لتجزئة ماتجزأ وفق معاهدة سايكو . بيكو ، والذي اضحى فيما بعد هماً اكبر للصهيونية العالمية والغرب الاستعماري وذلك لان هذا الوطن بحكم امتلاكه مقومات الدولة العظمى يشكل خطرا على استراتيجية الدفاع والسيطرة للدول الاستعمارية وتنفيذ غاياتها في الاستلاب وتكريس واقع التخلف الاجتماعي والحضاري .

ان حقيقة بداية النظام الشرق اوسطي قد اصبحت واضحة كما المسار الاستسلامي اصبح اكثر وضوحاً هو الاخر .. ففي الوقت الذي تعمل فيه اسرائيل على تحسين موقفها التفاوضى عمدت بعض الانظمة العربية الى برمجة امورها وفق حساباتها الخاصة متناسية ارتباطها العضوى بالكيان العربي ومايسببه تنازل بعض الاطراف من نتائج وخيمة على مجمل الكيان العربي واضعاف النظام العربي خاصة في مثل هذه المرحلة البالغة الدقة والخطورة فالاستفراد بالفلسطيين غي اتفاق (اوسلو) اضعف الموقف العربي الداعي الى ربط المسائل المعلقة والمسارات التفاوضية بعضها ببعض كما ان ماتحصل عليه بعض الاطراف العربية (في الاتفاقيات الثنائية) من تنازلات اسرائيلية جزئية يقابله حصول اسرائيل على تنازلات عربية عامة . تدفعها امة العرب ، وخاصة مايتعلق بوضع اسرائيل : القانوني والاقتصادي العام في المنطقة العربية

ان مايراد بالتسوية الاستسلامية هو تغييب صورة المستقبل العربي وفق الرؤى الوطنية والقومية المستقلة ورسم ملامح مستقبل مظلم في ظل نظام شرق اوسطى تغيب فيه الارادة العربية والهوية والنظام القومي العربي لننسلخ بالتالي من جلد عروبتنا وقوميتنا في اطارالشرق الاوسط ونظامه لان اي ترتيب يعد من خارج الوطن العربي وبشكل يتجاهل الهوية العربية والمصالح المشروعة لامة العرب او يلحق افدح الضرر بها بقدر ماهو هدف ظاهر للدوائر الاستعمارية وحليفتها الصهيونية فانه في الوقت نفسه اسهام عربي في

اسقاط الامة العربية بثوابتها المعروفة في حلبة (الشرق اوسطية) وتغييبها تاريخا وحضارة ووجوداً انسانيا حملته الاجيال المتعاقبة وضحت بالكثير من اجل ديمومته وتعزيز بقائه وصد المحن التي استهدفته عبر تارخ الامة الطويل .

3/ الشرق اوسطية وتأثيرها على البيئة العربية اجتماعيا

شهد تاريخ الجنس البشري صراعات وحشية ودموية وخاصة في القرن العشرين (العقدين الاخرين) فمن الحرب العالمية الاولى الى الثانية ثم سلسلة الحروب الاقليمية في اغلب القارات وقد استخدم في هذه الحروب ابشع انواع اسلحة التدمير ولعل من المفارقة : ان هذه الحروب قد وقعت في عصر شهد فيه العالم تقدما علميا وتكنولوجيا كبيرا ووفقا لمنظور التطور هو ان تشهد البشرية ظاهرة تراجع العنف والوحشية بدلا من استفحالها كما ان الغريب في الامر هو ان الدولة التي تفاخرت لعقود من الزمن على انها الدولة الاكثر تقدما وحضارة قد انتقمت في خلال اقل من خمس سنوات (89-1993) في تبني شعارات ذات طبيعة انسانية الى رفع شعارات ذات طبيعة وحشية وبدائية فالولايات المتحدة الامريكية بعد ان زال الخطر السوفيتي لم تتحرج في خرق القانون الدولي والتجاوز على سيادة الدول وانتهاك حقوقها المشروعة واستخدام لغة الابتزاز حتى مع ابرز حلفائها .

واذا كان الغطاء الاساسي لحروب القرن العشرين غطاء ايدلوجيا كما صور على انه تناقض بين الرأسمالية والشيوعية بحيث اصطبغت الصراعات ذات المنشأ التاريخي او المحلي بانها جزء من هذا الصراع لكن انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي احدث تحولات اساسية في طبيعة الصراع في مستوى المجتمع الدولي ولعل اهم هذه التحولات هو البحث عن صيغ ونظريات تفسر وضع العالم الراهن وتطرح رؤية مستقبلية للعلاقات الدولية واذا كان طرح النظام الشرق اوسطي قد جاء في اعقاب احداث الخليج **1991** فان التحضير له قد بدأ قبل ذلك بعدة سنوات إثر ولادة فكرته في الولايات المتحدة الامريكية في اعقاب تحولات مابعد حرب رمضان وابرام معاهدة **1979** بين مصر واسرائيل برعاية امريكية وسعت مراكز البحث والدراسات لبلورة صيغة تحسم الصراع في هذه المنطقة من العالم ولعل نظرية (صدام الحضارات) التي صاغ ملامحها البروفيسور الامريكي هينتنغون والتي يقدم فيها تصوراً تشاؤميا عن مستقبل العلاقات الدولية : حيث يرى ان سقوط الصراع الايدولوجي بين الرأسمالية والشيوعية قد فسح المجال لبروز صراعات متعددة الاشكال والاطراف بين الحضارات المختلفة وبشكل خاص بين الحضارات الشرقية والغربية .

ان نظرة سريعة لما يجري في عالم اليوم من صراعات دموية تكفي لادراك هينتغون لم يكن يعبر عن وجهة نظر اكاديمية بل يمهد لاستراتيجية كونية جديدة تبنتها ادارة الرئيس بل كلينتون محورها تكتيل من ينتسب للحضارة الغربية في جبهة مناهضة للحضارات الحضارات الشرقية الاسلامية .

وفي عالمنا العربي وبعد ان اصاب نسق القيم في النظام الاقليمي العربي خلل شديد اذ اصبحت بعض المسلمات والثوابت من تلك القيم موضع تفسير وتساؤل وانتهاك صاروح احيانا فلم يعد تحرير الارض العربية في فلسطين المحتلة هدفا اساسيا بعد ان اصبح طلب المفاوضات المباشرة غير المشروطة مطلبا عربيا رسميا للكثيرين وازدادت تنازلاتنا لاسرائيل وامريكا وماكنا نرفضه في الخمسينات والستينات صرنا نقبله في السبعينات والثمانينات والتسعينات بل وحتى نتوسل في الحصول عليه دون ان نتمكن من ذلك ويجرى كل ذلك باسم الواقعية وحملة اعلامية مكثفة من التطبيع النفسي للتعامل مع العدو الصهيوني والى مزيد من التنازلات (8).

كما ان الاستقلال الوطني والقومي الذي ناضل العرب على مدى ثمانية عقود ودفعوا وضحوا بالكثير من اجله لم يعد قيمة وقضية مسلما بها اذ عاد بعض العرب الى الدعوة الى التواجد الاجنبي على ارض عربية ويتم ذلك كله صراحة وعلانية ووسط سكوت وتسليم معلنين او مبطنين واحيانا مدفوعي الثمن من اطراف عربية اخرى (9) .

اضافة الى تردى العلاقات العربية - العربية وتشرذمها وفشل الجامعة العربية ومظعم مؤسسات العمل العربي المشترك في اداء دورها ناهيك عن تغييب الجماهير العربية وانكار دورها في اداء رسالتها النضالية بحكم كونها صاحبة المصلحة الحقيقية في نضال الامة ضد اعدائها الحقيقين .

وامام هذين الواقعين المتناقضين (واقع التكتل الغربي) والذي تتزعمه امريكا وواقع الاستسلام العربي يبرز دور اسرائيل فى تغذية التكتل المناوي لامتنا :

«فالدولة العبرية حرصت مند قيامها على توثير العلاقات بين الاسلام والغرب الى اقصى حد ممكن وهي بذلك تصيب عصفورين بحجر واحد فبتوتيرها علاقات العرب من حيث هم في غالبيتهم من المسلمين مع الغرب تقطعهم عن مصادر الحداثة والحال ان تحديث المجتمعات العربية هو مصدر خوف حقيقي للاسرائيلين كما انها بتصويرها نفسها على انها جسر متقدم للمغرب في قلب العالم العربي والاسلامي المعادي له تضمن لنفسها اكبر قدر في التعاطف الغربي في المهمة الجيبوليتيكيةالتي تضطلع بها منذ قيامها كحصن حضاري متقدم يرد عنه خطر النهوض العربي منذ ان بدأت النهضة العربية تعبر عن مكوناتها الصحيحة الرامية الى التوحد والتي تعد تجربة (محمد علي باشا(1805-1840) في مقدمة هذه المحاولات الرامية الى الوحدة ذات المحتوى الاستقلالي عن الدولة العثمانية) بعد ان عبرت عن افكار قومية تتحدث عن امجاد العرب وتاريخهم وتعمل بوعي تام باتجاه التيار الوحدوي العربي التاريخي كما عبرت عن نفسها بمشروع نهضوى لم يقتصر على جانب دون اخر من خلال طرح (برنامج عمل تكاملى) النهضة الاقتصادية المستقلة، تطوير الصناعات العسكرية والمدنية، خلق الكوادر العربية اللازمة لعملية التحديث والنهوض الحضاري، ثم الحملة المصرية على بلاد الشام (1831) والتي عبرت عن البرنامج السياسي لهذا المشروع بعد قيام ابراهيم باشا باتخاذ عدد من الخطوات الاصلاحية تمهيداً لوضع بلاد الشام على عتبة التحديث مع العناية بالجوانب الروحية كاحلال اللغة العربية (لغة رسمية) بهدف احياء هذه اللغة وبث روح التجديد وغرس الوعي القومي العربي في نفوس الطلاب وعقولهم .

وامام هذا المشروع الحضاري كان لابد للفزع من ان يصيب الغرب الاستعماري الذي عمد الى واده تحت غطاء الخطر القادم من الشرق وذلك من خلال خلق المصاعب بوجه السلطة واتخادها ذريعة للعدوان العسكري (اضطربات ايار 1840) ثم معاهدة لندن بعد ان وجهته (انجلترا وروسيا والنمسا وفرنسا) انذار الى محمد علي باشا والتي تهدف الى تجريد مصر في اهم اقاليمها الاستراتيجية (اليمن، الخليج ،العربي ، سوريا الحجاز) وحين رفض محمد علي باشا لجأت الاساطيل الاوروبية الى قصف المدن السورية والتهديد بقصف الاسكندرية الامر الذي دفع الى الانسحاب من سوريا وفلسطين واعادة جميع الاراضي الخاضعة للسلطان العثماني وتقليص الجيش

نخلص من هذا ان التحديث والنزوع الوحدوي اهم مايخيف الغرب .. ولنا في تجربة (العراق) خير دليل على ذلك واشهار سيف الحصار لا المقاطعة بوجه العراق وليبيا وايران والسودان .

يضاف الى ذلك ان امريكا من خلال نظامها الدولي الجديد تهدف الى انهاء المنازعات القائمة وتهدئه بؤر التوتر الاقليمية ورسم خارطة جديدة

للعالم تنسجم مع افكارها حول هذا النظام الجديد ولذا يجد العرب انفسهم امام عملية دولية تستهدف رسم منطقتهم تحت زعامة اسرائيلية من خلال مايسمى بالنظام الشرق اوسطى الذي لاتتوقف اخطاره على الصعيد الاقتصادي وانما تمتد لتشمل (المجتمع العربي) كوحدة وكيان اجتماعي متماسك من خلال زعزعة الروابط الاجتماعية القائمة والغائها ليصبح العرب في بحر متلاطم بعد ان يفقدوا كل مايعيد تماسكهم في كيان اجتماعي له وزنه وثقله السياسي ناهيك عن اشكالية (الفكر العربي المعاصر) امام التحديات الخطيرة التي تواجه الامة العربية ومايعترضه من معوقات طبيعية ولغوية ونفسية اذ يجتاز الوطن العربي مرحلة دقيقة من تاريخه الحديث ان تطور الاوضاع في الوطن العربي منذ الحرب العالمية الثانية وهو التطور الذي حصل بفعل عوامل داخلية بدون شك ولكن بالارتباط ايضا ارتباطا تبعية في الغالب بتحولات الوضع الدولي في الفترة نفسها ان هذا التطور الذي حصل قد بلغ الان مرحلة « الازمة الشاملة » الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية المرحلة التي يدل فيها كل شئ دلالة واضحة قاطعة على ان مواصلة المسير بنفس المعطيات والعلاقات والرؤي التي كانت سائدة من قبل لم تعد ممكنة وان الازمة القائمة هي من تلك الازمات التي تتقلص فيها الاختيارات من اثنين لاثالث لهما اما الفرق في الازمة والدخول في مسلسل من التدهور والفوضى والانحلال والضياع واما تجاوزها الى وضعية جديدة تماماً انطلاقا من التفكيك الواعي الهادف للوضعية القائمة المأزوية والشروع في عملية بناء جديدة بمنطلقات واستشرافات جديدة كذلك (10) .

ان نظرة متفحصة للواقع العربي تدلنا على ان هناك صراعا الان يحتدم بين تفكير الوحدة والنهضة العربية وبين هدف ابقاء الموجود لصالح قوى الاستعمار ويجرى بوسائل ثقافية مختلفة الى جانب الوسائل الاخرى ولايكفي ان يكون اتجاه الوحدة والنهضة على حق وفي اتجاه التاريخ ينتصر في النهاية بل لابد من العمل ايضا على حسم الصراع الذي يعيشه الفكر العربي منذ اواسط القرن الماضي والى يومنا هذا وهو الصراع الذي لايهدأ الا ليشتد بين مرجعيتين مرجعية تراثية تنمنى الى الماضي ومرجعية نهضوية تنتمي الى المستقبل كما تتصارع في حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مظاهر كثيرة تعكس تلك الثنائية التي تصبغ مختلف مرافق حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وسواء كانت هاتان المرجعيتان تعبران عن مصالح اجتماعية متناقضة او كانت مستقلتين عن مثل هذه المصالح فان النتيجة واحدة وهي ان الخروج من حالة الازمة الشاملة التي يعاني منها الوطن العربي اليوم يتطلب تدشين عنصر تدوين جديد يكون اطاراً لمرجعية جديدة قوامها اصول اعيد تأصيلها واخرى مستحدثة بكاملها ان يجيدوا التخطيط له فاما ان يعملوا على تغييره وهذا ممكن في الظواهر الاجتماعية او يعملوا على الاقل على توقى مخاطرة والامساك بالفرص المتاحة فيه واستغلالها لصالحهم غير ان الحديث عن المستقبل بالاضافة الى اهمية صعبة للغاية وهو في مجال الظواهر الاجتماعية اصعب بكثير منه في مجال الظواهر الطبيعية نظرا الى تعدد المتغيرات التي يبني عليها استشراف المستقبل وتشابك هذه المتغيرات على نحو مربك للباحثين ..(13) .

الا ان المسلم به هو ان (التحديث) امر مهم ومطلوب في ظل ظروف المرحلة الراهنة فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية خاض الغرب ثلاث جولات عسكرية كبرى ضد اطراف عربية كانت كلها بهدف القضاء على مشاريع عروبية تحديثية (مصر ، الجزائر ، العراق) ناهيك عن الحملة الاستعمارية التي تتعرض لها الجماهيرية والحصار النفطي المفروض عليها بدون اي مسوغ قانوني واذا كان الغرب مستعد لشن الحملات الواسعة ضد اي مشروع تحديث عربي فلانه يدرك تماماً مامدى خطورة تهديده لمصالحه الحيوية .. لذا نراه يعمد بدلا من اللجوء الى الحملات العسكرية الى تهيئة

المشاريع كالنظام الشرق اوسطى الذي سيبقى حالة التخلف قائمة في المجتمع العربي في ظل التفوق الاسرائيلي وامتلاكها سلاح الردع النووي مما يجعل الاطراف الاخرى في موقف دفاعي دائم بالنسبة لمصالحها الكبرى اضافة الى مايشكله هذا النظام من نفى للعروبة كفكرة وكيان والنفاذ الى الداخل العربي الامر الذي يجعل من (الامن القومي العربي) و(المشروع الحضاري) برغم تواضعه مجرد تسميات لاوجود لها لانها تتقاطع اصلا مع ماخطط لهذا الوطن الممتد من المحيط الى الخليج والمتوفر على امكانيات اقتصادية وسياسة وجغرافية هائلة في ضرورة ابقائه اسير حالة التخلف الاجتماعي والاقتصادي المصحوب بالتشردم السياسي والانكفاء القطري ولعل هذا مايفسر ظهور (النظام الشرق اوسطى) على ايدى القوى الدولية ذاتها التي تتناقض مصالحها مع تجسيد الرابطة القومية لامة العرب بشكل او بأخر بعد ان استطاعت في مؤتمر مريد وكما يقول كريستوفر : من كسر المحرمات السياسية بين العرب واسرائيل .

الهوامش :

1/ انظر د. علي الدين هلال واخرون – العرب والعالم – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1988 ص49

2/ خير الدين حسيب – التحديات – الشرق اوسطيه – الجديدة والوطن العربي – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1994 ص9

3/ غسان سلامة – افكار اولية عن السوق الاوسطيه بحث منشور في التحديات الشرق اوسطيه الجديدة والوطن العربي – مركز دراسات الوحدة العربية بيروت1994 ص42

4/ احمد يوسف احمد – العرب وتحديات النظام الشرق اوسطي مناقشة لبعض الابعاد والسياسة بحث منشور في المصدر السابق ص 18

5/ احمد يوسف احمد مصدر سابق

6/ احمد صدقي الدجاني تعقيب منشور في المصدر السابق ص 62

7/ المصدر السابق ص 70.69 بتصرف

8/ انظر خير الدين حسيب التحديات – الشرق اوسطيه الجديدة والوطن العربي (مصدر سابق) ص9

9/انظر : المصدر السابق

10/د. محمد عابد الجابري وجهة نظر نحو اعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 1992ص9

11/ انظر المصدر السابق ص 12.11

12/ غسان سلامة (مصدر سابق) ص45

13/ احمد يوسف احمد (مصدر سابق) ص22.

التبعية الثقافية للآخر كثمن محتمل للشرق اوسطية فى ظل النظام العالمي " الجديد "

د . رفعت سيد احمد / مصر

مدخل :

تعيش الامة العربية والاسلامية ، منذ هزيمة 1967 ف وحتى اليوم حالة من الوحدة والاضطراب السياسى والاقتصادى والحضارى تتبدى اكثر ماتتبدى فى النظرة والسلوك تجاه (الكيان الصهيونى) وتجاه اساليب التعامل معه ·

وكانت أبرز نتائج هذه الحال من الوهن والاضطراب هو الدخول فى اتفاقات ، ومواثيق صلح ، مع هذا الكيان ، كان ابرزها (اتفاقية كامب ديفيد 1979) ، واتفاقات اوسلو و (غزة اريحا اولا) مع مطلع التسعينات ·

واليوم تعيش الامة ، الآثار السلبية لتلك الاتفاقات غير المنطقية ، وغير المتسقة مع طبيعة الصراع مع الكيان الصهيونى والذى هو صراع وجود ، وهوية ، وبقاء وليس مجرد نزاع على قطعة ارض او نهر او مرتفعات جبلية ·

ولعل فى مقولة (السوق الشرق اوسطية) تتجسد أبرز الآثار السلبية لتلك الاتفاقات ولحالة الوهن العام الذى تعيشه امتنا فماذا تحمله لنا تلك المقولة التى تترجم الآن الى واقع عملى ملموس من آثار على اقتصاد وهوية الامن القومى لمجتمعنا العربى الاسلامى ؟

ان الاجابة على هذا السؤال طويلة ومركبة فى آن واحد ويستلزم التعرض العلمى لها ان نفكك بنيتها ونقوم بتحليلها بعداً ، بعدا ، حتى نتمكن من الفهم الدقيق لها ، ومن ثم المواجهة الصحيحة ·

ولذا ··· سوف نتجه فى هذا البحث الى تناول (التبعية الثقافية)

كأحد الابعاد المحتملة لما يسمى بالسوق الشرق اوسطية · وتحت مظلة الهيمنة الامريكية الجديدة والمسماة (بالنظام العالمى الجديد) وهى المظلة التى لولاها لما ازدهر المفهوم ، وراج على صعيد النخب ، الحاكمة والقوى المستبدة فى منطقتنا العربية والاسلامية .

يستلزم البحث ، بناء على هذا الهدف ، ان يعالج المحاور التالية :

اولاً : تحديد المفاهيم : الشرق اوسطية ـ النظام العالمى الجديد ·

ثانياً : آليات التبعية الثقافية فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد ·

ثالثاً : وسائل فرض التبعية الثقافية فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد

وبتفصيل المحاور السابقة يستبين مايلي :

اولاً : تحديد المفاهيم

(1) الشرق اوسطية :

لقد راج هذا المفهوم بعد توقيع اتفاق غزة اريحا اولا يوم 1993/9/13 ، بامكاننا ان نتلمس بداياته فى الكلمة التى القاها الرئيس الامريكى كلينتون

اثناء توقيع الاتفاق الفلسطيني ـ الاسرائيلي بالبيت الابيض يوم 1993/9/13 حين تحدث عن (مثلث الازدهار الذى يضم اسرائيل والكيان الفلسطيني ـ الاردن) وقال ايضا : ان هذا المثلث التاريخي مطالب بعودة قوافل التجار والتجارة وقوافل البشر والثقافات والبضاعة والممرات ووصف المثلث بأنه (الممر التاريخي بين طرفي البحر المتوسط وصولا الى العمق العربى فى اليمن ومن ثم الى آسيا) رغم هذا التحديد الامريكي للمفهوم الا ان التاريخ ينبئنا ان هذا المفهوم قديم ، ويعود الى نهاية الاربعينات من هذا القرن ، بل يذهب البعض الى القول انه مشروع قديم قدم المشروع الصهيوني ، فالشرق اوسطية هى حلم لهرتزل الذى تخيل قيام كومنولث شرق اوسطي يكون للدولة العبرية\ فيه شأن قيادي فاعل ودور اقتصادى قائد ، تكون اسرائيل فيه مركز الجذب للاستثمارات والتحديث والتكنولوجيا والبحث العلمي والخبرة التقنية ، والسوق الشرق اوسطية نسخة من مشروع وزير المالية الصهيوني فى حكومة الليكود بزعامة مناحيم بيجن والذى عرضه بعد زيارة السادات للقدس عام 1977 وسمى (مشروع مارشال موسع للشرق الاوسط)وتتضمن عدة نقاط :

1ـ ان هذا المشروع هو وحده الكفيل بضمان السلام الدائم . فمثلا ان الحدود الطويلة غير قادرة على منع نشوب الحروب كذلك الحدود القصيرة الا اذا ساندها مشروع اقتصادى تستفيد منه دول المنطقة .

2ـ يشتمل المشروع على صندوق مالى قوامه 30 مليار دولار سنويا لعشر سنوات اي مايعادل 300 مليار دولار ويكون لكل دولة توقع اتفاق سلام فى الشرق الاوسط الحق فى الاستفادة من الصندوق .

3ـ سينصرف الصندوق الى تمويل مشروعات اقتصادية وعملية وصحية وثقافية وسيكون لدى دول الشرق الاوسط ماتخسره اذا لم تنضم الى المشروع السياسى والاقتصادى هذا .

4ـ تقدم الولايات المتحدة الامريكية ثلث المبلغ المطلوب وتقدم السوق الاوروبية المشتركة الثلث الباقى وتمول كندا واستراليا و الدول الاسكندنافية الثلث المتبقى .

5ـ ان اوروبا تعانى مشكلة خمسة عشر مليون عاطل عن العمل لكن هؤلاء الذين يجب اعالتهم بخطة عون اجتماعية هم بالذات مصدر التمويل . بدلا من ان تدفع الدول الاوروبية معونات للبطالة تدفعها أجور عمل لأن مشروع مارشال لايزود اوروبا بالاموال بل بضريقة لزيادة انتاجها وتشغيل العمالة العاطلة وسوف يتيح لها تصدير وسائل الانتاج والبنى الاساسية الصناعية كالمعامل والآلات الزراعية والمعدات العملية والسلع الرأسمالية .

6ـ ان الثلاثين مليار دولار سنويا ولمدة عشر سنوات قادمة كفيلة بدفع الاقتصاد العالمى الى تحقيق قد يصل الى 6 بالمائة سنويا .

7ـ يكون الاشتراك فى الصندوق طبقا لعدد السكان والحاجة

8ـ ان اسرائيل وسوريا والاردن متساويات فى الحاجات وسوف يحصل كل منهم على مليارين ونصف المليار دولار سنويا ، بشرط تخصيص نصف مليار دولار من هذا المبلغ لتوطين اللاجئين الفلسطينيين المقيمين داخل حدودها .

وقد استجابت بعض الاوساط الامريكية لمشروع مارشال فتقدم عضو مجلس الشيوخ فرانك تشيرش باقتراح الى لجنة الخارجية والامن لتبنى مشروع اقتصادى ـ انمائي يشمل اسرائيل وجاراتها العربيات وجاء فى ديباجة الاقتراح على رئيس الولايات المتحدة ان يبادر الى دعوة مصر واسرائيل الى مباحثات مع حكومتنا ومع حكومات دول صناعية غربية اخرى تتعلق بامكانات بلورة مشروع مارشال جديد للشرق الاوسط يؤدى الى تعاون اقتصادى كامل بين الشعبين المصرى والاسرائيلى وجميع المقيمين فى الشرق الاوسط المستعدين للعيش بسلام وبموجب هذا الاقتراح تقوم الولايات المتحدة ودول صناعية غربية اخرى بمهمة اساسية فى بلورة هذا المشروع الذى سيكون شبيها بالمشروع الذى بلوره مارشال وأدى الى إعادة بناء اوروبا اقتصاديا بعد الحرب العالمية الثانية .

ولعل مشروع مارشال الشرق الاوسط هو اوضح مثال على مشروعات السيطرة الاسرائيلية فى الوطن العربى تحت شعار السلام العادل وقال شيمون بيريز ان اسرائيل تواجه خيارا حادا ان تكون اسرائيل الكبرى اعتمادا على عدد الفلسطينيين الذين تحكمهم أو ان تكون اسرائيل الكبرى اعتمادا على حجم السوق التى تحت تصرفها (1) وفى الحالتين لامفر من قيام اسرائيل الكبرى التى يكرسها اعلان المبادىء .

هذا وينص البند الثانى عشر من اعلان مبادىء غزة اريحا على مايلى :

سيقوم الطرفان بدعوة كل من الاردن ومصر للمشاركة فى تشكيل المزيد من ترتيبات التعاون والارتباط بين حكومة اسرائيل والممثلين الفلسطينيين من جهة وحكومتى الاردن ومصر من جهة اخرى لتشجيع التعاون بينهم .

كما ينص البند السادس عشر تحت عنوان التعاون الفلسطينى الاسرائيلى المتعلق بالبرامج الاقليمية على مايلى ينظر الطرفان الى مجموعة المحادثات متعددة الاطراف كأداة ملائمة لترويج خطة مارشال: برامج اقليمية وبرامج أخرى تشمل على ماهو مشار اليه فى الملحق الرابع والمقصود هو الاشارة الى برامج التنمية الاقتصادية فى المنطقة التى تتضمن تطوير البنية التحتية ،البرامج البشرية والزراعية والسياحية ..الخ .

وهكذا فان اتفاق غزة - اريحا وهو البداية الحقيقية للترتيبات الشرق اوسطية وهو بمثابة الاعلان عن تأسيس شركة قابضة عملاقة مركزها الدولة العبرية بمعاونة الفلسطينيين وستكون مصر والاردن الدولتان الاقرب الى الكيان الجديد وعبر الاردن سيتم فتح اسواق الخليج العربى والعراق وعبر مصر ابواب شمال افريقيا كلها بما تحتويه من الايدى العاملة الرخيصة .

وقد تعاظم الطموح الاسرائيلى بعد الاعلان فيؤكد دان جيلرمان رئيس غرفة التجارة الاسرائيلية انه فى اطار السلام يمكن لاسرائيل ان تصبح سنغافورة الشرق الاوسط ويمكن ان تصبح قاعدة تهتم الشركات متعددة الجنسية والشركات الدولية بإقامة قواعد بها ويتصور رجال الاعمال ان تصبح اسرائيل جسرا للتجارة بين العالم العربى وشركائه التجاريين الرئيسيين وان تصبح اسرائيل مركزا مالياً فى الشرق الاوسط وربما يتلخص المنطق الصهيونى فى المكاسب البعيدة والقريبة التى تتوقعها والتى تتراوح بين أن اسرائيل لاتريد ان تكسب بضعة كيلومترات وتخسر فى المقابل اسواقا عربية تقدر بنحو **200** مليار دولار وفقاً لأحد مفكرى حزب العمل وحتى الاستفادة من المساعدات الدولية التى هى الضفة وغزة وفقاً لوزير المالية الاسرائيلى هذا بالاضافة الى ماينسب الى شيمون بيريز من ان اعباء التسلح أشد خطرا على اقتصاد اسرائيل من هجوم عسكرى وتطلع الى برنامج مارشال لبناء شرق اوسط جديد بتمويل ذاتى من المنطقة ومطالبه بانشاء سوق مشتركة فى الشرق الاوسط والسير على درب النمور الآسيوية السبعة والسوق الاوروبية المشتركة واتفاق التجارة الحرة لامريكا الشمالية .

وقد خصص اتحاد عمال اسرائيل (الهستدروت) اجتماعه الرابع السنوى الذى عقد فى ابريل **1994** لبحث موضوع الربط المستقبلى بين اقتصاد الحكم الذاتى والاقتصاد الاسرائيلى وفي البداية حذر حايين هيدفيلد سكرتير عام الهستدروت من صعوبة استمرار الفجوة الحالية الموجودة بين الاقتصاديين والمتمثلة فى الاختلال الكبير بين مستوى معيشة الفرد فيهما واصبحت مهمة الاتحاد (التطلع للامام حتى لايصنع ذلك العهد الجديد الذى سيتحقق في القريب) ويفسر بنيامين يسعور هذه العبارة من جانبه استمرار الفجوة ،يمنع تحقيق واحدة من اهم اهداف اعلان المبادىء وهى (اقامة سوق شرق اوسطية مشتركة) ومن اجل ذلك عمد الهستدروت الى اجراء اتصالات مع اتحاد الروابط المهنية في مناطق الحكم الذاتي لبلورة سياسة مشتركة فى مجالات الصحة وقوانين العمل ولسد الثغرات التى نشأت خلال فترة الاحتلال أما«دان بورمز» رئيس مكتب تنسيق منظمات رجال الاعمال فقد صرح بأن هناك خطوات ايجابية لاقامة السوق الشرق اوسطية بعد اعلان المبادىء أهمها :

1- تكليف لجنة رؤساء منظمات رجال الاعمال

فى اسرائيل لمعالجة جميع القضايا التى تتصل بتطبيق السلام بصورة مركزة من خلال التنسيق التام مع الوزارات .

2. انشاء لجان حرفية مماثلة للتى شكلتها اللجنة الوزارية للشئون الاقتصادية بهدف بلورة سياسة مشتركة مع رجال الاعمال .

3. الاستمرار فى الاتصالات الشخصية مع رجال الاقتصاد الفلسطينيين والاردنيين ورجال الاقتصادالدوليين بالمنطقة بهدف خلق جو تجارى سليم وضمان تواجد مناخ تجارى صحى في المنطقة .

4. تشجيع الشركات متعددة الجنسيات والشركات ذات رؤوس الاموال الضخمة على الاستثمار فى اسرائيل بما يعود بالفائدة على كل دول المنطقة .

نستخلص من كل هذا أن التبشير بالسوق الشرق اوسطية هى حملة امريكية صهيونية دعمها اعلان المبادىء بعد حرب الخليج الثانية .

ونستخلص ايضا ان الشرق اوسطية تستهدف تذويب الهوية والمصالح العربية وفى كيان بلا ملامح او هوية محددة وهو كيان يسمح بذلك باستيعاب الكيان الصهيونى بداخله ، بل سيصير هذا الكيان هو المسيطر على الاقتصاد والسياسة والهياكل العسكرية .

تلك هي الشرق اوسطية كما يراد لها ان تكون فى ظل الهيمنة الامريكية على المنطقة والتى تسمى خطأ بالنظام العالمى الجديد .

(2) ماهية النظام العالمى الجديد :

ان للنظام العالمى الجديد معنى وماهية مضطربة عند الذين صاغوه ونقصد بهم المسؤولين الامريكيين ابان حرب الخليج الثانية **1991** وبعدها فمن وجهة نظر جورج بوش الذى يعد اول من تلفظ بهذا المصطلح ان النظام العالمى الجديد هو اطار للعالم الجديد خال من توترات الحرب الباردة حيث يتم فى هذا الاطار حل النزاعات الاقليمية مثل ازمة الخليج بدون تنافس بين القوى العظمى ولقد كانت هزيمة القوات العراقية فى حرب الخليج بمثابة الاختبار الاول للنظام العالمى الجديد وقد نجح هذا الاختبار الاول وان النظام العالمى الجديد لايوجد فيه شخص مثل صدام حسين يمكن ان يستهين بالولايات المتحدة الامريكية ويقلل من قدرها او يهدد المنطقة التى يعيش فيها ولنتأمل كيف ان شخصا مثل صدام حسين يصبح هو وحده المسؤول عن تعريف النظام العالمى الجديد وتحديد آليات عمله ويقول بوش ايضا فى **11** سبتمبر **1990** فى حديثه عن ازمة الخليج :اننا نقف اليوم فى لحظة فريدة واستثنائية ورغم خطورة الازمة فى الخليج الفارسى الا انها تتيح فرصة اكبر للتحرك نحو فترة تاريخية من التعاون وان من اهدافنا للخروج من هذه الاوقات الطاحنة بلورة نظام عالمى جديد مع فترة جديدة خالية من الارهاب اقوى فى تطبيق العدالة واكثر امنا فى موضوع السلام وهى فترة يمكن ان تزدهر فيها دول العالم فى الشرق والغرب والشمال والجنوب بحيث تعيش دول العالم فى انسجام ..ثم يقول :ان الاحداث التي وقعت فى منطقة الخليج قد اظهرت انه لابديل عن القيادة الامريكية .

وفى اول اكتوبر **1990** ف قال بوش فى خطابه امام الجمعية العمومية للامم المتحدة: فى ايدينا فرصة الضغط الى الامام لحفز حركة تاريخية نحو نظام عالمى جديد، لدينا فكرة لشراكة جديدة للامم تحل محل الحرب الباردة، شراكة مبنية على التشاور والتعاون والعمل الجماعى ، شراكة يوحدها المبدأ وسيادة القانون ويدعمها الاسهام العادل فى التكاليف والالتزامات ،شراكة تهدف الى زيادة الديمقراطية وزيادة الرفاهية وزيادة السلام والحد من الاسلحة وانا ارى عالما يبنى على النموذج الجديد للوحدة الاوروبية وليس فقط اوروبا ولكن : عالم متكامل وحر .

وفى يوم **29** يناير **1991** ف اشار بوش فى حديثه عن النظام العالمى الجديد قائلاً :انها فكرة كبيرة نظام عالمى جديد حيث تسحب (تجر) وتدفع الدول المتباينة الى قضية مشتركة لتحقيق طموحات البشرية للسلام والامن والحرية وسيادة القانون لقد قادت امريكا النضال لأجيال لتحافظ على الحرية وتوسع دائرتها واليوم ففى عالم يتغير

بسرعة فان القيادة الامريكية لايمكن الاستغناء عنها .

وفى تقرير بوش عن استراتيجية الامن القومى الامريكى الذى قدمه للكونجرس يوم 13 اغسطس 1991 اوضح بوش ان مصالح امريكا واهدافها فى التسعينات تكمن فى بناء عالم مستقر وآمن تزدهر فيه الحرية السياسية والاقتصادية وحقوق الانسان والمؤسسات الديمقراطية ولكنه فجأة يقلب كل تصوراته السابقة رأسا على عقب بقوله وفى مقدمة هذه الاستراتيجية : ان النظام العالمى الجديد ليس حقيقة ،انه طموح وأمل وفرصة (2)

ولقد حدد بوش فى هذه الاستراتيجية المطروحة فى ضوء النظام العالمى الجديد المصالح الامريكية منه على النحو التالى :

1/ ضمان حياة الولايات المتحدة الامريكية كدولة حرة مستقلة تكون قيمها الاساسية بعيدة عن الخطر والدمار تماما وتكون مؤسساتها آمنة وكذا شعبها .

2/ اقتصاد امريكي قوى متنامى لضمان تحقيق الرفاهية الفردية وتوفير الموارد اللازمة للمحاولات والجهود القومية على المستوى المحلى والخارجي .

3/ تحقيق القيادة الامريكية التى لاغنى عنها ولابديل لها

4/ اعطاء دور للامم المتحدة لتلعبه فى النظام العالمى الجديد لأن واشنطن تقدر دور الامم المتحدة فى ازمة الخليج لصالح امريكا .

5/ ينبغى ان يعتمد النظام العالمى الجديد على القيم والمثل الامريكية التى ينبغى ان تزدهر فى العالم حتى تبنى فى النهاية عالما حرا ومتكاملا .

6/ تهيئة هيكل ونظام عالمى يمكن ان يرسخ موقع امريكا ويحفظ المصالح الامريكية فى العالم (3)

نسأل الآن اي نظام عالمى جديد هذا الذى يريدون فرضه على العالم ؟ ان اصحابه كانوا واضحين للغاية فى تقديمه لنا وفى الاعلان عن نواياهم بشأنه فلماذا يتفاءل البعض منا اكثر من اللازم ولماذا ينصبون انفسهم دعاة لنظام استعمارى جديد يريده اصحابه ان يكون كذلك فهل صار هؤلاء ملكيين اكثر من الملك :هى المصالح الضيقة او التشوه الفكرى والسياسى الذى اوصل مثقفينا الى هذا المستوى الهزلى من الوعى والفهم !!

ان اصحاب المصطلح ، مصطلح (النظام العالمى الجديد) يرونه وسيلة لفرض (القيم الامريكية) على العالم وتمركز هذا العالم حول تلك القيم الثقافية والسياسية وان مصالح الولايات المتحدة هى المرتكز الذى من حوله تدور عجلة هذا النظام الجديد فهل بعد ذلك من قول آخر يحاول ان يجمل مافسده الدهر وابرزته المصالح ؟

ان وضوح هدف وماهية النظام العالمى الجديد تؤكد في احد جوانبها على اننا ينبغى الا نرتكن للواقع المراد فرضه علينا وان خيوط التبعية الثقافية التى يريدون حبكها من حولنا فى ظل هذا النظام آن لها ان تنفك وتتمزق وبأيدينا ولكي يتم ذلك لابد من معرفة آليات عملها واطرها الكاملة .

ثانياً :
آليات التبعية الثقافية فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد :

يجمع فريق هام من مثقفى ومفكرى الغرب ـ ذاته ـ على ان صراع الحاضر والمستقبل سوف يكون صراعا بين حضارات وثقافات بالاساس ولنتأمل كلمات صمويل هانتجتون فى بحثه المعنون بـ (هل هو صدام بين حضارات) والتى لايريد بعض مثقفينا استيعابها ويكابرون دون ذلك انه يقول: ان الخلافات بين الحضارات حقيقية ومهمة وان الوعى بالحضارة اخذ فى التزايد وان النزاع بين الحضارات سيحل محل الاشكال الايديولوجية وغيرها للنزاع باعتباره الشكل العالمي المهيمن للنزاع وان العلاقات الدولية التى كانت تاريخيا مباراة يتم لعبها داخل الحضارة الغربية سيتم نزع طابعها الغربى بصورة متزايدة وتغدو مباراة تكون فيها الحضارات غير الغربية قوى فاعلة وليست مجرد مفعول بها وان المؤسسات الاقتصادية والامنية والسياسية الدولية الناجحة يزداد احتمال تطورها داخل الحضارات وليس عبر الحضارات وان المنازعات بين المجموعات فى الحضارات المختلفة ستكون اكثر توترا واكثر

استدامة واكثر عنفا من المنازعات بين المجموعات فى الحضارة نفسها وان النزاعات العنيفة بين المجموعات فى الحضارات المختلفة هى ارجح واخطر مصدر للتصاعد قد يؤدى الى حروب عالمية وان المحور البارز للسياسات العالمية سيتمثل فى العلاقات بين الغرب والباقي وان النخب فى بعض البلدان غير الغربية الممزقة ستحاول جعل بلدانها جزءا من الغرب لكنها ستواجه فى معظم الاحوال عقبات فى سبيل تحقيق ذلك وان البؤرة المركزية للنزاع في المستقبل المباشر ستكون بين الغرب وعدة دول اسلامية وكونفوشوسيه (4) وهو بعد ذلك يؤكد على انه يقدم هذا التوصيف المستقبلى ليس حبا فى صراع الحضارات ولكن لكى يستفيد الغرب ويأخذ حذره ويطور آليات عمله واستراتيجياته وبخاصه تجاه الدول التى تنتمى الى حضارة الاسلام ونحن قطعاً فى القلب منها .

ان هذا الفهم الغربى لطبيعة الصراع المستقبلى القادم يؤكد على اهمية (الثقافة) بداخله ومن ثم اهمية الغزو أوالالحاق الثقافى او التبعية الثقافية بالنسبة للغرب ايا كان المسمى الذى يعنى فى النهاية الاستسلام امام الآخر والخضوع لمصالحه الثقافية ومحاولة فرض نموذجه الحضارى على الآخر وتحقيق باقى مصالحه السياسية والاقتصادية فى المنطقة الموجه اليها الغزو والتى هى هنا منطقتنا العربية والاسلامية .

وفى اطار فهمنالآلية التبعية الثقافية للغرب فى ظل مايسمى بالشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد يطرح البعض سؤالا هاما وهو لماذا يحتلون العقل ويتجهون لغزوه ؟ والاجابة تأتى من التاريخ ايضا حيث تجمع اغلب الدراسات الغربية التى عالجت قضية الغزو الثقافى للعالم الثالث والذى يدخل فيه ضمنا العالم العربى على ان الاهتمام باحتلال عقول هذه الشعوب نشأ اساسا لموازاة الاتجاهات التوسعية والاستعمارية المبكرة فى العالم الغربى والتى تطلبت مسحا اجتماعيا وثقافيا شاملا للعقلية التى ستقتاتها فيما بعد وستنهب ثرواتها ومن هنا جاء العديد من الوسائل كالاستشراق وازدواجية النظام التعليمى وغربيته وخلق نخبة مثقفة تمتد جذورها خارج الحدود .. الخ (5) لتخدم فى ذات الاتجاه .

ويأتى احتلال العقل العربى امتداداً مباشراً لمايسمى بوظيفة العلم والعلماء فى الاستراتيجية الغربية فى ظل مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية ثم فى ظل مايسمى بالنظام العالمى الجديد حين اصبح العلم داخل وخارج الدولة الغربية اداة للاستثمار والاشباع تماما كالسلعة فلقد وجد العلم هناك اساسا لخدمة الاهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات الصناعية المتقدمة فهو يمثل عائدا نفسيا ولنتأمل مايقرره فريتز مشلوب من ان انشطة المعلومات والمعرفة اسهمت في عام **1958** بما يعادل **29** من معدل الانتاج القومى لهذه السنة ويرى ان نسبة الزيادة السنوية للمعدل اسهام هذه الانشطة تعادل مرتين ونصف معدل نمو مكونات الانتاج القومي الاخرى .

اي ان المقولات الغربية التى تصدر الينا من قبيل العلم للعلم والعلم للانسان مقولات لامعنى لها وليست سوى غطاء كثيف يخفى تحته العديد من الاهداف السياسية والاقتصادية وتتضح هذه الحقيقة اكثر اذا ماعلمنا ان جملة ماانفقته مثلا وزارة الدفاع الامريكية على البحوث العلمية المختلفة فى عام واحد هو عام **1981** بلغ **17** بليون دولار اي حوالي **10٪** من ميزانية الدفاع الكلية فى ذلك العام والتى بلغت **16** بليون دولار (6) بل ان مخصصات البحث للبنتاجون ارتفعت بمقدار **20٪** خلال عام واحد هو عام **1981/80** وانها فى عام **(1995)** وصلت الى حوالى **30٪** وعندما نعلم ان وكالة المخابرات الامريكية كانت خلف انشاء واستمرار العديد من الجامعات فى دول العالم الثالث (مثل كلية نكومنى الدولية فى زامبيا . وبعض جامعات اكوادور وارجواي والمكسيك والجامعة الامريكية بانقرة وبيروت والقاهرة)

عندما نعلم ذلك ، فان الهدف من احتلال العقول ومحاولات الغزو الفكرى والثقافي اجمالا تتشابك وتتداخل مع الاهداف التوسعية والاستعمارية القديمة والحديثة التى تمثلها الشركات متعددة

الجنسية ويصبح البحث العلمى والعلم والمشتغلين به مجرد ادوات طيعة للسيطرة داخل تلك الاوطان وخارجها ولايقدر له كغاية فى ذاته كما يتصور البعض (7) .

وتذكر بعض الدراسات ان وكالة المخابرات الامريكية . مثلا: يعمل بها 16500 موظف وحجم ميزانيتها 750 مليون دولار بالاضافة للمعونات المنتظمة للشركات الاحتكارية مثل فورد وموتورز وكفلر وان جزءا من هذا الهيكل الوظيفي والمالي يخصص للبحوث السيكولوجية والسيكوبيولوجية والاجتماعية فى انحاء العالم وبالاخص العالم العربى والعالم الثالث وذلك يتم من خلال تمويل منظمات وجمعيات علمية عالمية مثل الجمعية النفسية الامريكية وجمعية علوم البيئة والانسان وشخصيات علمية بارزة ويذكر احد العلماء البارزين الذى مولت المخابرات الامريكية ابحاثه (ب. ف. سيكفر) الذى تم تمويل كتابه الحرية والشرف (بـ 5 ملايين دولار) يذكر هذا العالم ان تمويل المخابرات المركزية الامريكية للدراسات والبحوث العلمية يبغى اساسا تطوير تكتيكياتها المختلفة التى تمكنها من الاضطلاع بدورها كأداة لتحقيق التوسع الامريكى (8) .

ولأن لاحتلال العقل فى العالم اجمع ادواته المختلفة فان الفن والصحافة ياتيان فى مقدمتها جنبا الى جنب مع البحوث الممولة والمشتركة ولقد فجر هذا الجانب ضبط (نيكولاس دانيلوف) مراسل مجلة (يواس نيوزاند وورلدريبوت) متلبسا بالتجسس لصالح المخابرات الامريكية وكان ذلك منذ عدة اعوام وجاء ردا على القاء واشنطن القبض على جنادي زاخاروف الدبوماسى السوفييتى والموظف السابق بالامم المتحدة متلبسا على حد قول واشنطن بالتجسس على الاسرار الامريكية ، ويذكر البعض ان امكانيات تحول الصحافة الى اداة للتجسس والاختراق العقلى امكانيات واردة خاصة اذا ما انقطعت شعرة معاوية التى تفصل بين الوظيفتين ويسهل ذلك الى حد ما اللغة والمفردات المشتركة بينهما فكلتا هما تستخدم المفردات التالية (المعلومة - الخبر - التقدير - المخبر - الصورة - الاستماع - الرصد - سرى - عاجل - يحفظ - ينسخ - يطبع - يحقق - يستكمل - للعلم - للاطلاع - للنشر - مصدر موثوق - مصدر مطلع - مصدر لايريد ذكر اسمه - معلومات ناقصة - خبر كاذب ... الخ) (9)

وفى ظل غياب السياسات القومية الواعية تجاه موجات الغزو الثقافى وادواتها الكثيرة ، تسهل ولاشك احتمالات الغزو والاحتلال العقلى ففى بلد مثل مصر - على سبيل المثال قرابة 40 الف باحث من الحاصلين على درجة الماجستير والدكتوراه فى التخصصات والروح العلمية والفنية والثقافية المختلفة ولايجدون فرصة عمل (كما يقول تقرير أخير صادر من مجلس الشورى المصرى) فى دولة كهذه ، وفى حالة مثل تلك ، من المتوقع ان يذهب هذا الجيش من الباحثين - او على الاقل 50٪ منه - إلى تلك الجهات التى تستطيع توظيفه وتقديم الدعم المادى له ، وما اكثرها داخل مصر ، وهى جهات أغلبها تخدم عن وعى وباستراتيجية بعيدة المدى خطط احتلال العقل فى مصر وبلدان المشرق اجمالا وتخلق ماسميناه بالاستيلاب الثقافى او التبعية الثقافية فى الفن والصحافة وكل فروع الثقافة والحضارات الانسانية فى عالمنا العربى والاسلامى .

الرد على مقولة الاحتكاك الحضارى فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمي الجديد :

يردد البعض من المثقفين العرب ، من الذين لايجدون غضاضة فى التعامل بدون قيود او فواصل او خصومات حضارية مع الغرب ، مقولات بحاجة الى مناقشة ورد وتعقيب من قبيل المسائل التى نسميها اختراق او غزو ثقافى او استلام حضارى ، يرونها احتكاك حضارى طبيعى مشروع ، فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد ، ومانسميه نحن (بالتجسس العلمى) من خلال اساليب الاختراق العقلى وجمع المعلومات عن احشاء المجتمع العربى الاسلامى يرونها احتكاك علمى منطقى فى ظل تحول العالم قرية صغيرة ذات علاقات وآفاق مفتوحة .

هذا المقولات بحاجة الى مناقشة هادئة ، بداية

اذا جازلنا استخدام المنهج التاريخي النقدي لمناقشة ما حدث لواقعنا الحضاري العربي خلال الاعوام المئتين الاخيرة - من تطور- فان ثمة نتيجة هامة يمكن الانتهاء اليها ، وهي ان عملية الصدام مع الغرب الثقافي والعسكري خاصة ، تكمن خلفها وبانتظام الاسباب الرئيسية لتخلفنا وتشرذمنا السياسي والثقافي خاصة عندما تفتقر الامة الى الادارة السياسية المستقلة والى القيادات الحاكمة القوية بسياساتها ومؤسساتها الاجتماعية ، عندئذ يكون التخلف والتشرذم وفقدان القدرة ، على التحدي او المواجهة نتيجة ملازمة لاصدام مع الغرب (10).

ولنا في نموذجي محمد علي وعبدالناصر ، ونموذجي الخديوي اسماعيل وانور السادات دلالات موحية ففي النماذج الاربعة ، كان التحدي الغربي - الثقافي والعسكري - واردا الا ان الاستجابة له اختلفت من نموذج الى آخر ففي النموذجين محد علي وعبدالناصر - كانت المنطقة العربية قوية بمؤسساتها الجديدة وعمليات النهضة والتنمية المستقلة ومن خلال الادراك الواعي للقيادتين بالوظيفة الحضارية التي تقع عليها ، من هنا كانت استجابتها للتحدي الغربي مع الفارق التاريخي بالطبع - متشابهة في صلابتها وقوتها وعدم الرضوخ له وتشكيلهما للعلاقات مع هذا التحدي وفق المعايير الوطنية والمصالح القومية دون تفريط او اغتراب ، ومن ثم رأى الغرب ضرورة ان يصفي المنطقة من هذه القيادات ، وكانت النهاية الدرامية لمحمد علي في اتفاقية لندن عام **1840** والنهاية المشابهة لعبد الناصر مع هزيمة **1967** .

والذي حدث في نموذجي الخديوي اسماعيل ، وانور السادات من استقدام للغرب - اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً - يقدم نفسه ايضا كدليل حي على انه في حال غياب القيادة الحضارية الواعية والسياسات والمؤسسات الوطنية المستقلة فان استقدام الغرب يمثل تطورا طبيعياً في شكل العلاقات الدولية بين المجتمعات التابعة وتلك المتبوعة ، فالغرب اذن كان دائماً مستعدا للصدام معنا ، حسب استعداد التربة السياسية والاجتماعية ، وتوافر الاطار الحضاري الذي يستقبله ،ولم يقل احد من المهاجمين للغرب بانه كان - اجمالا - عدوانيا وتوسعيا كما يزعم البعض من الذين تربوا في مؤسسات الغرب الثقافية فدافعوا عنه بالحق وبالباطل معابلا امتلاك لنظرة انتقادية تفرق بين (الانسان في السياق الحضاري الغربي اجمالا وبين) الوافدالغربي - عندما اصطدم بحضارات الشرق وتطورها الاخير ، فافترسها ولم يتفاعل معها ومارس اسوأ مافي الغرب تاريخيا عليها ، وتقدير الحضارة الغربية في اضافاتها الى التطور الانساني شيء ، ونقد وممارسات هذه الحضارة مع غيرها ومع الحضارة العربية على وجه الخصوص شيء مختلف تماما .

ومن هذا التمهيد نصل الى نتيجة مؤداها ان انكسار مشاريعنا القومية والاجتماعية ونشوء انساق جديدة من القيم السياسية والاجتماعية وتدهور عمليات النهوض والتنمية ، وارتبطت دائماً بالاحتكاك الغربي ، ولعل في نموذج الانفتاح الاستهلاكي على الغرب في عهد الرئيس المصري انور السادات على وجه التحديد مايقوم هنا كدليل قوي على مانقول .

ومن هنا ايا كان ادراك الغرب لاهمية فهم المجتمعات التي يقاتلها او يتعامل معها ، دون ان تطول فترات التمهيد للاستغلال الاقتصادي العسكري ، والسياسي ولعله ليس من قبيل الصدفة ، ان يسبق افتراس مصر من قبيل الاحتلال البريطاني عام **1882** قيام الحملة الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر ، بوضع مؤلف وصف مصر الذي مثل الادارة المرجعية لكل عمليات النهب الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشته مصر طوال الفترة السابقة لثورة **1952** وعليه عرفنا طوال المائتي عام الاخيرة من تطور الامة العربية ، انه يسبق الاحتلال العسكري الغربي دائما محاولات فهم واختراق لعقل الامة من نشاط العلماء والمؤسسات العلمية الغربية اي ان (احتلال الوطن) كان يسبقه بانتظام - وكأنه قانون ثبت لتطور مجتمعنا العربي خلال تلك الفترة - احتلال (للعقل العربي) .

ومن ثم فان مايسمى بالاحتكاك العلمى للغرب اليوم بمؤسسات وهيئات البحث العلمى والثقافى فى الوطن العربى ، يخفى خلفه اغراضا سياسية مبرمجة ، تهدف الى احتلال العقل العربى والوجدان الثقافى اولا تمهيدا لاحتلال الوطن ثانيا وليس معنى هذا ان هذه النتيجة تنسحب على جل اشكال الاحتكاك العلمى والثقافى مع الغرب ، ان هذا يكون فى تصورنا حكما منافيا للواقع لأن مايتم وفق خطط قومية وبرامج وسياسات مدروسة داخل بعض الاقطار العربية لامؤاخذة عليه مادام قد ادرك وخطط ووعى حجم وابعاد هذا الاحتكاك الا ان مانديه ، وننبه اليه هو ذلك النوع العشوائى من الاحتكاك العلمى مع الغرب والذى يخفى خلفه سياسات متضاربة ومصالح ضيقة لدى بعض الافراد والهيئات والتى يستثمرها بوعى الغرب وتحديدا (الولايات المتحدة ومن ثم اسرائيل) فى مرحلة مابعد حرب الخليج الثانية 1991 خير استثمار فيتغلغل فى صمت ويتقدم بشكل مبرمج وبنوايا مسبقة لهزيمة العقل العربي واحتلاله تمهيدا لاحتلال الوطن وهنا يثار سؤال هل هناك فارق بين الغرب وبين اسرائيل فى مسألة الاحتلال العقلى هذه ؟ وهنا تقدم المعلومات المتاحة الآن الاجابة بنفسها بدون حاجة الى تنظير يربط بين اسرائيل والولايات المتحدة فى مجال الاختراق الثقافى والعقلى ليس اليوم فحسب بل ومنذ سنوات طويلة مضت ففى دراسة هامة لكولن نورمان منشورة فى مجلة Siemce الامريكية بالعدد (215) فى 5 / 2 / 1982 (ص 639) كشف بالارقام للدور التاريخى الذى تلعبه وكالة التنمية الامريكية منذ بداية التطبيع بين مصر واسرائيل في مجال الربط والدعم المادي بين علماء مصر واسرائيل وانها فى عامين فقط دعمت المشاريع المشتركة بين علماء مصر واسرائيل فى مجال الزراعة والبحث العلمى بـ 15 مليون دولار من خلال ثلاثة مشاريع كبرى (11) والنماذج عديدة للغاية وخطيرة (12) .

هذا بالاضافة الى الدور الهام الذى تقوم به الجامعة الامريكية في بيروت والقاهرة ومؤسسات فوردفونديشن الامريكية وهيئة المعونة الامريكية ومعهد الـ (ام اي تى) الامريكى والمركز الثقافى الامريكى بالقاهرة ومراكز البحوث الامريكية فى بلدان المنطقة وايضا ماتقوم به المؤسسات الاوروبية الكبرى (مثل فريدرش ايبرت - فريدرش نومن الالمانيتين) من ربط بين العلماء والمثقفين اليهود ونظرائهم من العرب تحت دعوى التعاون العلمى والبحوث المشتركة والممولة من هنا فان العلاقة وطيدة بين الاحتكاك العلمى الغربى بالمنطقة العربية وبين الدور الصهيونى واليهودى بداخله خاصة فى تلك المجتمعات التي تغيب فيها رقابة الدولة القطرية على السياسات الثقافية والفنية والعلمية باجمال وتترك للعشوائية الفردية التى ازدهرت فى السبعينات والثمانينات ولعل فى دراسة النموذج المصرى او فى التدليل عليه وفى رصد تناميه فى ظل مايسمى بالنظام العالمى الجديد الذى صارت (المعلومات) فيه ذات قيمة عظمى لصانع القرار الغربي تجاه منطقتنا .

ثالثاً :
وسائل فرض التبعية الثقافية فى ظل الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد .

ان وسائل الاستراتيجية الغربية (الامريكية تحديداً) الثقافية تجاه مصر والمنطقة العربية كانت وستظل عديدة ومتنوعة فهى تمتد لتشمل الاعلام وبانواعه وتقسيماته المختلفة والتبادل الثقافى الرسمى وشبه الرسمى والمشروعات العلمية والثقافية المشتركة .

وسوف نركز هنا على هذه الوسائل الثقافية من خلال المتوفر من المعلومات والحقائق والتى يؤكد المتوفر منها ان الامر قد وصل فى السنوات الاخيرة تحت وهم مايسمى بالسوق الشرق اوسطية الى قيام امريكا على سبيل المثال بعرض مبلغ (20 ميليون دولا) لتمويل الاذاعات المصرية (13) الموجهة لتوسيع شبكاتها وزيادة ساعات بثها على ان تكون خطة الاذاعات الموجهة واعداد برامجها تحت اشراف مشترك وصرح مصدر مصرى مسؤول ان وزارة الاعلام تدرس هذا العرض حاليا لاتخاذ القرار المناسب وقد اكد السفير الامريكى في القاهرة لمصدر مسؤول فى

الوزارة ان هذا العرض يهدف الى توسيع العلاقات وتبادل الخبرات في مجال الاعلام وبالعودة مرة آخرى للتاريخ تكتشف هذه الحقائق التى قد تفيد فى مجال فهم واقع النظام العالمى الجديد الراهن بداية ان اول اهتمام امريكى بالمنطقة كان مع بداية القرن التاسع عشر وتحديدا عام **1815** وكان اهتماما تبشيريا حين عين المجلس الامريكى الخاص بالبعثات التبشيرية الاجنبية ممثلين له في القدس وعهد اليهم بمهمة تكوين بعثة تبشيرية فى المدينة المقدسة وكان طبعيا ان يواجه هؤلاء الممثلون عقبات سياسية ودينية وقانونية ضخمة اذ كان القانون العثمانى السائد فى ذلك الوقت يحرم اي نشاط تبشيرى للمسيحيين الغربيين خصوصا فى الانحاء الاسلامية التي تمثل رموزادينية كالقدس ونتيجة لهذه العقبات حولت الاستراتيجية الامريكية اهتمامها الثقافى ناحية التعليم وكانت بمدارس الاحد فافتتح المبشرون مدرسة رسمية لهم فى بيروت عام **1824** وتدريجيا اخذت مدارس المبشرين ترتفع الى الكليات ثم الى المستوى الجامعى وفيما بين (**1860 ـ 1901**) افتتحت العديد من الكليات التبشيرية من اهمها كلية روبرت (**1863**) وكانت فى اسطنبول بتركيا والكلية البروتستانتية فى بيروت **1866** وهى التى عرفت فيما بعد باسم الجامعة الامريكية فى بيروت والجامعة الامريكية فى القاهرة عام **1919** .

احصائيا كان التغلغل الثقافى الامريكى فى منطقة الشرق الاوسط مع بداية القرن العشرين قد تزايد ففى تركيا كانت هناك **36** مدرسة امريكية ثانوية و**398** مدرسة اولية ، **4** مدارس لاهوتية ، وفى ايران **108** مدرسة وفى سوريا **95** مدرسة وفى مصر **20**مدرسة .

وفور اعلان قيام اسرائيل فى عام **1948** اعترفت الولايات المتحدة رسميابها وفى الوقت ذاته قامت الجالية اليهودية بالدعم المادى للدولة الجديدة واستكملته بالدعم الثقافي بين الدولتين الامريكية والاسرائيلية الى الحد الذى جعل البعض يذهب الى ان الدولتين مرتبطتان ثقافيا من ارتباطهما سياسيا .

وكان للفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية طابعها الخاص بالنسبة الى الاستراتيجية الثقافية الامريكية تجاه بلدان المنطقة فظهرت عدة برامج تعليمية موجهة وخطيرة ويأتى فى مقدمتها اتفاقات فولير آيت للتبادل التعليمى التى عقدت مع تركيا وايران فى عام **1949** ولم تمض فترة طويلة حتى كانت معظم دول الشرق مشتركة فى هذا البرنامج فبين عامى **1941** و **1966** كانت **12,4** ٪ من جميع المنح الامريكية موجهة نحو الشرق الاوسط وجنوب آسيا ، وعلى سبيل المثال كان هناك **251** امريكيا يتلقون منحا للقيام بأعمال للبحث والدريس بينما تقدم **761**مصريا الى الولايات المتحدة الامريكية للغرض نفسه ، وبالنسبة الي اسرائيل فقد ارسل **133** امريكيا اليها مقابل **208** اسرائيليين الى واشنطن ، وفيما يتعلق بايران فقد بعثت **158** امريكيا اليها مقابل **483** ايرانيا ، اما تركيا فقد كان هناك **239** امريكيا للدراسة والبحث مقابل **655** تركيا .

ويتطور الاهتمام وتتقدم معه الانشطة خلال حقبتى (الستينات والسبعينات) الى ان تحدث مبادرة القدس **1977** ، ويليها توقيع اتفاقيات كامب ديفيد فى اذار مارس **1979** ، والذى دشنت الاهتمام الثقافى الاسرائيلى بمصر واعطته ابعاده الرسمية ، فافى الوثيقة الاولى فى مؤتمر كامب ديفيد جاء فى الدباجة .

(ان السلام يتعزز بعلاقة السلام وبالتعاون مع الدول التى تتمتع بعلاقات طبيعية» ويلاحظ ان ذكر العلاقات الطبيعية جاء على نحو عام مجمل .

وفى مثل معاهدة السلام الموقعة فى اذار مارس **1979** يرد النص التالى :

(يتفق الطرفان على ان العلاقات الطبيعية التى ستقوم بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية) وهنا يؤكد النص إلزام الطرف المصرى باعتبار العلاقات الطبيعية على مستوى العلاقات الدبلوماسية .

وفى الملحق رقم (3) من المعاهدة يرد فى البند الرابع النص التالى :

(ويعمل الطرفان على تشجيع التفاهم ويمتنع كل طرف من الدعاية المعادية للطرف الآخر)

وهنا تنتقل الطلبات الاسرائيلية الى التحديد الدقيق ، فالمطلوب الاول تشجيع تغيير مفاهيم الناس في مصر فى عبارة (التفاهم المتبادل والتسامح) والمطلوب الثانى هو منع عمليات التحصين الفكرى لمفاهيم وقيم المجتمع فى عبارة يمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية .

وفي الاتفاقية المعقودة في 1980/5/8 يرد في البند التالي :

(يسعى الطرفان الى فهم افضل الحضارة وثقافة كل طرف من خلال تبادل المطبوعات الثقافية والتعليمية والعلمية وتبادل المنتجات التكتيكية والاثرية وتبادل الاعمال الفنية وتشجيع اقامة المعارض العلمية والتكنولوجية ومعارض الفنون البصرية) .

وهكذا ينكشف المطلوب الاسرائيلى من مصر في هذا النص سواء من حيث تحديد الغايات والاهداف ، وهي تبديل مفاهيم المصريين ليتحولوا الى مايسميه النص (فهم افضل لحضارة وثقافة الاسرائليين) .

اما فيما يتعلق بتحديد الوسائل العلمية والثقافية الواردة فى النص فهي شاملة لمعظم وسائل الحياة التربوية والفكرية في مصر .

وتتابعت بعد توقيع الاتفاقيات اشكال التطبيع العقلى الثقافى ، وما يهمنا هنا هو ذلك الجانب المتصل بالاختراق العقلى للمجتمع المصرى كنموذج مصغر لما ينتظر العقل العربى وهنا نلحظ تداخل الادوار والوظائف التى قام بها بعض الباحثين من الاسرائيليين والامريكيين في مصر وبين العديد من الهيئات والمنظمات الصهيونية المعروفة ، وتنوعت ايضا عمليات التطبيع الاخرى فى مجالات السياحة والاقتصاد والطب النفسى والفن بل والموسيقى ولعب المركز الاكاديمي الاسرائيلى دورا بارزا فى هذه الانماط من التطبيع من خلال شبكة ابحاثه ، ورجال المخابرات الاسرائيلية الذين يحتلون مواقع قيادية بداخله منذ انشائه عام 1982 وهم (شيمون شامير - غبرائيل واريور - اشيع عوفاديا - يوسف جينات - عمانويل ماركس) هؤلاء طوروا وسائل العمل الثقافى بالتعاون مع المؤسسات الغربية التالية وبخاصة بعد حرب الخليج الثانية (اي بعد بدء تطبيق مايسمى بالشرق اوسطية والنظام العالمي الجديد والمؤسسات هى :

1- الجامعة الامريكية في القاهرة
2 - مؤسسة راندا الامريكية
3 - المركز الثقافى الامريكي
4- مركز البحوث الامريكية
5- مؤسسة فوردنا نديشن
6- هيئة المعونة الامريكية
7- معهد ماسا شوستش وفرعه فى القاهرة ومعهد ال(ام - اي - تى » فى مبنى جامعة القاهرة
8- مؤسسة روكفلر للابحاث
9- مؤسسة كارينجي
10 -معهد دراسات الشرق الاوسط الامريكى .
11 - معهد التربية الدولية والمتخصص فى منح السلام
12- معهد بروكنجر
13- الاكاديمية الدولية لبحوث السلام
14- مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى جامعة (جورج تاون)
15- مشروع ترابط الجامعات المصرية الامريكية ومقره المجلس الاعلى للجامعات فى القاهرة وتبلغ ميزانيته السنوية 27 مليون دولار تقدمها المخابرات الامريكية واجهزتها المعروفة) .

والجهات السابقة تترابط مهما حسنت نية بعضها - لتشكل معا ، وسائل متعددة لفرض التبعية الثقافية على مجتمعنا المصرى فالعربى فالاسلامى باجمال فى ظل مايسمى بالنظام العالمى الجديد .

وبعد :

ان الحقيقة المؤكدة فى ظل مايسمى بالسوق الشرق اوسطية والنظام العالمى الجديد هى ان هذه المقولة التى تترجم على ارض الواقع الآن بهمة امريكية وصهيونية حثيثة ليست سوى محاولة قوية لفرض التبعية الثقافية كثمن مطلوب منادفعه ومطلوب من امننا القومى وهويتنا العربية والاسلامية التنازل عنه لصالح مايسمى بالشرق اوسطية وهو تحد يتطلب المواجهة .

والمواجهة فى تقديرنا ينبغى ان تكون (مواجهة مركبة) فاذا قلنا ان الصراع سيكون حول الهوية فبالتالى ستكون المواجهة فى هذا الصراع مركبة

وفى تقديرنا ستبدأ بمواجهات ثقافية على مستوى النخبة وعلى المستوى الاعلامى وعلى مستوى المقاومة للتطبيع . ونطرح بايجاز تصورنا فى اطار برنامج عمل يتمثل اولا : فى كشف دائم للذين يطبعون من المفكرين والكتاب مع التعرية والكشف بالمعنى الصحيح للكلمة لهم ومواجهة صحيحة لهم تبدأ بالمواجهة الثقافية الحقيقية .

والبعد الثانى : فى المواجهة سياسياً وفى هذا المجال المهمة تقع على احزاب المعارضة غير الحاكمة .

وعلى المستوى الاقتصادى : فاننا نطرح سوقا شرق اوسطية بديلة فى اطار اسلامى ، اي فلنطرح افكارا جديدة حول علاقتنا بايران ـ ولنطرح حوارا مع الاسلاميين فى تركيا ، والمطلوب انفتاح اقتصادى وثقافى وسياسى حقيقى مع هذه الدول الشرق اوسطية مع استبعاد اسرائيل تماما والمهمة الرابعة : التى قد تكون خارج اطار الندوات هى البعد الاستشهادى واننا نطرح وبمسئولية كاملة اهمية اعادة الاعتبار لاستشهادية الانسان العربى بمعنى انه يمكن لنا ان نختصر التاريخ ونختصر الصراعات بالاستشهاد الفعلى ضد العدو وضد مصالحه واصدقائه ، فاذا ضربت مجموعة من الشركات التى تدعو الى السوق الشرق اوسطية او الافراد من اعداء هذه الامة فاننا نتصور ان التاريخ سوف يختصر ويتحول الى صالحنا وهذا دائماً هو دور الاستشهاد فى التاريخ .

الهوامش

1) انظر في تفصيل ذلك كتاب شيمون بيريز : الشرق الاوسط الجديد . دار الجليل ـ عمان ـ سنة 1994.

2) انظر تفاصيل اخرى من كلمات جورج بوش عن مفهوم النظام العالمى الجديد د. كمال الهلباوي ـ موقع الامة المسلمة اليوم من النظام العالمى الجديد ـ مجلة شؤون الشرق الاوسط ـ العدد الثانى ـ 1993 ص 21

3) هذه الاهداف مأخوذة نصا من تقرير بوش عن استراتيجية الامن القومى الامريكى المقدم للكونجرس يوم 1991/8/13

4)انظر ترجمة امينة لهذه الدراسة فى : منى ياسين : الغرب والاسلام دار جهاد للنشر ـ القاهرة 1994 ص 201

5) انظر فى تفصيل هذا الجانب رغم اللغة الخطابية للمقال : ابراهيم عبدالفتاح : الغزو الثقافى المعادى للامة العربية ، مجلة اليقظة العربية ـ السنة الثالثة ـ العدد الثانى فبراير 1987 القاهرة ص 72ـ92

6) د. كمال نجيب : دور العالم فى استراتيجية الولايات المتحدة التوسعية :المواجهة ـ كتاب غير دورى تصدره لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ـ العدد الخامس ـ القاهرة سبتمبر 1985 ص 32

7) من اصحاب هذا الاتجاه : د. جون ب : دينكسون فى كتابه الاخير العلم والمشتغلون بالبحث العلمى فى المجتمع الحديث : سلسلة عالم المعرفة ـ المجلس الوطنى ـ للثقافة والفنون والاداب الكويت العدد 112 ـ ابريل 1987

8) د. كمال نجيب مصدر سابق ص 36

9) صلاح الدين حافظ : حرية الصحافة بين التجسس والاعيب السياسة (مجلة الدراسات الاعلامية ـ عدد 45 اكتوبر / ديسمبر 86 ص 8.4

10) بهذا المعنى وبتفصيل انظر : د. هشام شرابى : مقدمة لدراسة المجتمع العربى بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع 1977

11) توجد ترجمة لهذه الدراسةبمجلة صامد العدد الرابع كتاب غير دورى يصدر عن لجنة اعضاء هيئة التدريس لمناصرة شعبى فلسطين ولبنان القاهرة 1984 ص 18 12) لقراءة هذه النماذج ومعرفتها انظر / د. رفعت سيد احمد : وصف مصر بالعبرى ـ دار سينا للنشر القاهرة 1989

13) د. رفعت سيد احمد ، علماء وجواسيس ـ التغلغل الامريكى الاسرائيلى فى مصر دار رياض الريس للكتب والنشر لندن 1991

السوق شرق اوسطية
معايشة مشاكل أم معايشة قضايا

د . عبدالغني الرويمض / جامعة ناصر

يذكر البعض ان اشكالية هذا الوقت،، تتجه نحو التمحور حول الصراع والتعايش، بين قومية الأمة بوضعها الهوية الحضارية للذات العربية وبين اقليمية الشرق الاوسط، باعتبارها هوية ثقافية تتبلور كقاعدة لسوق كبيرة متعددة القوميات تدفع بها إلى دائرة الواقع. واي واقع؟ باحتمالاته المختلفة، حركة المتغيرات منذ منتصف الثمانينات فى عالمنا العربى والاقليمى والدولى، غير المسبوقة : انهيار الاتحاد السوفيتى، نهاية الحرب الباردة، ثورة ايران وقيام الدولة الاسلامية، حربا الخليج الأولى والثانية، المسار الجارى للتسوية السياسية للصراع العربى الاسرائيلى بدءا من مؤتمر مدريد فى عام 1991 ف والاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى المعروف سياسيا، باسم "غزة واريحا" أولاً عام 1993 .. الخ

فى بداية هذا القرن شكلت روح القومية المعنوية والفكر السياسى للنضال أي العروبة كانت محور حركة الإنسان العربى نحو الوحدة والتحرر وحتى التقدم .

فى نهاية القرن : تحولت هذه العروبة أو القومية - فى هذا الظرف الغارق فى الوحل - إلى قوة تفكيك وتشتت وتبديد وصراع كما لا يخفى .

يأتى هذا مواكبا لاحداث جسام من حولنا : التكتلات السوقية العابرة للدول كالذى نلمسه فى الاتحاد الاوروبى ، وفى كيان «النافتا» الذى يضم الولايات المتحدة وكندا والمكسيك ، وفى مجموعة الاسيات التى تحتضن مايسمى بالنمور الصغيرة فى آسيا .

وكما يصف البعض اننا لم نعد وسط عصر التخصيب المتبادل بين القوميات وحضاراتها المتعددة ، ولكنه عصر جديد بنظام جديد واقتصاد دولى جديد ، وحتى حياة اجتماعية جديدة : ومفهوم جديد للثورة ، ثورة العلم والتكنولوجيا .. وحتى الفكر الإنسانى الذى عرف مكتشفات العلوم الجديدة فى الليزر والهندسة الوراثية والمانوتكنولوجي واهتزازات يقينيات الايديولوجيات الشمولية التى عرفناها ونعرفها ، وسقوط نظريات وتجارب الاكتفاء الذاتى للدولة أو القومية الواحدة ، وهو - كذلك - عصر التعددية وحقوق الإنسان - واي حقوق ؟ - واستعادة صحة الكوكب البشرى ضد التلوث واستنزاف الموارد ، والفتوحات الفضائية التى سوف تلحم عالمنا بكون اوسع وارحب وحتى اقرب من كل ماعرفته مداركنا ورحلاتنا واياديناعبر التاريخ الإنسانى كله .

هذا ليهينوا لنا اجواء الهويات الثقافية الجديدة للاسواق الاقليمية الكبيرة والمتعددة والتى سيتكون منها عالم الغد ان كان لنا غد .. اقول ان كان لنا

غد ... لشعورنا باننا امام زمن عربي مخيف ، مشاهدة رهيبة ، نبدوا فيه وكأننا ندخل نفقا مظلما لا يعلم احد إن كنا سنجتازه بسلام - ولو ضئيل - ام اننا سنعتبر في عداد المفقودين أو حتى المنقرضين .

هم يقولون لنا إنه نفق النمو الاقتصادي ، والازدهار الثقافي .. بل انه النفق الذي سنلقى فيه كنوز علاء الدين ، ومصباحه السحري الذي سيدفع باقتصادنا في أيام معدودة إلى مكانة الاقتصاد الالماني أو حتى الياباني نفق وضع في بدايته لافتة كتب عليها «مرحبا بكم في حدائق السوق الشرق اوسطية الغناء .. وفنادقها .. وشركاتها ومصارفها المتعددة العملاقة القوية» .

قد يهتز المواطن العربي عندما يسمع ويقرأ كل ذلك ولكنه يتردد عندما يكمل الاستماع والقراءة اي عندما يسمع ويقرأ «إذا اردت الدخول فهو مجانٍ» .. فالامر غير عاد ويزداد تردده عندما يقولون له «قبل الدخول عليك بتسليم هويتك الثقافية والقومية ، واستلام جنسية وثقافة جديدة .. واعلم انه لن ترد لك هويتك الاصلية نهائيا» .

هنا يطرح هذا الموطن العربي تساؤله هل ادخل ام لا ادخل ؟ اي هل أنضم أم لا أنضم ؟

ويبدأ الصراع بين الهوية المقدسة والانضمام إلى حدائق السوق الشرق اوسطية الغناء بنظامها الاقليمي الجديد وبترتيباتها الامنية الجديدة : وبسوقها المشتركة الجديدة .

المواطن العربي يعيش عصر حيرة بين مشاكله المتعددة وقضاياه المختلفة لدرجة اصبح لايعرف هل يعايش المشاكل أم يعايش القضايا ؟

فهو يخضع لمجموعة من التحديات الداخلية والوطنية والأجنبية لاقبل له بالتغلب عليها ، جعلته يشعر بهوان الشأن ، وخفة الوزن وحتى ثقافة الوجود احيانا .

وبالمقابل فان البعض - وان لم ينكر هذه الامور - يرى أنه لابد لدينامية الحياة الداخلية ، وتطور الوعي العام ، ونمو البنى الاساسية للدول العربية ، وتزايد ضغط الطليعة المثقفة ، ووعي طبقات الشعب المختلفة المتنامي لما هي فيه . من ان تغير وتطور دورها على الاوضاع المحيطة بها بالاتجاه الافضل ، مما يؤدي بطبيعة الحال إلى مجابهة التحديات الداخلية والخارجية بنجاح أكبر فأكبر ، ويجعل المستقبل العربي في مطالع القرن الواحد والعشرين أزهى لونا وأجمل صورة ، وأفضل حالا ، ويرمم الفجوة القائمة اليوم بين تخلفنا وتقدمهم وبين تبعيتنا وسيادتهم ، وانفعالنا ، وفعلهم .

وان كان كل عربي يتمنى من صميم فؤاده ان يكون الرأي الثاني هو الاصح والاصدق ، كما يتمنى بالقوة نفسها ان يكون الرأي الأول مخطئاً خطأً كبيراً ، بل لا شئ فيه الا الخطأ ، فان العقل والحكمة معا يقتضيان عدم الاستسلام لدغدغة الاحلام الحلوة والتفاؤل السعيد والتوقعات الطيبة . لان الواقع يفرض نفسه سواء كان ذلك على المستوى الاقليمي أم على المستوى العربي .

على المستوى الاقليمي فان التشاؤم الشائع يعود إلى ضعف الحياة الديمقراطية فيها ، واتساع مجال القمع واعلاء الرغبات في الحكم على القانون وانعدام الحد الادنى من الأمن ، وضآلة حرية الفكر ناهيك عن الفوضى والغوغائية ، وتبديد الثروات الوطنية اما الانانية والغرور فحدث ولاحرج .

وهذا معناه انه إذا استقصينا الحال الوطني ثم نعرج على الحال القومي في عالمنا العربي ، فاننا سنصطدم في كل خطوة ، وعند كل نظرة بوقائع صارخة لعمليات اعادة الانتاج للمشاكل ونكتشف اننا اسرى دائرة مفرغة للافعال وردود الافعال :

ركزنا داخل الوطن على العدو الداخلي أوعدو الله ، وعدو الوطن وعدو "مسيرة التنمية" على حساب العدو الخارجي الذي يحيّدة البعض حتى يقضي على العدو الداخلي .

وحتى هذا العدوان الخارجي يتم اختراعه احيانا عبر سيطرة هذا النظام أو ذاك على شكل الآلة الجهنمية المعروفة باسم جهاز الاعلام الذي يتداخل في كثير من الاوقات مع أجهزة القمع في الدولة أو سطوة الشعارات التي تلهب الرأس وتطرب القلب لدى المواطن المحروم من حقوق المعرفة والحياة الإنسانية الامر الذي يعقد في النهاية مسألة العدو الخارجي إلى حد أسطوري يخرج بها عن دائرة الواقع وامكانات مواجهته بفاعلية مدروسة بعناية ،

وتدفع بالوطن والمواطن إلى دائرةمفرغة من التخلف والاحباط .

ناهيك عن الخصومات المختلفة التى فجرتها جماعات متناحرة بين ماتراه «الاسلام الصحيح» وبين مستجدات ومتغيرات الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية العربية الراهنة ذات الجذور الاسلامية لتصبح الساحة مفتوحة لاستعراض العضلات والقوة البدنية إلى درجة اغتيال الإنسان وكلمته وليهون كل شئ فى سبيل لا شئ .

ـ مشكلة أخرى تكمن فى انه لم يعد احد يرى الا فى نفسه وعلى كل المستويات يمتلك الحقيقة الكاملة وحده . ويحتكر الكلمة النهائية فى مصير المواطن والوطن والأمة ويجرى كل ذلك على نحو تربصى ، يرفض الحوار العقلانى وبناء الصالح المشترك دون تجاوز للصراعات والخلافات المذهبية والسياسية والاجتماعية التى لا مفر منها من ناحية ، والتى لاتنتج آثارها الايجابية من قبول إثراء اختلاف الآراء أو تحد من سلبياتها التدميرية التى لاتعرف الحلول الوسط المكنة الا فى جو من التسامح والحرية من ناحية أخرى .

كل ذلك اثر فى الهوية القومية التى اضحت «عنوانا بدون كيان» وحتى «شعاراً بدون مضمون» ... وأثر فى الفكر القومى ـ كما يرى البعض ـ حيث أتسم بالبعد الاحادى الجانبى وفى كل شئ ، وهذا قاده إلى كل ماهو مطلق ـ كما ذكرنا ـ حول الحرية والأمن والوحدة ... وانعزل فكر الحرية القومية عن الواقع ، وسجن طاقته فى الحوار الاعلامى ، الذى غالبا ما اتصف بالعنف ، وذلك مع ذاته التى انقسمت إلى شيع متناحرة يحاول كل منها أن يثبت انه الانقى عربيا ، والاكثر ثورية .

وهكذا ساهم كل منا بطريقته وتفكيره ، وقناعته فى خلق انظمة اقليمية ، ابتعدت عن البعد القومى فى حركته السياسية والاقتصادية والامنية ، وكبلنا النظام العربى بكل سلبيات ماهو قطرى ضيق ان اوجدت القطرية ..

وهكذا اعطينا الفرصة لاعداء الهوية العربية لرفع اصواتهم «نحن عرب ولكن لابأس ان نكون شرق اوسطيين كذلك ... وبدأوا ويبررون .. «العروبة والقومية العربية أنها تسجن وتقيد نفسها سياسيا واقتصاديا وامنيا إذا لم تنفتح باسلوب واع ومحسوب الخطى مع كل مافى اقليمها الشرق اوسطى من حضارات وثقافات وهويات واسواق وتتبادل معها المصالح والمنافع ... وتضيف بأن «النظام العربى الحى المسؤول مطلوب منه ان يكون بقوته الجماعية شريكا فى نظام اقليمى أوسع ، والنظام الاقليمى بدوره ليس بديلا عن أى وضع للنظام العربى ... ثم ان المتغيرات الحديثة فى عالمنا «عالم الاسواق الكبيرة والمخاطر الكلية المشتركة» باتت تتطلب قيام نظم اقليمية ، وبخاصة فى المواقع الجغرافية الاستراتيجية من خريطة الكوكب البشرى ... ويستطرد هؤلاء ... «ان العرب بمفردهم لايستطيعون حل مشاكل ندرة المياه ، ونزع اسحلة الدمار الشامل من نووية وكيميائية وبيولوجية التى انتشرت فى المنطقة ، وخفض التسلح التقليدى ومواجهة التلوث البيئي» .. الخ

ثم ان ازمة الخليج اثبتت انه لاتوجد مصالح مشتركة تربط بين البلاد العربية ببعض ... بل قد يصل البعض إلى انه ليست هناك جذور قومية تجمع بينها وان الامر لايعدو ان يكون مجرد صدفة جغرافية ... وماأخطره من اتجاه .

وعزز هذا الاتجاه الاصوات الرسمية جدا (1) .. حيث ذهبت إلى ابعد من ذلك واكدت ان قضية الميل نحو «السوق الشرق اوسطية لاتخيفهم ولاترهبهم خاصة وان السلام مع اسرائيل لن يترتب عليه ان يكون لاسرئيل اية ميزة اقتصادية على الدول العربية ، وانما سيتم التعامل معها وفق معايير وضوابط تصفها كل دولة عربية وفق مصالحها الوطنية وهذا الكلام ليس غريبا على اصواتنا الرسمية المتفائلة بحكم الطبيعة والمزاج لابحكم الحجة والبرهان ... كيف لاوهم يرون ...«ان السوق شرق اوسطية لاتخرج عن كونها منطقة تجارة حرة تقوم قواعدها على تخفيف الحواجز الجمركية وغير الجمركية مع احتفاظ كل دولة عضو بنظامها الجمركى وسياستها الجمركية الخاصة بها .. ولاتتمتع فيها دولة عن غيرها من الدول الأخرى بأية ميزة وأهمية .. لذلك فهى ـ على لسان هذه الاصوات الرسمية ـ «لاتخيفهم كعرب» .

وتطمئننا هذه الاصوات انه لوحلت الكارثة أى لو سيطرت اسرائيل فان المأساة لاتقتصر على البلاد العربية بل ستمتد إلى بلدان غير عربية كإيران وتركيا وقبرص ... «المسألة تتوقف على طبيعة القضية المطروحة» (2) وتوكلوا على الله ...

وتضيف هذه الاصوات «ان اى ترتيب شرق اوسطى تكون اسرائيل طرفافيه لايجوز ان يكون على حساب العلاقات العربية ـ العربية» وتتناسى ان اسرائيل نصبت نفسها مهندسا ومنظما لاقتصاد المنطقة برمتها ويظهر ذلك جليا فى لغة منفذيها الذين يرون المنطقة وكأنها ساحة انعدمت من الكفاءات ، تتشوق إلى العبقرية الاقتصادية الاسرائيلية» وعلى لسان شمعون بيريز (3) «ان المنطقة تواجه اعداء مشتركين بين العرب واسرئيل وهم الصحراء والفقر والتطرف ، ويجب على كل دول المنطقة ان تتصدى لهؤلاء الاعداء وان منطقة الشرق الاوسط تضم أكثر من 300مليون نسمة و80٪ من مساحتها صحارى ... علينا نزيل الصحارى من المنطقة والملح من مياه البحر والتطرف من نفوس البشر ... هناك كثير من الموارد المهدورة التى يمكن استخدامها فى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية» .

ثم ان الاسرائيليين تربوا على قدرتهم على بناء اسرائيل الكبرى ومحو غير ذلك حربا أو سلماً وبأى طريق حتى لو كان «كفر قاسم وديرياسين وصبرا وشتيلا» فالمهم عندهم ان العقيدة القومية باقية ... الأمة الاسرائيلية باقية بمفهومها الصهيونى ، وان تطورات أو حتى تغيرت ، فالمهم عندما تشارك لاتذوب فى بلورة هوية ثقافية لسوق اقليمية كبيرة ... من هذا المنطلق بادرت ، ومن هذا المنطلق طرحت ، ومن هذا المنطلق عززت ، وحتى اقنعت الآخرين وجعلتهم يبترون مواجهتها للقرن الواحد والعشرين على أية حال يمكننا القول انه منذ ظهور فكرة الشرق اوسطية لم تفت المواطن العربى انها مناقضة للمصلحة العربية واستقر داخل وجدان المواطن العربى ارتباطها بالعداء للعروبة ، ومحاولة نفاذ اسرائيل لأن الشرق أوسطية هو الطريق الذى يمكن ان يحقق لاسرائيل الانتماء إلى المنطقة ، واسرائيل يمكن ان تكون دولة شرق أوسطية ولكنها لا يمكن ان تكون دولة عربية . ومن أجل دولة واحدة . اسرائيل . تبذل كل الجهود لطمس الهوية العربية لصالح هوية لاقوام لها تسمى «الشرق أوسطية» تتسع لاسرائيل وتعطى لها شرعية الوجود والبقاء ولكن بالرغم من هذه النظرة للأمور من قبل المواطن العربى فان المشروع الوحدوى العربي يقف امام عائق جديد بوضع سد منيع أمام الأمل المنشود فى السوق العربية المشتركة ، ومجلس الوحدة العربية ، ويقف معززا بآليات اقتصادية ومالية وتكنولوجية كبيرة ومتقدمة ، ومعززا كما ذكرنا بتردى العلاقات العربية ـ العربية ، دون ان نغفل الحصار المفروض على العراق والجماهيرية ، انطلاقا من ارادة عقيمة فى الهيمنة كما لايخفى أمام هذه العوائق الجديدة كيف يستطيع الخطاب القومي مواجهة الافكار والمشاريع الجديدة الرامية إلى طمس الهوية العربية والمشروع العربى الوحدوى ؟ ثم ماذا لو كان شأن العروبة كشأن الاوروبية ذلك الحس الذى جعل اوروبا من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها تبنى صرحها وفضاءها لبنة لبنة ، على امتداد ثلاثين سنة .. من روما إلى مستريخت لتصبح سوقا مشتركة ، فسوقا موحدة ، فاتحادا اقتصاديا ونقديا متكاملا ، بالرغم ممامميز ويميز بلدان تلكم القارة من صراعات تاريخية ، وتباين ثقافى وحضارى لم يعرف التاريخ مثله فى أى قارة من قارات المعمورة .

المراجع :

1 ـ لقاء مع الدكتور عصمت عبدالمجيد أجرته معه مجلة العربى مارس 1995 ف صفحة 97 .

2 ـ نفس المرجع .

3 ـ حوار مع شمعون بيريز أجرته معه صحيفة الاهرام فى 22 / 12 / 1992 ف

الملف الاقتصادي

مشكلة الفقر..
دراسة في الاقتصاد السياسي

د . اشقيفة الطاهر سعيد

مدخل .

الفقر لم يخلق مع الانسان بل الانسان هو الذى صنعه وسماه «الفقر»، انتهت الامبراطوريات التى ارتبطت بمفاهيم الظلم والطغيان والسخرة، واختفت ظاهرة الحروب التوسعية وموجة الاستعمار العسكرى المباشر التى اتسمت بالنهب، وانكمشت ظاهرة القوة بشكل عام، وظن العالم ان صورة الفقير المتسول والشعب الفقير التى ميزت قرون الاقطاع السابقة قد انتهت الى الابد مع نهاية السخرة والعبودية والرق وتجارة الرقيق.. وكافة اشكال التمييز والاضطهاد الدينى والعرقي والطائفي.. لكن الفقر بقي حياً لم يمت.. بل انه يستشرى مثل الطاعون والسيدا، الملوك والاباطرة والاقطاعيون وتجار الرقيق ورثتهم طبقات ودول وافراد، السخرة مازالت باقية وكذا الرق والعبودية.. التى تبدلت فى صيغ حضارية ! كمافي صورة عقد العمل والايجار والاتجار.. الخ التى احتمت بالقانون وتحصنت وراء قوة الدولة التى صنعها الاغنياء الاقوياء واختبت وراء يافطات الايديولوجيات المعاصرة وفي «فترينات» الاحزاب المختلفة، ووراء قوة الدولة ورأس المال والطبقات المسيطرة .

ان الفقر ليس موقفاً اختيارياً اي ليس هناك انسان واحد اختار عن طيب خاطر ان يكون فقيراً محتاجاً معوزاً بائساً ، اختار التهميش والرصيف يتكفف الناس ويستمطر شآبيب عطفهم ورحمتهم واحسانهم وعطاياهم ، ويوصف بالهامشية والخمول والكسل ويسب بالفقر ، باستثناء وحيد المتعبدين البوذيين ورهبان النصارى والمتصوفة المسلمين الذين اختاروا حد الكفاف وراهنوا عليه وقبلوا التعايش مع الفقر والعازة وانصرفوا عن الغنى والترف والشبع بالتقشف والجوع والزهد فى الدنيا بملذاتها وزراكشها ومتاعها وزينتها وغرورها وفخفختها .

الفقر ليس نتاج التراكم الرأسمالي او الامبريالية الاقتصادية والعسكرية الحديثة فحسب ، انه قديم منذ عرف الانسان ظاهرة الاحتكار ونشوء الصراع والتطاحن ، انه ظاهرة انتجها الاجتماع البشرى ونمتها خصوصية المسيرة البشرية الغارقة في الصراع ، لقد كان الفقر دائماً بوابة العنف والصراعات وكانت مظاهر الاستغلال وعلاقات الاستعباد والنهب بل ومازالت تمثل تهديداً فاعلاً للأمن والاستقرار والسلام على كافة المستويات الوطنية والاقليمية والدولية ، والفقراء وحدهم ظلوا ضحايا لعنة الفقر .

العالم لم ينتبه لمشكلة الفقر الذى هو في تزايد متسارع مع ازدياد عدد سكان الارض ومع انخفاض الاعتماد على الانسان ذاته ومع

تطور فكرة وادوات الحرب والصراع ومع وحشية الاغنياء وقوة وطبقية المحتكرين ، ان العالم يتجه بالفعل نحو عولمة الفقر وتعميم انموذج التسول في اقتصاد يحكمه صراع تنافسي وتسيطر عليه آليات السوق فقط ، ان العولمة التي تكتسح العالم بسرعة مذهلة تعزز باقتصاد المعلومات والخدمات والانتاج الهامشي .. قوة الرساميل والامبراطوريات والتكتلات الاقتصادية لصالح الاغنياء وحدهم سواء كانوا دولاً او طبقات او افراداً وهذا مايجعل التنبؤ بهزيمة الفقر ضرباً من الخيال والتوقعات الخاسرة ،ويجعل كل شعارات دولة الرفاه ليست مشكوكاً فيها فحسب بل اشبه باليوتيبيا واقرب الىَ الاسطورة من الواقع خاصة ان نظام « الدولة » الذى كان يعول عليه الناس اصبح في حد ذاته يواجه التهديد بفعل آليات وانساق العولمة وماتشكله من انتهاك لحرمتها وانتقاص لسيادتها ومواردها ومنافسة لسلطاتها وسلطانها وسلب لبرجعاجيتها ، انها تواجه مصيراً لايمكن التكهن به ان لم تكن قد بدأت التلاشى والانكماش والبؤس خاصة دول الجنوب التى لن تجد لها موقعاً فى خارطة نظام اقتصاد العولمة سوى لائحة الفقر والتهميش والاستغلال .

جغرافيا الفقر .

ماهو الفقر ؟ ومن هو الفقير؟ ماهى حدود الفقر وماهى مستوياته ؟ وتصنيفاته ؟ ماهى اسباب الفقر ؟

يثير مصطلح الفقر اشكاليات لاحصر لها واختلافات نظرية وتفسيرية وتطبيقية بين السياسيين والاقتصاديين وعلماء الاجتماع والاقتصاد السياسي .. سواء فى تحديده كظاهرة اجتماعية او كحالة اقتصادية محضة ، اوفى تصنيف درجاته وقياس عتباته وسلمه العام ، ورسم اوجهه المختلفة او في تحديد اسبابه الظاهرة والخافية وحصر مسبباته المتعددة وكذا في توزيع جغرافيته وحصر بيئاته وطبقاته وكثافته ، وصار امام الباحث تصنيفات كثيرة لدول فقيرة او شديدةالفقر،وشعب وطبقة فقيرة .. وعالم فقير « العالم الرابع » (1)

كما اصبحت هناك العديد العديد من تسميات الفقر التى تعبر عن نماذج مختلفة ومستويات مختلفة كذلك .. من نموذج الفقر المطلق والفقر المذقع .. الى الفقر الجماهيرى والفقر الطبقي والفقر النسبى والفقر التقليدى والفقر المستمر والفقر المتكامل والفقر المتعب والفقر الكبير والفقرالعرضى والفقر الهامشي والفقر المانع (2) ويمكن القول ان هناك انواعاً مختلفة من الفقر هى الفقر المادى وفقر المشاركة وفقر الاستقلالية وفقر الحماية ويمكن تشخيص انواع اخرى من الفقر تبعاً لمدى ديمومته واهمها فقر صدمة وفقر مؤقت وفقر موسمى وفقر دائم او طريقة القياس واهمها فقر نسبى وفقر مطلق وفقر مذقع او وفقاً لمعايير اخرى ومنها الفقر الفردى والفقر الجماعي والفقر المنتشر والفقر المتوطن (3) والفقر الغذائى ، الفقر المتناهى الفقر العابر والفقر المزمن (4) هذه الاشكاليات والاختلافات ، النظرية في تعريف الفقر وتحديده نشأت اساساً من ارتباط الفقر بعوامل عديدة سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية وارتباطه بمجالات واسعة ومتباينة كالاشباع ، الملكية ، الاجر ، العمل ، البطالة ، الاستهلاك ، الدخل ، الجوع ، الكوارث ، الحرب ، الانفاق التنمية ، التمييز ، الجريمة ، المرض ، .. الخ .

وهذا يعنى ان الفقر ليس مشكلة اقليمية تمس اقليماً بذاته او قومية بذاتها ، او شعباً بذاته او دولة محددة او طبقة وحدها ، فجغرافيا توزيع الفقر هى جغرافية هي جغرافيا عالمية كما هى مشكلة عالمية ايضاً لم تنج منها الدول المتقدمة التى ساد الاعتقاد انها حققت معدلات عالية من الرفاه والآمان الاقتصادى - يجب ان ينصب عليها المزيد من الجهد والدراسة للتقليل من آثارها الفعلية والنفسية درءًا لنتائجها المدمرة على النسق الاجتماعي البشرى برمته لما يولده من بؤس وحرمان ينعكس فى اشكال مختلفة من الصراع التناحرى ..« يشكل الفقر بيئة خصبة لاشكال عديدة من المعارضة الراديكالية والاحتجاج حيث يحول بعض الفقراء

وخاصة الشباب الغاضب احباطاتهم وتوقعاتهم الضائعة الى حركات معارضة عنيفة ، ان الفقر كصراع يائس من اجل البقاء وفي احيان كثيرة .. يولد الاغتراب الذى يشكل بدوره اساساً لكل انواع الصراع والمقاومة المنظمة وغير المنظمة التى تستهدف الدولة ذاتها .(5)

ان البحث في اسباب الفقر ومسببات التفقير يمثل اساساً محورياً لبحوث الفقر اصبح يفرض نفسه بشدة في ظرف دولي يتسم بغموض مستقبل نتاج التحولات الجذرية التى تشهدها اقتصاديات الدول المتسابقة بما اصبح يعرف بالاصلاح الاقتصادي المتمثل فى اعادة هيكلة الاقتصاد وتخطيطه لمسايرة العولمة ومايترتب على ذلك من خفض وتقليص الانفاق الحكومى او التفريط في الخدمات الاجتماعية والمجانيات والاتجاه نحو السوق وماترتب على ذلك من انتاج للفقر الذى تغذيه كذلك الحروب والمنازعات وتعمقه التفاوتات الهائلة فى الدخل والاستهلاك والملكية ومثال ذلك الدول التى توصف بأنها تمر بمرحلة انتقالية وهى دول المنظومة الاشتراكية السابقة « دول اوروبا الشرقية ورابطة الدول المستقلة » التى تحولت الى اقتصاد السوق المفتوح والتى كانت التحولات فيها بما ضاعف من نسبة وعدد الفقراء ففي بلغاريا كانت نسبة الفقر 2٪ العام 1987 / 1988 اصبحت 33٪ 1993 / 1994 وفي بولندا ولنفس الفترة من 6٪ الى 19٪ وانتجت 7.4 مليون فقير وفي الاتحاد الروسى ولنفس الفترة من 2٪ الى 45٪ وارتفع عدد الفقراء الروس من 2.2 مليون الى 67.7 مليون (6) .

وتبين الاحصاءات مدى التدهور الاقتصادى فى هذه الدول وتشير الى ارتفاع مفاجىء بنفس القدر فى فقر الدخل من 4٪ عام 1988 الى 32٪ عام 1994 ومن 14 مليون فقير الى 119 مليون فقير ولقد كان اثر التدهور الاقتصادى على حياة الناس اوسع نطاقاً واشد ارباكاً وابهظ تكلفة مما كان متوقعاً ولقد اصبحت الحياة اشد وطأة مع اضطرار الناس الى الاخذ باستراتيجيات للبقاء اشد يأساً .. ولقد كان من المتوقع ان يتسبب الانتقال الى الاقتصادات لسوقية فى حدوث اضطراب ولكن ليس على هذا الشكل الوخيم (7)

لقد ظلت الاطر النظرية لدرسات الفقر محل خلاف وهذا ما انعكس على وصفات العلاج وسبل التخفيف من الفقر سواء بإعادة النظر فى نموذج التنمية وغاياتها وعلاقتها بالدولة والسوق المحلى والعالمي او بالعمل على التخفيف من آثار التكيف الهيكلى فى اطار الاندماج مع سوق العولمة او بتصميم شبكات للامان الاجتماعي لصالح الفقراء او زيادة الاستثمار فى رأس المال البشرى للفقراء بما يوفر لهم حداً ادنى من الاشباع او باحسان الاثرياء الاغنياء او بالمساعدات الحكومية والهبات وماشابه ذلك من المبادرات والافكار مثل مبادرة عولة بدون فقر الاوروبية او مبادرة المنتدى العالمي للقضاء على الفقر .. ومبادرة ستراتيجيات الفقر التى اتخذها برنامج الامم المتحدة الاغائي (8) الخ .. من برامج مكافحة الفقر .

ان القضاء على الفقر في كل مكان هو اكثر من حتمية اخلاقية او التزام بالتضامن الانساني لكنه امكانية عملية ، وقد حان الوقت لاستئصال اسوأ اشكال الفقر البشرى خلال عقد او عقدين من الزمن ولاقامة عالم اكثر انسانية واكثر استقراراً واكثر عدلاً (9).

حدود ومؤشرات الفقر

كون الفقر يتصل بمتغيرات اساسية سياسية واقتصادية واجتماعية وطبيعية ، كالاسعار ونظام السوق وسوق العمل والبطالة والركود الاقتصادي والتضخم والحروب والكوارث الطبيعية « الزلازل - الفيضانات . الجفاف . التصحر .. » وهذا مايجعل دالته غير ثابتة وحالته غير مستقرة عند حد محدد بل في تصاعد على صعيد دولي ، لنأخذ مثلاً تحديد عتبة الفقر كمثال على هذا الاختلاف الآنف الذكر فثمة اختلاف في تحديد العتبة تؤسسه عوامل متعددة كالدخل او العمل او لاشباع او

الانفاق .. وهذا مايجعل عتبة الفقر تختلف من مكان لآخر ومن فئة لاخرى ومن دولة لاخرى ، ومن الريف الى المدينة ، ففي اوروبا مثلاً جملة من العتبات .. عتبة لكل دولة اوروبية وعتبة موحدة لدول السوق الاوروبية المشتركة ، وفي امريكا عتبتان للفقر ، مطلقة ونسبية ، ويمثل مقياس الفقر البشرى الوارد في دليل التنمية البشرية الصادر منذ العام **1990** عن برنامج الامم المتحدة الانمائى (**10**) يمثل مدى التفاوت في القياس الناتج عن التفاوت في كل شيء بين الطبقات والدول والافراد ، فكونه يجمع في دليل مركب واحد اوجه الحرمان فيما يتعلق بأربعة ابعاد اساسية لحياة الانسان هى الحياة المديدة الصحية والمعرفة والامداد الاقتصادى والشمول الاجتماعى وابعاد الحرمان هذه متماثلة فيما يتعلق بكل البلدان النامية والبلدان المصنعة ومؤشرات قياسها هى التى تختلف (**11**) ومن ثم تختلف مؤشرات القياس بالنسبة المئوية كذلك للناس الذين يتوقع ان يعيشوا حتى سن الاربعين في العالم الثالث بينما فى الدول المتقدمة حتى سن الستين وعلى هذا المنوال تختلف كل مؤشرات القياس الاخرى فبينما تقاس « المعرفة » بالامية فى العالم الثالث فانها تقاس بالامية الوظيفية في العالم المتقدم وبينما يقاس الامداد الاقتصادى بالحصول على الخدمات الصحية والمياه المأمونة والنسبة المئوية للاطفال دون سن الخامسة الذين يعانون من نقص معتدل او شديد فى الوزن فإن الامداد الاقتصادى فى الدول المتقدمة يقاس حرمانه بفقر الدخل والبطالة.

وعلى الصعيد الدولى اعتبر البنك الدولي الدخل معياراً اساسياً لتحديد عتبة الفقر **270** دولاراً للشخص الواحد في السنة للعام **1985** للذين هم فى غاية الفقر و **370** دولاراً للشخص الواحد فى السنة بالنسبة للفقراء (**12**) ومثل ذلك اعتبرت اللجنة المستقلة لبحث قضايا التنمية الدولية في تقريرها « شمال - جنوب » « لجنة ويلى برانت » مستوى الدخل الفردى معياراً للفقر **150** دولاراً للعام **1977** ووفقاً لما يمكن ان نسميه جغرافية الفقر صنفت منذ ذلك الحين **29** دولة كدول شديدة الفقر اعتماداً على ثلاثة معايير اساسية « الا يزيد نصيب الفرد من اجمالى الناتج المحلى عن **100** دولار بأسعار **1970** ولايزيد نصيب الصناعة التحويلية من اجمالي الناتج المحلى عن **10٪** ولايزيد عدد الافراد البالغين **15** سنة فأكثر والملمين بالقراءة والكتابة عن **20٪** من السكان (**13**) ووفقاً لتصنيف «لجنة برانت » وضعت الامم المتحدة مايمكن تسميته جغرافية الفقر أو ما اسمته احزمة الفقر فى منطقتين متجاورتين احداهما وسط افريقيا من الصحراء شمالاً الى بحيرة نياسا جنوباً وتبدأ الثانية من اليمن وافغانستان .. ثم تمتد شرقاً مخترقة جنوب آسيا وبعض دول شرق آسيا اضافة الى عديد الدول : كينيا - غامبيا - بورما - فيتنام - الهند - بنغلاديش .. الخ التى وصفت بأنها تعيش على هامش ضيق بين حد الكفاف وحافة الكارثة وهى دول تعانى من ضغط سكاني كبير اضافة الى الظروف البيئية الصعبة كموجات الجفاف والتصحر والفيضانات وندرة المياه .. الخ اضافة الى ماتعانيه من ضعف فى البنية التحتية .. طرق ومستشفيات ومدارس وماتعانيه من تبعية اقتصادية لقوى السوق الدولية التى تمثلها امتيازات الشركات الغربية الاحتكارية وسيطرتها شبه المطلقة على تلك الاقتصاديات انتاجاً وتسويقاً يضاف الى ذلك ماتعانيه من عدم استقرار سياسى ناتج الدور الاستعمارى ومصالحه وبلوغ ظاهرة الحرب والصراعات المسلحة ذروتها نموذج اليمن - افغانستان - الصومال - العراق - ايران - الشيشان - تركيا - الاكراد - الهند - الباكستان - الكونغو - سيراليون - كوسوفو - موزمبيق روندا - بورندى .. الخ وما ينتج عنها من اتلاف للبنية التحتية الضعيفة اصلاً وارهاقاً لاقتصادياتها بالمجهود الحربى على حساب التنمية والتطوير وانعكاسات ذلك على السكان وهو مايجعلها تمثل مخزون الفقر الذى لاينضب بما تضيفه من فقراء ومشردين ونازحين ولاجئين وجائعين ومحرومين

جدد لقائمة الفقر العالمي التي تعكس الارقام الاحصائية تصاعدها المستمر 19.76 ٪ في افريقيا شبه الصحراوية 21.22 ٪ في شر آسيا 50.33٪ في جنوب آسيا ، 7.10٪ في اوروبا الشرقية 13.51 في الشرق الاوسط وشمال افريقيا 14.30 ٪ في امريكا اللاتينية وجزر الكاريبي 28.39٪ في البلدان النامية (14) ويعيش اكثر من مليار شخص في حالة الفقر المطلق في العالم الثالث حسب تقدير البنك الدولي حول التنمية 1990 - 1991 ففي آسيا يعيش نسبة 64٪ وفي افريقيا نسبه 24 ٪ وفي امريكا اللاتينية وجزر الكاريبي 21٪ (وما من شك في ارتباط الفقر بالجوع وسوء التغذية فالمجاعات التي اجتاحت العالم لم تقض الا على الفقراء وحدهم و 30٪ من الذين يعانون سوء التغذية في الهند مثلاً هم من الفقراء و15 مليون شخص الذين يموتون سنوياً بفعل الجوع في الدول شديدة الفقر .. هم من الفقراء .

«جميع التقديرات تخص بمئات الملايين عدد المحكوم عليهم اما بالموت جوعاً او بإعاقة نموهم الطبيعي نتيجة لسوء التغذية وهذا الوضع لايحتمل ويجعل من العبث الكلام عن مجتمع دولي يضم مختلف الامم اذا مارضينا ان يستمر واكتفينا بالنظر الى الجوع على انه مشكلة هامشية ثانوية يمكن للبشرية ان تتقبل بقاءها دون حل (15) (ويعرض دليل التنمية البشرية ارقام الفقر البشري للعام 1999 لـ 92 بلداً نامياً انه يمثل نسبة مرتفعة 65.5٪ في النيجر و 50٪ في بنين وبركينا فاسو وافريقيا الوسطى وتشاد واثيوبيا وغينيا وغينيا بيساو ومالي ونيبال والنيجر وسيراليون وانه يمثل 33٪ في 37 بلداً من البلدان الـ 92 محل القياس .

ويعرض دليل الفقر البشرى للعام 2000 (16) ان التغييرات على الفقر مازالت طفيفة اي ان الفقر باق على حاله لم يتغير ففيما يتعلق بـ 85 بلداً نامياً يمثل الفقر 3.9٪ في الاوروغواي و 64.7٪ في النيجر ومازالت نسبة 33٪ في اكثر من 29 بلداً نامياً وتجاوز الـ 50٪ في اثيوبيا وبوركينا فاسو وافريقيا الوسطى وغينيا بيساو ومالي وموزامبيق ونيبال والنيجر .

ان جغرافية الفقر لاتعني انه يتمركز في دول الجنوب وحدها فالفقر والحرمان البشريان عالميان ربما يبدو الجوع الكلبي « السعار» والجوع المزمن « صور المجاعة » في اثيوبيا - الهند - روندا .. يعشعش في الجنوب لكن صور الفقر ومعاناة البؤس والحرمان تتزايد في دول الشمال وتتوسع قاعدته يوماً بعد آخر فهناك 17.7٪ من السكان في الدول الصناعية فقراء « دليل الفقر (2) البشرى 1998 »

ومن بين البلدان المصنعة التي يشملها دليل الفقر البشرى (2) وعددها 17 نجد ان السويد من بين البلدان المصنعة التي لديها اقل فقر بشرى 7٪ تليها هولندا والمانيا 8.3٪ و10.4٪ اما البلدان المصنعة التي ويوجد فيها اعلى معدل للفقر البشرى فهي الولايات المتحدة الامريكية 16.5٪ وايرلندا 15.3 ٪ والمملكة المتحدة 15.1٪ (17)

وهي نسبة احصائية لم يطرأ عليها تغير لصالح الفقراء للعام 2000 فمن بين البلدان الصناعية الثماني عشرة التي حسب لها دليل الفقر البشرى (2) نجد ان النرويج لديها ادنى مستوى للفقر البشرى وقدره 7.3٪ تليها السويد وهولندا 7.6٪ و8.2٪ على التوالي اما البلدان ذات اعلى مستوى للفقر البشرى فهي الولايات المتحدة الامريكية 15.8٪ وايرلندا 15٪ والمملكة المتحدة 14.6٪ (18)

ويتضح من تحليل احصاءات دليل الفقر البشرى (2) ان الحرمان والفقر ليس من نصيب الفقراء في دول الجنوب فحسب فهناك أكثر من 100 مليون نسمة في البلدان الغنية يعانون من مصير مماثل وزهاء 200 مليون نسمة لايتوقع لهم ان يبقوا على قيد الحياة حتى سن الستين واكثر من 100 مليون نسمة بلا مأوى و 37 مليوناً على الاقل لاعمل لهم وكثيراً مايعانون من حالة استعباد اجتماعي .

ويمكن القول ان حلم دولة الرفاه الاقتصادي ومظلة الرعاية الاجتماعية التي تحققت في دول الشمال الصناعية قد اصبحت في انكماش

وتتضاءل فرصتها باستمرار وهو ماعبر عنه (هانس بيتر مارتين وهارالد شومان) فخ العولمة 1998وهكذا ينكمش عصر الرفاه الاقتصادي في الدول الصناعية منذ أن بدأت الدولة تستجيب لمصالح الشركات .. ولم يكن سوى حدث عابر في التاريخ الاقتصادي (19) .

فما عرف برفاه الشمال وبحبوحته سواء على صعيد الاستهلاك أو الدخل وسد الحاجات .. لم يكن سوى كذبة تاريخية لتلميع بشاعة الرأسمالية ووحشيتها ، فهناك 30مليون عاطل عن العمل في أوروبا الغربية وحدها رغم أنهم يتلقون مساعدات اجتماعية (اعانة البطالة) إلاّ أنهم لايقدرون بأي حال من إشباع حاجاتهم وهناك 50 مليونًا من الفقراء في مجموع الدول الاوروبية حسب احصاء 1985أي 15.5٪ من مجموع السكان و32مليونًا في امريكا حسب احصاء 1987 أي 13٪ من مجموع السكان وهذا ما دعا بعض الكتاب إلى الترويج لاعتبارهم بلدًا يضاف إلى دول الاتحاد الاوروبي للفت النظر إلى مشكلة الفقر في اوروبا .

وثمة حقيقة لايمكن اهمالها أو تجاهلها فما يمكن وصفه بالرفاه الاقتصادي والبحبوحة التي تحققت في اوروبا وامريكا كانت على حساب شعوب العالم الثالث وكانت ناتج النهب المنظم لثروات عالم الجنوب بفعل الشركات الاحتكارية فلم ينحسر الاستعمار إلاّ بعد ترتيبات مازالت تحافظ على امتيازاته ومصالحه ، ترتيبات سياسية : كومونولث - وفرنكفونية وترتيبات اقتصادية : شركات احتكارية وشراكة غير متكافئة واتفاقات وقواعد عسكرية .. الخ .

هي اساسًا احد اهم اسباب فقر الجنوب وهي حقيقة ربما تغاضى عنها كثير من الدارسين والمهتمين بقضايا الاقتصاد السياسي ، فمشاركة دول العالم الثالث في الاقتصاد العالمي ظلت فوائدها تصب في سلة الشمال وبالتالي لم يكن النمو الاقتصادي الذي تحقق بأحسن حال من تلك المشاركة خاصة أنه لم يكن في صالح الفقراء لطبيعته الرأسمالية البحتة القائمة على تنمية رأسمالية لنشاطات هامشية وبرأسمال مستورد (ديون) .

ماتزال السمة السائدة لطبيعة حياة مليارين ونصف المليار من سكان المستعمرات .. هي الفقر والبؤس والظروف غير الانسانية لحياة البشر اليومية والأمية والجهل والجوع وسوء التغذية والنسبة المريعة لوفيات الأطفال وانتشار الأوبئة .. ومع ذلك تواصل دول الغرب الغنية جباية الاتاوات الاستعمارية الجديدة حيث بلغت ارباح الشركات الامريكية من الدول النامية .. اربعة اضعاف حجم الاستثمارات التي وظفتها .. وهكذا ..

ترزح الدول النامية تحت اعباء ديونها الخارجية الضخمة مع استمرار ضخ الأرباح خارج هذه الدول (20) .

ويمكن القول بصراحة ان للتقدم العلمي والتكنولوجي والسيطرة على التجارة الدولية والانتاج والتصنيع والتسليح العالمي ،دور في التنمية البشرية والحد من الفقر في دول الشمال لكن لايمكن تهميش واهمال نتائج حقبة الاستعمار وماترتب عليها من تخلف وفقر ونهب (لم يدفع الشمال تعويضًا عادلاً عنه) وتبعية مازالت آثارها قائمة حتى اللحظة (استثمارات - شركات - ديون - ولاء وتبعية) والتي تشكل مايزيد عن نصف مايعرف بالادخار الرأسمالي الذي أدى إلى تجميع ثروة تشمل على مبانٍ وطرق وجسور ومصانع (مرافق البنى التحتية الكاملة) التي مازال أمام دول الجنوب تخصيص ميزانيات واستقطاعات هائلة من الدخل الاجمالي القومي لبلوغ المستويات الدنيا في مجال التحديث والتنمية للقضاء على الفقر أو التخفيف من حدته على اقل احتمال .

إن ارتفاع مؤشرات الدخل أو الاستهلاك في دول الشمال الصناعية لاينفي وجود فقر وحرمان وبؤس ورغم اختلاف دلالاته النسبية التي نفضل ارتباطها بمجال الحاجات بشكل خاص ودرجة اشباعها ، فعدم اشباع الحاجات الأساسية للإنسان تفقده حريته وارادته وتزيد من استعباده واستبعاده وتهميشه والتي يمكن

اعتبارها مقياساً عاماً للفقر البشري بجميع انواعه واصنافه بما تتضمنه منظومة الحاجات من تفصيل معنوي(الحرية - الإرادة - الأمن..... الخ) .

وتفصيل مادي من (أكل - مسكن - ملبس - مركوب ...الخ) ليظل التمايز بين البشر قائماً على التفاوت في الاشباع من حيث النوع والكمية بين ان يسكن قصرانيف أو في شقة كرتونية ضيقة وبين أن يأكل لحم الغزال أو لحم الدجاج ، وليس كما هو حادث بين من يسكن قصر أنيف ومن يفترش الرصيف وبين من يأكل حتى التخمة ومن يموت جوعاً .

البطالة والفقر :-

يتعين الاحاطة بموضوع الفقر من جميع جوانبه فثمة علاقة مباشرة بين الفقر وكافة مجالات الحياة والنشاط البشري السياسي - الاقتصادي - الاجتماعي - الديني .. وهو بهذا يمثل مجالاً واسعاً للبحث السياسي ولعالم الاقتصاد والدين والاجتماع لتصميم شبكات واستراتيجيات تحد من هذه الظاهرة المشينة ووضع حلول جذرية تحقق عدالة فعلية تلغي الفقر وتجتث دابره .

والنشاط الاقتصادي البشري في جملته له علاقة بالفقر فمسائل النمو الاقتصادي والتنمية واعادة الهيكلة وطبيعة النشاط الاقتصادي ، والعمل والأجر والبطالة والملكية والركود الاقتصادي والتضخم والتراجع الاقتصادي .. الخ .

كلها مولدة للفقر إذا اخضعت لقوانين الاحتكار ونتائجها .

وثمة ادلة ومؤشرات عديدة تعبر عن ازمة حقيقية على صعيد الاقتصاد العالمي وعلى صعيد الاقتصاديات المحلية لكل الجماعات البشرية وهي ازمات تنعكس سلباً على تحقيق رفاهية واشباع حقيقي للحاجات البشرية ومن ثم عدالة ومساواة فعلية في الاستهلاك ومستوى المعيشة وحصة الأفراد والأمم والقوميات والاقتصاد العالمي سواء بوحداته الانتاجية والتبادلية (التجارة الدولية) يخضع لنوع وطبيعة ونمط العلاقات المؤسسة للإنتاج والتبادل والاستهلاك ومن ثم الاشباع كغاية نهائية وقصوى ، ورغم ان (الربح) محرك للعملية الاقتصادية كما يدعي الرأسماليون إلاْ ان اعتباره غاية النشاط الاقتصادي قد أضر بالمسألة الاقتصادية برمتها ومن ثم ادى التنافس والعمل من اجله إلى تركز احتكاري في ايدي قلة قليلة من البشركل يوم يقل عددها ونسبتها خاصة إذا اخذنا في الاعتبار التغييرات التي تطرأ على (سوق العمل) بفعل التطور التقني ومايتنتج عنه من استغناء عن الجهد الانساني ، «ان نسبة **20٪** من السكان العاملين ستكفي في القرن القادم (يعني القرن الحالي) للحفاظ على نشاط الاقتصاد الدولي وبشهادة خبراء التجارة فلن تكون هناك حاجة إلى أيد عاملة اكثر من هذا فخمس قوة العمل سيكفي لانتاج جميع السلع ولسد حاجة الخدمات (**21**) وهو ماتعبر عنه ظاهرة تسريح العمال ومظاهر الاستغناء التي تتم بشكل يومي ومتواصل سواء كانت نتيجة لإعادة هيكلة الشركات واندماجها وهيكلة الاقتصاد وخصخصته أو حلول الآلة محل الجهد الانساني ... الخ .

ان هذا يعني ارتفاع البطالة ليس في العالم النامي فحسب بل في الدول الصناعية وبالتالي هجوم الفقر ، ستواجه الـ**80٪** مشاكل عظيمة وان المسألة ستكون في المستقبل إما ان تأكل وإما ان تؤكل على حسب وصف احد مديري الشركات الامريكية(**22**) الذي يتوقع ان يرى في الدول الصناعية افراداً ينظفون الشوارع بالسخرة أو يعملون خدماً في المنازل قصد الحصول على مايسد الرمق .. وهو توقع يبدو مقبولاً في اقتصاد **20٪** يعملون و**80٪** عاطلون وفي اقتصاد تسيطر فيه **250** شركة على **85٪** من الصادرات الامريكية وتضيق فيه قاعدة الملكية يوماً بعد آخر فإن الفقراء لن يزيدوا فقراً وحسب بل ان قاعدة الفقر ستتوسع بما يضاف اليها من قائمة الاستغناء والفصل التعسفي والطرد اليومي /.

نسبة الفقر في امريكا مثلا عام 1983ف بلغت 15.3٪ وفي عـام 1986٪ بلغت 13.5 ، وهكذا على الصعيد العالمي يخضع الاقتصاد العالمي إلى مجموعة تحولات تسيطر عليها علاقات الاحتكار - التقنية - العولمة ... والتي لم تحدث سوى تغييرات طفيفة على معاملات الفقر المتصلة بالعمل والدخل والاستهلاك ...

لقد كشف تقرير العمل الدولي الصادر عن مكتب العمل الدولي (1998 - 1999) بأن اعداد العاطلين عن العمل كليًا أو جزئيًا قد بلغ معدلات قياسية لم يسبق لها مثيل لأسباب سبق ذكرها .

- يبقى مايقرب من مليار عامل أي حوالي ثلث اليد العاملة في العالم عاطلاً كليًا أو جزئياً عن العمل .

- ومن بين المليار عامل هؤلاء هناك حوالي 150مليونًا من العاطلين عن العمل أو الساعين والمستعدين للعمل .

- وان 25 - 30٪ من عمال العالم أو مايعادل 750و 900مليون شخص هوعاطل جزئيًا عن العمل أي أنهم اما يعملون اقل بكثير من دوام عمل كامل رغم رغبتهم في العمل لفترات اطول أو انهم يتقاضون اجوراً اقل من الأجر الكافي للعيش (23) .

وفي المنطقة العربية تقدر البطالة بـ 15٪ في المتوسط وتصل في بعض الدول إلى 30٪ (24) .

في غزة 47٪ وقت الاغلاق ، 25٪ اليمن ، 21٪ الجزائر ، 17٪ السودان ، وباعتبار البطالة مولداً أساسياً للفقر فإن الفقراء في الدول العربية مابين 90 - 100مليون اي مايماثل نسبة 34 -35٪ (25) .

ويوجد 40الف شركة اممية تسيطر على أكثر من 80٪ من الاقتصاد العالمي كما أدى توجه الاقتصاد نحو انتاج سلع استهلاكية لاتمثل اولويات اشباع وخدمات هامشية كذلك حتى انه يمكن الآن وصف الاقتصاد العالمي باقتصاد المعلومات ، ورغم ما أضافه التطور العلمي من مكاسب وما وفره من وقت وجهد وامكانيات وما حققه من انتاج جماهيري وفير إلاّ أن له سلبيات لاحصر لها هي في الأصل ناتج احتكار العلم وتوجيهه لصالح فئات ودول وطبقات دون غيرها وناتج عدم السيطرة على هذا التقدم لصالح البشرية فعلى سبيل المثال يمثل التقدم العلمي وتطوير منظومات السلاح الذري والجرثومي والتقليدي خطراً على الحياة الانسانية في جملتها كما يمثل احتكار ادوات وتقنيات الانتاج وتطويرها للحد الأقصى بزيادة الاعتماد على (الماكينة) والاستعاضة عن الجهد الانساني بالجهد (الميكانيكي) الآلي المتطور خطراً على سوق العمل الذي اصبح يضيق يوماً بعد آخر مع مايصاحبه من تركز احتكار مواقع العمل والانتاج الصناعي والزراعي والخدمي والتسويقي ، ان هذا التقدم في تطور متواصل ومتصل مما ضاعف عدد الباحثين عن عمل وادى إلى ارتفاع مؤشرات البطالة بشكل مذهل وصل في الدول الصناعية من 7.5٪ إلى 13٪ وفي اوروبا حسب احصاء 98يوجد في دول الاتحاد الاوربي 30مليون عاطل .

الاستهلاك والفقر :-

ان الاستهلاك مثله مثل الانتاج يخضع لعوامل الاحتكار وتحليل انماطه ينبئ عن واقع محزن وخلل يعانيه الاقتصاد العالمي يدفع ثمنه الفقراء فرغم حدوث توسع في الاستهلاك في القرن العشرين بلغت نفقات الاستهلاك العام والخاص 24 ترليون دولار عام 1998 وهو مايمثل ضعف المستوى الذي بلغته عام 1975، وستة امثال المستوى الذي بلغته عام1959، اما في عام 1900 فقد كانت نفقات الاستهلاك الحقيقي 1.5ترليون دولار (26).

لكن رغم هذا التوسع الهائل فإن مستوى المعيشة للبشرية (توفر الحاجات الأساسية - التمتع بمساكن لائقة - ووسائل نقل - واماكن عمل وترفيه - المستوى الصحي ..) لم يتحقق كما كان يؤمل ، فالجوع والمجاعات والفقر وانعكاساته مازالت قائمة ولم تحدث تنمية حقيقية تركز على غاية الانتاج الحقيقية التي يجب ان تكون لإسعاد البشر وليس لتعاستهم كم هو مثال تطوير السلاح وتجارته ، ومثل ذلك

تشكل الأنشطة الهامشية ضرراً بالغًا ليس على انماط الاستهلاك بل للتنمية البشرية في جملتها ، «فالاستهلاك الذي يحدث اليوم يقوض قاعدة الموارد الطبيعية وهو يفاقم التفاوتات وتتسارع ديناميات علاقة الارتباط بين الاستهلاك والفقر وانعدام المساواة والبيئة(27) وهذا ما جعل تقدير التنمية البشرية ينبئ بأن مشاكل الاستهلاك والتنمية البشرية القائمة اليوم ستسوء بتفاقم المعضلات الاقتصادية البطالة / التضخم مع مايصاحبها من ندرة في السلع الجماهيرية التي تغطي اغلب متطلبات البشرية وهو ماجعل التقرير يعرض في عجالة .

حلول ملحة تتمثل في :ـ

* اعادة توزيع الاقتصاد من المستهلكين ذوي الدخل المرتفع إلى المستهلكين ذوي الدخل المنخفض .

* حدوث تحول نحو انتاج السلع الجماهيرية التي تمكن المنتجين الفقراء من امتلاكها .

* حدوث تحول عن السلع وتقنيات الانتاج المسببة للتلوث إلى سلع وتقنيات انظف .

* حدوث تحول في اولويات الاستهلاك من الاستهلاك لأغراض التظاهر إلى تلبية الحاجات الاساسية .

* ربط فعلي بين اتجاهات انماط الاستهلاك وتحقيق التقدم في التنمية البشرية .

ويمكن القول ان الانتاج ـ التوزيع ـ التجارة الدولية ستظل قضايا تمثل اولويات الاقتصاد العالمي المؤسس اصلاً على قواعد التفاوت المريع بين الدول ـ الطبقات ـ حاجات ومتطلبات الانسان وقدراته ودخله اليومي والسنوي .

ان هذا التفاوت الصارخ يظهر بوضوح عند استقراء الجداول البيانية واستعراض الاحصاءات الدالة على تصنيف الدول والتفاوت بينها .. فقد زاد نصيب الفرد في البلدان الصناعية بنسبة 2.3٪ سنويًا على مدار الخمس والعشرين سنة الماضية في حين زاد في دول شرق آسيا بنسبة 6.1٪ وبنسبة 2.0٪ في جنوب آسيا إلاّ أنه لم يلحق بمستوى الدول الصناعية ..

ويتضح الفرق الشاسع بين الدول النامية والدول الصناعية فالأسرة الأفريقية على سبيل المثال تستهلك اليوم أقل مما تستهلكه قبل خمسة وعشرين عامًا بنسبة 20٪.

ويعري تقرير التنمية البشرية للعام 1998 الواقع الاقتصادي المعيشي الدولي ، فاكثر من20٪ من سكان العالم يقعون خارج نطاق الانفجار الاستهلاكي الذي يميز المدنية الغربية ومايزيد عن مليار نسمة محرومون من حاجات الاستهلاك الاساسية ومن بين سكان البلدان النامية البالغ عددهم 4.4٪ يفتقر زهاء ثلاثة اخماس إلى مرافق الصرف الصحي ولايحصل مايصل إلى الثلث على مياه نقية ولايوجد لدى الربع اسكان مناسب ولايحصل الخمس على الخدمات الصحية الحديثة ولا ينتظم خمس الأطفال في مدارس حتى الصف الخامس ولايحصل حوالي الخمس على مايكفي من الطاقة الغذائية والبروتين .. وعلى نطاق العالم يوجد 2مليار يعانون فقر الدم من بينهم 55 مليون في الدول المتقدمة .

ان التفاوت في الانتاج والاستهلاك على الصعيد العالمي ينعكس على رفاهية الناس فالفقراء هم ضحية هذا التفاوت ، فعلى صعيد العالم نجد ان 20٪ من سكان العالم ممن يعيشون في البلدان ذات أعلى دخل مسؤولون عن 86 ٪ من نفقات الاستهلاك الخاص بينما تمثل افقر نسبة20٪ جزءًا صغيراً من تلك النفقات لايتجاوز 1.3٪ وبتفصيل اكثر نجد ان اغنى خمس من السكان في العالم :ـ

* يستهلكون 45٪ من جميع اللحوم والأسماك بينما يستهلك افقر خمس 5٪ .

* يستهلكون 58٪ من جميع وسائل الطاقة بينما يستهلك افقر خمس 4٪ .

* لديهم 74٪ من جميع خطوط الهاتف بينما يوجد لدى افقر خمس 1.1٪ .

* يملكون 87٪ من اسطول العالم من المركبات بينما يملك افقر خمس 1٪ .

* يستهلكون 84٪ من جميع الورق بينما يستهلك افقر خمس 1.1٪ . (28)

* ان 358 مليارديراً يمتلكون معا ثروة تضاهي مايملكه 2.5 مليار من سكان المعمورة .(29)

* ان 95٪ من الزيادة السكانية تتركز في افقر مناطق المعمورة(30) .

* هناك 20٪ من دول العالم هي اكثر ثراء وتستحوذ على 84.7٪ من الناتج الاجمالي للعالم، وعلى 84.2٪ من التجارة العالمية ويمتلك سكانها 85.5٪ من مجموع مدخرات العالم وتستحوذ دول الـ 20٪ على 85٪من الاستهلاك العالمي للخشب وعلى 75٪ من الحديد والصلب وعلى 70٪ من الطاقة .

العولمة والفقر :ـ

ان النظر إلى العولمة كأنها فكرة امريكية أو صناعة امريكية أو ماركة غربية كما يصفها البعض يمثل مغالطة تاريخية انها مرحلة تطور حضاري تلجها البشرية في السياسة والاقتصاد والاتصال والاجتماع لكنها فعلياً نتاج التطور غير المسبوق لشبكات الاتصال والمواصلات والمعلومات والتجارة الدولية صنعها التقدم العلمي والتقنية المتطورة التي لايمكن ان ننكر ان الغرب يتربع على قمتها ويمثل محور قيادتها فالقرية الكونية التي كانت في مخيلة الذاكرة البشرية صارت اكثر من حقيقة بما وفرته هذه التقنية من وسائل ادراك وتعامل تخطت كل الحدود الوطنية والسياسات التقليدية (ان العولمة تعني اكثر كثيراً من التجارة والمالية ، فانكماش المكان وانكماش الزمان وتلاشي الحدود هي امور تربط الناس على نحو حميم وفوري بدرجة متزايدة) والاقتصاد الذي يمثل ظاهرة نشاط بشري هام لاستمرار الحياة وتعمير الاراضي ظل دائماً في تحول مستمر بأنماطه ووسائله وغاياته ابتداءً من الاقتصاد البدائي الذي اعتمد على القنص والغابة والمشاعية ومروراً باقتصاد الرعي والزراعة الذي اعتمد على الري والترع والانهار والمراعي وحدودها أو اقتصاد الصناعة والانتاج الآلي وماشكله من ثورة في بنية العلاقات البشرية التي تطورت فيها السخرة إلى الأجر الزهيد ، ثم اقتصاد المال والنقد والخدمات واخيراً اقتصاد المعلومات فالمعلومات اصبحت تشكل العمود الفقري لاقتصاد العولمة مثلما شكلت من قبل الترعة والمرعى والآلة اساس اقتصاديات الزراعة .. الصناعة .. وليس ادل على ذلك من ان الدول الصناعية تحولت إلى مروج ووسيط معلوماتي يفوق دخله بكثير مما تجنيه من آليات الانتاج التكنولوجي والاستهلاكي وهذا يعني ان احتكار المعلومات سيمثل طابعاً يميز اقتصاد العولمة وظاهرة احتكار جديد كما ميز احتكار التقنية والمعرفة والعلم الاقتصاد الصناعي الرأسمالي من قبل .

ان مثلث العولمة الاقتصادي والتجاري والمالي الذي يمثله صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمنظمة العالمية للتجارة يصب حتماً في سلة القوى المسيطرة أي الدول المتقدمة تقنياً وصناعياً وهذا يعني ان الرابح الوحيد هو دول الشمال والخاسر الوحيد هم الفقراء (جبريل ديالو1999) مدير شعبة الشئون العامة ببرنامج الأمم المتحدة للتنمية البشرية المستدامة عبر عن دور العولمة بين الشمال والجنوب .

(ولكن العولمة حسبما سمح لها بأن تمضي قدماً حتى الآن كانت تدق اسفيناً اعمق بين الناس داخل البلدان فالناس في حوالي 85 بلداً حالهم الآن أسوأ في الواقع من نواح كثيرة مما كانوا عليه قبل عقد من الزمان ومن ثم فإن التحدي يتمثل في كفالة تقاسم فوائد العولمة تقاسماً عادلاً ، فعلينا ان نجعل العولمة تخدم الناس فضلاً عن خدماتها للأرباح) .

ان مسألة احتكار السوق لاتتسق بالضرورة مع امكانية التقاسم العادل للفوائد بل انها تمثل ضرباً من ضروب المستحيل ، وعندما يصل السوق إلى مدى بعيد للغاية في السيطرة على النتائج الاجتماعية والسياسية فإن فرص ومغانم العولمة تنتشر على نحو يفتقر إلى المساواة والعدل ـ بحيث تتركز القوة والثروة في مجموعة منتقاة من الناس والدول والشركات مع تهميش

الآخرين .

وعندما تنفلت السوق تظهر نواحي عدم الاستقرار في شكل طفرات من الازدهار ثم الانتكاس الاقتصادي مثلما حدث في الأزمة المالية في شرق آسيا وعواقبها على نطاق العالم التي ادت إلى انخفاض الناتج العالمي بما يقدر بتريليوني دولار في الفترة 1998 ـ2000ف .

وعندما تنفلت حوافز الربح لدى المتعاملين في السوق فإنهم يتحدون اخلاقيات الناس ـ ويضحون باحترام العدل وحقوق الانسان (31) .

لذا فإن التحدي الأساسي الذي نواجهه اليوم هوكيفية ضمان ان تصبح العولة قوة ايجابية لكل شعوب العالم بدلاً من ترك مليارات البشر يسقطون في مستنقع الفاقة والعوز (32) .

واختصاراً فإن هناك الكثير مما يمكن للاقطار الفقيرة عمله لمساعدة انفسهم ولكن للأقطار الغنية دور لايمكن الاستغناء عنه لذا فإن الأقطار الغنية عندما تبشر بمزايا فتح اسواق الدول النامية لبضائعها فهذا سيكون رياء مالم تفتح تلك الأقطار الغنية اسواقها لمنتجات الاقطار النامية أوإذا مااستمرت في اغراق اسواق العالم ببضائع مدعومة مما يجعل من المستحيل على الاقطار النامية التنافس معها كما انه من غير المتوقع ان تستمع الاقطار النامية لدعوات الدول الصناعية لاحترام البيئة العالمية مالم تقم تلك الدول الصناعية بتغيير نمط الانتاج والاستهلاك غير المسؤول اللذين تمارسهما (33) .

لقد قدمت الاقطار الغنية وعوداً منذ فترة طويلة لتخصيص 0.7٪ من الناتج القومي الاجمالي لمساعدة الاقطار الفقيرة إلاّ ان القليل قد تحقق من تلك الوعود ، ان من واجب الشركات الخاصة والحكومية ان تأخذ بنظر الاعتبار مصلحة الفقراء عندما تقرر اختيار منافذ استثماراتها أو تسعير بضائعها فالدول الغنية هي من اكبر المستفيدين من العولة(34) .

ولعل السؤال المهم هو كيف يمكن مواجهة تحديات العولة اي كيف تكون لصالح كل الناس اي تقاسم مزاياها وايجابياتها والتخفيف من وطأة سلبياتها .. أي عولمة تتسم :

- بالاخلاقيات ـ انتهاك اقل لحقوق الانسان لامزيدا منه
- بالعدل ـ تفاوت اقل دخل الدول وفيما بينها لامزيداً منه
- الشمول ـ تهميش اقل للناس والبلدان لامزيداً منه
- الأمن البشري عدم استقرار اقل للمجتمعات البشرية وضعف اقل للناس لامزيداً منهما
- الاستدامة ـ تدمير اقل للبيئة لامزيداً منه
- التنمية فقر وحرمان اقل لامزيداً منه .

لكن تظل هذه مجرد مطالب بشرية لاتعيرها قوة السوق وشروطه ادنى اهتمام يذكر فانعدام المساواة في الدخل والاستهلاك والاشباع في تزايد مستمر بين الطبقات والافراد وسيطرة الشركات الاحتكارية الغربية على الاقتصاد العالمي تزيد وتوسع من قاعدة اللامساواة هذه خاصة بين دول الشمال والجنوب .

ففي اواخر التسعينات كان خمس سكان العالم ممن يعيشون في اعلى البلدان دخلاً تبلغ حصتهم 86٪ من الناتج الاجمالي المحلي العالمي بينما كانت حصة خمس سكان العالم يعيشون في اقل البلدان دخلا 1٪ .

وهكذا 82٪ من اسواق صادرات العالم مقابل 1٪

و68٪ من الاستثمارات الأجنبية المباشرة مقابل 1 ٪

74 ٪ من خطوط الهاتف في العالم مقابل 1.5 ٪

لأفقر خمس من سكان العالم .... الخ (35) .

والسؤال ، ما هي النتائج التي يمكن ان يحصدها الفقراء من العولة وكيف يتمكن الفقراء (1,3 مليار نسمة) من المشاركة في الأسواق ؟

وما هو المردود الذي يأمله الفقراء من التدفقات الحرة للتجارة والمال والمعلومات اذا كانوا غير قادرين على المشاركة فيها .

ان النظرية الاقتصادية للعولة قائمة على

يقين وفي اطار من الحتمية والاقتناع الراسخ بأن التدفقات الحرة للتجارة والمال والمعلومات سيكون لها أفضل مردود على النمو ورفاهية البشر ، وهي لن تكون إلا كذلك لكن لصالح الاغنياء الاقوياء . على اعتبار ان للعولمة فائزيها وخاسريها ومن هنا يمكن القول ان الدول التي صنفت كدول فقيرة أو شديدة الفقر ستكون الخاسر الاول ان هذه الخسارة ستكون مركزة في مجموع من البلدان لاقبل لها بتحملها وستكون فادحة الثمن لبعضها وقد تخسر البلدان الأقل نمواً ما يصل إلى 600 مليون دولار سنوياً وافريقيا جنوب الصحراء 1,2مليار دولار ... وستترجم الخسائر إلى ضغوط على الدخول وإلى الحد من القدرة على دعم الواردات وإلى زيادة الاعتماد على المعونات .. مما يقوض قدرة الحكومات على تنمية الهياكل الاساسية الاقتصادية والاجتماعية التي يتوقف عليها الحد من الفقر البشرى ..(36).

ولن تكون البلدان النامية بمجملها (ثلاثة ارباع سكان العالم) بأسعد حال فلن تحصد من العولمة إلا الشئ اليسير (مادامت قواعد اللعبة متحيزة ضدها - لاسيما القواعد المتصلة بالتجارة الدولية ومادامت المعايير ليست في صالحها).

(ان العولمة ماضية في طريقها باطراد ولكن ذلك يتحقق لصالح البلدان الأكثر دينامية والأكثر قوة من بلدان الشمال والجنوب ووفقاً لتقديرات تقرير التنمية البشرية 1992 فقد بلغت خسارة البلدان النامية نتيجة لعدم المساواة في الحصول على الفرص في مجالات التجارة والعمل والمال ما مقداره 500 مليون دولار اى ما يعادل 10 أمثال ما تحصل عليه سنوياً كمساعدة دول اجنبية ويبدو ان الحجج القائلة بأن اشد البلدان فقراً لابد وانها تستفيد من ذلك في نهاية الأمر هي حجج يتعذر قبولها (37).

ان التحولات التي صنعتها العولمة في شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ظلت باستمرار لصالح الاغنياء هذه حقيقة لايمكن انكارها فالشركات العملاقة متعددة الجنسيات واثرياء العالم هم الذين يسيطرون على زمام المبادرة ما داموا يسيطرون على آليات السوق الدولية وهم الذين يتحكمون في العالم مادامو يجنون الارباح وحسب تقييم الخاسرين والرابحين فان العولمة تشكل تهديدات حقيقية ومحتملة للأمن البشرى في البلدان الغنية والفقيرة على حد سواء لما تنطوى عليه آلية التنافس المحموم من مخاطر لاتهتم برفاهية وسعادة الانسان واشباع حاجاته المادية والمعنوية بقدر ما تهتم بالربح ولاتهتم بالفقراء بقدر ما تهتم بالسوق وحوافزه السخية التي تشجع مثلاً على تطوير سلع هامشية تهتم بالتجميل وتهمل دعم استحداث تكنولوجيا من أجل الفقراء ورفع المعاناة عنهم .

انها تهديدات متنوعة تضاعف العولمة من تعزيزها على مختلف الاصعدة الوطنية والقومية والدولية وفي شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تلجها العولمة .

فعلى الصعيد الاقتصادي تتزايد باستمرار حدة التفاوتات والفوارق بين الشمال والجنوب بين الاغنياء والفقراء بين الدول وفي الدول بين الطبقات والمدن والارياف وتساهم الاضطرابات والتقلبات المالية (نموذج شرق آسيا) والافلاسات المختلفة وارتفاع اسعار السلع (والمواد الاولية والمصنعة) . والاضرابات العمالية ونقص الطلب على الايدى العاملة (البطالة) .. تساهم في خلق فقراء جدد يضافون إلى قائمة الفقر العالمي .

وعلى صعيد الصحة البشرية فإن انتشار الأمراض (السيدا) وعدم مكافحة امراض الفقراء المستوطنة سيجعل الصحة البشرية محل تهديد خاصة الفقراء الذين مصيرهم الموت والمرض .

والأمن الثقافي مهدد نتيجة التدفق الاعلامى والثقافي غير المتوازن الذى ترجح كفته في اتجاه واحد لصالح دول الشمال الرأسمالية ولصالح ثقافة الغرب الاستهلاكية وقيم السوق الرأسمالية التي لاتتماشى وقيم وثقافة الفقراء

وخصوصيته الانظمة الاجتماعية المؤسسة للثقافات العالمية بكاملها .

وعلى صعيد الأمن الشخصي البشرى فإن ما وفرته العولمة من تقدم في تقنية المعلومات والاتصالات وانخفاض تكاليف النقل قد ساهم في انتشار الجريمة المنظمة وظاهرة الحرب والاتجار بالاسلحة والمخدرات « فالمجرمون يجنون ثمار العولمة »(38).

« ان ما هو في مصلحة التجارة الحرة هو في مصلحة مرتكبى الجرائم أيضاً (39) وهذا ما جعل حجم المبيعات في السوق العالمية للهروين في عام 1990يقفز إلى عشرين ضعفاً عن العشرين سنة الماضية (40) لذا اصبحت الجريمة المنظمة عالمياً أكثر القطاعات الاقتصادية نمواً ، انه يحقق ارباحاً تبلغ خمسمائة مليار دولار في العام (41) .

على صعيد البيئة فإن مخاطر ظواهر الانبعاث الحرارى وثقب الاوزون وتلوث البحار والمحيطات والانهار .. ناتج التجارب والنفايات الذرية واختفاء الغابات كمصدر للورق يسبب تآكلاً للنظام البيئي تزيد العولمة من حدة التنافس على استنزاف المصادر الطبيعية من خطورته وحدته مع تجاهل المجتمع الدولي لهذه المسائل .. ففي الهند على سبيل المثال لا الحصر تبين الاحصاءات ان التلوث قد اخذ ابعاداً خطيرة جداً وذلك بفعل الفقر والقطع المستمر للغابات « ان التهديدات البيئية تبدو مظهراً آخر لترابط الكوكب واستحالة ترك أكثر من نصفه يواجه مصير اوساخ غيره على ارضه ان تدمير غابة الامازون وتصحير الساحل والتلوث عن طريق الهيدروكربورات إنما هي اضرار يقوم بها الشمال في الجنوب لكنها تعرض الارض بأسرها للخطر(42).

وعلى صعيد الحرب فإن العولمة تعزز تجارة السلاح كتجارة رائجة تحقيقاً لمصلحة الدول المنتجة له وهذا يعنى ان فكرة الحرب (الاقليمية العرقية الدولية..) ستظل قائمة تعززها وتغذيها مصالح الغرب ومصانعه مع ما تخلفه من مشردين ولاجئين ومشوهين ونازحين يضافون إلى قائمة الفقر العالمي المتصاعد ومع ما تستنزفه من قدرات اقتصادية ودمار للبنى التحتية .

وعلى صعيد الرفاهية البشرية ودور الدولة في النشاط الاقتصادي ودورها في توفير مظلة الرعاية الاجتماعية القائمة على مسؤولية المجتمع في ايواء من لاولى له من المعاقين والمرضى والعجزة والمسنين .. والعاطلين عن العمل والفقراء ... فإن انحسار دور الدولة بفعل ضغط العولمة سيولد المزيد من البؤس والفقر وسيولد المزيد من التوترات الاجتماعية لمحدودية احسان الاثرياء وهباتهم المذلة .

ان النظرية الاقتصادية التي تقوم عليها العولمة لم تأخذ في الحسبان تخلف وفقر دول الجنوب فالسوق العالمية الوحيدة المتكاملة تستلزم بالضرورة تحرير الأسواق المحلية اى نظام السوق المفتوح وبهذا المفهوم فإن التدفق الاقتصادي سيكون لصالح الشمال وإذا اخذنا بتصنيف الخاسرين والرابحين فإن «اصحاب الامتيازات في الشمال والجنوب اعنى اصحاب الثروة والمستثمرين وذوى المهارات العالية» هم الفئة التي تحقق بها عولة الاقتصادات حصة متزايدة من مجموع الرفاهية المتزايدة في العالم على حساب باقى السكان (43) .

وهي بالطبع فئة الخمس الثرى وهي التي استفادت من الانفجار الاستهلاكي والبحبوحة والرفاهية الاقتصادية الذي شهدها القرن الماضي كما استفادت من قبل من حقبة الاستعمار وسيطرت الشركات العابرة على العالم اجمع .

وهذا ما جعل تقرير التنمية البشرية (1999) يتنبأ ببشاعة التهميش وبسيطرة السوق ، تفيد العولمة البعض ولكنها تهمش عدداً أكبر من الناس ، فبينما تتيح العولمة فرصاً عظيمة للتقدم البشرى بحيث تثرى حياة الناس وتوسع

خياراتهم تخلق مجتمعاً قائماً على قيم مشتركة فإن الأسواق قد سمح لها بأن تسيطر على العملية على حساب بناء تلك القيم .. « ما الذي يمكن عمله لوقف قوى العولمة المدمرة ؟ هل هناك من سبيل لتوسيع امكانية الوصول إلى تكنولوجيا المعلومات الجديدة وحجم التجارة غير المسبوق .

ان الدعوة لاتسام العولمة بطابع انساني يظل افتراضياً نظرياً وحسب طالما ان كل معايير المساواة والقيم والسيادة تحكمها قوانين السوق وتسيطر عليها آليات الاحتكار وتنظم تدفقاتها مصالح الاقوياء وهو ما يجعلها في خدمة الارباح فقط وليس في خدمة الناس كما اثار د . ريتشارد جولي **1999** المنسق الرئيسي لتقرير التنمية البشرية « ان الهدف هو جعل الشواغل البشرية في صدارة النقاش بشأن العولمة ووضع نهاية للاستقطاب ما بين مرتبطين بالعولمة وغير مرتبطين بها والتركيز على تكافل البشر عالمياً لاعلى مجرد التدفقات المالية وذلك لجعل العولمة في خدمة الناس لا في خدمة الارباح فحسب وتجعل الضوابط المقترحة (ساكيكو فوكودا - بار **1999** ف) الاخلاقيات العالمية والعدل واحترام ما يجمع البشر من حقوق واحترام تباين ظروف واحتياجات كل بلد تجعلها غير ذات جدوى في اقتصاد عالمي يحكمه التنافس والربح كما تبدد المبادرات التي اقترحها تقرير التنمية البشرية **1999** غير ذات جدوى للاسباب ذاتها .

وهذا يعنى أن الآثار السلبية للعولمة وهي تزايد من تهميش الدول الفقيرة والفقراء وتزايد انعدام الأمن البشرى وتزايد اللامساواة ستظل سمة القرن الحادي والعشرين خاصة انه لايمكن تحقيق التوازن بين تحقيق الارباح والحرص على البشر في ظل اقتصاد السوق كما لايمكن تحقيق الأمن البشرى طالما ان الفقر يمثل بوابة العنف والجريمة والاضطرابات ان تصنيف العالم إلى شمال وجنوب .. ومتقدم ومتخلف يعكس صورة الاغنياء والفقراء وهو ما يعكسه تقرير التنمية البشرية (العاشر) **1999** «ان خمس سكان العالم الذين يعيشون في الدول ذات مستوى الدخل المرتفع (الصناعية) يتحكمون في **86٪** من أسواق التصدير في العالم و**73٪** من الاستثمارات الاجنبية وان الدول والشركات الغنية وجهت **80٪** من استثماراتها الخارجية إلى **20** دولة فقط في اوروبا الشرقية والصين وبعض بلاد جنوب شرق آسيا و اللاتينية» .

وهذا يعني اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء حيث ارتفعت من **1,74** عام **1997** مقابل **1,20** في العام **1960**. وان دخل الفرد من الناتج المحلى في **30** من دول العالم تراجع مقارنة بالعقد الماضي وهي فجوة تعمقها ديون الجنوب التي تجاوزت **400** مليار منذ العام **96** بما تضيفه من اعباء خدمة الدين التي تصب في سلة الشمال الذي تمثل له الديون استثماراً مالياً ورهاناً على بقاء فقر الجنوب « لقد فاقت العولمة في سرعتها قدرة الحكم على إدارة عدم الاستقرار المالي وانعدام المساواة في الفرص والضغط المالى .

خاتمة :-

تظل موضوعة الفقر كمشكل انساني عام يرتبط بالسياسة والاقتصاد والاجتماع الانسانى وبجملة الانقلابات والمتغيرات التي تتصل بها ، تحكمها عناصر متعددة ومتباينة كالاستغلال والنهب وتزيد من حدتها مظاهر التفاوت المختلفة في الدخل - الاستهلاك ... وتوسع من دائرتها ظروف يصنعها الانسان والطبيعة على حد سواء وتعمم نموذجها العولمة بما تحمله المنافسة من سلبيات لم يتم السيطرة عليها حتى اللحظة . ومثلما يظل القضاء على الفقر هاجس البشرية يظل تحقيق المكاسب المادية هاجس المتنافسين (الرابحين)- الذي لن يتحقق ببرامج التنمية الرأسمالية والتركيز على الانتاج الهامشى ولا القروض الخارجية ، ولاهبات واحسان الاثرياء وصدقات المليونيرات .. فالاغنياء لم يصبحوا أغنياء إلا على حساب فقر وتعاسة وحرمان وبؤس الفقراء وليس بغريب في عالم تحكمه قيم تنافسية « ان تزيد فيه صافي قيمة ثروات **200**

شخص من 440 مليار دولار دولار إلى أكثر من ترليون دولار في اربع سنوات فقط من 1994-1998 ، وكانت فيه اصول اغنى ثلاثة اشخاص فقط في العالم تتجاوز فيه الناتج القومي المحلى لأقل البلدان نمواً البالغ عددها 48 بلداً وسكانها البالغ عددهم 600 مليون نسمة » (44).

يقول رينه ديمون (نقد العالم المعاصر 1992) ولو كانت البلدان الغنية نصيرة حقيقية للديمقراطية لتحتم عليها ان تقلص بنفسها امتيازاتها وأن تعيد النظر في النظام الاقتصادى الذي ينظمها .

ان رؤية رينيه السابق ترتبط بمستقبل العالم على حد تعبيره الذي يرتبط بالديمقراطية ، لكن السؤال اية ديمقراطية واى نظام اقتصادي ، انه يجيب على هذا السؤال بدون عناء .. لاديمقراطية خطباء المنابر الديماغوجيين الذين يعدون بغد أفضل ولاديمقراطية الخبراء الاقتصاديين المتضلعين .. الذين يبدون حذقاً وبراعة في الدفاع عن مصالح الاغنياء في واشنطن زاعمين أنها مصالح العالم قاطبة (45) .

ان اى جهد لمعالجة الفقر يجب ان ينصب على معالجة النظرية الاقتصادية اصلاً ، طبيعة النظام الاقتصادي وغايات الانتاج ووسائل وأدوات التوزيع والبيع ومسائل القسمة والعمل والفوائض المختلفة والانتكاسات المحتملة ونتائج ذلك على التفاوت والمساواة .. الخ لإقامة نظام اقتصادي افضل ، فعالم الاقتصاد ومهندس السياسة الاقتصادية يجب ان يضع نصب عينيه وقبل كل شئ مسائل العدل والمساواة ، واقتصاد العولمة هو تعميم لنموذج السوق وانعكاس تام له على صعيد العالم اجمع ، يسير على وتيرة ادم سمث (دعه يعمل دعه يمر) التي انتجت الامبراطوريات الاحتكارية الكبيرة وصنفت اباطرة المال المليارديه .. والأكثر من مليار تحت خط الفقر انه نفس العالم الذي يعيش فيه 1,2مليار نسمة تحت خط فقر الدخل (أقل من دولار يومياً) ويفتقر فيه أكثر من مليار نسمه إلى مياه شرب مأمونة ويفتقر فيه 2,4 مليار نسمه إلى صرف صحى لائق ، وفيه أكثر من 100 مليون طفل يعيشون ويعملون بالشوارع ويجرى فيه الاتجار بـ 1,2 مليون امرأة تحت سن (18) لأغراض البغاء وفيه 790 مليوناً يعانون الجوع و90 مليون طفل خارج التعليم الاساسي و100 مليون نسمه بلا مأوى ويموت فيه 18 مليون نسمة سنوياً بفعل الأمراض المعدية ...

لهذا تظل محاولات القضاء على الفقر بالعون والاحسان وجمع التبرعات والمساعدات مشينة اخلاقياً ومذلة للشعوب والافراد واقراراً بالدونية بلا شك ، طالما غابت برامج الشراكة والمشاركة الفاعلة واستمرت سيطرت الاقوياء الاغنياء على ناصية الاقتصاد العالمي وطالما تحجم دول الشمال عن شطب ديون الجنوب وعن المساهمة في تحقيق نمو اقتصادي يغير معدلات الفقر ويركز على انتاج سلع جماهيرية تمثل اولويات اشباع ويوفر مواطن شغل لمليارات البشر كجزء من الوفاء بدين تاريخي للتعويض عن حقبة الاستعمار والنهب لقد اصبحت الضرورة ملحة لحوار الفضاءات وتعاونها وتحالفها (الفضاء الاوروبى - العربى الافريقي - ... الخ) باعتباره حواراً متعدد الاطراف ومتغير القوى الفاعلة ومتعدد المقومات الاقتصادية وذلك لاتقاء سلبيات العولمة ومعالجة مشاكلها أو تقاسم ايجابياتها وارباحها وعلى أقل احتمال التحكم بمساراتها وتحديد ابعادها .

ان العولمة موجودة والفقر كذلك ولا أحد باستطاعته ان ينكر العولمة أو يهرب منها لكن البحث الهام يجب ان ينصب على آليات فعلها ليس بإ صلاح وتهذيب النظام الاقتصادي والمالي والنقدى والتجارى وترميم ادواته بل بإعادة صياغة لأسسه العامة وقوانينه المنظمة بما يكفل التعاون والمساواة والعدل والعلاقات الطيبة بدلاً من النهب والاستغلال والتنافس الفج ، عندها فقط تكون عولمة بدون فقر وتكون العولمة مرحلة حضارية هامة تزيد من العلاقات الحميمة بين البشر بما وفره جهد الانسان العلمى والتقنى من أدوات اتصال وفعل حضارى ميز هذا العصر الذي نعيشه (بالعولمة) .

الهوامش :-

1- العالم الرابع مصطلح أصبح يتداول كتعبير عن عالم يضم اعلى درجة من الحرمان البشرى أكثر من 1,2 مليار يعيشون تحت خط الفقر .

2- سرج ميلانو ، الفقر في البلدان الغنية ، تعريب نخلة فريفر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، طرابلس ص 23-49.

3- محمد حسن باقر ، قياس الفقر في دول اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (الاسكوا) ، الامم المتحدة ، نيويورك 1996، ص 1 .

4- تقرير التنمية البشرية للعام 1997، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، نيويورك 1997،ص12.

5- مكافحة وازالة الفقر (العناصر الاساسية لاستراتيجية القضاء على الفقر في البلدان العربية) ، برنامج الأمم المتحدة الانمائي ، نيويورك 1997،ص10.

6- تقرير الحالة الاجتماعية في العالم 1997،المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، الامم المتحدة 1997،ص23.

7- تقرير التنمية البشرية للعام 97، مرجع سابق ، ص80.

8- مبادرة استراتيجيات الفقر 1995 تهدف إلى دعم متابعة وتنفيذ البلدان للالتزامات التي تعهدت بها في القمة الاجتماعية فيما يتعلق بالحد من الفقر ويوفر هذا الجهد المساعدة في صياغة وتعزيز السياسات التي تعالج الاسباب الهيكلية للفقر واوجه عدم المساواة .

9- تقرير التنمية البشرية للعام 1997، الامم المتحدة ، مرجع سابق ص 11.

10- تقرير سنوى يصدر عن برنامج الامم المتحدة الانمائي منذ العام 1990 يعده جهد تعاونى من جانب فريق من المستشارين والخبراء إلى جانب فريق التنمية البشرية يتناول كافة قضايا ومشكلات التنمية البشرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاعلامية ..

11- تقرير التنمية البشرية للعام 1999 الصادر عن برنامج الامم المتحدة الانمائي نيويورك ، 1999 ، ص 47.

12- الشمال والجنوب (برنامج من أجل البقاء) تقرير اللجنة الدولية المشكلة لبحث قضايا التنمية الدولية ، الكويت ، 1981، ص 72.

13- المرجع السابق ، ص 85.

14- البنك الدولي ، تقرير حول التنمية في العالم 1990-1991 . ص 20.

15- الشمال والجنوب (برنامج من أجل البقاء) مرجع سابق ص90.

16- تقرير التنمية البشرية للعام 2000، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، نيويورك ، 2000،ص16.

17- تقرير التنمية البشرية للعام 1999 ، مرجع سابق ص 131.

18- تقرير التنمية البشرية للعام 2000 مرجع سابق ص 152.

19- هو ، بيترمارتين ، هـ . شومان ، فخ العولمة (الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية) ترجمة عدنان عباس علي ، عالم المعرفة ، الكويت 1995، ص 26.

20- م . غورباتشوف ، (البروسترويكا) عملية اعادة البناء ، دار الكرمل عمان ، الاردن 1988،ص174-175.

21- هـ . شومان ، فخ العولمة ، مصدر سابق ص 367.

22- المصدر السابق ص369.

23- بول كيندى ، الاعداد للقرن الواحد والعشرين (الرابحون والخاسرون) ، تعريب نظير جاهل الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان » طرابلس 1995 ، ص 207.

24- الازمة المالية تهدد موجة بطالة واسعه ، مجلة نحن شعوب العالم ، العدد الخامس والسادس ، مركز اعلام الامم المتحدة ، طرابلس 1999. ص 20.

25- البطالة والامية خطر التحديات في المنطقة العربية ، مجلة نحن شعوب العالم ، المرجع السابق ص24.

25- مكافحة وازالة الفقر ، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، مرجع سابق ، ص18.

26- تقرير التنمية البشرية للعام 98، مرجع سابق ص1 .

27- المرجع السابق ص3.

28- المرجع السابق ص2.

(29-30) تقرير التنمية البشرية للعام 99 ، ص 47.

31- تقرير التنمية البشرية للعام 99 مرجع سابق ص2.

(32- 33) كوفي عنان ، جعل العولمة تعمل من أجل الفقراء ، مركز اعلام الامم المتحدة ، طرابلس 2000، ص 1-2 .

34- كوفي عنان ، مرجع سابق ص2.

35- تقرير التنمية البشرية للعام . 98، مرجع سابق ص25.

36- تقرير التنمية البشرية للعام 97 مرجع سابق ص82.

37- تقرير التنمية البشرية للعام 97 مرجع سابق ص 87.

38- تقرير التنمية البشرية 1999ص5.

(39-40) م . شومان فخ العولمة مرجع سابق ص 366.

41- م شومان (فخ العولمة) مرجع سابق ص 370.

42- حان كريستوف روفين ، اوهام الامبراطورية وعظمة البرابرة (نظرية مجابهة الشمال مع الجنوب) ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 1995.ص287.

43- م . شومان ، فخ العولمة ، مرجع سابق ص276.

44- دليل التنمية البشرية للعام 99 ص 37.

45- رينيه ديمون ، نقد العالم المعاصر ، ، ص284.

المديونية .. لمحة عن جذورها .. وبعض أسبابها

د . محمد الهادى صالح الاسود
جامعة العقد الفريد بالزاوية

أدى النجاح الكبير الذى حققته الدول الأوروبية، الغربية والشرقية على السواء، في مجال إعادة البناء والإعمار، الذى بدأ بعيد انتهاء الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة، وخاصة بعد اعتماد مشروع (مارشال) لإعادة بناء أوروبا فقد أدى إلى ظهور نظريات جديدة في مجال التنمية اتخذت ذلك النجاح دليلا وبرهانا على أن الدعم المادى الخارجي يعتبر من أهم عناصر نجاح التنمية.

لذلك فقد سرى الاعتقاد بأن الاستدانة الخارجية سوف يكون لها تأثير ايجابى على برامج التنمية فى الدول النامية. لأنها تعمل على سد الفجوة بين الصادرات والواردات.

وقد أدى ذلك إلى أن تسعى الدول النامية للحصول على قروض كبيرة من الدول الصناعية. وبالطبع فقد كان هدف الدول النامية تحقيق التنمية، وكان هدف الدول المقرضة الاستثمار.

إلا أن هذه العملية تحولت بعد حوالي ثلاثة عقود إلى واحدة من أصعب المشاكل الاقتصادية والسياسية التي تواجه المجموعة الدولية.

وقد شجع الدول النامية على الاستدانة ، بالإضافة إلى ماسلف ، سهولة إتمام المعاملات التعاقدية للحصول على قروض ، وانخفاض أسعار الفائدة ، وارتفاع نسبة السماح ، وطول فترة استحقاق الدفع . فسعت إلى التعاقد على كميات هائلة من القروض . إلا أنها أصبحت عاجزة عن الدفع ، عندما زادت أسعار الفائدة فجأة ، وامتنعت الحكومات المانحة عن منح المزيد من القروض ، وحل محلها المانحون الخاصون وهم (المصارف الخاصة والشركات الاستثمارية) ، وبدأ الأدب الاقتصادي في تعديل نظريات التنمية .

لقد تفاقمت أزمة الديون الخارجية لدرجة انها اصبحت أكبر من قدرات الدول النامية لحلها بدون الخضوع لشروط صندوق النقد الدولي والمصرف الدولي اللذين يدعوان إلى تطبيق سياسات التصحيح الهيكلي كأحد الشروط للحصول على قروض جديدة .

غير أن تطبيق هذه السياسات يعني أن الدول النامية مجبرة على أن تخفض عملاتها ، وان تخفض الأجور ، وان تقلل من شروط (معوقات) التجارة الخارجية ، وان تحرر انتقال الأموال من وإلى الداخل ، وان تزيد في الضرائب على الخدمات والسلع ، وأن تعجل بإجراءات تمليك القطاع العام للخواص ، وأن تحدّث القطاع الزراعي ، وأن تخفّف أو توقف الصرف على الخدمات الاجتماعية والضمان الاجتماعي والدعم ، واتباع أية سياسات أخرى تكون ضرورية لنقل اقتصادها إلى اقتصاد السوق .

وعلى الرغم من أن بعض هذه السياسات قد يبدو في ظاهره صحيحا ، إلا أنها تتعارض مع سس النظام الاقتصادي التقليدي السائد في الدول النامية

وهذا قد يؤدي إلى المزيد من التخلف الاقتصادي . أما محاولة فرض هذه السياسات بالقوة في الدول النامية ، فإنها ستؤدي حتما إلى القلاقل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن المحتمل أن يؤدي إلى حروب أهلية .

جذور وطبيعة المشكلة

على الرغم من أن الاستدانة والاقتراض ليستا ظاهرة جديدة في عالم العلاقات الاقتصادية الدولية ، فإن أزمة الديون التى تواجه المجموعة الدولية اليوم ، يمكن إرجاعها إلى حقبة الستينات وأوئل السبعينات . إذ يبدو واضحا أن الدول النامية خلال مراحل التنمية الأولى التي أعقبت الاستقلال قد سعت للحصول على رؤوس أموال أكثر بكثير مما كانت تستطيع توفيره من خلال مدخراتها .

ولعله من سوء حظ هذه المجموعة أنه خلال هذه الحقبة ، كان العالم يستعد للانتقال من نظام اقتصادي دولي أسس على مبادئ (برتون وودس) BRETTON - WOODS واتفاقاتها التي وقعت قبل نهاية الحرب العالمية الثانية ، إلى نظام إقتصادي عالمي جديد أسس على نظام التعويم المحدود لأسعار الصرف . وقد واجه العالم أزمة اقتصادية وسياسية حادة مباشرة بعد بدء العمل بهذا النظام الجديد ، تمثلت في الارتفاع السريع لأسعار النفط وبطريقة لم تكن مسبوقة من قبل ، وفي ظهور موجة جديدة من الكساد والركود الاقتصادي ، وفي انفجار الحرب والتوتر السياسي في الشرق الأوسط والذى كاد أن يؤدي إلى حدوث مواجهة مباشرة بين القوتين العظميتين .

كل هذه الأحداث لعبت دورا بارزا في تفاقم أزمة الديون العالمية .

إلا أن أحداثا أخرى جرت في العالم وكان لها أثر مباشر في تفاقم أزمة الديون ، مثل بعض السياسات الاقتصادية التي اتخذتها بعض الدول الغنية . من بين تلك الأحداث والسياسات مثلا :

دور الركود الاقتصادي

لقد تأثرت الدول الصناعية كثيرا بموجة الركود الاقتصادي التي ضربت العالم خلال عامي 1974 ـ 1975 ، وأدت إلى ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض معدلات الاستثمار . كما تسببت في حدوث صدمة لبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية في معظم الدول .

وعند أوائل الثمانينات ، تعرض العالم من جديد لموجة جديدة من الركود أدت إلى انخفاض معدلات النمو وارتفاع معدلات البطالة في الدول الصناعية على وجه الخصوص . وقد أجبرت هاتان الموجتان من الركود الاقتصادي الدول الصناعية على زيادة الحماية التجارية لبعض المنتجات المحلية ، وبالتحديد المنتجات الزراعية وصناعة النسيج ، ضد منتجات الدول النامية من نفس السلع . هذه الحماية أدت إلى انخفاض صادرات هذه الدول ، وبالتالي انخفاض دخلها من العملات القابلة للتحويل . الأمر الذي اضطرت معه للاستدانة لتعويض ذلك النقص .

دور الحماية

كانت السياسات الحمائية التى اتبعتها الدول الصناعية تزداد على الرغم من قيام معظم تلك الدول بالتوقيع على اتفاقية نظام التفضيل العام GENERALIZED SYSTEM OF PROTUCTION (G . S . P) الذى وقعت عليه دول أوروبا الغربية ، واليابان ، والولايات المتحدة الأمريكية خلال الأعوام 1971 ـ 1972 ـ 1976 على التولي . وهذا النظام يكفل حرية دخول السلع المصدرة من الدول النامية إلى أسواق الدول الصناعية . وقد أدى التوسع في السياسات الحمائية إلى التأثير سلبيا على صادرات الدول النامية التى تصدر مالا يقل عن 65 ٪ من صادراتها إلى أسواق الدول الصناعية . كما أدت إلى تراجع أسعار تلك الصادرات

بنسبة 15 ٪ . الأمر الذي أدى إلى انخفاض عائداتها . (1)

دور المصارف العالمية

كانت الرغبة الملحة داخل الدول الصناعية للاستثمار في الخارج تزداد باعتبارها إحدى الحلول المطروحة لمقاومة موجات الركود الاقتصادي ، ولرفع الضغط المتزايد على اقتصادها ، فاتحة الطريق أمام المصارف الكبيرة أو العالمية للقيام باستثمارات ضخمة .

في نفس الوقت ، ظهرت الرغبة الأكيدة لاستثمار عائدات النفط الكبيرة التى جنتها الدول المنتجة للنفط خلال الموجة الأولى لارتفاع الأسعار في السبعينات مشجعة المصارف التجارية الكبيرة على توسيع برنامج القروض الذي بدأت تمنحه للدول النامية ، ومشجعة الشركات المتعددة الجنسية على تكثيف استثمارها في هذه الدول .

ولذلك فقد بدأت عملية تعاون مع المصارف والشركات المحلية العاملة في الدول المقترضة ، وصلت إلى اندماج بعضها في الشركات والمصارف الكبيرة وذلك من خلال برامج مشاركة واسعة النطاق لمنح كميات هائلة من القروض لحكومات الدول النامية . ولم تنته حقبة السبعينات إلا وكانت القروض الممنوحة عن طريق هذه المصارف أكبر بكثير من تلك الممنوحة عن طريق المصارف الحكومية.

دور الزيادة في الدخل المحلي

تمكنت معظم الدول النامية من تحقيق ارتفاع ملحوظ في معدلات الدخل المحلي بلغت حوالي 4 ، 3 ٪ خلال الفترة من 1950 ـ 1975 (2) . وقد أدت هذه الزيادة إلى تشجيع الدول النامية على الاستمرار في الاقتراض ظناً منها أن هذه الزيادة في معدلات النمو سوف تستمر ، وبذلك سوف تكون قادرة على خدمة ديونها .

كما عمل انخفاض معدلات الأرباح على القروض ، الذي ساد خلال الستينات والسبعينات وبلغ حوالي 5 . 2٪ أو أقل ، خلال الفترة من 1960 ـ 1973 ثم انخفض أكثر ليصل إلى حوالي 7 ، 0٪ خلال الفترة من 1973 ـ 1979 (3) ، عمل على تشجيع الدول النامية على التوسع في الاقتراض على اعتبار أن أسعار الفائدة المقررة على القروض يمكن خدمتها ولن ترهق الاقتصاد الوطني لهذه الدول .

دور أسعار النفط

شهدت أسعار النفط ارتفاعاً سريعاً خلال أوائل السبعينات وأوائل الثمانينات . وكان ذلك نتيجة مباشرة لعملية تأميم الشركات النفطية الكبيرة العاملة داخل الدول المصدرة للنفط ، في محاولة للسيطرة على مواردها الاقتصادية ، وكذلك بسبب اندلاع الحرب الإسرائيلية العربية فى شهر التمور أكتوبر 1973 والذى أدى إلى إعلان بعض الدول العربية المصدرة للنفط التوقف عن ضخ النفط لمعظم الدول التى وقفت إلى جانب العدوان الإسرائيلي على بعض الدول العربية . وكذلك بسبب تزايد الطلب على النفط في الأسواق العالمية .

وقد أدت الزيادة العالية في أسعار النفط إلى زيادة العجز في الحساب الجاري للدول النامية التى وجدت نفسها تضاعف مصروفاتها لشراء النفط الذي تحتاجه .

دور ارتفاع أسعار الفائدة

مع بداية الثمانينات بدأت أسعار الفائدة الحقيقية في الارتفاع محققة معدلات عالية جدا ، بلغت 16٪ عام 1981 ثم قفزت إلى 22٪ عام 1982 . وقد أدى هذا الارتفاع المفاجئ والحاد إلى زيادة نفقات خدمة ديون الدول النامية و أجبرت أكثر من ستين دولة نامية على طلب العون الطارئ من صندوق النقد الدولى عام 1981ف ، بالإضافة إلى ذلك فإن الدول المستدينة الرئيسة فى أمريكا اللاتينية أعلنت فى خريف 1982 عن عدم قدرتها على خدمة ديونها .

وعلى عكس مايمكن أن يتوقعه أي مراقب أو مطلع فان ارتفاع أسعار الفائدة لم يؤد إلى التقليل

من الطلب على القروض ، بل زاد من الطلب عليها لأنها كانت الحل الوحيد السهل لتغطية نفقات خدمة الديون السابقة .

تلك باختصار بعض العوامل التى دفعت بأزمة الديون إلى التفاقم وتسببت في ارباك الاقتصاديات الوطنية لمعظم الدول النامية وأخرت التنمية بل و أفشلتها في الكثير من الأحيان .

ولكن الحقيقة تقول أن الأسباب الكامنة وراء تراكم الديون في دول العالم الثالث تتعدد من بلد إلى بلد ، متأثرة بقدرة هذه البلد أو ذاك على التخطيط وعلى توظيف القروض في مشاريع مدرة للفائدة وقادرة على تغطية نفقاتها

ففي بعض البلدان مثلا ارتبطت أزمة الديون بفترة ازدهار الاستثمار وفي بعضها الآخر ارتبطت بعملية تداخل بين فشل السياسات الاقتصادية الداخلية والتطورات التى طرأت على الاقتصاد الكلي للعالم . ومن ذلك مثلا تدهور أسعار صادرات الدول النامية بسبب ضغط المشاكل الداخلية أو التي لم يكن بالإمكان تمويلها إلا بتكديس الديون . وقد أصبحت هذه السياسات لاحقا مكلفة جدا واصبح تصحيحها صعب المنال ، خاصة عندما ارتفعت أسعار الفائدة وتراجعت أسعار المواد الخام . والسبب في ذلك أن الديون عادة ما لاتتوافق مع أسعار الفائدة الخارجية والمعدلات التجارية زيادة ونقصانا ، فكلما زادت الديون زادت أسعار الفائدة عليها وقلت معدلات البلد المستدين التجارية بسبب اضطرارها للتركيز على خدمة ديونها .

لقد نمت الديون الخارجية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية بنفس المعدل تقريبا . وقد كان ذلك النمو أعلى بكثير من معدلات الناتج المحلي الإجمالي (G.D.P) في المناطق الثلاث وأعلى من معدل التصدير في كل من أفريقيا وأمريكا اللاتينية . أما نسبة النمو فلم تكن واحدة في جميع البلدان . فقد سجلت الديون نموا سريعا فى بعض البلدان ، متسببة في تهديد خطير لاقتصادها الوطني وبرامج التنمية فيها بينما كان نموها معتدلا في البعض الآخر .

الجدول التالي يبين الزيادة في حجم الديون وخدمتها ، ونسبة خدمة الديون إلى الصادرات من السلع والخدمات ونسبة الفائدة على الديون إلى الصادرات من السلع والخدمات في الدول النامية خلال الفترة من 1970 إلى 1987 .

وضع الديون في الدول النامية خلال الفترة من 1970 إلى 1987 ميلادية

جدول (مـ1) (مليارات الدولارات)

	1970	1975	1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987
إجمالي متراكم الديون للدول المستدينة	68. 4	180. 0	579. 7	673. 7	752. 2	815. 6	851. 6	962. 4	1.053. 4	1.169. 5
إجمالي خدمة الديون	5. 488	4. 584	55. 549	65. 320	72. 232	72. 048	77. 589	91.274	95. 417	105. 108
نسبة خدمة الديون إلى الصادرات	9. 2	8. 0	11. 7	13. 1	15. 4	15. 6	15. 6	18. 8	2. 02	19. 1
نسبة فوائد الديون إلى الصادرات	2. 9	3. 0	5. 3	6. 2	7. 7	7. 9	8. 1	9. 5	9. 8	18. 4

المصدر : الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (1989) : الديون الخارجية للدول النامية . مشاركة في مؤتمر الديون الخارجية للدول العربية والأفريقية ص (54) الجدول رقم (1) .

ظلت العوامل التي ساهمت في تفاقم أزمة الديون خلال حقبة الثمانينات هي نفسها تقريبا العوامل التي سادت خلال فترة السبعينات وأدت إلى تراكمها بشكل جعل اقتصادات الدول المستدينة تعجز عن خدمة فوائدها وسداد أقساطها .

ويمكن إجمال أكثر هذه العوامل تأثيراً على النحو التالي :-

* الزيادة السريعة في أسعار الفائدة ، والتي نتجت عن ضغط التضخم الذى بدأت تعانى منه جميع الدول الصناعية مع بداية الثمانينات .

* الانخفاض الحاد في أسعار السلع الأولية التي تصدرها الدول النامية وتعتمد عليها فى الحصول على حاجاتها من العملات الأجنبية في الأسواق الدولية . وذلك بسبب قوانين الحماية التى اعتمدتها معظم الدول الصناعية .

* زيادة القروض القصيرة الأجل والتي كانت في الغالب تمنحها مصادر تجارية خاصة .

* الزيادة في القروض قصيرة المدى والتي كانت في الغالب تمنحها مصادر تجارية خاصة .

* الزيادة في القروض الممنوحة من مصادر تجارية خاصة ذات أسعار فائدة عالية واستحقاق دفع قصير المدى .

* الزيادة في متأخرات السداد بسبب عجز الدول المستدينة على خدمة ديونها في الوقت المحدد .

* الزيادة في معدلات خدمة الديون بسبب ارتفاع أسعار الفائدة وقصر مدد استحقاق الدفع .

* تناقص القروض والمساعدات الرسمية الممنوحة للدول النامية بسبب المشاكل الاقتصادية التى ظهرت في الدول المانحة سواء كان منها النفطية أو الصناعية .

ومن الملاحظ أن معظم الديون المسجلة على بعض الدول النامية هي ديون على دول تعتمد في صادراتها على أكثر من **50٪** من المواد الخام والسلع الأولية . وتصل هذه النسبة في بعض هذه الدول مثل دول أفريقيا جنوب الصحراء ، إلى **90٪** من صادراتها **(4)** . وحيث أن أسعار السلع الأولية والمواد الخام عرضة لانخفاض أسعارها في الأسواق العالمية ، فإن ذلك يحد من قدرة تلك الدول على سداد التزاماتها المالية . ومما زاد في حجم المشكلة أن أسعار النفط كانت قد انهارت مع بداية الثمانينات ، فتحول الفائض الذي سجلته الدول المصدرة للنفط خلال السبعينات إلى عجز ، مما اضطر هذه الدول إلى تقليص مساعداتها الخارجية لباقي الدول النامية ، ولذلك فقد أصبحت خدمة الديون أمرا صعبا حتى بالنسبة للدول النفطية المستدينة .

2 ـ أسباب أزمة الديون

بالإضافة إلى الظروف المشتركة التي سادت الدول النامية وعملت على تمهيد الطريق أمام الصعوبات الإقتصادية في هذه الدول ، فإن أزمة الديون كانت قد تأثرت سلبا بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى تفاقمها .

1 ـ العوامل الداخلية :-

وهم التنمية :

صدقت الكثير من الدول النامية أن التنمية يمكن أن تنجح إذا مولت بالقروض الخارجية . ولذلك فقد تدافعت هذه الدول على مراكز التمويل العالمية مثل المصرف العالمي وصندوق النقد الدولي . في محاولة لترتيب عقود يتم بموجبها نقل التمويل اللازم إليها لتغطية مصاريف التنمية .

وقد كان التعاقد خلال السبعينات سهل المنال ، غالبا بسبب :-

* توفر السيولة اللازمة والتي كانت الزيادة العالية في أسعار النفط إحدى أهم مصادرها .

* رغبة الدول الصناعية في توجيه جزء كبير من استثماراتها إلى الخارج ، وذلك بتشجيع المصارف والشركات الخاصة على الاستثمار في الدول النامية

وقد شجع على انتشار هذه السياسة ذلك الاعتقاد السائد بأن الدول النامية قادرة على تحقيق معدلات نمو عالية وبالتالي على سداد أقساط ديونها وخدمتها ولكن مع نهاية السبعينات بدأ واضحا للجميع أن الدول النامية بدأت تواجه فشلا اقتصاديا حقيقيا وأن معظمها يواجه انهيارا اقتصاديا فعليا وذلك بسبب التغير السريع في كافة المعطيات التي شجعت على الاقتراض .

سوء استعمال الديون

بعض الدول النامية استعملت القروض الخارجية كوسيلة فعلية لتحقيق التنمية . ولذلك قد استثمرت قروضها في مشاريع مربحة استطاعت بها أن تغطي أقساط وفوائد القروض المصروفة عليها . وبذلك لم تتفاقم لديها أزمة الديون بشكل حاد . بينما انشغلت الكثير من الدول النامية في سباق التسلح وتأسيس مؤسسات عسكرية ضخمة وفي صراعات داخلية وخارجية كبدتها أموالا طائلة لتغطية نفقات تلك الصراعات . وقد وجدت هذه الدول نفسها مجبرة على الاقتراض لتغطية العجز في ميزان مدفوعاتها وللصرف على مغامراتها العسكرية والسياسية .

وبالطبع فإن الصرف بهذه الطريقة لن يكون إلا صرفا استهلاكيا . ولذلك فقد تراكمت ديونها وأصبحت عاجزة عن الإيفاء بالتزاماتها .

وقد قدر الاتحاد الأمريكي لحقوق الإنسان والتنمية الاجتماعية المصاريف الدولية على الأغراض العسكرية بحوالي 2000 مليون دولار يوميا خلال الثمانينات . صرفت الدول النامية منها مالا يقل عن ثلاثة أرباع المبلغ (5) . وقد شكلت هذه الظاهرة السبب الرئيسي الذي يكمن وراء الاختلاف في درجات النمو بين دول العالم الثالث .

الهجرة العكسية لرأس المال

في الوقت الذي كانت فيه العديد من الدول النامية تقترض من أجل تمويل مشاريع التنمية خلال الستينات ، والسبعينات ، والثمانينات ، ومن أجل تغطية العجز في موازين مدفوعاتها وميزانها التجاري ، كان العديد من مواطني هذه الدول يمتلكون حساباتاً ضخمة مليئة بالعملات الصعبة في الخارج . وبالإضافة إلى ذلك فقد تم تحويل مبالغ ضخمة من الدول النامية إلى الدول الصناعية وذلك على شكل استثمارات خاصة وتحويلات لأغراض شخصية.

والأدهى من كل ذلك ، إن معظم رجال الأعمال في الدول النامية يفضلون استثمار اموالهم في الدول الصناعية ، لأن أغلبهم تحصلوا على ثرواتهم بطريقة غير قانونية ، ولذلك فهم دائما يتوجسون خيفة من أية مسألة قانونية ، ويسعون دائما إلى نقل ثرواتهم أو الجزء الأعظم منها إلي الدول الصناعية ، حيث الاستقرار السياسي والاجتماعي وعدم وجود قوانين تسأل عن مصدر الأموال التي يهرب بها الأجانب من بلدانهم . بل وحمايتهم ومنع مطاردتهم من قبل سلطات بلدانهم . كل هذه وغيرها من الأسباب شجعت اولئك المواطنين على نقل جزء كبير من ممتلكاتهم إلى الدول الصناعية لغرض الاستثمار .

وقد قدر المصرف الدولي (World Bank) الهجرة العكسية لرؤوس الأموال من الدول النامية إلى الدول الصناعية بحوالي 25 مليار دولار أمريكي خلال الفترة من 1975 إلى 1985 ف (6) وحسب دراسة نشرتها مؤسسة مورقان العالمية ، فإن مبالغ بقيمة 200 مليار دولار أمريكى تم تهريبها من حوالي ثماني عشرة دولة خلال فترة السبعينات (7) . وفي أمريكا اللاتينية وحدها قدرت الأموال المهاجرة بحوالي 105 مليار دولار فيما بين 1983 إلى 1985 ف . (8)

الجدول التالي يبين الإيداعات الخاصة بمواطنى ثمان دول من الدول النامية المستدينة في مصارف اجنبية خلال فترة السبعينات .

جدول (0 ـ 2)

الحسابات الخاصة لمواطنى الدول المستدينة خلال السبعينات (مليار دولار)

البلد	إجمالي الحسابات الخاصة في المصارف الأجنبية (مليار دولار أمريكي)	نسبة الحسابات إلى اجمالي الديون
الأرجنتين	7.6	17.0٪
البرازيل	8.2	7.4٪
تشيلي	1.9	9.9٪
جمهورية كوريا	0.4	1.0٪
المكسيك	14.3	15.1٪
بيرو	1.4	1.2٪
الفلبين	1.1	4.7٪
فنزويلا	11.4	34.2٪
المجموع	46.4	12.2٪

المصدر : د . رمزى علي إبراهيم سلامة (1991) اقتصاديات التنمية ص 184 جدول 21 .

ارتفاع معدلات السكان

على الرغم من الحقيقة التي تقول : إن معدلات الزيادة في المواليد في العالم قد حققت انخفاضا ملحوظا منذ أوائل السبعينات ، إلا أن زيادة المواليد في معظم الدول النامية قد استمرت تفوق معدلات النمو في الدخل القومي الإجمالي ، محدثة بذلك تفاوتا كبيرا بين الزيادة السريعة في عدد السكان والنمو البطئ في الاقتصاد الوطني . وفق ذلك ، فإن نسبة الأطفال الذين لايتجاوزون سن الخامسة عشرة إلى إجمالي السكان قد بلغت في معظم الدول النامية حوالي 47٪ (9)

وهذا يعني أن الجزء الأعظم من السكان يستهلك ولايشارك في الإنتاج الأمر الذي يضيف أعباء إضافية على الاقتصاد الوطني .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فقد قدر أن حوالي 27٪ فقط من إجالي السكان في الدول العربية تساهم فى عملية الإنتاج عام 1983ف (10) .

لقد أدى هذا الوضع إلى إنخفاض الإنتاجية وزيادة الاستهلاك ، على اعتبار أن الغالبية العظمى من السكان لا تستطيع المشاركة الفعالة في النشاطات الإنتاجية .

الحروب والكوارث الطبيعية

تعتبر دول العالم الثالث في العادة ، عرضة للكوارث الطبيعية والتي غالبا ماتؤدي إلى دمار كبير لبعض مواردها الاقتصادية وتخفض من إنتاجيتها دون أن تكون قادرة على تفاديها . ومن هذه الكوارث مثلا : الأوبئة ، والزلازل ، والفيضانات ، والبراكين ، والمجاعة ، والحرائق ... الخ

وبالإضافة إلى هذه الكوارث الطبيعية ، فإن معظم الدول النامية عرضة للقلاقل السياسية الداخلية والحروب الأهلية والحروب الخارجية مع جيرانها ، أو في نطاق إقليمها الجغرافي . وهذه الحروب

والقلاقل تعمل على استهلاك معظم مدخراتها وتدفعها إلى الاستدانة وكذلك تؤدى إلى تدمير اغلب مواردها الاقتصادية وبناها التحتية دون أن يكون بإمكانها تفاديها أو إصلاح ما تسببت فيه من فساد .

العوامل الخارجية .

تعويم أسعار الصرف :

مع نهاية الستينات وبداية السبعينات قررت الولايات المتحدة الأمريكية إنهاء نظام الصرف المرتبط بعلاقة وثيقة بين الدولار الأمريكي والذهب . وذلك بفعل الضغط الناتج عن الزيادة الحادة في عجز ميزان مدفوعاتها .

وقد أدى هذا القرار إلى إنهاء نظام الصرف على قاعدة الدولار - الذهب الذي تم اعتماده في اتفاقيات (بريتون - وودس) **BRITTON WOODS** واستحداث نظام صرف جديد اعتمد على التعويم المراقب لأسعار صرف العملات العالمية خلال بداية السبعينات .

وعليه فقد ظلت أسعار العملات الرئيسية تعوم في حدود معينة منذ عام **1973** .

عملات دول السوق الأوروبية المشتركة ، على سبيل المثال ، ظلت تعوم في حدود **2.5**٪ بالنسبة لبعضها بعضا ، وتعوم متحدة ضد الدولار الأمريكي والعملات العالمية الأخرى مثل الين الياباني .

وقد أدى نظام التعويم الجديد إلى النتائج التالية :-

* تخفيض القيمة الحقيقية لصادرات دول العالم الثالث (بما فيها النفط) وقد ارتفع العجز في الحساب الجاري لهذه الدول ، وبالنتيجة إلى زيادة الاستدانة لتغطية العجز بين الصادرات والواردات .

* انخفاض الاحتياطات من العملات القابلة للتحويل في الدول النامية وعلى وجه الخصوص تلك التى كانت بالدولار الأمريكي ، مما أدى إلى تأخير العديد من برامج التنمية وإلى زيادة حجم الاستدانة .

* زيادة قيمة الديون التي لم تكن بالدولار الأمريكي .

* زيادة قيمة خدمة الديون التي ترتبت على زيادة أسعار الفائدة لتعويض انخفاض قيمة الدولار والتي بلغت **20**٪ في العديد من الحالات .

* تخفيض قيمة الصادرات التي تصدرها الدول النامية وخاصة تلك التي كانت تقيم بعملات غير الدولار الأمريكي **(11)** .

زيادة معدلات التضخم :

لقد تأثرت جميع الدول النامية بموجة الكساد السريعة التي تعرض لها العالم خلال منتصف السبعينات.

وما إن انتهت تلك الموجة حتى كان العالم يعاني من موجة تضخم جديدة فى اوائل الثمانينات أدت إلى حدوث العديد من الأزمات السياسية و الاقتصادية للعالم ككل وللعالم الثالث بصفة خاصة .

فقد بلغ المعدل السنوي لزيادة التضخم حوالي **8.6**٪ بالنسبة للدول منخفضة الدخل ، وحوالي **63.3**٪ بالنسبة للدول متوسطة الدخل ، وحوالي **91.2**٪ بالنسبة لأكثر من سبع عشرة دولة مستدينة وذلك خلال الفترة من **1980** إلى **1987** ف **(12)** .

ارتفاع أسعار الفائدة .

إذا كانت الفائدة المنخفضة جدا على القروض والتي سادت خلال الستينات والسبعينات هي التي شجعت الدول النامية على الاقتراض بكميات هائلة ، فان ارتفاع أسعار الفائدة الحاد الذي شهدته

الثمانينات منذ بدايتها ، يعتبر المسؤول عن تحويل خدمة تلك القروض إلى عبء ثقيل على اقتصادات هذه الدول . ولعل ذلك سيكون واضحا إذا عرفنا أن أسعار الفائدة كانت قد صعدت من مستويات متدنية جدا ، وصلت إلى متوسط مئوي بلغ 2.5٪ خلال الفترة من 1960 إلى 1973 ثم انخفضت لتصل إلى معدل مئوي بلغ 0.7٪ خلال الفترة من 1973 إلى 1979 . إلى 16٪ ثم إلى 22٪ على التوالي خلال فترة قصيرة وهي من 1981 إلى 1982(13) . وقد أدى هذا الارتفاع الكبير إلى مضاعفة التزامات الدول النامية تجاه مقرضيها متسببا في خلق عبء كبير للاقتصادات الوطنية لهذه الدول .

الحماية :-

عمليا جميع الحكومات تفرض نوعا من القيود على حرية تدفق السلع إليها ، وذلك لغرض حماية منتجاتها المحلية ضد المنافسة المحتملة للسلع الأجنبية .

فالدول الصناعية تستعمل القيود التجارية على الاستيراد لحماية منتجاتها من السلع الزراعية ومن الأقمشة ضد صادرات الدول النامية من نفس السلع

بينما تستعمل دول العالم الثالث نفس القيود للتقليل من الاستيراد من الخارج ، وذلك لتشجيع المستهلكين المحليين على استهلاك المنتجات المحلية وهو ما يسمى (ببديل الواردات)

وقد تعمدت الدول الصناعية توسيع القيود التجارية على عدد كبير من السلع القادمة من دول العالم الثالث وذلك في إطار الإجراءات الإصلاحية والاحتياطية التي اتخذتها هذه الدول لتفادى تأثير الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم خلال بداية الثمانينات . وهذا بطبيعة الحال زاد من تأثير هذه الأزمة على الدول النامية ولم يبعد تأثيرها السلبي على الدول الصناعية .

في دراسة نشرتها الأمانة العامة للمؤتمر الدولي حول التجارة والتنمية التابع للأمم المتحدة (U.N.C.T.A.D) اتضح أن حجم الزيادة السنوية في صادرات الدول النامية إلى الدول الصناعية ، كان يمكن أن يصل إلى حوالي 700 مليار دولار أمريكي (14) إذا كانت القيود التجارية في الدول الصناعية اقل حدة مما كانت عليه .

الأسواق المتقلبة :

استمرت أسواق السلع العالمية في التقلب خلال السبعينات والثمانينات بطريقة جعلت أسعار السلع الأولية للمواد الخام التي تعتمد عليها الدول النامية في صادراتها وتحصيل عوائدها من العملات الأجنبية تنخفض بشكل حاد . فعلى سبيل المثال لا الحصر ، انخفضت أسعار هذه السلع مرتين خلال الثمانينات ، متسببة في خسائر فادحة للدول النامية .

وبلغت جملة الخسائر خلال الفترة من 1981 إلى 1983 حوالي نصف إجمالي ديون هذه الدولة وبلغت خسائر بعض الدول 100٪ من إجمالي ديونها في نفس الفترة (15)

3 -سمات الديون الخارجية

هناك عدد من السمات تميزت بها الديون الخارجية في العالم الثالث عن غيرها من الديون الدولية ، وصاحبت تفاقمها وما أدت إليه من كوارث اقتصادية . وسوف نتناول هنا أهمها وباختصار . وذلك حتى تتكون لدينا فكرة أوضح عن وضع أزمة المديونية .

من هذه السمات :-

الزيادة الحادة في الديون وخدماتها :

استمرت ديون الدول النامية في الزيادة والتراكم بشدة خلال الستينات والسبعينات ، وكذلك خلال الثمانينات والنصف الأول من التسعينات . فبينما بلغت الديون حوالي **68.4** مليار دولار سنة **1970** ، قفزت إلى حوالي **180** مليار دولار سنة **1975** **(16)** ثم قفزت مرة أخرى إلى حوالي **297** مليار دولار أمريكي سنة **1978** **(17)** وقفزت من جديد إلى حوالي **345** مليار دولار أمريكي عام **1979** .

أما خلال فترة الثمانينات فقد وصلت الديون إلى **610** مليار دولار أمريكي عام **1980** **(18)** ، قفز هذا الرقم إلى حوالي **934** مليار دولار عام **1985** وإلى حوالي **1257** مليار دولار أمريكي عام **1990** . أما خلال سنة **1996** فقد قدر إجمالي الديون الخارجية للدول النامية بحوالي **1826** مليار دولار أمريكي **(19)** .

أما خدمات الديون فقد ارتفعت بشكل مأسوي هي الأخرى . فبلغت عام **1972** حوالي **12** مليار دولار أمريكي ثم ارتفعت إلى**83** مليار دولار أمريكي عام **1981** وقفزت عام **1986** إلى حوالي **96** مليار دولار **(20)** . وخلال التسعينات ارتفعت إلى حوالي **136** مليار دولار أمريكي عام **1990** ، وقدرت بحوالي **213** مليار دولار أمريكي عام **1996** **(21)** . هذه الظاهرة التي تميزت بها الديون الخارجية جعلتها تصل إلى أرقام هائلة وتسبب أزمات حادة للدول النامية لا تستطيع منفردة علاجها

تركز الديون في مناطق جغرافية معينة :

تركزت ديون العالم الثالث في مناطق جغرافية بذاتها . منها مثلا أمريكا اللاتينية وبالتحديد البرازيل ، والمكسيك ، والأرجنتين ، وفنزويلا التي تتصدر قائمة الدول المستدينة الثقيلة المديونية . ومنها كذلك أفريقيا وخاصة دول جنوب الصحراء التي تأتي في المرتبة الثانية بعد دول أمريكا اللاتينية سالفة الذكر . وبعد هذه الدول تأتي الدول الأوروبية النامية ثم الدول الآسيوية .

هذا يعني أن الديون تتركز في بعض المناطق دون غيرها ، وتعاني منها بعض الدول أكثر من بعضها الآخر . وهي المناطق والدول الفقيرة ذات الكثافة السكانية العالية .

هيكل الديون :

تحت تأثير انخفاض أسعار الفائدة وسهولة الحصول على القروض بدأت خلال السبعينات الدول النامية في تنويع مصادر ديونها .

وقد أدى هذا التنويع إلى زيادة نسبة الديون الممنوحة من المصارف التجارية والشركات الاستثمارية ، وهي التي تعرف (بالمصادر الخاصة) ، وإلى تناقص نسبة القروض الممنوحة من المصادر الحكومية . وذلك نظرا لأن قروض المصادر الخاصة كانت أسهل وأسرع في التعاقد والتحويل ، على الرغم من أن شروطها أصعب . وقد أدى التغيير في هيكل الديون على هذا النحو إلى مشكلة عويصة للدول النامية عندما ارتفعت أسعار الفائدة وشحت مصادر التمويل الحكومية ذات الشروط الميسرة .

الزيادة في الديون قصيرة الأجل .

أدت الزيادة الكبيرة في أسعار النفط إلى إجبار معظم الدول النامية على طلب قروض قصيرة الأجل لتمويل احتياجاتها من النفط وبعض السلع الأخرى الضرورية ولتغطية نفقات خدمة ديونها المستحقة . وحيث أن هذا النوع من القروض غالباً ما يصرف على استيراد السلع الاستهلاكية لتغطية الاحتياجات المحلية ، وعلى تغطية خدمات الديون المستحقة ، فإنه لايمكن استثمارها حتى

تتمكن من تغطية خدماتها ، وهي ذاتها تستحق الدفع في فترة زمنية قصيرة لذلك فقد زادت هذه القروض من ضغطها على اقتصاد الدول النامية .

زيادة متأخرات الدفع :

لأسباب عديدة منها ماذكر سالفا ومنها أسباب داخلية تخص كل بلد على حدة ، لم تتمكن معظم الدول النامية من سداد مستحقات ديونها في الوقت المحدد حسب شروط التعاقد . وقد اضطرت مجموعة من هذه الدول إلى إعلان عجزها عن دفع هذه المستحقات في خريف 1982ف .

فقد زاد حجم تلك الديون عن حجم عوائد صادرات هذه الدول ، وأدت هذه الظاهرة إلى توقف المصادر الرئيسية للتمويل عن منح قروض جديدة وخاصة منها المصادر الخاصة ، وذلك كإجراء احترازي لحماية أموالها . هذا التوقف بدوره أدى إلى عجز أكبر في دفع مستحقات الديون القديمة . معظم الدول النامية كانت تعتمد على الديون الجديدة لسداد مستحقات خدمات ديونها القديمة . لذلك فقد تكدست خدمات الديون على شكل ديون إضافية . حتى بلغت متأخرات السداد عام 1982 على سبيل المثال حوالي 22.6 مليار (اس دي أرس) . S.D.R. s .

كل هذه العوامل متضافرة وغيرها عدد لا يحصى من الأسباب السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والبيئية تعمل في الوقع معا لإحباط وإفشال مخططات التنمية بمختلف جوانبها في الدول النامية . فإذا أضفنا إليها الإحباط النفسي الذي ينتج عن فشل التنمية ، ومايترتب عليه من شعور بالتخلف والدونية وهبوط الروح المعنوية ، الذي يؤدي بدوره إلى القلق والاضطراب وانتشار الوساطة والمحسوبية وانعدام الأمن والسلام وانخفاض مستوى العدالة الاجتماعية التى تجعل المواطن يعاني من أجل لقمة العيش ولا يؤمن بقدرة بلاده على النهوض ، ولايصدق مايتم طرحه من مشروعات وخطط ، فيتكاسل ويتهاون ولايستجيب لمتطلباتها ، ولا يتعاون مع منفذيها .

إذا أضفنا هذا إلى ذاك ، فإن حلقة التخلف الخبيثة تكون أشرس ظهوراً وأشد حدة ، وتكون عواقبها أكثر ويكون الخروج من دوامة التخلف امراً مستحيلاً .
فكيف إذا كان كل ذلك يتجسد في الواقع جليا في الدول النامية ؟ .

هنا لابد لنا من البحث عن الحل ولايبدو في الأفق من حل سوى التعاون والتآزر بين الدول النامية والسعي من أجل تحقيق أكبر قدر من التقارب بينها وخاصة تلك التي تقع في مناطق إقليمية متجانسة مثل الوطن العربي ، أو القارة الأفريقية ، أو أمريكا الجنوبية ... الخ

الهوامش :

(1) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصادات التنمية ص165 .

(2) د . منى مصطفى البرادعي (1991) : تقييم تجارب التنمية في العالم الثالث خلال الثمانينات . مجلة الفكر الإقتصادي العربي رقم 36 .

(3) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . إقتصادات التنمية ص 167 .

(4) الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (1989) الديون الخارجية للدول النامية . مشاركة في مؤتمر الديون الخارجية للدول العربية والأفريقية . ص 54 جدول (1) .

(5) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصادات التنمية ص 186 .

(6) د . محمد عزيز (1989) البعد الإقتصادي لمديونية بعض الدول العربية والأفريقية ومناقشة بعض الحلول المقترحة ص 85 .

(7) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصاديات التنمية ص 183 .

(8) د . محمد عزيز (1989) البعد الاقتصادي لمديونية بعض الدول العربية والأفريقية ومناقشة بعض الحلول المقترحة ص 85 .

(9) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصاديات التنمية ص 183 .

(10) د . عبدالهادي يموت 1988) النمو السكاني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ص 65 .

(11) د . محمد عبدالشفيع عيسى (1992) البيئة الدولية والديون الخارجية العالم الثالث خلال الثمانينات ص(193) .

(12) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصاديات التنمية ص (167 ـ 1968) .

(13) المرجع السابق ص (167 ـ 1968)

(14) المرجع السابق ص 188 .

(15) المرجع السابق ص 188 .

(16) المرجع السابق ص (170) الجدول (17) .

(17) التقرير الاقتصادي العربي الموحد (1981) ص (10) .

(18) د . منير حمارنه (1986) تأثير الديون الخارجية على التنمية في البلاد العربية مجلة الوحدة الاقتصادية العربية العدد (2) السنة الثانية ص (19) الجدول (2)

(19) التقرير الاقتصادي الاجتماعي الدولي (1997) ص (273) جدول A 36 .

(20) د . رمزي زكي (1989) الاقتصاد العربي تحت الحصار ص (124) جدول (3.3)

(21) التقرير الاقتصادي والاجتماعي الدولي (1997) ص (276) جدول ص 37 .

المراجع:

(1) التقرير الاقتصادي العربي الموحد 1982 ، 1993 ، 1995 ، 1996 ، 1997 .

(2) د . رمزي علي إبراهيم سلامة (1991) . اقتصادات التنمية .

(3) المديونية الخارجية والدول العربية والأفريقية (ندوة مصراته) 1989 .

(4) د . عبدالهادي يموت (1988) النمو السكاني والتنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلدان العربية .

(5) د . محمد عزيز (1989) البعد الاقتصادي لمديونية بعض الدول العربية والأفريقية ومناقشة بعض الحلول المقترحة .

(6) مجلة الفكر الاستراتيجي العربي .

(7) مجلة الوحدة الاقتصادية العربية العدد (2) السنة الثانية .

(8) التقرير الاقتصادي والاجتماعي الدولي (1997) .

نقل واستخدام وتطوير التكنولوجيا في الوطن العربي

د . عبد الرحمن على سعد / القاهرة

بالرغم من أن إصطلاح التكنولوجيا يعد من التعابير الحديثة وخاصة في الدول النامية إلا أن ظاهرة التكنولوجيا ظاهرة قديمة قدم الحضارة ذاتها والتكنولوجيا في عصرنا الراهن هي أساسا وبالضرورة ظاهرة اجتماعية وجماعية .

يعتبر العلم والتكنولوجيا إحدى الوسائل الأكثر حسما في تعديل التنمية الاقتصادية . وتناضل الدول النامية إلى رفع الظلم التاريخي عنها والذي فرضته حالة التخلف بفعل الاستعمار الذي سيطر على المقدرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول ردحاً طويلاً من الزمن ورغم الجهود التي تبذلها هذه الدول في توسيع القاعدة التكنولوجية فيها نظراً للدور الكبير الذي تلعبه في تعجيل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية إلا أنها لاتزال تعانى من معوقات كبيرة في نقل واستخدام التكنولوجيا .

أولاً: معنى ومفهوم كلمة تكنولوجيا :

تعود جذور تكنولوجيا إلى اللغة الإغريقية وكلمة تكنولوجيا مركبة من كلمتين أغريقيتين الأولى تكنو وتعنى مهارة الحرفة والثانية لوجوس وتعنى العلم أو الحديث عن المهارة من حيث الدقة والتطبيق .

من هاتين الكلمتين الإغريقيتين اللتين كونتا كلمة تكنولوجيا يمكن القول بأنها كانت تعنى قديما ، وباللغة الإغريقية علم مهارة الحرفة من حيث الدقة والتطبيق .

لقد جاءت الثورة الصناعية في أواسط القرن الثامن عشر نتيجة تفاعل كبير بين ما كان متيسرا من علوم رياضية وطبيعية من جهة والتطبيقات العملية لتلك العلوم من جهة أخرى ونتيجة لذلك اكتسبت كلمة تكنولوجيا مفهوماً أوسع ، حيث أصبحت تعنى « استنباط الأساليب الفنية لعمل وصنع الأشياء »والمتصور بالأساليب الفنية في هذا المفهوم هو ابتكار وإنتاج أدوات جديدة مع قدرة الإنسان على هذا الابتكار والإنتاج .

ولقد لحق مفهوم التكنولوجيا في السنوات الأخيرة الكثير من الالتباس والتأويل مما جعلها من الكلمات والمصطلحات المطاطية ذات المفاهيم المتغيرة التي خلقت الصعوبة الكبيرة في تحديد مفهومها بدقة كبيرة ، والسبب في ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى التغيرات الكبيرة والسريعة التي تواكب تطور السلع والمنتجات نفسها من بدايتها البسيطة إلى أشكالها المعقدة .

وعليه فقد عرفها البعض بأنها مجموع الوسائل التي تستخدم لتوفير ما يلزم لمعيشة البشر وراحتهم وهناك من يعرفها بأنها التغيير في طرق الإنتاج الذي ينجم عن إدخال أساليب وسبل جديدة أو محسنة وتطبيق الوسائل الميكانيكية لتحل محل الأيدى العاملة لتطوير مواد ومنتجات جديدة ، ومن أكثر التعريف شيوعاً ذلك التعريف الذي يعرف التكنولوجيا بأنها عملية الاستخدام التطبيقى للعلاقات والقوانين والخصائص الجوهرية والعارضة على المواد وتركيباتها للوصول إلى تشكيلة عملية جديدة ومعينة قادرة على أداء مهمة معروفة أبعادها وخصائصها مسبقا .

وهناك من يعرف التكنولوجيا بشكل عام على أنها تمثل مجموعة المعارف والخبرات المتراكمة والوسائل المادية والتنظيمية التي تستخدم في مجالات النشاط المختلفة بغية إشباع الحاجات البشرية المتزايدة ، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع إلا أنه يمكن إعطاء مفهوم أوسع وأشمل لهذه الكلمة باستخدام التعريف الذي وضعه مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية حيث عرفها بأنها الوسيلة التي يسيطر بها المرء على محيطه كما ينتج الأشياء التي يكتشف في لحظة أو أخرى أنه بحاجة إليها وهي لاتعنى فقط التطبيق المنهجي للعلوم وفروع المعرفة على القضايا العملية وإنما تعنى أيضا الوسط الاجتماعي والاقتصادي الذي يتم التطبيق فيه .

وبعبارة أخرى فإن التكنولوجيا لاتتعلق بطرق إنتاج السلع فحسب بل تشمل طرق الاستجابة للحاجات وإشباعها .

ثانيا : معوقات نقل واستخدام وتطوير التكنولوجيا في الأقطار العربية .

التبعية التكنولوجية

نشأت التبعية التكنولوجية للأقطار العربية لاعتمادها بشكل أساسى على المصادر الخارجية في تكنولوجيتها وتظهر هذه التبعية بشكل جلى عند مقارنة بعض المؤشرات في كل من الدول النامية والمتقدمة . من هذه المؤشرات :

أ) مؤشر نسبة ما ينفق على البحث والتطوير من إجمالى الناتج المحلى :

لم تتجاوز نسبة ما أنفقته الأقطار العربية مجتمعة عن **25**٪ من مجموع ما أنفقته الدول المتقدمة على هذا الجانب .

ب) مؤشر عدد العلماء والمهندسين الذين يعملون في البحث والتطوير :

لقد بلغ عدد العلماء والمهندسين الذين يعملون في هذا المجال عالم أو مهندس واحد لكل **10.000** مواطن في الأقطار العربية في حين بلغ هذا العدد **10** مهندسين أو علماء لكل **10.000** مواطن في الدول المتقدمة .

ج) مؤشر نسبة استيرادات السلع الرأسمالية من اجمالى تكوين رأس المال الثابت :

لقد تراوحت هذه النسبة بين **8**٪، **25**٪ في العديد من الدول النامية في حين ترتفع هذه النسبة إلى **43**٪ في الأقطار العربية الأمر الذي يدل على مدى حالة التخلف التي يعانى منها قطاع السلع الرأسمالية .

من المؤشرات البسيطة أعلاه يتضح لنا طبيعة ودرجة التبعية التكنولوجية للأقطار العربية .

لقد تعددت جوانب هذه التبعية لتشمل أنماط الاستهلاك وامتياز تصنيع السلع بأسمائها الأجنبية أو علاماتها التجارية .

- احتكار السوق التكنولوجية

تحتكر السوق التكنولوجية عدداً محدوداً من الدول والشركات دولية النشاط التابعة لهذه الدول . لقد بلغت نسبة براءات الاختراع التي سجلت عام **1970** والتي تعود ملكيتها لسبع دول فقط حوالى **60**٪ من مجموع الاختراعات التي سجلت في العالم وتتبع الشركات الدولية النشاط سياسات خاصة في شراء وتداول براءات الاختراع من شأنها إعاقة وإحباط أى جهد ابتكارى . يمكن أن يؤثر على وضعها الاحتكارى فمن سياساتها مثلا التسارع إلى شراء أى اكتشاف أو ابتكار إنتاجى جديد لتصبح مالكته حتى يتسنى لها ضمان وجودها الوحيد وبدون منافسة في سوق التكنولوجيا وفي حالة عدم استطاعتها شراء هذا الابتكار تتبع سياسات أخرى للقضاء على هذه التكنولوجيا الجديدة ومنعها من الظهور في الواقع العملى ، وفي الحقيقة فإن أكثرية براءات الاختراع ليست في أيدى مخترعيها بل في أيدى تلك الشركات .

لقد أدى احتكار التكنولوجيا من قبل هذه الشركات إلى تحديد الخيارات التي يجدها المشترى ذلك أن تلك الشركات وفي أغلب الأحيان لاتعرض للبيع إلا التكنولوجيا التي تود هي بيعها وبهذا يتسم عرض التكنولوجيا بعدم المرونة .

إن احتكار التكنولوجيا وانعدام مرونة العرض يؤديان إلى أن تكون سوق التكنولوجيا سوقا ناقصة وغير عادلة وغير متوازنة مما يجعل هذه السوق أكثر ظلما للدول النامية وخلاصة القول أن احتكار سوق التكنولوجيا جعل هذه السوق مغلقة لايدخلها المشترى إلا بالحجم وبالقدر الذي يسمح له البائع به .

- التكاليف الباهظة لنقل التكنولوجيا

لقد بينت دراسات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية بأن تكاليف نقل التكنولوجيا يشكل عبئاً على ميزان مدفوعات الدول النامية وبالرغم من قلة المعلومات حول تقدير التكاليف التي تتحملها الأقطار العربية من جراء ذلك بسبب اختلاف الأشكال المباشرة وغير المباشرة لنقل التكنولوجيا (رسوم الامتياز والرسوم الادارية) إلى تحملتها الدول النامية عام **1968** بما مقداره **1157.6** دولار أى ما يعادل **8**٪ من مجموع استيرادات هذه الدول من المكائن والسلع الرأسمالية وبينت دراسة أجريت حول العراق بأن التكاليف الاستثمارية التي يتحملها العراق في هذا المجال فقط تتراوح نسبتها بين **3**٪ ، **11**٪ من مجموع كلفة المشروع وبنسبة **7**٪ كمعدل لكافة المشاريع .

لقد بلغت قيمة استيرادات الأقطار العربية من المكائن والسلع الرأسمالية عام **1974/73** حوالى **7.167** بليون دولار وبلغت في عام **1979**(حسب تقديرات اليونيدو) إلى ما قيمته **40** بليون دولار . من ذلك يتبين لنا وبتطبيق معيار **8**٪ بأن التكاليف المباشرة لنقل التكنولوجيا قد بلغت **573** مليون دولار لعام **1974/73** ، كما بلغت **3200** مليون دولار لعام **1979** على الأقل .

وحسب أحدث التقديرات عن واردات الآلات ومعدات النقل للأقطار العربية أعضاء اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة لمنطقة غرب آسيا (الإسكوا) فقد بلغت واردات ستة أقطار عربية فقط خلال فترة **80-1983** ما قيمته مائة بليون دولار تقريباً وهي المملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة ومصر وسوريا وعمان والأردن وكان نصيب العربية السعودية من بينها **44**٪ والامارات **10**٪ ومصر **7.1**٪ .

- التبعية في التجارة الخارجية

تعتمد الأقطار العربية في أنماط استهلاكها بدرجة كبيرة على الدول المتقدمة صناعيا ، الأمر الذي انعكس على هيكل تجارتها الخارجية حيث يتبين من هذا الهيكل أن الطريق شاق وطويل أمام

هذه الأقطار في مجال التكنولوجيا ويبين الهيكل التجارى للأقطار العربية اعتمادها في صادراتها وبشكل رئيسى على المواد الأولية كالنفط والسلع الزراعية والمعادن في حين تعتمد اعتماداً شبه كامل في استيراداتها من المكائن والآلات والعدد ووسائط النقل على السوق الدولى الرأسمالي ويبرز هذا الاعتماد وبشكل واضح حيث يتضح أن نسبة استيرادات معظم الأقطار العربية المصدرة للنفط من المكائن والآلات ووسائط النقل بلغت حوالى 70٪ من مجموع استيراداتها عام 1975 في حين بلغت هذه النسبة لبعض الأقطار العربية غير النفطية كالأردن ولبنان وسوريا حوالى 60٪ .

إن التكنولوجيا المستوردة من قبل بعض الأقطار العربية ازدادت بصورة ملحوظة خلال الفترة 1970–1975 حيث يتضح أن هذه الأقيام في معظم الأقطار أصبحت عام 1975 ضعفى أو ثلاثة أضعاف أقيام عام 1970، كما أن هذه الأيام قد ازدادت في الفترة من 1990– 1995 بأكثر من خمسة أضعاف أرقامها عام 1975.

كذلك نلاحظ أن اجمالى نصيب البلاد (النامية) من الإنتاج العالمى للسلع الرأسمالية يبلغ 7٪ عام 1985 (ويصل نصيب أمريكا اللاتينية وحدها إلى 4٪ وهو نصيب متركز في عدد محدود من الدول هي البرازيل والأرجنتين والمكسيك بينما تتوزع نسبة 3٪ على مجموع بلدان العالم الثالث الأخرى).

وفي المقابل يصل نصيب الدول المتقدمة ذات اقتصادات السوق إلى حوالى 53٪ مقابل 40٪ تقريبا للاقتصادات المخططة مركزيا ، كما تشير تقديرات منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (يونيدو).

أما في التجارة العالمية فإن البلاد النامية تستحوذ على 30٪ تقريبا من الواردات العالمية . ويصل نصيب الدول المتقدمة ذات اقتصادات السوق إلى 65.5٪ ولكنها في معظمها واردات متبادلة بين الدول المتقدمة المذكورة وبعضها البعض – في حين يتمثل المصدر الرئيسى لواردات العالم الثالث من السلع الرأسمالية ، في مجموعة الدول المتقدمة ذات اقتصادات السوق – أى أوربا الغربية واليابان والولايات المتحدة الأمريكية .

وأخيرا فإن هذه الدول الأخيرة تستحوذ على 90٪ من صادرات السلع الرأسمالية على المستوى العالمى .

- موجات التضخم العالمية :

رغم التوصيات والجهود المبذولة لحث الدول النامية بالاعتماد على ذاتها في بناء وتطوير تكنولوجيتها بدلا من الاعتماد الكبير على شرائها من الخارج ، غير أنه يلاحظ أن جميع هذه الدول زادت من اعتمادها في استيراد التكنولوجيا على الدول الصناعية وعلى الأخص استيراد التكنولوجيا المعقدة ذات الكلفة العالية ومنذ 1974/1973 ظهرت موجة التضخم في الدول المتقدمة صناعيا ، الأمر الذي زاد من كلفة نقل التكنولوجيا الذي بدوره أثر على مسيرة التنمية الاقتصادية في الدول النامية وزاد من حدة المشاكل الاقتصادية التي تواجهها هذه الدول من حيث ارتفاع أسعار منتجاتها وارتفاع الأجور فيها وتبدو هذه الظاهرة واضحة في الدول المصدرة للنفط نظراً لتوجهها في إقامة المشاريع ذات التكنولوجيا المتطورة والمعقدة ، لقد أدى هذا التوجه واتباع سياسات التصنيع السريع والكبير إلى زيادة حدة معدلات التضخم العالمية وتشويه الأجور والإيجارات وهياكل الأسعار .

ومن الواضح أن اتجاه الدول النامية ومنها الأقطار العربية في نقل التكنولوجيا الكبيرة والمتطورة تجعلها بحاجة إلى استخدام الخبراء الأجانب حيث يكلف الخبير الواحد سنويا ما بين 50 ألف إلى 100 ألف دولار كرواتب ومخصصات نقل وسكن ، لقد سعت هذه الدول بتوجهها هذا أى بإقامة المشاريع الكبيرة اعتقاداً منها بأنها تستطيع أن تحصل على ربحية عالية بسهولة وبسرعة من جراء ذلك ، إلا أن النتيجة كانت عكس ذلك بسبب زيادة حدة موجات التضخم العالمية .

- مشكلة تنمية الثروة البشرية :

إن من أهم المشاكل التي تصادف عملية نقل وتكييف وتطوير التكنولوجيا في الأقطار العربية هي مشكلة تنمية القوى البشرية الوطنية التي يمكنها استخدام التكنولوجيا بكفاءة وذلك نعدم وجود سياسات وخطط وطنية للعلم والتكنولوجيا في معظم هذا الأقطار .

وتواجه الأجهزة الحالية ووحدات البحث الأخرى التي تتعاطى النشاط العلمى والتكنولوجي مشاكل ذات صلة بنوعية القوى البشرية وعددها على حد سواء ، ومرد هذه المشكلة بالأساس إلى عدم كفاية العرض من هذه القوى الكفؤة والمدربة وعدم وجود تخطيط مسبق لإعداد مثل هذه القوى .

وفي جميع المجالات التي تتطلب كوادر فنية وتكنولوجية عالية فإن نقص هذا النوع من القوى البشرية في معظم القطاعات يشكل نقطة الاختناق ويعود ذلك إلى عدم حقن المقدار الكافي من العلماء والتكنولوجيين في جسم القوى البشرية وكذلك إلى إهدار طاقات القوى البشرية الموجودة في مهمات جانبية أو حتى خارجية مثل الادارة وغيرها من المجالات بالإضافة إلى ضآلة الاستعدادات لضمان محافظة القوى العاملة الموجودة على خبراتها وقدراتها ومسايرتها للتطورات الحديثة عن طريق فرص البحث المناسبة وكذلك عن طريق التفاعل مع المجتمع العلمى والتكنولوجي في أرجاء العالم .

- عدم توفر نظم المعلومات :

تفتقر معظم الأقطار العربية إلى معظم المعلومات اللازمة لتدعيم القدرة على اختيار أنسب التكنولوجيا المتوفرة في العالم والتي تضمن توفر سيولة المعلومات العلمية والتكنولوجية لمستخدمى التكنولوجيا في هذه الأقطار .

إن توفر هذه المعلومات يعتبر مهما بصفة خاصة للاختيار السليم للتكنولوجيا وذلك نظراً للتطور الهائل والسريع في المعلومات العلمية والتكنولوجية في السنوات الأخيرة . إن نجاح أو قصور أى نظام للمعلومات يعتمد على ثلاثة أسس رئيسية :
مناسبة المعلومات للمستخدم أولاً والفترة الزمنية اللازمة لتوفير المعلومات ثانياً والتكاليف اللازمة للحصول على المعلومات ثالثاً .

- ضعف الروابط بين مؤسسات البحث العلمي وجهات الاستفادة والتطبيق .

هناك ضعف ظاهر في الروابط بين مؤسسات البحث العلمى وجهات الاستفادة والتطبيق داخل الأقطار العربية بما يؤثر في مواقف العلماء والمسؤولين عن الإنتاج إزاء بعضهم ومن أسباب هذه الأزمة انشغال كثير من العلماء ببحوث وقضايا لاتتصل بشكل مباشر بمشاكل الإنتاج القائمة وتطلعاتهم الخاصة .

إضافة إلى ذلك فهناك قصور الأجهزة التنفيذية للعلم والتكنولوجيا ويتمثل ذلك في حجم وفي نوعية الأجهزة القائمة بالفعل وأهدافها وبرامجها وكذلك في السياسات التي تتبعها الدولة في إنشائها وفي غياب التنسيق والتكامل الأمثل بينها وفي غياب الاستقرار الذي يجب كفالته لها .

كذلك هناك قصور عام في تقدير العلم والتكنولوجيا ومعايشتها ويتمثل ذلك في قصور الوسائل التي تقرب المعارف العلمية والتكنولوجية من أذهان الجماهير ولدى تلاميذ المدارس بما يعكس على سلوك المجتمع تجاه العلماء من أبنائه وعلى إقبال الشباب على العمل في ميادين البحث والتطوير بل وعلى أخذ المجتمع بأساليب العلم والتكنولوجيا الحديثة لو أتيحت له هذه المعارف .

التوصيات :

إن أول ما يحتاجه العرب هو ثورة فكرية - قيمية تغير نظرة الإنسان العربي إلى نفسه وإلى علاقته بالمجتمع وبالكون بحيث يتحرر من كل الأغلال الفكرية والمادية التي حجمت قدرته على الابتكار .

وعليه يمكن تقديم بعض الاقتراحات التي تساهم في تحسين الوضع العربي التكنولوجي والاقتصادي .

أ- اعادة النظر في الاستراتيجيات التي سارت عليها أكثرية الدول العربية خلال العقود الخمسة الأخيرة والاتجاه نحو استراتيجية تقوم على فكرة الاعتماد على الذات قدر الامكان ، والتكامل العربي واعطاء الأولوية لتلبية الحاجات الأساسية للمواطنين والاستفادة إلى أقصى درجة ممكنة من الطاقات التكنولوجية الكامنة أو التي يمكن خلقها في الدول العربية .

ب- رسم خطة وطنية للعلم والتكنولوجيا تشكل وحدة عضوية مع الخطة القومية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة .

ج- خلق مراكز بحوث وطنية للتكنولوجيا مرتبطة بايجاد حلول عملية للمشاكل التي تطرحها استراتيجية اشباع الحاجات الأساسية للمواطنين .

كذلك مطلوب خلق مركز بحوث للتكنولوجيا على مستوى الوطن العربي يقوم بدور التنسيق بين مراكز البحوث القطرية ويساهم في رسم استراتيجية للعلم والتكنولوجيا على المستوى العربي تشكل ركيزة أساسية ضمن الخطة الاقتصادية القومية .

د- خلق دائرة متخصصة في مجال جمع وتحليل آخر المعارف التكنولوجية المتوفرة .

هـ- اتباع سياسة نشطة وفعالة في مجال تدريب وتخطيط القوى العاملة بحيث تتناسب مع متطلبات خطط التنمية المرسومة .

و- إحداث تغيير جذرى في نظم التعليم السائدة وتحويلها من وضعها الحالى القائم على التلقين والمحاضرة والتحليل النظري إلى وضع يربط النظام التعليمي بشكل وظيفي بخطط التنمية ويجعل العملية التعليمية تقوم على الربط بين النواحى النظرية والنواحى العملية من خلال الزام الطلبة بتقسيم أوقاتهم بين المحاضرات النظرية والعمل في المصانع والمزارع .

ز - اشراك المواطنين بعملية التخطيط الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية لرفع معنوياتهم وزيادة تعلقهم في انجاح الخطط المرسومة .

ح- زيادة التعاون الاقتصادي والتكنولوجي بين الدول العربية بحيث يضعف اعتمادها على دول الشمال وتزداد قوة مساومتها مع هذه الدول .

المراجع :

1- « نحو تطوير العمل الاقتصادي العربي المشترك »
(الورقة الرئيسية : وثيقة مقدمةلمؤتمر القمة العربي الحادى عشر ، عمان 1980ص 60.
2- قسطنطين زريق « التحدى القيمى للثورة العلمية التكنولوجية» في : استراتيجية الثورة العلمية التكنولوجية العربية الجزء الأول ، المؤتمر السابع للإنماء 24-25 نوفمبر 1973 بيروت ص 75 .
3- انطونيوس كرم « العرب أمام تحديات التكنولوجيا » عالم المعرفة نوفمبر 1982.
4- اسماعيل صبرى عبدالله « استراتيجية التكنولوجيا » مجلة دراسات عربية يونيو / يوليو 1977.
5- محمد بدوى ، طارق الربح ، عامر الجنابى « دراسة أولية عن أساليب نقل التكنولوجيا وعلاقاتها بمشاكل التصنيع في دول الخليج العربية » مجلة آفاق اقتصادية ، دولة الامارات العربية يناير 1980.
6- شاكر مصطفى « الابعاد التاريخية لأزمة التطور العربى» « ندوة أزمة التطور الحضارى في الوطن العربي « الكويت ابريل 1974.

التكامل الاقتصادي ، الاجتماعي والتصورات المستقبلية للتنمية في الوطن العربي

د . صالح سمير نصار
جامعة السابع من ابريل

يتناول هذا البحث موضوعاً مهماً شغل حيزاً كبيراً من تفكير رجال السياسة والاقتصاد والاجتماع في الوطن العربي وطالما كان هدفاً من أهداف بناء الأمة العربية في ظل صراع القوى والتكتلات الدولية السياسية والاقتصادية فلقد افرزت مسيرة المجتمع العربي خلال فترة الستينات والسبعينات أنماطاً تنموية جديدة، وواجهت تحديات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية وانماط علاقات جديدة واختلافات هيكلية عمقت من مظاهر التخلف التقليدية ولاسيما بالنسبة لظاهرة التبعية والتجزئة.

ولذلك كان من الضروري إيجاد الوسائل اللازمة لمواجهة مثل هذه التحديات عن طريق الوحدة والتكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي، وهذا ماسنحاول التعرف عليه في هذا البحث اضافة إلى البحث في التطورات المستقبلية العلمية والواقع التنموي العربي الذي يمكن ان تكون عليه مسيرة التنمية في الوطن العربي.

أولاً : أهمية التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي ومبرراته :-

ان نظرة سريعة إلى العالم العربي تعطينا دلالة واضحة على الأهمية البالغة لهذه المنطقة من العالم ، لما يتمتع به من موارد مالية طبيعية هائلة وامكانيات مادية عظيمة وطاقات بشرية كبيرة وهذه حقيقة لايمكن تجاهلها لكن الذي ينقص العالم العربي هو حسن استغلال هذه الموارد وترشيد توزيع ثمراتها ولن يتأتى هذا بصورة فعالة إلا عن طريق السياسة الاقتصادية الموحدة والتنظيم الإداري الموحد وان العمل على نمو العالم العربي كمنظمة واحدة هو الضمان الوحيد لنهضته وأمنه واستقراره خاصة ونحن نعيش في الوحدات الكبيرة والتكتلات الاقتصادية الضخمة(1) .

واليوم يواجه التكامل الاقتصادي العربي أخطر أزماته وأحرج مساراته وهو أمر يستدعي من الاقتصاديين والمفكرين العرب بذل المزيد من الجهد لتحليل الأسباب الحقيقية الكامنة وراء هذه الظاهرة وطرح المقترحات الكفيلة بمعالجتها وتصحيح مسيرة العمل التكاملي وتعزيزها وفي الوقت الذي تتعاظم فيه التحديات والمخاطر التي يواجهها الوطن العربي ، تشهد العلاقات الاقتصادية العربية انحساراً وتعثراً وضعفاً (2) .

ان جميع الدول العربية بصفة عامة تشكو من نقص وخلل في هياكلها الاجتماعية والاقتصادية وتسعى إلى ترميم هذا الخلل من خلال علاقاتها مع الدول الأخرى ومن المعروف ايضاً ان كل دولة عربية تقريباً لديها نقص في مجال من المجالات البشرية المالية الطبيعية كما أن دولة عربية لديها

فائض في مجال من المجالات البشرية المالية ، الطبيعية - وبالتالي فإن توفر هذه الصفة المزدوجة في كل بلد عربي حيث لديه نقص وحاجة في بعض المجالات يعني أنه يملك امكانية التبادل أي امكانية الأخذ والعطاء وهذا الواقع يجعل من قيام التكامل الاجتماعي والاقتصادي بين هذه الدول أمراً طبيعياً وضرورياً ويحقق مصلحة الدول المتعاملة جميعاً بشكل افضل ومما يسهل عملية التكامل هذه بين الدول العربية ، وجود حلقة تاريخية تراثية متقاربة ترجع إلى أصول مشتركة تربط أبناء هذا الوطن الكبير ، كما أن الدول العربية خضعت لتطورات تاريخية تكاد تكون متشابهة لذلك فإن طموحاتها إلى التكامل هوأمر مشروع وله مايبرره .

إن الظروف السائدة في الوطن العربي وخصائص التخلف وعقبات التنمية المختلفة(اقتصادية ، اجتماعية ، سياسية ، ثقافية ، نفسية) تشير إلى ضرورة وضع خطة عامة للتنمية العربية الشاملة وتبرر قيام التكامل الاقتصادي الاجتماعي العربي للقضاء على التخلف ، والتبعية ولضمان وجود قدر كبير من الاستقرار الاقتصادي والارتفاع بمستويات المعيشة .

إن التصدي لوضع استراتيجية عربية للتنمية في نطاق التكامل الاقتصادي العربي أمر جوهري وواجب ملح ، وهناك الكثير من الأسباب التي تؤكد أهمية الجهد العربي المشترك في مجال التنمية ومنها مايلي (3) : -

1 - إنه يستحيل على أي قطر عربي بمفرده أن يكسر حاجز التخلف وينطلق إلى رحاب التنمية الاقتصادية والاجتماعية وذلك لأنه لايجتمع لأي قطر عربي بمفرده كل المقومات اللازمة في مجال قوى الإنتاج أو السوق أو رأس المال أو التكنولوجيا .

2 - إن فوائد الثروات تتضاءل طالما هي مبعثرة داخل الوطن العربي وطالما لايوجد الاستيعاب لها داخل المنطقة العربية .

3 - ان نقص الثروات مهدد بالانقراض ، مما يستدعي المحافظة عليها وترشيد استغلالها ، وأهم ثروة مهددة بالنضوب في بداية القرن المقبل هي الثروة النفطية .

وعلى الرغم من أن تاريخ التكامل الاجتماعي والاقتصادي العربي يرجع إلى تأسيس الجامعة العربية عام 1945 وتأكيده بعد عام 1950 وعلى اثر الغزو الصهيوني لفلسطين على الترابط الوثيق بين الأمن الاقتصادي والأمن القومي حتى ابرمت معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي وانشئ بموجبها المجلسان (المجلس الاقتصادي ومجلس الدفاع المشترك) . وقبوله خلال هذه الفترة العديد من الصيغ والأدوات لدعم مسيرة التعاون والتكامل الاقتصادي العربي - لكن هذه الانجازات لم تكن تتناسب مع الجهود المبذولة والإمكانات المتاحة والطموحات القومية لأن هذا التعاون لم يكن منبعثاً عن تخطيط عربي شمولي تكاملي للتنمية .

ولذلك فقد افرزت هذه الفترة سلبيات جديدة مضافة إلى السلبيات التقليدية التي واجهها العالم العربي أهمها(4) : -

1 - حدوث فتور في العلاقات العربية بصورة عامة .

2 - تفاوت عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الأقطار العربية وهذا ما أدى لتعميق الاختلال في البناء الاجتماعي والاقتصادي للدول العربية .

3 - غزو قيم اجتماعية وفكرية جديدة واستيراد أنماط استهلاكية مستحدثة .

4 - تحول المجتمع العربي إلى مجتمع استهلاكي وراء الرفاهية الآتية على حساب التنمية الحقيقية .

5 - تدهور الاقتصاد الزراعي ، رغم خطورة الأمن الغذائي التي يواجهها الوطن العربي نتيجة لارتفاع نصيب القطاع الصناعي والخدمي اضافة إلى اتساع الهجرة من الريف إلى المدن ، وتدهور نسبة سكان الريف ومستوى معيشتهم وتوسيع الفجوة بين الريف والحضر .

6 ـ تركيز الاهتمام في التنمية القطرية على الناحية المادية وإهمال التنمية البشرية وهذا واضح في أن معظم الدول العربية اهتمت في كيفية خلق فرص جديدة للتوظيف اكثر من اهتمامها في عملية اكتساب المهارات الجديدة وتطوير هياكل التعليم في الوطن العربي كما أن الدول العربية لم ترسم برنامجًا لتطوير الموارد البشرية عن طريق اكتساب القدرة الفنية الذاتية وتوطين التكنولوجيا الملائمة واستعادة القوى البشرية العربية المهاجرة والمغتربة وإعادة الكفاءات إلى الوطن العربي .

أزمة التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي : ـ

بالرغم من كل المبررات الضرورية لقيام الوحدة والتكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي لخدمة مسيرة التنمية إلا أن هناك العديد من المعوقات التي لازالت تقف أمام عملية التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي والتي تشكل بمجملها أزمة تعاني منها هذه الأقطار ومن أهم أسباب هذه الأزمة هي(5) : ـ

1 ـ التناقضات الهيكلية والتنموية : تكمن أزمة التكامل اساسًا في البناء الاجتماعي والاقتصادي العربي حيث ان هذه البنية ورثتها من عهود الهيمنة الأجنبية المتمثلة بالتخلف والتبعية والتجزئة التي فرضت على الوطن العربي في ظل الاستعمار وكانت حصيلة هذا العامل التعاون الكبير في تركيب الهياكل الاجتماعية والاقتصادية وكذلك في توزيع الموارد والثروات بين أقطاره وتفاوت درجات نموها وقد أدى حفظ التفاوت إلى ارتباط الاقتصاد العربي عضويًا بالسوق العالمية واتخاذ كل قطر عربي مسارًا منعزلاً في العلاقات يعزز من هذه الصلة ويكرس التجزئة .

2 ـ الأنماط التنموية :مارست معظم الاقطار العربية منذ استقلالها السياسي نمطًا تنمويًا انعزالياً وقطرياً يغيب عنه البعد القومي مما اسهم في تعميق التبعية والتجزئة والقطرية وقد ازدادت خطورة هذا الاتجاه خلال فترة السبعينات في ظل الازدهار النفطي فقد أدى الطموح لتحقيق تنمية سريعة في الوطن العربي إلى عودة الوقوع في التبعية وتعميق الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية سواء في التكنولوجيا أو التجارة أو الميادين الأخرى التي تتعلق بالبناء الهيكلي للتنظيمات الأخرى .

3 ـ الإرادة السياسية : لقد لعب هذا العامل دورًا بارزًا في تعميق أزمة التكامل ، وكان وراء ضعف الإرادة السياسية عوامل عديدة منها ضعف الاقتناع لدى أصحاب القرار السياسي بجدارة وجدية عملية التكامل وهذا واضح في تأخر تطبيق الاتفاقيات والمشروعات العربية المشتركة وقد اسهم في عدم الجدية في التطبيق غلبة النظرة الآنية على النظرة الطويلة المدى وطغيان المصالح العاجلة على المنافع الآجلة وغياب هيئة مركزية عربية تعتني بالتنسيق الشمولي للعمل المشترك واستخدمت هذه العوامل بمهارة لمعارضة التكامل الاقتصادي الاجتماعي العربي وسيادة النظرة القطرية والتفاوت بين التنمية القومية الشاملة والقطرية منها .

4 ـ المشكلة القيادية المؤسسية : لقد اسهم عدم التشدد في اختيار قيادات بعض مؤسسات العمل العربي المشترك من ناحية وضعف الرقابة والمتابعة والمحاسبة عمومًا من ناحية اخرى في الإخفاق في بلورة نماذج مؤسسة عريقة ناجحة للعمل العربي المشترك وقد أدى هذا الاجتماع إلى إضعاف الثقة بهذه المؤسسات واستغلال فشلها كذريعة لإحباط أي تجربة وحدوية .

واخيرًا فإن مظاهر التخلف والتبعية التي تعاني منها الأقطار العربية بالإضافة إلى نمط التنمية الذي تصطنعه الأقطار العربية في محاكاتها لأسلوب التنمية في الدول المصنعة وما يتضمنه من مفاهيم وقيم وافتراضات في حاجة إلى مراجعات أساسية بحيث يتحول من التركيز على بناء الحجر إلى بناء البشر في إطار مجتمع تتكامل فيه تنمية متحركة تجمع بين احتياجات الفرد والمواطن والإنسان وينتقل مركز الثقل من الاقتصار على حسابات السعر والثمن إلى تقدير القيم والمعاني ومن مجرد الافتتان بالأجهزة والمعدات إلى التفكير الأصيل في الحلول القائمة على التنظيم والبرمجة

والإبداع الإنساني ومن النحو الاقتصادي الذي تتزايد فيه التكلفة الاجتماعية إلى تنمية متوازية يتزايد فيها المعدل الاجتماعي ويقل فيها تلوث البيئة ، وفي نهاية المطاف فإن ما يصنفه عوامل التنمية في الإنسان العربي وما يمكن أن يحدثه هو فيها يظل المعيار الحاكم لتصورنا لأهداف التنمية لامجرد نمو الثروة والدخول وانما ثراء النفس الإنسانية بمعاني الانتماء والعطاء والحب للذات وللغير وللوطن ولخير الانسانية جمعاء(6) .

ثانيًا : تصورات مستقبلية للتنمية في الوطن العربي : ـ

مما تقدم ذكره يمكن القول أن الموقف التنموي العربي يخضع للعديد من التحديات التي تواجهه خلال القرن الحالي والعقود القادمة سواء أكانت تحديات اقتصادية أم سكانية أم ثقافية أم اجتماعية ومما زاد في تعقيد الموقف العربي خلال هذه المرحلة هو سياسة الهيمنة وفرض السيطرة الاستعمارية على أقطار الوطن العربي ، حتمته طبيعة الصراع العربي الصهيوني الذي تحول إلى صراع وجود من أجل بقاء الأمة شامخة أو الاستمرار في خضوعها للسيطرة الاستعمارية ،هذه الظروف مكنت ودفعت العديد من الأنظمة السياسية العربية إلى التفكير الجاد في بناء قواتها العسكرية لمواجهة هذا الخطر ، بل وتتزايد في الانفاق العسكري حتى غدا يفوق الانفاق على الأنشطة والقطاعات الأخرى مما زاد من مشاكل هذه الدول فقد صار السلاح يستنزف جزءًا كبيرًا من الانفاق العام وقد قدرت نسبة الانفاق العسكري في الوطن العربي إلى مجموع الانفاق على التعليم والصحة حوالي(185٪) وهذا مبلغ ضخم جداً كان من الأفضل انفاقه على مشاريع انتاجية مثمرة تساهم في عملية التنمية(8) وهذه الظاهرة تؤدي بالضرورة إلى احداث خلل في ميزانية الأقطار العربية وتؤثر على قدر المساهمة في بناء الأنشطة والقطاعات الأخرى بل تؤثر على الوضع السياسي لها ايضًا .

لقد شهد العقد الماضي ظاهرة عامة تكاد تشمل البلدان العربية كافة وهي انخفاض حصتها من الصادرات الدولية من جانب وارتفاع نصيبها من الواردات الدولية من جانب آخر ونتيجة لذلك ازدادت الفجوة في موازين المدفوعات وخصوصًا بالنسبة للميادين غير المنتجة للنفط ولقد أدى اختلاف التوازن في ميزان المدفوعات في معظم البلدان العربية إلى اضطرارها للاستدانة من الخارج ، وأصبحت مشكلة تراكم الديون من العقبات المهمة التي تواجه عملية التنمية ، فحسب تقديرات جامعة الدول العربية بلغ مجموع القروض في الوطن العربي حوالي(141مليار عام1991) بعد ان كان حوالي (15مليار عام1973) وتصبح أهمية تراكم الديون من حيث تأثيرها في التنمية إذ ان تراكمها يفترض على الدول المقترضة اللجوء إلى صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي لسد الفجوة في موازين مدفوعاتها والقبول بشروط تلك المنظمات الدولية التي تتحكم فيها الدول الرأسمالية وهي تخفيض الإنفاق العام ورفع الدعم وتحديد الأسعار وتخفيض قيمة العملة المحلية وزيادة الصادرات ، كل هذه الإجراءات تؤثر بصورة مباشرة وغيرمباشرة في عملية التنمية ولهذه الأسباب بات واضحًا ان الاقتصاديات العربية بحاجة شديدة إلى وسيلة تجعلها قادرة على حالة الفكاك من حالة التخلف والتبعية وأن الوسيلة المثلى لذلك تكمن في تجاوز حالة التجزئة الاقتصادية العربية ، وقيام الأقطار العربية بتلافي النقص في مقومات بعضها بعضًا بالفوائض المتاحة لدى بعضها البعض وذلك في نطاق عملية تكامل وتوحيد اقتصادي فيما بينها ولكي يمكن ايجاد الحلول المناسبة يجب التخلص من التمادي في تصميم خطط التنمية على أساس قطري وضمن أفق زمن قصير دون تقدير(موقف عام) لحركة التنمية عبر مداها الطويل ، سوف يؤدي إلى نتائج سلبية ولذلك فإن علاج هذه الظاهرة السلبية يكون بتظافر الجهود الانمائية العربية انطلاقًا من تحديد الانفاق على الأهداف العامة للخطط التنموية القومية آخذة في الحسبان وضع أهداف خطط التنمية القطرية العامة في خدمة الأهداف

القومية وبذلك يمكن اخراج خطط التنمية العربية من دوامة التنافر التي ميزتها خلال الفترة الماضية بفعل التجزئة وبسبب اقتصاد آلية مناسبة لتنسيق حركات التنمية القطرية باتجاه التكامل والتوحيد الاقتصادي العربي (9) .

أن الوطن العربي كما ذكرنا تتوافر فيه الامكانيات المادية ولاتعوزه الطاقات البشرية وهي التي يمكن عن طريق تفاعلها وتطويرها تحقيق التقدم الذي يتطلع اليه المواطن العربي .

ان ماينقص الوطن العربي الآن هو تنسيق السياسات ـ إن لم نقل توطيدها ـ وإدارة التنظيم وتفهم تام للمشاكل الحالية ومشاكل المستقبل والثقة في أن نمو المواطن العربي ككل هو الضمان الوحيد ليس لنهضته فحسب وانما لضمان استقراره واستقلاله السياسي ، لأن التباين الذي نلمسه بين الأقطار العربية والفردية في اتخاذ القرارات الاقتصادية يؤدي إلى اخفاقها بشكل عام.

ولأن قوة أي قطر عربي تأتي من قوة الأمة العربية وسيادتها على مواردها في عالم تبرز فيه مختلف التكتلات ذات الطابع الاقتصادي(10) .

إذا نحن تركنا التشاؤم والتفاؤل فلابد من التوقف عند الحقائق الآتية التي تبرز من مختلف الدراسات والتقويمات للمستقبل الآتي وهي(11) : ـ

1 ـ ان المشكلات التي تقابل الانسانية في المنعطف الحاضر ذات طبيعة جذرية وتتضمن اخطاراً رهيبة على أمن البشر ومصيرهم .

2 ـ ان هذه المشكلات تمثل معًا أزمة حضارية تكتنف الحياة المعاصرة بكلتيهما .

3 ـ انها لن تحل والأزمة الحقيقية لن تبدأ بنمو اقتصادي أو بتدبير سياسي أو بتطوير علمي تكنولوجي .

4 ـ انها تفتح أمام الانسانية أخطاراً ضخمة من جهة وفرصًا جليلة من جهة أخرى وبالتالي تتحدى إلى أقصى مدى قدرة الإنسان المعاصر على حفظ بقائه وتحقيق امكاناته ، تجاوز ذاته (وهو الأهم) .

إذا أردنا الاعتراف بالأمر الواقع والاستسلام له والقبول به كحالة مفروضة علينا فما المطلوب من الانظمة السياسية العربية وصناع القرار في الوقت الحاضر في ظل تصاعد حجم التحديات المصيرية التي تواجه الأمة العربية؟

من المعروف أن أول ما تواجه الأنظمة السياسية العربية بعد مرحلة الاستقلال هي تثبيت قيادتها للمجتمع وتحقيق الاستقرار السياسي ومن ثم المباشرة بتنمية المجتمع من اجل احداث تغيرات جوهرية في الهياكل الاقتصادية وذلك بهدف تحقيق معدلات نمو متزايدة في الاقتصاد القومي إلى جانب التغيرات الاجتماعية وإعادة بناء الإنسان الذي عانى كثيراً من حالة التخلف التي فرضت عليه فترة طويلة ، ومحاولة القضاء عليها ، بما يحقق الوسائل اللازمة لتحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي وتجاوز حالة التخلف ومن شروط تحقيق هذا التقدم كما يراها (شارل بتلهايم) هي كالآتي(12) : ـ

1 ـ الاستقلال السياسي ، أي إنهاء الوضع الاستعماري حيث لايزال مفروضًا ثم القضاء على الطبقات الاجتماعية والتكتلات السياسية المرتبطة بالإمبريالية والتي تقبل التعاون معها .

2 ـ والشرط الثاني للتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، هو الاستقلال الاقتصادي وهذا يعني جميع البلاد التابعة تقريبًا ،نزع ملكية رأس المال الكبير الأجنبي ، تأميم المزارع ، والمناجم والبنوك وسائر المشروعات المملوكة لرأس المال الأجنبي ، وبلوغ الاستقلال الاقتصادي .

3 ـ الشرط الثالث للتقدم ، هو التحول الاجتماعي العميق الذي يفضي إلى اختفاء الطبقات الطفيلية أو المرتبطة بالاستعمار .

إن هذه الشروط تعني نجاح الثورة الوطنية الديمقراطية في القضاء على الاستغلال والتبعية في أي قطر عربي فبدون تلك الثورة لايمكن الوصول بالنضال من أجل الاستقلال إلى غايته وبدونه تصطدم التنمية بعقبات اجتماعية وسياسية واقتصادية وحضارية .

لوتوقفنا قليلاً و أدركنا جدياً وعملياً واقع التخلف في مسيرة التنمية العربية ، وماهي اسباب ذلك ، ومن هي الأطراف المستفيدة وذات المصلحة الحقيقية في استمرار التخلف الراهن للمجتمع العربي ومحاولة ابقاء الواقع الحالي على ماهو عليه ، لأمكننا ملاحظة أن هذه العملية تتجاذبها أطراف متعددة منها النظام الرأسمالي الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، وثانياً بعض القوى العربية المهيمنة والمتحالفة معها ولكن ماهي أهداف هذه العملية والتي يمكن تحديدها بالآتي (13) : -

1 - منع تطور مشاعر الجماهير العربية واتجاهاتها وقيمها على المستوى النفسي الاجتماعي ، ضد الواقع الاجتماعي والاقتصادي القائم وضد القوى المدعمة لاستمراره وإعادة انتاجه متخلفاً وضد التوجيهات والنماذج والمشروعات والأساليب المشوهة التي تحافظ عليه باسم التنمية .

2 - الحيلولة دون إدراك التخلف العربي ، وتفسيره تفسيراً حقيقياً يحدد العوامل والقوى التاريخية والمعاصرة التي فعلت التخلف وتعيد انتاجه والأهم من هذه العملية الحيلولة دون تبلور الإدراكات والتفسيرات الحقيقية للتخلف الفردية والقطرية في صيغ وأشكال جماعية وجماهيرية قطرية وقومية ومنع ظهور وتبلور تصورات بديلة لتغير الواقع الاجتماعي والاقتصادي العربي القائم تغيراً يضر بمصالح المهيمنين المستفيدين والأهم في هذه العملية الحيلولة دون تبلور هذه التصورات البديلة وتفاعلها من خلال صيغ جماعية وجماهيرية قطرية وقومية .

3 - العمل بكل الأساليب حتى لايفظي ماسبق إلى فعل ومواقف للتغير ، والأهم في هذه العملية ألا تصاغ الأفعال والمواقف القطرية في أفعال ومواقف قومية ، وألا تتغير الأساليب العشوائية المرتجلة إلى أساليب علمية منظمة .

من كل ماتقدم ذكره عن التنمية في الوطن العربي ، وما يحيط بها من صعوبات ، ومشاكل ، ماذا نتوقع بعد ذلك - بل ماهي مطالب المستقبل العربي - إذا اعترفنا بأن ما يعانيه الوطن العربي من تخلف وتبعية وتجزئة في جوانبه المختلفة واقع لايمكن تخطيه ، لا يمكن تصور مستقبل مشرق أو غدٍ مشرق افضل .

ولكن هذا ليس واقعًا ، لأن المستقبل ليس قدراً محتومًا أو أمرًا مقضيًا وإنما هو منوط بجهد الإنسان فرداً أو مجموعًا ،أي بنوع إدراكه وشكل سلوكه فليس ثمة تقدم حتمي ، وتأخر مفروض سنته قوانين خارجة عن سلطة الإنسان ، ومقيدة لها كل التقيد وإنما هناك اتجاهات مختلفة في المستقبل القريب والبعيد ، والاتجاه الذي يتخذه شعب من الشعوب في فترة مامن تاريخه يمثل آخر الأمر خياراً له ، فلا يعني الشعب أن له خياراً فيغدوا اسير الطبيعة أو رهين غيره من الشعوب فيغلب على أمره وينقاد إلى التخلف والخضوع أو قد تغشى الأطماع والأهواء بصيرته فيختار سبل التسلط والطغيان وينتهي إلى ماتخبئه هذه السبل من مساوئ وشرور وقد يعني في فترة مضيئة من فترات حياته حريته في الاختيار فينهض لتكوين قدرته على التميز بين المناهج المنفسحة أمامه وعلى سلوك النهج المؤدي إلى الخير والفلاح وعلى القيام بمطالب هذا السلوك جهداً ونضالاً فيكون عندها من المبدعين ومن صنع الحضارة المتميزين(14) .

إذاً ماالمطلوب أمام كل ذلك وأمام واقع نعيشه ونتعامل معه يوميًا ؟المطلوب هو نهضة شاملة وحركة ابداعية تبدلنا تبديلاً جذرياً يكون معياره الأساسي هو معيار القدرة الذاتية ، فجميع علاتنا الحاضرة تبعث من علة أم هي العجز ، والانتقال من العجز إلى القدرة تتضمن الانتقال من حالة الانفعال إلى حالة الفعل في مختلف جوانب حياتنا ، من الخضوع إلى السيادة في السياسة

والاندفاع من التبعية إلى السلطة الذاتية في التحكم بمواردنا الاقتصادية ،من التفكك الاجتماعي والقومي إلى التضامن والتكامل والالتحام الذي يولد وينمي كفاءاتنا الخلاقة من التوهم السائب المسيب إلى العقلانية المنضبطة الضابطة(15) .

وسواء كانت القضية هي التحرر الوطني بالخلاص من الاستعمار أم كانت تحقيق الثورة الاجتماعية لمصلحة جماهير الشعب فإن الأمر لايمكن انجازه بالإقناع أو المساومة ، فالعمل الثوري هو الطريق الوحيد الأكيد لتحرير الإنسان من الضعف وإخراجه من الضياع إلى التحرير على المستويين الخارجي والداخلي ولايتم بمعركة عقلية تفرض وجهة نظر جديدة وانما بفعل يغير الواقع وثورة اجتماعية وحضارية شاملة تكتسح العقبات من طريقه وتنطلق به في آفاق التقدم وتبدل المجتمع العربي كله وتغير النظام الأساسي فيه تغييراً كاملاً وتتحقق بفعل هذه الثورة بتغيرات جذرية في وضع الوطن العربي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وهي كالآتي (16) : -

1 - ثورة تخلص الإنتاج من طابعه التقليدي الرعوي الزراعي وتعيد بناءه بالاستفادة مما في التاريخ من تجارب وخبرات وعلى أساس ماتوصل اليه من تقدم العلم والتكنولوجية وتحديث نظام الإنتاج وإحداث تغيرات أساسية في المؤسسات الاجتماعية الأخرى ، ونظام التعليم وجهاز الإدارة ونظام الاتصال والمواصلات والنظام القانوني .

2 - ثورة تعيدصياغة العلاقات الاجتماعية بحيث تكون للجماهير مسؤولية اتخاذ القرار وتنفيذه .

3 - ثورة تعيد النظر في كل ما ورثناه من نظم وأفكار وقيم وتقاليد وتقضي على كل مايكرس الاستسلام والضعف والتخاذل وتدعم كل مايؤكد حرية الإنسان ويزيد من إيجابيته ويدفعه للعمل .

4 - ثورة تصحح وضعنا الدولي وتخلصنا من مناطق النفوذ وتعيد صياغة علاقاتنا مع مختلف الدول على أساس ايديولوجية التقدم في ضوء خدمة أهدافنا القومية .

وحتى يمكن للوطن العربي ان يحقق شيئًا يفاخر به في ظل تكالب قوى الاستعمار ، ومحاولتهم بسط نفوذهم على أقطار الوطن العربي ، وسلب ثرواته وتجريده من هويته القومية .

مطلوب ثورة اساسية تعد جوهر عملية التنمية ، انها الثورة في صميم الإنسان التي سيتغلب بها على طبيعته الاغتنامية والعدوانية ، وعلى نظرته المنحرفة وشهواته المتأصلة ليتحلى بالعقلانية النيرة ، والانضباط الخلقي وبالحرية الداخلية المستمدة من النضال الذاتي المجاهد ، وبالاحترام الصادق لكرامة اخوانه في الإنسانية(17) وبذلك تتهيأ الظروف وتمكن السياسي العربي أو المخطط التنموي من وضع استراتيجية ملائمة للتنمية العربية الناجحة والتي تتطلب الآتي (18) :-

1 - انطلاق الخطط التنموية من واقع المجتمع نفسه ، والابتعاد عن استيراد الاستراتيجيات الأجنبية .

2 - الموازنة بين إمكانات المجتمع الحقيقية وأمانيه ، حيث تكون الواقعية وحدها هي الحد الفاصل .

3 - الموازنة بين التنمية الاقتصادية أو رأس المال المادي - من ناحية والتنمية الاجتماعية والثقافية والسياسية - أو رأس المال العشيري من ناحية اخرى .

4 - الأخذ بنظام الأولويات في كل جهود التنمية ، وسواء كان هذا بالنسبة لنشاطاتها أو قطاعاتها المختلفة والمتعددة .

5 - الأخذ بالاتجاه الكمي الرقمي - إلى جانب الاتجاه الكيفي بطبيعة الحال - الذي يراعي ميزان الكسب والخسارة .

،بذلك يتم القضاء على حالة التخلف والتبعية التي تعاني منها بعض أقطار الوطن العربي ، وبناء أنظمة سياسية قوية مؤمنة بأهمية التغير ، ومناضلة في سبيل تخطي كل الصعوبات التي تقف ضد

توجه وحدتها وتكاملها ، وقادرة على خلق وتهيئة مستلزمات نجاح التنمية فيها ، وضمان مشاركة ابناء المجتمع في وضع وتنفيذ قراراتها من خلال خلق الثقة المتبادلة بين الأنظمة السياسية التي تقود مسيرة التنمية وبين ابناء المجتمع ،مما يدعم شرعية وجود النظام السياسي ، ومن ثم يكون عاملاً مساعداً في قوته وفاعلياته ، ومن حيث انجازه لوظائفه أو صموده بوجه التحديات التي تواجهه، لذلك اصبح من الضروري ان يكون الاختيار الحقيقي لقدرة النظام السياسي العربي وإمكانيته بعد مرحلة الاستقلال السياسي ، متجسدة في مقدرته على تخليص العربي من التبعية الأجنبية وعلى تحقيق التنمية الشاملة (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية) بمعدلات سريعة تتلاءم مع حجم التطور المطلوب ، وبما يسد الحاجات المتزايدة لأبناء المجتمع بفعل عملية التزايد السكاني ويساعد على رفع عملية التطور إلى الأمام لخدمة القضايا الوطنية والقومية والوقوف بوجه التحديات المصيرية التي تواجه الأمة العربية .

أي أن قوة النظام السياسي العربي تتجسد في استقلاليته في اتخاذ القرارات(والقرارات التنموية بشكل خاص) وامتلاكه لإرادة التعبير ، وابتعاده عن الاعتماد على نقل التجارب التنموية العالمية الغربية عن الواقع العربي ، واعتماده على التخطيط العلمي والإمكانات الذاتية وتسخيرها لخدمة مسيرة التنمية الشاملة في المجتمع من أجل بناء إنسان قوي قادر على النهوض بمسيرة التنمية القطرية والقومية ، واعتقد ان هذا الهدف هو جوهر عملية التنمية .

ثالثاً : التصور الجديد للتنمية في العالم العربي : ـ

شهد العقد الحالي بداية حملة مراجعة نقدية لمفهوم التنمية ونماذجها كرد فعل لأزمة جهود التنمية في العالم الثالث التي وضحت قصور البناء النظري لبرنامج التنمية ـ ومن المساهمات في هذه الحملة ماكتبه (أنور عبدالملك) في مقاله (تنمية أم نهضة حضارية) يستجيب فيها التحديث لأنه تقليد للغرب دون بناء القوة الإبداعية ، بينما تعني التنمية الحضارية أول ماتعنية الاعتماد على النفس ، وتهيئة الإمكانات والطاقات والقوى الوطنية كافة ، وتقوم النهضة الحضارية على أساس تجديد مشروع حضاري بهدف الإجابة عن إشكالية المدنية الفاضلة والإنسان الكامل من رؤية عربية تجمع بين الخصوصيات الأصلية وبين الحياة المعاصرة في اتجاه مستقبلي متقدم(19) .

أما(اسماعيل عبدالله) فيرى أن التنمية الشاملة عملية تضرب جذورها في كل جوانب الحياة وتفضي إلى ولادة حضارة جديدة أو مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضاري ، وللتنمية أساس مادي وآخر فكري وماالتنمية إلا ثمرة للتفاعل المستمر بينها بحيث يغذي كل منهما الآخر ويقوي حركته ، وان التنمية لاتستعار وانما هي في الأساس عملية إبداع ، ويؤكد أن الدول النامية لاتملك إلا عمل أبنائها وماتحت يدها من موارد ، وأن تتحرر هذه الدول من السيطرة الثقافية والاقتصادية والسياسية وأن تطلق مالديها من مكبوت من طاقات التجديد والإبداع لصيانة الشخصية الحضارية لها كما يرى أن التنمية بطبعها عملية شاملة تشكل النمو الاقتصادي عمودها الفقري ، وأن مقاصد التنمية تتجمع في بناء مجتمع ديناميكي ذي حضارة محددة المعالم والقيم وبناء مجتمع عربي جديد ، وأن العمل العربي المشترك هو (التنمية القومية الشاملة المستقلة المتوجهة إلى الجماهير) والمؤكدة للشخصية الحضارية العربية والقادرة على إيقاظ قوى الإبداع والتحرر في مجتمعنا العربي وأن الخيار الحقيقي المطروح على الأقطار العربية ليس خياراً بين التنمية القطرية والتنمية القومية وانما هو خيار بين تكامل التبعية للنظام الرأسمالي العالمي ، وتكامل التكافؤ مع الأقطار العربية الأخرى (20) .

ومهما كانت المعايير التحليلية لقضية التنمية وقطاعاتها وأيا ماكانت القيمة المحددة لمثل هذا التحليل فالذي لاشك فيه أن الجمود والتحجر في التقسيمات ، قد أساء إلى عمليات التنمية تصوراً

وتخطيطًا ، وتنفيذا ، وذلك في غياب إطار تنموي شامل للنمو والتغير النوعي في بنى المجتمع وعلاقاته واعتقدالتحليل العودة إلى التركيب الموحد لعملية التنمية ولحركة المجتمع والإنسان والمقولة الأساسية التي يجب ان تنطلق منها قضية التنمية هي أن التنمية عملية موحدة تتفاعل مكوناتها في حركة جدلية تأثيرا ، وتتشابك فيها الغايات والوسائل تشابكًا معقدًا ومتحركًا (21) .

لكل ماتقدم يجب أن يؤكد الهدف العام للاستراتيجيات العربية للتنمية على ضرورة تحصين المنطقة العربية بمقومات الأمن القومي والاقتصادي والغذائي ، وجعلها صالحة في المستقبل لمعيشة شعوبها بمستوى الرفاهية الذي تؤهله ثرواتها ، وذلك من منظور قومي يخلق الأهداف القطرية في الهدف القومي ولايتعارض مع حرية حركتها .

وخلاصة القول فإن استراتيجية التنمية العربية القائمة على التعاون الاقتصادي العربي يجب أن تركز على مايلي(22) .

1 ـ التنمية من أجل التوجيه الداخلي والاعتماد على نفس مما يقرض العمل على الاستخدام الكامل الرشيد لكافة الموارد الطبيعية والبشرية المتاحة للمجتمع ، وخلق تكنولوجيا محلية .

2 ـ التعاون الاقتصادي العربي أو الاعتماد على النفس ، وبما أن الاعتماد على الموارد الداخلية لكل قطر عربي على حدة لايكفي فلابد من اعتماد جماعي على الذات يترجمه تعاون اقتصادي عربي يشمل توفير الظروف الملائمة لإنشاء المشروعات الانتاجية العربية بجانب تدعيم دور السوق العربية افقيًا ورأسيًا .

3 ـ عدم استنزاف الموارد الطبيعية القابلة للنضوب ، وخاصة النفط وإطالة استخدامها لصالح الأجيال القادمة .

4 ـ ضرورة تحقيق التنمية الصناعية العربية وذلك بالتركيز على الصناعات الأساسية مثل صناعة الحديد والصلب لدورها في الترابط القطاعي وصناعة البتروكيماويات نسبة لكبر حجم الاحتياطي من النفط بالمنطقة العربية .

5 ـ الاهتمام بالزراعة في الوطن العربي وتحقيق التنمية الزراعية التي تستطيع أن تحقق قدراً مناسبًا من الأمن الغذائي العربي .

ومادام هدف التنمية الاقتصادية في العديد من جوانبه هو تحسين وزيادة الإنتاج واستثمار الموارد وارتفاع مستوى الدخل القومي والفردي وتحسين مستوى معيشة أفراد المجتمع والذي بالنهاية يهدف إلى سعادة ورفاهية الإنسان العربي الذي تهدف اليه التنمية الاجتماعية في إطار مفهوم التنمية الواقعية ، التي تنبعث من الواقع الفعلي للمجتمع العربي مع الاهتمام بالخبرات والتجارب التنموية العالية الأخرى والضمان الأساسي لنجاحها يكمن في الوحدة والتكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي .

الخاتمة

شهد القرن الحالي محاولات عديدة في مجال التعاون الاقتصادي والاجتماعي العربي ، وعلى الرغم من جدية بعض هذه المجهودات على الأقل ظاهريًا ، مازال الوطن العربي يعاني العديد من المشاكل والتحديات (التجرئة والتبعية) كان لها نتائج سلبية في معاناة المجتمع العربي من مظاهر التخلف ،رغم ضخامة الموارد الطبيعية والبشرية التي تتمتع بها أقطار الوطن العربي مجتمعة وإذا كانت العديد من المحاولات من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي والاجتماعي العربي قد باءت بالفشل فأعتقد أن ذلك يعود إلى الكثير من العقبات التي واجهت هذه المحاولات منها اختلاف النظم الاقتصادية وأساليب التنمية فيها ، وتبعية بعض البلدان العربية لاقتصاديات الدول الغربية واختلاف نظم الحكم وغلبة النظرة القطرية في التنمية وعدم وضعها في خدمة القضية العربية .

مصادر البحث :ـ

1 ـ دراسات في المجتمع العربي ، جامعة الامارات العربية المتحدة ، العين1987 ، ص229 .
2 ـ د . عبدالحسن زلزلة ، دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ،الطبعة الثالثة ، بيروت 1985 ، ص135 .
3 ـ دراسات في المجتمع العربي ، مصدر سابق ، ص230 .
4 ـ د . عبدالحسن زلزلة ، مصدر سابق ، ص137 ـ 143 .
5 ـ نفس المصدر ، ص144 ـ148 .
6 ـ د . حماد عمار ، في بناء الإنسان العربي، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1988 ، ص23 ـ24 .
7 ـ د . يونس حمادي على ، تحولات السكان في المجتمع العربي وأبعادها في القرن المقبل ، مجلة آفاق عربية ، العدد الرابع ، نيسان 1994 ، ص39 .
8 ـ د . محمود الحمصي ، خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية التنافرية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، طبعة أولى ، نيسان 1980 . ص81 .
9 ـ نفس المصدر ، ص240 ـ 242 .
10 ـ د . بديع الواعظ القدو ، انتصار حسن ، مشاكل ومعوقات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي . مجلة البحوث الاقتصادية والإدارية ، العدد الأول ، كانون الثاني 1978، الدار العربية للطباعة ، بغداد ،ص41 .
11 ـ د . قسطنطين زريق ، مطالب المستقبل العربي ، هموم وتساؤلات ، دار العلم للملايين ، بيروت ، طبعة أولى ، 1983 ، ص185 .
12 ـ شارل بتلهايم ، التخطيط والتنمية ، ترجمة ، د. اسماعيل صبري عبدالله ، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية ، 1969 ،ص43 .
13 ـ د . عبدالباسط عبد المعطي ، الوعي التنموي العربي ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، طبعة ثانية ، 1989 ، ص103 ـ 104 .
14 ـ د . قسطنطين زريق ، مصدر سابق ، ص48 .
15 ـ نفس المصدر ، ص 50 ـ 51 .
16 د. عزة حجازي ، التنمية والتخلف في الوطن العربي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة أولى ، 1985 ، ص189 .
17 ـ د . قسطنطين زريق ، مصدر سابق ، ص189 .
18 ـ د . عبدالمنعم محمد بدر ، دراسات في المجتمع العربي ، اتحاد الجامعات العربية عمان ، طبعة أولى 1985 ، ص 476 ـ 477 .
19 ـ د . أنور عبدالملك ، دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي ، مصدر سابق ، ص29 ـ 37 .
20 ـ د . اسماعيل صبري عبدالله ، نفس المصدر ، ص53 ـ 71 .
21 ـ د . حامد عمار ، مصدر سابق ، ص37 .
22 ـ دراسات في المجتمع العربي ، مصدر سابق ، ص230 ـ 231 .

التنمية الاقتصادية والدول النامية

أ . علي العالم

اتجه الفكر الاقتصادي في اعقاب الحرب العالمية الثانية بنماذج الفكر ونماذج النمو وهي تلك النماذج التي تبحث عن ظروف وشروط تحقيق النمو المرغوب فيه مع ضمان حد ادنى من الاستقرار الاقتصادي.

ولعل نماذج (هارود) و(دوماد) و(هيكس) هي امثلة على ذلك كما بدأ بجانب الاهتمام بمشاكل النمو والاهتمام بمشاكل التخلف والتنمية الاقتصادية في الدول النامية.

ومن ثم فقد بدأت امكانية تطبيق هذه النماذج لمواجهة مشاكل التخطيط والتنمية في هذه الدول ومع بداية هذه الدراسات اطلق على هذه الدول عدة تسميات مثل الدول المتخلفة والدول المسبوقة اقتصادياً والدول النامية ولقد ساد في الأمم المتحدة مؤخراً اصطلاح الدول النامية ودول العالم الثالث ونحن لايهمنا التسمية ومن الممكن ان نستعمل أي تسمية من هذه التسميات إلا أن الذي يهمنا هنا هو أن الدول النامية هي تلك الدول التي ينخفض فيها مستوى المعيشة نسبة لمستوى المعيشة في الدول المتقدمة اقتصاديا مثل امريكا واوروبا أو بمعنى آخر هي تلك الدول التي يكون متوسط الدخل الحقيقي للفرد منخفضاً نسبة إلى مستوى معين في الدول المتقدمة.

ويلاحظ ان مسألة التخلف مسألة نسبية وليست مطلقة بمعنى أن المقارنة تتم مثلاً على اساس متوسط الدخل الفردي الحقيقي في الدول النامية مع دولة اخرى متقدمة اقتصاديا اي اننا نقارن متوسط الدخل الفردي الحقيقي في اندونيسيا مع متوسط الدخل الفردي الحقيقي في بريطانيا مثلاً وبالتالي نقيس المعيشة او مستوى الدخل الفردي الحقيقي السائد في مجموعة من الدول مع مستوى المعيشة او الدخل الحقيقي الفردي السائد في مجموعة اخرى من الدول .

وعلى هذا الاساس يقسم العالم إلى دول ينخفض فيها الدخل الفردي الحقيقي ومجموعة ودول اخرى دخلها الفردي الحقيقي مرتفع ويمكن القول إذاً بأن الدول النامية هي : تلك الدول التي تتميز بالانخفاض النسبي في متوسط الدخل الفردي الحقيقي .

وبالتالي فإن عملية التنمية الاقتصادية هي عملية الانتقال من حال التخلف الاقتصادي إلى حالة التقدم الاقتصادي مع عملية الانتقال من التخلف إلى التقدم وماهي إلاّعملية الزيادة المستمرة في متوسط الدخل الفري الحقيقي ، وبالتالي فإنه يمكننا تعريف التنمية الاقتصادية على انها (الزيادة المستمرة في متوسط الدخل الفردي الحقيقي خلال مدة زمنية معينة) ومعدل الزيادة يقيس سرعة

التنمية في مجتمع معين ، وعن طريق هذا المعدل وهو مايطلق عليه معدل النمو يمكن المقارنة بين الدول المتخلفة .

فمثلاً : إذا كان معدل النمو في الدول(س) 5٪ ومعدل النمو في الدول (ص) 3٪ فإنه يمكننا القول بأن معدل النمو في الدول (س) أعلى من معدل النمو في الدول (ص) وبمعنى آخر فإن الدخل الفردي الحقيقي في الدول(س) يتزايد بنسبة أعلى من الدخل الفردي الحقيقي في الدول (ص) وإذا ماأخذنا متوسط الدخل الفردي الحقيقي كمقياس فإن العالم بعد الحرب العالمية الثانية كان 18٪ من سكان العالم يحصلون على 67٪ من الدخل العالمي ويتمثل هذا في سكان اوروبا وامريكا الشمالية واستراليا .

بينما كان هناك 67٪ من سكان العالم يتحصلون على 15٪ من الدخل العالمي ويتمثل هذا في سكان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وهذا يدل على ان مستوى المعيشة كان مرتفعًا في دول تقع ضمن اوروبا الغربية وامريكا الشمالية بينما هناك مستويات معيشة منخفضة في دول تقع ضمن قارات آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

ولو تأملنا الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية نجد ان دخل الفرد في الولايات المتحدة الامريكية بلغ (1453) دولارًا في السنة بينما دخل الفرد في دولة اخرى في قارة آسيا مثل اندونيسيا هو (25)دولارًا في السنة .

ولازالت العلة قائمة وربما تتسع ففي سنة (1961ف) كان دخل الفرد في الولايات المتحدة الأمريكية(2308دولار)بينما كان في اندونيسا(49دولاراً) ويلاحظ هنا اننا اخذنا فقط بمتوسط الدخل الفردي الحقيقي كمقياس للتخلف الاقتصادي والتقدم الاقتصادي .

إلاّ ان هذا المقياس تشوبه بعض العيوب والتي تكمن في مدى دقته كمعيار للتخلف والمشاكل المعقدة والتي تصاحب هذا المعيار بالاضافة إلى كثير من العيوب الأخرى التي لانود الخوض فيها الآن .

ـ 2 ـ خصائص الدول النامية

كما قلنا سابقًا يطلق اصطلاح الدول النامية على تلك الدول التي تتميز بالانخفاض النسبي في دخل الفرد الحقيقي إذًا ماهي خصائص الدول النامية؟

تتمثل في الآتي : ـ

أ ـ تتميز هذه الدول بانخفاض في مستوى الدخل الفردي الحقيقي نسبة إلى الدول المتقدمة اقتصاديًا كذلك مستوى المعيشة في هذه الدول منخفض جدًا .

ب ـ تتميز هذه الدول بمستوى مرتفع لمعدلات نمو السكان اي ان هذه الدول تتميز بصفة عامة بارتفاع معدل النمو للسكان .

ج ـ نسبة كبيرة من اليد العاملة تعمل في الزراعة .

د ـ نسبة الأمية مرتفعة في الدول النامية .

هـ ـ مستوى مرتفع من البطالة المقنعة .

و ـ مستويات منخفضة من الانتاج ، وهذه يمكن ارجاعها لعدم كفاءة ومهارة العنصر البشري في هذه الدول لانعدام التدريب وارتفاع نسبة الأمية.

وفي الواقع ان هذه القائمة من الخصائص تعطى فقط مؤشرًا وليست موجودة بالضرورة في كل الدول النامية بمعنى انه لاتوجد كل هذه الخصائص في دول معينة بينما لاتوجد كلها في دول اخرى .

وبعد هذا نواجه سؤالاً وهو :

ماهي العوامل التي تحدد التنمية ؟

ان العوامل التي تحدد التنمية الاقتصادية لأي مجتمع من المجتمعات يمكن اجمالها في كمية ونوعية موارد المجتمع الطبيعية والبشرية ومعدل تراكم رأس المال وكذلك معدل التقدم الفني .

فالمجتمع الذي يملك كمية كبيرة من القوة البشرية والجزء الأكبر من هذه القوة البشرية ذو كفاءة عالية بالاضافة إلى امتلاك هذا المجتمع موارد طبيعية وتقدم فني يستطيع هذا المجتمع عن طريقه استغلال هذه الموارد المختلفة مثل هذا المجتمع يملك مقومات نموه اما اذا كان المجتمع يقتصر إلى مثل هذه العوامل أى ان القوة البشرية غير مدربة وكفاءتها منخفضة ولايوجد لدى هذا المجتمع امكانيات مالية وذلك ان معدل الادخار منخفض جداً فإن الاستثمارات في هذا المجتمع ستكون منخفضة بالاضافة إلى افتقاره للتقدم الفني .

3 ـ المشاكل التي تواجه الدول النامية وامكانية التغلب عليها

ليس هناك نظرية محددة للتنمية الاقتصادية لبيان المشاكل وبالتالي التغلب عليها إلا ان هناك بعض السياسات التي تقترح في هذا المجال ولعل اهم المشاكل التي تواجه الدول النامية بصورة عامة تتمثل في الآتي :-

1 ـ تفادي الزيادة في عدد السكان بمعدل أعلى من الزيادة في الدخل الفردي .

2 ـ الحاجة إلى ثورة زراعية لزيادة الانتاج الزراعي .

3 ـ الاستثمار في رأس المال المادي .

4 ـ الاستثمار في رأس المال البشري .

وسوف نتناول هذه المشاكل بشيء من التفصيل ونوضح اهم الحلول التي وضعت لها وذلك في الآتي :-

اولاً : الحاجة إلى ثورة زراعية :-

يعتمد نمو القطاع الصناعي في الدول النامية بصورة مباشرة على التقدم في القطاع الزراعي ، والسبب ان معظم الموارد البشرية في الدول النامية توجه إلى الزراعة وهذه الموارد البشريةغير موظفة بكفاءة وبالتالي فإن هناك بطالة مقنعة في هذا القطاع واغلب الدول النامية تواجه هذه المشكلة ونظراً لأن قطاع الزراعة ينتج المواد الغذائية الضرورية للمجتمع فإن الكفاءة الزراعية يجب ان تتحسن حتى يمكن انتاج فائض من المواد الغذائية فوق مايستهلكه قطاع الزراعة نفسه .

والثورة الزراعية في الدول النامية يجب ان تتم بواسطة مايسمى بالاصلاح الزراعي ففي كثيراً من الدول النامية يمتلك الأرض الزراعية عدد قليل من الاغنياء ولكن تزرع هذه بعدد كبير من الأسر الفقيرة ولعل اكبر مثال على ذلك مايوجد في امريكا اللاتينية والاصلاح الزراعي في هذه الحالة يتم بتوزيع المزارع على الأسر التي تفلحهالكي يتحقق هذا يجب ان تكون اصلاحات اخرى مثل تحسين انظمة الري وبرامج التسميد ونشر مكاتب للمرشدين والمهندسين الزراعيين .. بالاضافة إلى تدريب المزارعين على استعمال الآلات التقنية الحديثة في مجال الزراعة .

ثانياً : التخلص من الانفجار السكاني

ان النمو في الدخل الفردي يلتهم بواسطة هذا النمو المرتفع في عدد السكان فالتخلص أو على الاقل تقليص معدل نمو السكان المرتفع يؤدي إلى معدل النمو في الدخل الفردي يفوق معدل النمو في عدد السكان وبمعنى آخر فإنه يجب ان يكون معدل نمو الدخل الفردي اسرع من معدل نمو السكان ورغم ان هذه المشكلة لاتعاني منها كل الدول النامية فإن اكثرية الدول النامية في آسيا وامريكا اللاتينية وافريقيا تقاسي من هذا الانفجار السكاني فالزيادة السريعة في عدد السكان تضغط كثيراً على الموارد الطبيعية لهذه الدول وهذا يؤدي إلى ان التراكم في رأس المال (الادخار) يكون صحيحاً في ظل هذه الظروف لأن مستوى الناتج منخفض جداً وان معظم الموارد البشرية مخصصة للزراعة وذلك من اجل انتاج الضروريات الاستهلاكية والحل هو ان ينمو الدخل الفردي

الحقيقي وذلك بالعمل على ابطاء الزيادة في السكان .. ويعتقد بعض الاقتصاديين بأن العمل على نمو الدخل الفردي بواسطة الابطاء في زيادة عدد السكان يعطي نتائج اقتصادية افضل مما لو بنيت مشاريع القاعدة الاقتصادية افضل في ظل هذا النمو المتزايد في عددالسكان ويتم العمل على ابطاء النمو السكاني وذلك بواسطة تنظيم النسل وتحديده وغيره من الاجراءات التي تؤدي إلى ابطاء النمو السكاني .

ثالثاً : الاستثمار في رأس المال المادي

اعتقد كثير من الاقتصاديين ومسؤولي التنمية في الدول النامية والمتقدمة بأنه لو توفرت كميات كبيرة من رأس المال فإنها ستكون كافية لوحدها لتشجيع التنمية الاقتصادية فزيادة الدخل الفردي الحقيقي تأتي من توسع رأس المال وليست عن طريق الزيادة في القوى العاملة او التطور الفني ونظراً لأن اغلبية الدول النامية تعاني من عجز في رأس المال ففي مثل هذه الدول تكون مرتفعة بينما الانتاجية الجدية للعمل تكون منخفضة او قريبة من الصفر ، وبالتالي فإن الزيادة في رأس المال تبدو هي الحل الأفضل لزيادة الدخل الفردي الحقيقي في الدول النامية .

رابعاً : الاستثمار في رأس المال البشري

ان الاستثمار في رأس المال المادي غير كاف للتعجيل بالتنمية الاقتصادية بل لابد ان يصحبه استثمار في رأس المال البشري وذلك حتى يمكن زيادة انتاجية العمل وبالتالي الاسراع بالتنمية الحضارية ونوعية العنصر البشري تقاس بالمهارة التي يكسبها الفرد عن طريق التعليم والتدريس والاهتمام بالمستوى الصحي ولعل نوعية العمل اهم من الكمية .

ومما لاشك فيه ان القوى العاملة في الدول المتقدمة اقتصادياً ذات مستوى مرتفع وكذلك تتمتع بمهارة عالية مقارنة بالدول النامية .

وبالتالي فإنه يجب ان يبقى الاهتمام في الدول النامية بالقوى العاملة وتدريبها جيداً حتى يمكن لها اكتساب المهارة العالية .

فيجب الاهتمام في الدول النامية بالتدريب الفني الاساسي فمعظم الدول النامية تعاني من نقص في هذا المجال فمثل هذه الدول تحتاج إلى المدارس الفنية وليس التعليم الاكاديمي .

فيجب ان يكون التعليم الاعدادي والثانوي موجهاً إلى التعليم الفني وخصوصاً في مجالات الزراعة والصناعة أي يجب ان تكون هناك حصص للتدريب على الزراعة والصناعة .

وإذا مااخذت هذه الدول الاستثمار في رأس المال البشري وذلك بالتركيز على التعليم الفني وتنمية القوى البشرية ذات المهارة المتوسطة حتى بالتدريس داخل الوظيفة .. فإن هذا يؤدي إلى زيادة الانتاجية وبالتالي الاسراع بالتنمية في هذه الدول .

خاتمة

وهكذا وفي نهاية هذه الورقة البحثية تعرفنا على مفهوم التنمية الاقتصادية ومعنى ومدلول الدول النامية والسبل التي نستطيع بها السير بهذه الدول من التخلف الاقتصادي إلى التنمية والتقدم الاقتصادي .

وتعرضنا من خلال هذه الورقة إلى المشاكل التي تعترض التنمية وامكانية التغلب عليها ونأمل أن يكون هذا البحث الموجز قدم شيئًا لفائدة الانسانية وان يتوالى ببحوث معمقة من اجل خدمة الانسانية جمعاء وبالله التوفيق اولاً وأخيراً .

قائمة المراجع

1 ـ د . الطبولي ، ابو القاسم عمر ، اساسيات الاقتصاد .
2 ـ د . عبدالسلام ، علي عطية ، اساسيات الاقتصاد .
3 ـ د . شرننة ، فرحات صالح ، اساسيات الاقتصاد .

قضايا ومحاور

التواصل العربي الافريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في ادامته

د. ظاهر جاسم محمد
كلية الآداب / زوارة

يهدف البحث الى متابعة مراحل التواصل العربي الافريقي وانعكاساتها الحضارية لوجود الروابط التاريخية والجغرافية والحدود المشتركة والتعايش والتمازج بين سكان المنطقتين اضافة الى ذلك وجود المعاناة المشتركة بسبب التسلط الاستعماري الاوروبي مما اذى الى استنزاف الكتلتين اقتصاديا سواء كان منها الموارد البشرية او الموارد الطبيعية

وكان لابد ان يدور الحديث عن التواصل العربي الافريقي وليس العلاقات او الروابط العربية الافريقية لان مدلول كلمة روابط او علاقات لاتفي بمعناها الحقيق الموضوعي لتلك الروابط الافريقية العربية العميقة الجذور فكان الاولى تستبدل بهما كلمة تواصل لما تحمله من مضمون اوفى في تصوير الواقع

وقد قسم الموضوع الى المراحل التالية. مرحلة التواصل قبل الاسلام ومرحلة التواصل تحت راية الاسلام ومن ثم مرحلة التواصل خلال فترة الغزو الاوروبي للقارة الافريقية.

مرحلة التواصل العربي - الافريقي قبل ظهور الإسلام :

لاتختلف معظم المصادر التاريخية حول العمق التاريخي لمراحل التواصل العربي الافريقي لاسيما بعد التنقيبات الاثرية التي اخذت تتقدم كثيرا في العديد من البلدان الافريقية وبالذات في بلاد افريقيا ماوراء الصحراء

لابد من مناقشة اهم عوامل الربط بين الشعوب عموما وبحثها وفي المقدمة منها عاملي الجغرافية والتاريخ بما لهما من ضرورات لاغنى عنها والمعنى بالعامل الجغرافي هو عامل التجاور الذي كان له الدور الواضح في خلق تداخل وتلاحم وثيق بين شعوب العالم اجمع ومنها العالمين العربي والافريقي لاسيما في الاجزاء الشمالية والشرقية من القارة الافريقية فإن الذي يلقي نظرة على خريطة العالم السياسية سيتبين له ان البلاد العربية والبلاد الافريقية تكونان معا كتلة استراتيجية و حدة يحدها شرقا جبال زاجروس والخليج العربي وشمالا جبال طوروس والبحر المتوسط وغربا المحيط الاطلسي وعلى الرغم من وجود الفاصل الانكساري الذي بموجبه تكون البحر الاحمر كفاصل بين اليابسة في اسيا وافريقيا استمر التواصل بين الطرفين العربي والافريقي والتي اصبحت تمثل العنصر العربي والافريقي في آن واحد ومن دون حدوث تنافر بين المقومات العربية والافريقية المنصهرة في حياة

شعوبها ويرجع ذلك الى كون العروبة والافريقية تشكلان رابطة حضارية وسياسية وليست عنصرية او عرقية لهذا فإنه من الواضح لدينا ان كلا من العروبة والافريقية تضم في ثناياها شعوبا مختلفة من حيث العنصر والعرق .(1)

اما العامل التاريخي لمراحل التواصل فهو عامل الزمن والذي يعود لعدة الاف من السنين وهذا ماعكس الصلة بين العرب والافارقة في التشابه العرقي واللغوي والثقافي (2). فالمصادر التاريخية تشير الى ان الفينيقيين في القرن الخامس قبل الميلاد قد أسسوا مستعمرات تجارية على الساحل الغربي لافريقيا وهم الذين وصفهم « هيرودوت » بأصحاب التجارة الخرساء او التجارة الصامتة مع الافارقة (3). والذي يدعم وجود اسلوب التجارة الخرساء واستمرارها هو ماجاء وصف دقيق لها في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (4). وشاهدنا على ذلك هو ماجاء في الرحلة المعروفة برحلة حنون وهي ذلك التراث الفريد الذي نستقي منه معلوماتنا عن حضارة قرطاجة وعلى الرغم من عدم وصول النص الاصلي الا ان النسخة المترجمة باليونانية قد تمكنت من سد الفراغ حيث كان هدف الرحلة التي قام بها حنون على الشواطئ الافريقي لغرض مد السيطرة القرطاجية (5).

اما بالنسبة للساحل الشرقي فالصلة هي الاخرى قديمة وعريقة وتعود ايضا الى ماقبل التاريخ الميلادي فلابد من الاشارة الى علاقة شعوب بلاد وادي الرافدين بالسواحل الشرقية لافريقيا اذ يشير الاثريون الى العثور على نقوش سومرية وبابلية ترجع الى عهد سرجون الاكدي الذي حكم بلاد وادي الرافدين من عام 2350– 2284 ق.م (6).

ولايمكن لنا ان نغفل الاثار المصرية القديمة التي تحمل العديد من اخبار القوافل التجارية مع اواسط وشرق افريقيا وبصورة خاصة في عهد الاسرة الخامسة (2750–2625ق.م) ومنها في عهد الملك ساحو رع هو أول ملك اثبتت اثاره انه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال (7).

وتعدت العلاقات بين الطرفين انذاك البلدان الواقعة على حوض النيل الى الصومال وشرق افريقيا وغربها ولم يكن هذا غريبا لان مصر تعد من المنافذ الرئيسية للهجرات العربية الى القارة الافريقية (8).

ويبدو ان عراقة الصلة بين العرب والافارقة قد انعكست على التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب التي تتكلم اللغة الحامية او الكوشية والشعوب الناطقة باللغات السامية العربية والامهرية والتقري وتنتشر المجموعات الناطقة باللغات الحامية على الساحل الشرقي والشمالي لافريقيا وتتكون من الصومال والعفار وجزء من الاريتريين والبجة والنوبيين والبربر 9 وان هذا التشابه والصلات تدل من دون ادنى شك على عمق التبادل الثقافي بين المجموعتين ، ممد دفع بعض الباحثين الى التنبؤ بأن تكون المجموعتان من اصل واحد او عاشتا في موضع واحد فلو صح هذا التنبؤ فذلك يعني من الجانب الاخر صحة مدى ماذهب اليه هؤلاء الباحثون بانشقاق الارض وظهور البحر الاحمر

ويعتقد المختصون انه بسبب الجوار الجغرافي ومايولده من احتكاك تجاري وثقافي بين شعوب المنطقتين المتجاورتين اي موقع الجزيرة العربية المقابل لشرق وشمال شرق افريقيا والذي لايفصل بينهما الا البحر الاحمر حدثت هجرات عربية نحو قارة افريقيا وبالعكس على الارجح قبل القرن الرابع قبل الميلاد 10. عن طريق شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس شمالا ، وعن طريق باب المندب جنوبا لاسيما وان ..(اليمن كانت الى فترة جيولوجية غير بعيدة متصلة بأفريقيا حين كان البحر الاحمر بحيرة داخلية كبيرة ..11. وان مبررات تلك الهجرات تعود الى حالات الجفاف والقحط التي مست الجزيرة العربية لعصور متتالية فبحثا عن متطلبات العيش انتقلت عدة قبائل عربية الى الارض الافريقية لتستقر هناك12. فضلا عن رحلات قوافل التبادل التجاري والتي كانت مزدهرة وان اقدم اشارة خطية اشارت الى صلة العرب بتلك المنطقة هو ماجاء في كتاب تاجر يوناني من الاسكندرية في اواخر القرن الاول الميلادي باسم **Erythraerei – periblus maris** الدليل الملاحي للبحر

الاريتري ليكون دليلا للتجار في المنطقة - اشار فيه الى مدن عدة مثل مدينة ربطة التي حكمها حاكم عربي ينتسب الى قبيلة معافر اليمنية ويخضع بنفس الوقت الى مدينة مخا في اليمن وتحدث فيه عن تزاوج العرب من الافريقيات وعن العلاقات التي كانت قائمة بين سكان الجزيرة العربية وشرق افريقيا والسفن التي كانت تأتي من الجزيرة العربية محملة بالخناجر والرماح والزجاج وتعود اليها محملة بالعاج وقرن الخرتيت والجلود والرقيق **13**. وانه مثلما كانت سواحل شرق افريقيا مراكز تجمع للهجرات العربية منذ العصور القديمة كانت مصر البوابة الشمالية التي يدخل منها العرب الى شمال القارة .

ويعد وقوع اليمن تحت حكم الاحباش في القرنين الرابع والسادس الميلادين سببا في التروح الافريقي الى الجزيرة العربية ويؤخذ به مثالاً للتواصل بالاتجاه المعاكس وعلى الرغم من ارتباط ذلك بعوامل تجارية وعسكرية فلازالت آثار هذا التواصل موجودة الى الان **14**. فضلا عما دونه الاصفهاني وابن خلدون في كتابيهما من اخبار حول استقرار العرب في الحبشة والاحباش في الحجاز لمزاولة التجارة حيث كانت ارض الحبشة لقريش متجرا ووجها **15**. وكانوا يتعاهدونها بالتجارة فيحمدونها **16**

وكذلك تشير المصادر الى ان بعض القبائل العربية قد هاجرت من اليمن الى شرق افريقيا عن طريق باب المندب ولم تكن هذه الهجرات الى الساحل الشرقي فحسب بل كانت تمثل مجالات للاحتكاك الاول حيث امتدت العلاقات الى الداخل من خلال موجات المهاجرين التي استمرت تتحرك باتجاه الغرب الافريقي حتى استقرت في بلاد اليوروبا غربي نيجريا ونفذت جنوبا عن طريق بحر العرب والمحيط الهندي الى جزيرة زنجبار وسواحل كينيا وتنجانقيا وتوغلت الى جبال القمر وهضبة البحيرات ثم الى خط تقسيم المياه بين نهري النيل والكونغو **17**.

يتضح مما تقدم ان مرحلة التواصل الاولى قديمة وتمتد الى الاف السنين متأثرة بعوامل عديدة منها عوامل الجوار والاقتصاد والثقافة وهي التي كونت الاسس المتينة لمرحلة التواصل بين العرب والافارقة مع بلاد ماوراء الصحراء في العصور اللاحقة .

مرحلة التواصل تحت راية الإسلام

يعد ظهور الاسلام في العقد الثاني من القرن السابع الميلادي بداية مرحلة جديدة في تاريخ التواصل العربي الافريقي فهناك اراء متعددة حول تاريخ دخول الاسلام الى افريقيا مبكرا فمنهم من يعد هجرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحبشة **18** . في بداية الدعوة اول اتصال مباشر وتأسيس اول خلية للاسلام بافريقيا ومنهم من يرى ان سواحل افريقيا الشرقية تأثرت بالدين الاسلامي في الوقت نفسه الذي بدأ الاسلام يرسي كيانه في الجزيرة العربية وذلك بسبب القرب الشديد بين شرق افريقيا وبلاد العرب **19** ويشير البروفيسور رجي الى ان شرق افريقيا قد تأثر بالاسلام منذ القرن السابع الميلادي (الاول الهجري) وان المسلمين قد بنوا ميناء مقديشو وغيره من المواني على الساحل الصومالي بعد الهجرة عام **622** م مباشرة **20**. يؤيد هذا ما ذكره الدكتور امين الطيي في وثيقة مكتشفة حديثا (كتاب الزنوج) لمؤلف مجهول عن حدوث هجرات عربية عديدةوقيام مستوطنات قديمة وعن دخول الاسلام الى شرق افريقيا في زمن الخليفة عمر بن الخطاب فضلا عن ظهور امارات عربية زمن الدولة العباسية **21**.

مهما يكن الامر بعد دخول الاسلام الى الشمال الافريقي تعاقبت هجرة القبائل العربية الى المنطقة واظهر العرب ان هناك خصائص فريدة في التأثير على المجاميع التي سكنت معها وبرز عدد من القادة المسلمين كان لهم الدور الكبير في نشر الدين الاسلامي في افريقيا فأسهموا في ترسيخ

اسس العقيدة الاسلامية حتى بدأ مواطنون افارقة يدعون الى الاسلام بين مواطنيهم في حركة سليمة .

على الرغم من عامل الجوار والعامل التجاري لهجرة القبائل العربية الى افريقيا وماترتب عليها من علاقات تجارية وتلاقح اجتماعي كانت الصراعات القبلية والسياسية التي قادها الامويون والعباسيون ضد معارضيهم سببا مهما في هجرة مجموعات اخرى كبيرة من القبائل العربية الى القارة الافريقية عن طريق باب المندب ومن ثم الانتشار في الساحل الشرقي منها 22 وكان لاستقرار هذه الهجرات في مناطق مختلفة من الساحل سبب رئيسي في ظهور عدد من الامارات العربية على الساحل وبصورة خاصة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين في كلوه وممبسه ومقديشو في جزيرة زنجبار 23.

ولايفوتنا التنويه الى ان الجغرافيين العرب في العصور الوسطى هم اول من اطلق اسم ساحل الزنج على ساحل افريقيا الشرقي وبالذات المنطقة التي استقر بها العرب على الساحل الشرقي في مقديشو في الشمال الى مدينة سفالا في موزمبيق .

ونتيجة لهذه الهجرات ظهر مجتمع خليط اطلق عليه الامة السواحيلية والذي ضم العرق المحلي المكون من سكان يتحدثون بلغة البانتو مع العناصر القادمة من الساحل الشمالي لبحر العرب والمحيط الهندي وكان من بينهم العرب والفرس والهنود 24. وطغى هذا الاختلاط حتى شمل اللغة التي هي الاخرى سميت باللغة السواحيلية حيث اصبحت لغة المعاملات التجارية والرسمية على طول الساحل الشرقي وكانت تكتب بالابجدية العربية حتى منتصف القرن التاسع عشر .

وبسبب البعد الجغرافي عن مراكز الثقافة العربية استغرق دخول الاسلام الى افريقيا الغربية زمنا اطول وقد وجد عدد من الرحالة والمؤرخين العرب وغيرهم من امثال العمرى والادريسي وابن بطوطة وليون الافريقي حضارة اسلامية زاهرة في ممالك غانا ومالي وغيرها .

وقد احدث العرب تأثيرا جذريا وعميقا في انحاء مختلفة من القارة الافريقية منذ وصولهم اليها في القرن السابع الميلادي لاسيما انهم ادخلوا الى القارة الاسلام وفن العمارة العربية والثقافة الاسلامية وعموما زادت وشائج الاتصال العربي الافريقي منذ انبلاج الدعوة الاسلامية ليصبح الاسلام الركيزة الاساسية للثقافة العربية الافريقية .

لقد سلك العرب في نشر الدعوة الاسلامية في انحاء مختلفة من افريقيا الطرق نفسها التي سلكها اجدادهم من قبل في التجارة او الهجرة وان التطور الذي حصل في حياة العرب ادى الى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والافارقة فساعد ذلك على رواج مظاهر الثقافة العربية كاللغة التي اعطتها محتوى لغوياً وثقافياً في حين اعطاها الاسلام بعداً عقائدياً 25.

وبعد ان استقر العرب في الشمال الافريقي منذ القرن الثامن الميلادي اخذت القبائل العربية تنساب نحو الجنوب فوصلت الى الحدود النيجر والسنغال واختلطوا بالسكان واخذوا يقيمون الامارات العربية الاسلامية ولم تقف الصحراء الكبرى حاجزا لمنع قيام علاقات الترابط ومد جسور التلاقي بين سكان المغرب العربي وبلاد ماوراء الصحراء حيث مهدت هذه الجسور لاحقا لانتشار الاسلام في مناطق غرب افريقيا ووسطها وبالذات اثر سقوط مملكة غانا على ايدي المرابطين عام 1076 م فقامت ممالك افريقية وبلغت شأنا من الازدهار نتيجة لاعتناقها الاسلام وتأثرها بمظاهر الحضارة العربية 26.

ومن الممالك التي برزت في الغرب الافريقي ووسطه هي مملكة غانا ومملكة مالي وسنغاي والكانم والبورنو .. ألخ 27. لم تصل هذه الممالك الى التقدم والازدهار والمنعة الا بعد ان اصبح الاسلام عصب قوتها الروحية والمادية واصبحت اللغة العربية لغتها الرسمية . لاسيما وانها انتقلت من مجعتمعاتها القبيلة الى مجتمع الدولة المركزية وظهرت دولة جديدة امتزجت بها النظم العربية

الاسلامية مع التقاليد الافريقية الموروثة وقاد هذا الي بروز الشخصية الافريقية في اطارها الاسلامي من دون ذوبان الشخصية بل ذهب البعض الى القول انه بدخول الاسلام بدأ العصر التاريخي لافريقيا السوداء 28. وشواهدنا التاريخية على ذلك كثيرة في المالك الافريقية التي كانت قد أكدت حرصها على التشبه بالقوى الاسلامية المعاصرة من حيث نظم الحكم والقضاء والاستعنة بعلماء الدين وفقهائه والانتساب الى الاصول العربية بل مارس البعض منهم الجهاد في سبيل الاسلام واعمال الخير مثل محمدي سلطان كانم 29

وفي القرن العاشر الميلادي ظهرت العديد من المدن والمراكز في شرق افريقيا لاسيما عند مغادرة البحارة والتجار من عمان وصحار وساحل الخليج العربي عموما واستقروا في هذه المنطقة وكان من مرافقيهم المؤرخ المسعودي صاحب كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر والذي اورد في كتابه 30 وصفا عن المحيط الهندي والقرن الافريقي وبلاد الواق واق المشتهرة بالذهب والعاج

شهدت افريقيا تطورا كبيرا خلال المدة مابين القرن الحادي عشر وحتى القرن الرابع عشر فاستطاعت وبالتعاون مع العرب صنع حضارة عربية افريقية ومن تأسيس مدن وامارات ذات اشعاع فكري وثقافي استمدت اصولها من مراكز الاشعاع العربي في بغداد والحجاز والقاهرة وذلك بسبب الهجرات العديدة التي حدثت الى مناطق الساحل الشرقي الافريقي بعد الضعف الذي دب في صفوف الدولة العباسية وسيطرة الاقوام الاجنبية عليها لاسيما بعد الغزو المغولي لبغداد واسقاط الخلافة العباسية فيها حيث وصلت هذه المنطقة الى درجة كبيرة من الازدهار والترف والرفاهية 31

وطبيعي ان تنعكس حالات الانتعاش او التخلف التي كانت تعيشها البلاد العربية على الحالة التي عاشتها افريقيا ففي الوقت الذي سيطر العرب فيه على الملاحة في البحر الاحمر والمحيط الهندي كان له الاثر الكبير على انتعاش التجارة والثقافة وازدهارهما في افريقيا

وقد انتشر العنصر العربي في اواخر القرن الحادي عشر في المنطقة الممتدة بين دار فور وبحيرة تشاد وكانم وبورنو وواداي ،ويؤكد ديتربولم في كتابه الحضارات الافريقية مشيرا الى سكان هذه الملك قائلا ان هؤلاء قبائل عربية ومستعربة من واداي ودار فور وكردفان 32 ويطلق كلمة الشوا اي الرعاة الرحل لغرض تفريقهم عن الو سلي اي الجلابة او التجار غير المقيمين ويذكر ان ابرز بطون قبائل الشواهم الحساونه وجهينة والسلامات وخزام واولاد راشد والمسيرية 33

ويمكننا تقسيم مراحل توغل النفوذ العربي الاسلامي الى داخل مناطق بلاد ماوراء الصحراء الافريقية الكبرى الى المراحل التالية :

1/ المرحلة الاولى ويغلب عليها الاحتكاك السلمي والتي شكل التجار العرب دعامتها

2/ المرحلة الثانية التي غطى عليها الجهاد المرابطي الذي مد الوجود العربي الاسلامي المتنامي اقتصاديا وثقافيا دعما وسندا سياسيا .

3/ المرحلة الثالثة التي جمعت بين السلم والجهاد والتي تم اثناءها ترسيخ مفاهيم العقيدة الاسلامية وتعميقها بين المواطنين الافارقة وفي هذه المرحلة انتقلت الزعامة الدينية والسياسية والاقتصادية الى ابناء الوطن بعد ان تشبعوا بروح الاسلام وكان نتيجة ذلك قيام عدد من المالك الاسلامية التي مر ذكرها مثل مالي وسنغاي وامارات الهوسا في المدة المحصورة مابين القرن الثالث عشر والقرن السابع عشر الميلادي.

ومجمل القول فقد ارتبط دخول العرب الى القارة الافريقية بصورة عامة بأوضاع الدول التي كانت تحكم بالشمال الافريقي او الملك التي تأسست في شرق افريقيا وبسبب اختلاط العرب المسلمين وتزاوجهم بسكان قارة افريقيا من « القبط ، والنوبة ،والبربر ، والزنوج، والبانتو »

تولدت شعوب اسلامية مختلفة الاعراق والالوان استعرب بعضها بسبب اسلامها استعرابا تاما ، شوكلت جزءا لايتجزأ من الامة العربية الحديثة بينما استمرت اقوام اخرى محافظة على ثقافتها

القديمة فكان الاسلام ومازال من عوامل الترابط بين الشعوب العربية والافريقية دينيا وعرقيا وحضاريا 34.

ازدهار التواصل العربي الافريقي

ازدهرت العلاقات العربية الافريقية في جميع المجالات ففي المجال الاقتصادي ادى التجار العرب في بلاد المغرب دورا مهما في تمتين الصلات التجارية بين الملك الافريقية القائمة في غرب القارة ووسطها من ناحية وبين مناطق البحر الابيض المتوسط والبلدان الاوروبية من ناحية اخرى 35. وبنفس الدور قام التجار العرب في تمتين الصلات بين موانئ ساحل شرق افريقيا وبلاد الصين 36. هذا فضلا عن المناصب الادارية العليا التي شغلها هؤلاء التجار في القارة من اجل ادارة تلك الممالك وماتمتعوا به من امتيازات وضمانات كثيرة وعديدة 37.

اما في المجال الثقافي والاجتماعي فقد ازدهرت الممالك الاسلامية في وسط السودان وغرب افريقيا التي غلب عليها مظاهر الحضارة الاسلامية الافريقية والتي جمعت في نظمها الادارية نظما اسلامية وانماطا افريقية غلبت عليها الثقافة العربية وبتأثير الاسلام ساد التسامح في مجتمعاتها واصبحت اللغة العربية لغة العبادة والعلوم والتجارة والدبلوماسية 38، واصبح الحرف العربي هو الحرف المهيمن في كتابه اللغات الافريقية كلغة الهوسا واللغة الفولانية وكثيرا ماتأثر سلاطينهم بالخلفاء والولاة المسلمين فكانوا يخرجون في مواكب جامعة لاداء فريضة الحج كما شجعوا على تبادل المؤلفات والبعثات العلمية مع مدارس فاس ومكة والقاهرة 39. ومن أمثلة ذلك ازدياد عدد طلبة العلم من غرب افريقيا الوافدين الى مصر حتي اصبح لهم رواق خاص باسمهم هو رواق التكرور وذاع صيت عدد من العلماء الذين احتلوا مكانة مرموقة عند سلاطين السودان 40. هذا فضلا عن ظهور عدد من المراكز الثقافية مثل جني وكانم وتمبكتو 41، التي ربما بشئ من المبالغة قال عنها السعدي انها مادنستها عبادة الاوثان وماسجد على ارضها قط لغير الرحمن فاصبحت هذه المراكز موطنا لطلاب العلم الوافدين اليها وقبلة للعلماء القادمين من مراكز الثقافة العربية الاسلامية من المغاربة والاندلسيين والمصريين والحجازيين حضروا للتدريس فيها اضافة الى طلاب العلم من السودان والسنغال والنيجر وامارات الهوسا وبورنو وكانم ودار فور 42.

ومن المظاهر الاخرى للتواصل مع جنوب الصحراء ازدهار طرق القوافل التجارية التي كانت هي الاخرى وسيلة فعالة في نقل الثقافة العربية الاسلامية من طرابلس وتونس وتلمسان ومراكش الى مدن تمبكتو والكانم وبورنو وامارات الهوسا وغيرها من المراكز التجارية 43 التي اشتهرت اسواقها بالبضائع التي كانت تأتيها من الشمال الافريقي مثل الحرير والسروج والنحاس والملح والبضائع الافريقية كالذهب والعاج والجلود ومن الطرق التجارية الرئيسة التي تمر عبر الصحراء وتربط بين شمالها وجنوبها هي :-

1/ طريق سجلماسة - ولاته ومنه الى السنغال واعالي نهر النيجر

2/ طريق غدامس -بلاد الهوسا عن طريق غات واهير

3/ طريق طرابلس - بورنو ونهر تشاد مارا بفزان وكوار

4/ طريق برقة - واداي عن طريق الكفرة 44

وعلى الرغم من هذا التحديد للطرق الا ان هذا لاينفي وجود طرق صحراوية اخرى لم يظهر لها تسجيل في المصادر التاريخية والجغرافية 45

والنقطة الهامة التي يجب الانتباه اليها وهو وجود الصحراء الافريقية الكبرى والتي حاول الاوروبيون ان يجعلوا منها حاجزا مانعا للفصل بين شمال القارة وجنوبها وفي الحقيقة وان كانت الصحراء قاحلة منذ مدة لم تكن بعيدة الا انها لم تكن حاجزاً بين هذه الشعوب فضلا عن ان هذه

الصحراء لم تكن خالية من السكان حيث تقطن شعوب متعددة فيها تعيش حياة البداوة والترحال وهم سادة الصحراء وادلائها ويقيمون علاقات وطيدة مع سكان المدن في شمال الصحراء وجنوبها **46**. وظلت هذه الصحراء من القرن الحادي عشر حتى القرن الخامس عشر منطقة عبور جيدة لهذه الشعوب وخير من وصف لنا رحلة الصحراء الرحالة العربي ابن بطوطة الذي قال وهو يصف رحلته وعند وصولنا الى سجلماسة ملتقي جميع من ينطلق من الغرب الاقصى نحو الجنوب واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر **47** واما القافلة فكانت توضع تحت امرة قائد كما هو ربان السفينة وعند انطلاق القافلة فلايحق لاحد التأخر او التقدم خشية من فقدان الطريق وقبل ان تصل القافلة الى المدينة المعينة بعشرة ايام ترسل مبعوثها الى المدينة المقصودة فيحمل الرسائل الى اصحابها ليكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء على مسيرة اربع **48** ويشير ابن بطوطة ايضا الى الاجراءات الجمركية التي تخضع لها القوافل . وهذا كله مدعاة لزيادة اهمية المراعي الكبرى المخصصة لعلف الجمال وتربيتها ومثار للتراع عليها بين القبائل ايضا وعلى الرغم من ايجابيات الصحراء الكبرى الا انها لا تخلو من المخاطر التي كانت على القوافل التجارية ان تواجهها فهناك المساحة الرملية الشاسعة رغم وجود واحات ووديان صالحة للرعي الا انها لاتخلوا ايضا من مناطق جبلية وكثبان رملية عالية ثابتة ومتحركة وهضاب قد عرت عوامل التعرية صخورها هذا فضلا عن لعطش وما يسببه من تشقق في الجلد .

دور ليبيا في ازدهار تجارة الصحراء

ليبيا بحكم موقعها الجغرافي قامت بانعاش التجارة بين المناطق الافريقية باتجاه الشرق والغرب والوسط وجزر البحر الابيض المتوسط وعموما مثلت مراكز التجمع في الاراضي الليبية من مواني وواحات الصحراء محطات تجمع للقوافل التجارية المتحركة بين مناطق المغرب العربي والبلاد الافريقية لتبادل البضائع **49**

ونجد كذلك ان تجار طرابلس وغدامس واوجله وفزان وجبل نفوسه **50** قد احتفظوا لانفسهم بمكانة مرموقة في تمبكتو نتيجة للدور التجاري الذي قاموا به لاسيما وان الجالية الغدامسية كانت تتمتع بنفوذ كبير فيها حتى اصبح لها حي خاص بهذه المدينة . ويمكن ان نسوق مثلا اخر على عمق الصلات التجارية : ففي جبل نفوسة المرتبط بتجارة بلاد ماوراء الصحراء التي كانت تنطلق من طرابلس نحو المراكز التجارية الافريقية عبر مدينة جادو يذكر لنا البكري ان سكانها يجيدون التحدث باللغة الكانمية الى جانب اللغة العربية وان الذي دعم هذا الدليل هو وجود جماعات افريقية من كانم مستقرة في اجناون الواقعة اسفل مدينة جادو على ممر القوافل القادمة من غرب افريقيا ووسطها **51**

وكما هو واضح قدم العلاقات الليبية الافريقية بمختلف الجوانب الحياتية السياسية والاقتصادية والاجتماعية وان قوة هذا وقدمه يعود لاحد الاسباب الرئيسية هو عامل الترابط الجغرافي الليبي الافريقي والذي جعل من ليبيا الواجهة الرئيسية المتقدمة باتجاه اوروبا وان هذه العلاقات شهدت تطورا كبيرا في مختلف النواحي بعد قيام ثورة الفاتح من سبتمبر **1969** ادراكا للبعد الاستراتيجي الذي تشكله القارة الافريقية فكان اهتمام الثورة بالتوجه نحو افريقيا قد اسهم في تحريك العلاقات التي لم تنقطع في جميع مراحل التواصل والتعاون العربي الافريقي بفضل انتشار الاسلام وفي هذا الجانب تميز الاهتمام ببناء المراكز الاسلامية والمدارس القرآنية لنشر تعاليم الشريعة الاسلامية مع التركيز على المناطق التي في القارة مهددة بالتبشير المسيحي ومن الاسهامات البارزة هو العمل على تأسيس هيئة اسلامية للقيام بمهمة توفير الدعاة والمدرسين فضلا عن الاعمال الخيرية الاخرى لنشر الاسلام الا وهي جمعية الدعوة الاسلامية العالمية بقرار رقم **58**لسنة **1972** ف **52**

وقد اثمرت جهود ليبيا في ازدياد حركة انتشار الاسلام في القارة الافريقية لاسيما ان عدد الداخلين في الدين الاسلامي على يد دعاة جمعية الدعوة الاسلامية قد بلغ ستمائة وسبعون شخصا للمدة من عام 1972–1977 . فضلا عن اعلان اسلام رئيسي دولتي الغابون (السيد بونجو) وافريقيا الوسطى (السيد جان بوكاسا) مما يعيد للاذهان مرحلة اشهار ملوك افريقيا الغربية اسلامهم مثل منسى موسى والاسيكا محمد وتحول هذه المنطقة الى مركز حضاري تشع منه الثقافة العربية والاسلامية 53.

والنقطة الهامة التى يجب الاشارة اليها هو ان العرب الاوائل من التجار والبدو المهاجرين باعداد كبيرة لم يدخلوا الى القارة كدعاة متفرغين للدعوة الاسلامية فحسب بل صاحب ذلك نشر اللغة والثقافة العربية الاسلامية لذا وجدت قبل التسلط الاوروبي الاستعماري على ماوراء الصحراء الكبرى اللغة العربية قد فرضت نفسها فأصبحت لغة العبادة والثقافة في هذه البلاد فضلا عن كونها لغة التجارة والمكاتبات الرسمية فهي اذن معلم من معالم التواصل العربي الافريقي في هذه المرحلة من التاريخ قبل ان يصلها المستعمر الاوروبي .

مرحلة التواصل اثناء الغزو الاوروبي للقارة

منذ القرن الخامس عشر دخلت القارة الافريقية عهدا تاريخيا جديدا لم تشهده من قبل هو مقدم الاوروبيين اليها ونعنى بهم البرتغاليين واحتلالهم لسبته بالمغرب الاقصى في 14 من اغسطس عام 1415 م .

ويعد تاريخ هذا الاحتلال مؤشرا لبدء مرحلة هامة في العلاقات الدولية بالنسبة للتاريخ الاوروبي والعالم ودور البرتغاليين المرتبط بالنجاح في الدوران حول القارة فبعد وصولهم الى المحيط الهندي سعوا الى ان يحلوا محل التجار العرب الذين ربطوا شرق افريقيا بالهند وبقية اسيا .

ومعلوم ان البرتغاليين في البداية تمكنوا من السيطرة على نقط محددة في الساحل الغربي والشرقي لافريقيا . ولكن وصولهم الى القارة اولا والى مصدر الذهب ثانيا والموقع الاستراتيجي على طريق التجارة البحرية ثالثا ادى الى اشعال نار التنافس بينهم وبين الدول الاوروبية حول السيطرة على القارة وان لم يكن هذا هو موضوعنا الرئيس الا ان القارة كانت قد مرت بمراحل سيطرة استعمارية متعددة وهي :

1/ مرحلة اقامة النقط لاغراض التجارة الجزرية منها والساحلية
2/ مرحلة الكشف الجغرافي
3/ مرحلة الاستنزاف العنيف لموارد القارة البشرية والمادية 45 .

اما بالنسبة للعلاقات التي هي موضوعنا في هذه الفترة فقد ضعف التفوق التجاري العربي والنفوذ الاسلامي بسبب السيطرة البرتغالية على طرق التجارة العالمية والطرق البحرية المؤدية الى الشرق ومصادر التجارة الشرقية فانعكس هذا بدوره على خطوط التواصل بين العرب والافارقة ومن جراء ذلك تمكن عرب الساحل الشرقي وبمساعدة سلطنة عمان في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي من مهاجمة البرتغاليين والتخلص منهم والسيطرة ثانية علي كل الساحل لكنهم لم يستطيعوا اعادة مجدهم لكثرة الطامعين في السلطان وايضا لخلافات الامراء فيما بينهم 55 .

تزامن التوسع العماني مع السيطرة البريطانية على المحيط الهندي وحين شعرت عمان بمنافستها التجارية غير المتكافئة مع بريطانيا اضطرت الى التخلى التدريجي عن نفوذها التجاري في الخليج العربي والتركيز على الساحل الافريقي وقد تأثر نفوذ السلطنة الزنجبارية ايضا في

الساحل وذلك بسبب التدخل الالماني في المنطقة من جهة وعقد الاتفاقيات الثنائية الالمانية البريطانية لاقتسام النفوذ في هذه المنطقة من جهة اخرى فكان هذا سببا في تقلص نفوذ سلطان عمان على الساحل وجزيرة زنجبار وتوابعها في الداخل **56**.

وعلى الرغم من ذلك فقد بدأت منذ القرن التاسع عشر الميلادي المؤثرات العربية الاسلامية تنفذ من الساحل الشرقي للقارة الى منطقة البحيرات الاستوائية في تنجانقيا واوغندا ورواندا وبورندي والكونغو وهدف هذا النفوذ هو الحصول على العاج والرقيق وكان عماد هذه التجارة سلطان زنجبار السلطان سعيد **1806–1856** والتجار العرب والسواحيليين والهنود . ورافق هذا التوسع انشاء مراكز تجارية الهدف منها هو فرض سيطرة سياسية على بعض المناطق من اجل حماية امتيازاتهم التجارية في المناطق التي وصلوا اليها لاسيما حوض الكونغو واوجيجي على شواطئ بحيرة تنجانيقيا **57**.

ومن ابرز التجار القادمين من زنجبار والذين شاركوا في توسيع النفوذ العربي وتكوين دولة عربية في اعالي الكونغو هو حامد بن جمعة المرجيي المعروف (بتبوتيب) وخليفته ابنه سيفو الذي اتخذ من كاسنجو عاصمة له حيث تمكن المر جيي من فرض سيطرته على كل المنطقة الواقعة جنوب بحيرة تنجانيقيا وتمكن من ضم مناطق واسعة من روافد نهر الكونغو وكان ذلك في عام **1870** حيث اصبح يتمتع بسلطات سياسية واسعة لاسيما وانه اخذ يفرض الضرائب ويعين الحكام ويحل مشاكل المواطنين لكن نفوذه لم يستمر طويلا وذلك لمنافسة البريطانيين والبلجيك له فقد انهى مؤتمر برلين المنعقد عام (**1884–1885**) التنافس بين الدولتين المذكورتين معترفا بسيطرة بلجيكا على هذه البلاد وبذلك اقرت الحكومة البلجيكية سيفو على ادارة الاقليم ، مع استمرار ارتباط علاقته مع زنجبار لتبادل المصالح لكن الحكومة البلجيكية قضت على هذه الادارة في عام **1894 58**. وبذلك قضت على آمال العرب في انشاء سلطنة عربية في المنطقة تشابه سلطنه زنجبار .

ومما يدلل على قوة التأثير العربي وبالذات اللغة العربية هو ماجاء في مقال الكونت جاك دي ليشتر فيلد **japues de Lichtervelde** الصادر عام **1912** حيث افصح فيه قائلا ان « الاستراتيجية التي تسمح للسكان المحليين بدرجة محدودة من الالمام بالفرنسية والتي ترى افضلية ذلك على المام غير محدود باللغة السواحيلية فالخيار الاخير سيقدم للسكان المحليين روابط متعددة جدا مع العرب في الشمال وهو شئ قد يكون خطيرا **59**

على الرغم من التوغل والهيمنة الاستعمارية في هذه المنطقة لكننا نتلمس بوضوح الوجود العربي وانتشار الاسلام في كينيا واواندا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بفضل التجار من زنجبار والسودان **60**

ونتيجة للسيطرة البرتغالية على سواحل القارة فقد انتقل خط التجارة الرئيسي من حوض البحر الابيض المتوسط الى البرتغال اولا ثم الى باقي اقطار غرب اوروبا ثانيا . وانتقلت اثار هذا التحول الى اواسط بلاد السودان وغربي افريقيا يحث انتقل جزء كبير من تجار تلك المنطقة تدريجيا من مراكزه المنتشرة على اطراف الصحراء الى المناطق الساحلية في الجنوب والجنوب الغربي التي يسيطر عليها الاوروبيون ومن جراء ذلك انخفض مستوي العلاقات التجارية عبر الصحراء بين العرب والافارقة وان لم تصل الى الصفر نهائيا ولكن ظل مستوى العلاقات الثقافية والدينية كماهو حتى مطلع القرن العشرين **61** .

واخيرا لابد من القول ان الدول الاستعمارية طيلة فترة استعمارها للقارة استخدمت القوة والعلم والتبشير الديني لتحريف التاريخ في سبيل تشويه الروابط التاريخية الايجابية بين العرب والافارقة ومنه اشاعة الاباطيل التاريخية بان العرب هم تجار الرقيق الوحيدون في العالم وان صلتهم بافريقيا هي صلة استرقاق من دون الاشارة من بعيد او قريب الى النشاط الفكري والتراث الحضاري الذي

تكون على الارض الافريقية بسبب الاحتكاك بين الجنسين والي مساهمة العلماء الافارقة في الحضارة الاسلامية العربية . ومن اجل تأمين الهيمنة الكاملة عملت الدول الاستعمارية على فرض لغتها وثقافتها على الافارقة جميعا مع وضع عدد من الاجراءات الادارية للحد من حركة التجار العرب في القارة كل في بلده

وقبل ان نختم بحثنا لابد من الاشارة الى ان هناك محاولات عديدة يقودها مؤرخون ومفكرون غربيون وبلاتبريرات منطقية وجلها تصب في محاولات ترسيخ فكرة الفصل بين شمال القارة الافريقية وجنوبها بل وابعادها عن الاتصال بالمحيط العربي من خلال استعمال العديد من المصطلحات مثل افريقيا جنوب الصحراء وافريقيا شمال الصحراء وعند الغوص في هذه المصطلحات لغرض معرفة مبررات وحدود هذه التسميات سيتبين لنا عدم اتفاق مطلقيها على دقة حدود تسمياتهم لها وعدم وجود مبرر منطقي ايضا وسنجد مبررها الرئيسي يدور حول العمل على تفتيت وحدة قارة افريقيا العضوية وللتفريق بين العرب والافارقة تارة على اساس (مسلم / غيرمسلم) وتارة على اسس عرقية (زنوج/عرب) (زنوج /قوقازيين) (ابيض / اسود) (افارقة / عرب) وبكل تأكيد فإن هذه المصطلحات لابد وان تفعل فعلها النفسي مع ارتفاع نسبة الامية في كلا الطرفين وبالذات الجانب الافريقي والتي اخذت تظهر في كتابات البعض منهم .

الخاتمة

وفي الختام نخلص الى ان الوسائل المهمة التي ارتكزت عليهما جذور التواصل العربي الافريقي هما العلاقات التجارية والمؤثرات الحضارية اما بالنسبة لفترة بزوغ الاسلام فقد تزايدت العلاقات عمقا بواسطة المؤثرات الحضارية كانتشار اللغة العربية والدين الاسلامي الحنيف في المنطقة التي اطلقنا عليها افريقيا ماوراء الصحراء .

اما فترة الاستعمار الاوروبي الحديث للقارة فقد ترك اثارا سلبية على التواصل العربي الافريقي وذلك بسبب الضعف والانحلال الذي اصاب الدولة العربية من ناحية والدور الذي لعبه الاستعمار في اضعاف الروابط بين الشعبين العربي والافريقي خدمة لمصالحة الخاصة كالهيمنة الكاملة على الطرق البحرية للتجارة العالمية واستخدام اللغات الاوروبية محل اللغة العربية او الافريقية المحلية بحجة الحفاظ على العرف والتقاليد .. الخ من ناحية اخرى

وبسبب تحديات العصر تصبح دعوة تمتين التواصل بين العرب والافارقة بعد ان تعرفنا على مراحله عن طريق الحوار الايجابي اكثر الحاحا وجدية وذلك لضرورات العصر الذي نعيش فيه عصر التكتلات الاقليمية وبهذه المناسبة فلابد لنا نحن المؤرخين ان نبحث عن الحقيقة من الاشادة بالدور التاريخي والريادي الذي يقوم به الاخ معمر القذافي قائد الثورة الليبية في ادامة هذا التواصل .

هوامش البحث

1- مدثر عبد الرحيم الطيب ، التعاون العربي الافريقي ، العرب والنظام الاقتصادي الجديد دار المشرق والمغرب بيروت 1983، ص 106

2- يوسف فضل حسن دراسات في تاريخ السودان وافريقيا وبلاد العرب دار جامعة الخرطوم للنشر الخرطوم ،1989 ج2ص147

3- جوزيف - كي - زيربو ، تاريخ افريقيا السوداء (ترجمة) يوسف شلب الشام منشورات وزارة الثقافة دمشق 1994 القسم الاول ص 135

4-ياقوت الحموي كتاب معجم البلدان طهران 1965 م1.ص821-822

5- أ. غوتييه ، ماضي شمال افريقيا (ترجمة) هاشم الحسيني الفرجاني طرابلس ، ليبيا 1970 ص30

6- صالح حامد احمد مطر .. تطور العلاقات الافريقية العربية في العصور القديمة الوسطى الحديثة مجلة الدراسات الافريقية العدد :4السنة 4 ديسمبر 1991 ص41

7- جيمس هنري بستد تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ،(ترجمة) حسن كمال ، مكتبة مدبولي القاهرة ط2 1996 ص83 عبد المنعم ابو بكر مصر الفرعونية تاريخ افريقيا العام م 2 (اليونسكو) ، 1985ص84

8- انظر شيخ انتاديوب ،الاصول الزنجية للحضارة المصرية، ترجمة حليم طوسون ، دار العالم الثالث القاهرة 1995 ولنفس المؤلف انظر : اصل المصريين القدماء ، تاريخ افريقيا العام م1985.2 ص37-70

9- حسن ص147

10- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج1 مؤسسة شباب الجامعة (د.ت) ص 120

11- دي مورجان ،الشرق قبيل التاريخ ج1 نقلا عن دي لاسي اوليري ، جزيرة العرب قبل البعثة، (ترجمة وتعليق) موسى علي الغول ، منشورات وزارة الثقافة ، المملكة الاردنية الهاشمية عمان 1990 ص25

12- اوليري ص25

periplus of the Erythraean sea new york, 1912–13

نقلا عن د.أمين توفيق الطيي ، الحبشة عربية الاصول والثقافة ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى ، 1993ص143-144

14- الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، مؤسسة عز الدين للنشر بيروت 1985 م1ج2 ص380 -394

15- ابو الفرج الاصفهاني ، كتاب الاغاني ، مؤسسة عز الدين بيروت ، (د.ت) ج8ص52

16- ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت 1971 ج2ص8

17- محمد المبروك يونس ، تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الافريقية 1955 -1977 ، مطابع الوحدة العربية الزاوية ط 1991،2 ص15

18- الطبري م1،ج2،ص482-483 ابن خلدون ج6ص199

19- المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (تحقيق) محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية ، بيروت 1988 ج2ص19

20- أحمد الجبير ،العلاقات العربية الافريقية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس 1992 ص13

21- كتاب الزنوج ، ص249نقلا عن الطيبي ص143

J.s.Trimigham, the Inflounceof Islam upon Africa, Longman,London,1988,p.38

23- ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الامصار ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط،1992،ص270-274

24- ف.ف ماتفييف ، تطور الحضارة السواحيلية ، في تاريخ افريقيا العام ، م4ص453

25- حسن ص148

26-دنيزبولم ، الحضارات الافريقية ، (ترجمة) نسيم نصار ، منشورات عويدات بيروت ، 1978ص64-65

27- انظر : محمد عبد العال احمد ، منساموسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، مركز الدلتا للطباعة ،القاهرة ، ص5-8

28- يونس ص17

Gouily,A,L Islam dans LArridue occidentalae Francaise (paris,1952) ,p,45

29 ابن سعيد المغربي زكتاب الجغرافيا ، (تحقيق) ،اسماعيل العربي ،المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت 1970،ط1ص95

30- المسعودي ج1ص108-112 وكذلك ج2،ص6

31- الجبير ص 14، حول ممارسة العرب للنشاط التجاري في سوفالا بموزمبيق وزمبابوي انظر : والتر رودني ، اوروبا والتخلف في افريقيا ، (ترجمة) ، احمد القصير ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت 1988 ، ص101-102

32- بولم ،ص27.

33- لمزيد من المعلومات حول عرب الشوا انظر : رحلة عبر افريقيا، مشاهدات الرحالة الالماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا 1865-1967، (دراسة وترجمة) ، عماد الدين غانم منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1996ص488 -490

34- ج.ت. نياني (مالي والتوسع الثاني للماندنغ) تاريخ افريقيا العام ، (اليونسكو) ، بيروت 1988م4ص131حسن ص160

35- ابراهيم الحيدري ، صورة الشرق في عيون الغرب ، دار الساقي بيروت ـ لندن 1996ص10-11

36-المسعودي ج2ص6

37- يونس ص19

38- J.S.Trimingham,Islam ln west Africa ,oxford Universityprss,1959,p.126

39- حسن ص 160

40- احمد ابراهيم دياب الاستعمار الاوروبي نتائجه علي العلاقات العربية الافريقية مركز دراسات العالم الاسلامي مالطا 1991ص160

41- لمزيد من المعلومات انظر : محمد عبد الرحمن سوالمية تمبكتو جوهرة تغمرها الرمال مطبعة المتوسط بيروت ص18

42- عبد الرحمن بن عبد الله السعدي تاريخ السودان باريس 1898 ص21 وانظر كذلك القاضي محمود كعت تاريخ الفتاش في اخبار الجيوش واكابر الناس باريس 1913ص18

43- حول المراكز التجارية على الجانبين الشمالي والجنوبي للصحراء الكبرى انظر : امطير سعد غيث التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي طرابلس دار الرواد 1996 ص127-135

44- هانس فايس الصحراء الكبرى في ضوء التاريخ ترجمة مكايل محرز فيالصحراء الكبرى منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (د.ت) ص183-184. زيربو ق1ص37

45- ك .مادهو بانيكار الوثنية والاسلام (ترجمة) احمد فؤاد بلبع المجلس الاعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة 1998 ط2 ص379

46- نقولا زيادة سكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي الفكر العربي عدد -51، حزيران1988ص49.

47-رحلة بن بطوطة بيروت دار صادر (د.ت) ص673

48- المصدر نفسه ص275

49- لمزيد من المعلومات انظر احمد سعيد الفيتوري ليبيا وتجارة القوافل الادارة العامة للاثار 1972

50- ابن حوقل كتاب صورة الارض دار صادر (عن طبعة لندن 1939) ط2ج2-1 ص67و94

51- يونس ص21-22

52- محمد الزبادي العمل العربي الاسلامي في افريقيا جمعية الدعوة الاسلامية العالمية (نموذجا) في ندوة العلاقات العربية الافريقية جمعية الدعوة الاسلامية العالمية 1998

53-يونس ص101،102 .

54- ر: باسيل ديفستون ، لمحات من تاريخ افريقيا ترجمة ونشر مركز البحوث والدراسات الافريقية سبها (د.ت) ص85-86

55-دياب ص58

56-حسن ص153

57- المرجع نفسه ص154.ه.أ، موانزي المبادرات والمقاومة الافريقية في شرق افريقيا 1880-1914تاريخ افريقيا العام 1990 م7 ص162

58- شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا واستعمارها مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ط 2 1980ص319-325

59-جران ص 456

60- حسن ص 155

61- المرجع نفسه ص 161.

قضايا الجندر في النظرية الجماهيرية واشكالات المشاركة السياسية للمرأة

د. يوسف محمد الصواني /جامعة الفاتح

تمهيد

اصبحت مسألة الجندر (GENDER) او النوع من أهم القضايا التي تثار على صعيد العلوم الاجتماعية كما أنها غزت مؤخراً حقل النظرية السياسية وذلك في إطار الجهود المبذولة على المستويات التنظيرية والحركية لاستيعاب قضايا ومشكلات الحركة النسوية ضمن الجدل الذي يدور حول قضايا التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي الحديث، ويستعمل لفظ الجندر، والذي يترجم الى لفظ النوع في العربية ،للإشارة الى الفروق القائمة بين الرجل والمرأة لا علاقة لها بالحقائق البيولوجية بل أن المسألة عبارة عن أدوار اجتماعية يصوغها المجتمع وتقررها الظروف دون أن يكون لذلك علاقة بكون المرأة أنثى والرجل ذكراً ، أي ان الذكورة أو الأنوثة ليست إلا تحقيق الرجال والنساء لتوقعات اجتماعية وثقافية معينة ، ومن ثم فإن قضايا واشكالات الحركة النسوية تتم إعادة صياغتها من جديد لتضع في الاعتبار هذا المفهوم للنوع أو الجندر في النظر إلى دور المرأة في المجتمع والشأن العام على وجه الخصوص .

إن النظرية السياسية التقليدية والحديثة هي غير محايدة عندما يتعلق الأمر بقضايا النوع GEN-DER ،أي المأسسة الاجتماعية للفروق الجنسية . إن النظرية السياسية تحمل مضموناً منحازاً جداً فيما يتصل بقضايا النوع والعلاقة بينه وبين السياسة والتي تتميز بتركيز عال ومكثف لسيطرة النوع الذكوري على الفكرة والممارسة السياسية في آن واحد ان ذلك يتضح من حقيقة كون السياسة على المستوى النظري للنشاط العقلي ظلت أكثر من حقول المعرفة الواقعة تحت سيطرة الذكور بينما ظلت السياسة كحقل عملي على مستوى المؤسسات والحكومة تقاوم دخول الإناث أو النساء إليها لتظل مقصورة على النوع المذكر وحكراً على الرجال ودون أن تعطي أية أهمية للنساء أو الإناث أو لهويتهن أو مصالحهن أو وجهات نظرهن .

قضية الجندر بهذا المعنى أصبحت مثار اهتمام واسع النطاق لعل أهمه على المستوى الدولي تلك المؤتمرات التي نظمت بإشراف الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية والتي استهدفت السعي الحثيث لتضمين قضايا المرأة محلياً ودولياً على أساس مفهوم الجندر وبما يبعده عن المنظور الصراعي الذي كان يميز الحركة النسوية (squires) .

في الموضوع والإشكالية

تستهدف هذه الورقة الإحاطة بمسألة الجندر أو النوع في النظرية الجماهيرية من خلال تقديم قراءة استطلاعية لهذا الجانب في محاولة لإبراز الرؤية المتميزة لمسألة الجندر على الصعيدين الأخلاقي والسياسي التي وردت في الكتاب الأخضر . كما تستهدف الدراسة التعرف على الجوانب النظرية العملية المتعلقة باشكالية مشاركة المرأة في الشأن العام أو المشاركة السياسية للمرأة في الجماهيرية العظمى من خلال عرض وتحليل الجوانب الأيديولوجية والقانونية وما يرتبط بالمشاركة السياسية في ظل نظام سياسي يعتمد على منظومة فكرية تختلف تماماً عن تلك التي تستند إليها النظم السياسية القائمة على فكرة النيابة والمشاركة . كما يقدم البحث دراسة للعناصر المختلفة المحددة للمشاركة السياسية للمرأة الليبية مستنداً على البيانات المتوفرة والمتاحة ليقرر مستوى تواجد المرأة السياسي كما يقدم البحث عرضاً وتحليلاً لمشاركة المرأة في مجالات لا تحسب تقليدياً على المشاركة السياسية غير أنها ذات أهمية بالغة في تقرير هذه المشاركة سياسياً وثقافياً واجتماعياً .

قضايا الجندر (النوع) في النظرية الجماهيرية

إن المسائل المرتبطة بالجندر أو النوع في النظرية الجماهيرية ذات صلة وثيقة بالمفهوم الجديد للسياسة وفقاً لهذه النظرية . فالسياسة لا تكتسب تعريفها على أنها المؤسسات الحكومية أو علاقة السلطة فقط . إن السياسة في المنظور الجماهيري هما الاثنان معاً ، حيث لاوجود لمبرر عملي أو أخلاقي لإيجاد أي نوع من الفصل بين المؤسسات وعلاقات السلطة حيث هناك ارتباط وثيق بينهما ومن الواضح أن أحدهما يعتمد على الشكل أو الطبيعة والمحتوى الذي يأخذه الآخر اعتماداً متبادلاً .

إن لذلك أهمية قصوى خاصة وأن الكتاب الأخضر لا يعكس حقيقة وعلاقات اجتماعية قائمة بالفعل بقدر ما هو مسعى لتأسيس هذه الحقيقة وهذه العلاقات . إن السياسة هنا ليست إلا ظاهرة يمكن أن توجد في (و) بين كل أنواع ومستويات الجماعات والمؤسسات والمجتمعات غير أبهة بالحدود التي يمكن إقامتها بين الخاص والعام .

وهكذا فهي تتصل بكل مستويات وأنواع أو أشكال العلاقات والمؤسسات

والبنى والهياكل ذات الصلة بالنشاطات الخاصة بالإنتاج أو إعادة الإنتاج المادي أو المعنوي في حياة المجتمعات . إنها تجد تبريراتها في كل النشاطات التعاونية أو التفاوضية أو الصراعية حول إنتاج وتوزيع أو استخدام الموارد والقيم . إن هذه النظرية للسياسة تتميز ، رغم اتساع حدودها أو عدم وجود حدود لها على الإطلاق ، بأنها تمكن من إعطاء الاعتبار المناسب والمجال المناسب لتقرير المسائل ذات العلاقة بالنوع (الجندر) في الحياة والتنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي . إن الفصل بين الدولة والمجتمع المدني هو الأساس الذي تقوم عليه النظم التي تتجاهل القضايا والمسائل المتعلقة بالنوع . إن هذا هو أهم الاعتبارات التي ينبغي النظر إلها عند تقرير موقع مسألة الجندر أو النوع في النظرية الجماهيرية التي لا تقيم أي فصل نظري أو عملي بين الدولة والمجتمع بقدر ماهي بالأساس تتجه إلى إلغاء هذا التمييز .

إن ما يميز نظرية الكتاب الأخضر لمسألة الجندر هو أن ينطلق اساساً من رفض كل ما يمكن أن يجبر الإنسان ، ذكراً أو أنثى ، لأن يحيا حياة أو يتبع أسلوباً حياتياً معيناً رغم إرادته . ولعل أهم ما يميز هذه النظرية لمسألة الجندر هو أن الكتاب الأخضر يدعو إلى التخلص من النماذج والأنساق التي تم بناؤها اجتماعياً بوسائل الاستغلال والظلم والقمع وأشكال السيطرة المختلفة . وإذا كان الكتاب الأخضر عندما يتناول مسألة المرأة مثلا يقرر بأنها واقعة تحت القيود المختلفة أو أنها مضطرة للقيام بأعمال تخالف تكوينها البيولوجي وطاقاتها الطبيعية فإن ذلك لا يعني إقراراً بالوقائع الاجتماعية أو أن يفرض على المرأة بديلاً آخر غير الحرية في الاختيار .

إن ذلك جد واضح ولا يحتاج إلى أي تفصيل خاصة إذا ما أمعن النظر في الاقتباسات التالية من الفصل الثالث للكتاب الأخضر :

«المرأة والرجل متساويان إنسانياً بداهة»

«إن التفريق بين الرجل والمرأة إنسانياً هو ظلم صارخ ليس له مبرر « إن المجتمع الإنساني ليس رجالاً فقط وليس نساء فقط فهو رجال ونساء»

«إن المرأة والرجل لا فرق بينهما في كل ما هو إنساني»

أما إذا أردنا التعرف على الأساس الفلسفي والأخلاقي والاجتماعي الذي يؤسس لنظرة الكتاب الأخضر لمسألة الجندر لن نجد أكثر وضوحاً وبساطة مما يرد بالفصل الثالث من أن الدور الذي يقوم به الرجل والمرأة

يختلف وفقاً لاختلاف كل واحد منهما عن الآخر إذن لابد من ظرف يعيشه كل واحد منهما يؤدي فيه دوره المختلف عن الآخر ومختلف عن ظرف الآخر» إن هذا يلتقي تماماً مع النظرة المعاصرة إلى الجندر في النظرية السياسية والعلوم الاجتماعية على السواء حيث يشير مفهوم الجندر أو النوع إلى أن المجتمع هو الذي يحدد ويتولى تبعاً لثقافته ونظامه القيمي وطبيعة مؤسساته الاجتماعية صياغة وتحديد الدور المنوط بكل من الجنسين ، إن المجتمع هو الذي يتولى صياغة وتشكيل الأدوار والعلاقات الاجتماعية للجنسين ويقرر ما يعتبره السلوك المناسب للجنسين مما يبتعد عن الخصائص البيولوجية والطبيعية .

بهذا المفهوم الذي يقدمه الكتاب الأخضر اتساقاً مع مفهوم الجندر فإن الحقائق الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية هي المسؤولة عن مسألة الأدوار عندما يتعلق الأمر بالمرأة على الصعيد العام أو فيما يتعلق بالشأن العام وأن ذلك لا علاقة له بالحقائق الطبيعية المنشأ مثلما هو الحال في البيولوجيا . إن الادوار الاجتماعية هنا هي مظاهر ينتجها المجتمع ويشكلها النظام القيمي وعلاقات أفراده التي وفقاً لها تكون الذكورة والأنوثة متضمنة لتحقيق الرجال أوالنساء لتوقعات اجتماعية وثقافية معينة .

المشاركة السياسية : إطار عام

ينظر إلى المشاركةالسياسية على أنها أحد أهم سمات النظام الديمقراطي بشكل عام . وإذا كانت الممارسة المباشرة والعملية لجميع المواطنين في إدارة الشأن العام اعتبرت مطلباً مثالياً وتم التراجع عنها لصالح نموذج نيابي تمثيلي فإن الحكم على مدى اقتراب أي تطبيق من النموذج المثالي اعتمد على درجة ومستوى ونوعية المشاركة التي يتيحها لعموم المواطنين . من هنا فإن المشاركة السياسية تعني بشكل عام قيام المواطنين بدور مشارك في الحياة العامة وفي تقرير السياسات التي يتم تطبيقها على مستوى النظام السياسي محلياً أو وطنياً . وبغض النظر عن حقيقة كون هذا يتم تقديره في التفكير الليبرالي على أساس الفكرة التي تغلب الخاص على العام وعن كون هذا ليس إلا ترسيخاً لنموذج غير ديمقراطي في وقت عجز فيه الفكر السياسي عن الترجمة العملية للمبدأ الديمقراطي في شكل يحقق مباشرة العموم للشأن العام وبما يلغي التوتر بين الخاص والعام فإن مستوى ودرجة المشاركة يتوزع على خط يبدأ من التصويت وهو من أكثر الأنشطة السياسية التي يمارسها العامة إلى المشاركة في الانتخابات والاتصال بالمسؤولين والانخراط في النشاط الحزبي والجمعي أو التعاوني أو المصلحي والنقابي والتعبير عن الرأي في عمليات الاستفتاء أو الاعتراض أو الاقتراح الشعبي . كما تشمل حق الناخبين في إقالة النائب أو في حل الهيئة النيابية وهي الوسائل المرتبطة بالنظرية النيابية للسلطة وفكرة العقد الاجتماعي التي تستند إليها وهما ما أفاض الكتاب الأخضر في تبيان مدى عدم صلتهما بالمبدأ الديمقراطي الأصيل . أما أعلى درجات المشاركة فهي

التي تتحقق في مستوى الممارسة السياسية المتمثلة في قيام المواطن بصورة فعلية بالشئون السياسية أو العامة سواء كان ذلك بشكل مباشر أو شبه مباشر .(خشيم)

ويتسع نطاق ومستوى المشاركة السياسية ليشمل ليس فقط النشاطات ذات الطابع الشرعي حيث يلعب الفرد دوراً في الحياة السياسية المجتمعية ويتحقق له فرصة التأثير في النظام السياسي أو قرارات الحكومة سواء في تدعيمها أو تأييدها أو في التقليل من درجة قبولها وشرعيتها . وهكذا تشمل المشاركة أشكالاً أخرى من النشاط المتمثل في الرفض السياسي أو الأعمال ذات الطابع غير الشرعي كالمظاهرات والاحتجاجات والاعتصامات أو العصيان العام أو الثورة الشاملة أو غيرها من أشكال العنف والاحتجاج والرفض السياسي . (خشيم)

من المهم ملاحظة أن هناك صلة وثيقة بين مدى ونطاق الفضاء الذي يسمح فيه النظام السياسي للمواطنين بالمشاركة وبين نوع الأنشطة والأعمال التي يعبر بها هؤلاء عن مشاركتهم . إن ما يسمى بالأعمال غير الشرعية هي التي تحدث حيث نظم لا توفر آليات مفتوحة للمشاركة السياسية أو تعيش حالة عدم المصداقية أو فعالية قنوات المشاركة الشرعية المتاحة . إنه كلما ضاقت المساحة المخصصة للمشاركة الشعبية المشروعة وكلما ضاقت فرص التعبير عن المطالب والحاجات لدى النظام السياسي الذي يواجه ذلك بإجراءات غير ديمقراطية كلما كانت هناك فرصة مواتية لظهور تعبيرات مواجهة أو ما يسمى بأعمال غير شرعية .

لكن من الضروري الإشارة إلى أن المشاركة السياسية جملة من المحددات والإشتراطات غير تلك التي ترتبط بالفضاء أو المساحة التي يتيحها النظام السياسي ومؤسساته أو إطاره التشريعي والقانوني . إن لمضامين الثقافة السياسية السائدة في المجتمع ومدى احتوائها على عناصر ذات علاقة بالشعور بالقدرة على المشاركة ونوع ومضمون العلاقة بين الفرد والحكومة وتشجيع القيام بالوظائف العامة والدفع في اتجاه العلاقات الديمقراطية في المجتمع بشكل عام ، إن لذلك علاقة وثيقة بإقامة المشاركة السياسية في ذلك المجتمع . فالديمقراطية ليست مجرد بنى وهياكل ومؤسسات لكنها مرتبطة بشكل قوي بالنظام القيمي السائد في المجتمع والاتجاهات والمشاعر التي تحدد مدى ونطاق ودرجة الممارسة أو المشاركة السياسية والعمل الديمقراطي مثلما تحدد العلاقة بين الحكام والمحكومين . (المنوفي)

إن لكل ذلك أيضاً علاقة مباشرة بدرجة ومستوى عملية التحديث وما تحدثه من تأثير في نوع العلاقات الاجتماعية إضافة إلى ما يتمخض عنه التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع من نماذج للعلاقات وأشكال ومستويات للتكوينات الاجتماعية التي تتأثر وتؤثر في تكوين أو صنع النظام القيمي الذي يلعب دوراً بارزاً في هذا الإطار .

المشاركة السياسية في الجماهيرية : المفاهيم والإشكالات

إذا كان العرض السابق قد بين جملة من المحددات والمؤشرات ذات العلاقة بمسألة المشاركة السياسية فإنه من الضروري في هذه المرحلة النظر في تمثلات وتعبيرات هذه المحددات والمؤشرات في الجماهيرية . وبالتأكيد فإن أي تقييم لنوع ومستوى ودرجة المشاركة السياسية لابد أن يتناول العلاقة بين الجوانب النظرية لمفهوم المشاركة والتجربة الليبية إضافة إلى طبيعة التكوينات الاجتماعية والاقتصادية وتنظيمات المجتمع المدني ومؤسسات الدولة والمؤثرات الخارجية ونمط السياسة ودرجة الممارسة الديمقراطية . إن المشاركة وديمقراطية النظام هي نتاج للتفاعل ودرجة التوازن أو الاختلال بين المتغيرات المذكورة والنظام القيمي الذي تتم في إطاره عملية التفاعل إضافة إلى ما تفرزه من قيم ومعايير وتوقعات وممارسة فعلية .

في هذا الاطار فإن الدراسة تأخذ بعين الاعتبار ان شكل وطبيعة النظام السياسي السائد في

ليبيا هو الذي تكون مؤسساتياً منذ العام 1977 وهو الذي شهد مولد النظام الجماهيري والاعلان عن سلطة الشعب وحدوث تغييرات جوهرية في البنى والمؤسسات السياسية بقيام نظام المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية . ويستند النظام السياسي(سلطة الشعب) على التصور الذي يقدمه الكتاب الأخضر . إن الجماهيرية وفقاً للكتاب الأخضر فلسفة شاملة ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية تقوم على أن الغلبة في تقرير كل الأمور هي للجماهير أو للشعب بمجموعه الغير مجزأ . إن الشعب وفقاً لهذا التصور هو بنيان واحد ليس مجرد مصدر للسلطة بل هو صاحب السلطة الوحيد وهو مالك الثروة أيضاً في ظل نظام اقتصادي هدفه إشباع الحاجات دون أي استغلال ، والشعب أيضاً هو المسيطر على السلاح بدل المؤسسة العسكرية الرسمية .

من هنا يستند النظام الجماهيري الذي يقدمه الكتاب الأخضر والذي عبر عنه مؤسساتيا وقانونيا الاعلان عن قيام سلطة الشعب الصادر في 1977 على تكامل البنى والمؤسسات التي تقدم حلولاً للمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خلال تصور لتحقيق الديمقراطية المباشرة وملكية الشعب لوسائل الإنتاج ومصادر الثروة . إن الاشكالية التي يثيرها هذا التصور تتضح تماماً عند مناقشة وتقدير الجوانب المختلفة للممارسة الديمقراطية .

من شأن هذا النموذج الذي يقرر فكرة الممارسة الديمقراطية المباشرة الا يتفق مع المعايير والمفاهيم التقليدية كالفصل بين السلطات ، التفويض ، النيابة ليعتمد نظاماً من الممارسة المباشرة من خلال نموذج لصناعة القرار يعتمد وبشكل حاسم على عنصر الإدارة الشعبية لكل أوجه الحياة العامة وإلغاء الإدارة الحكومية .

إن النظام السياسي في ليبيا له بعد واحد باعتماده على فكرة التطابق بين مفهومي النظام السياسي والبيئة ، فالاثنان متطابقان مما يعني أنه لا مبرر أو لا حاجة أساساً لوجود علاقات تأثير وتأثر أو مدخلات أو مخرجات البيئة والعكس صحيح حيث نمط التفاعلات والمبادلات لا يعتمد المنافسة بل المساواة بتحقيق لا مركزية شمولية للحكم (الصواني) .

إن النظام السياسي القائم على الكتاب الأخضر لا يرى أي فرصة لتحقيق الديمقراطية إلا عن طريق المؤتمرات الشعبية التي هي عبارة عن مستويات قاعدية أفقية من التنظيم الذي يضم نظرياً وقانونياً كل المواطنين البالغين من الذكو والإناث . إن المؤتمرات الشعبية هي المكانيكا العملية المعبرة عن النظام حيث تتم مناقشة وإبداء الرأي في كل القضايا المحلية والوطنية على مستوى التشريع والتنفيذ .

وفقاً لهذا النموذج أيضاً لا فائدة ولا حاجة أو مبرر لوجود الأحزاب السياسية أو للصحافة الخاصة أو تناولها للمسائل العامة باستثناء الصحافة النقابية المعبرة عن المهنة أو الحرفة ، ولا أن تتحول التكوينات الاجتماعية لتكوينات سياسية لأن المؤتمرات الشعبية ستوفر لها جميعاً الممارسة السياسية المباشرة . إن ذلك من شأنه أن يكسبها من خلال هذه الآلية القوة السياسية . لذلك لا مبرر أو لا حاجة للمظاهرات أو الاحتجاجات وغيرها من أشكال الرفض السياسي ، إن هذه مرفوضة تماماً بالاشارة إلى أن الشعب المجتمع كله في المؤتمرات الشعبية لا يمكن أن يعارض نفسه أو أن يحتج ويرفض السياسات التي مررها مباشرة من دون حكومة أو نيابة أو تمثيل (أبو صلاح) .

ويرى الكتاب الأخضر أن المشاركة السياسية هي عملية لا تتحقق إلاّ إذا كانت مباشرة عن طريق الالية التي يقدمها وهي المؤتمرات الشعبية التي تمكن من الناحية النظرية والأسلوبية كل الشعب من المشاركة والممارسة دون وسطاء أو حواجز . المشاركة هنا لا تعني إلا أن يمارس الشعب السلطة والإدارة عن طريق المؤتمرات واللجان الشعبية . فالمؤتمرات الشعبية وفقاً لهذا النموذج كما يتحدد في الفصل الأول من الكتاب الأخضر هي «الوسيلة الوحيدة للديمقراطية الشعبية ، إن أي نظام للحكم خلافاً لهذا الأسلوب ، أسلوب المؤتمرات الشعبية ، هو نظام حكم غير ديمقراطي . إن كافة أنظمة

الحكم السائدة في العلم الآن ليست ديمقراطية مالم تهتدي إلى هذا الأسلوب» «ليس لسلطة الشعب إلا وجه واحد ولا يمكن تحقيق السلطة الشعبية إلا بكيفية واحدة وهي المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية» يتضح من العرض السابق الإشكالية النظرية والمنهجية المتعلقة بمسألة المشاركة السياسية في النظام السياسي الليبي . إن النظام السياسي في ليبيا كما تقرر دراسة رائدة حول «المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في ليبيا» هو تقنية جديدة في العمل السياسي والتطبيق الديمقراطي «بصيغتها الفريدة وبأساليب تفاعلها المختلفة مصممة لضمان أن تظل القوة والسلطة موزعة بالتساوي بين جميع المواطنين الليبيين من خلال مشاركتهم في المؤتمرات الشعبية ومن خلال حقهم في اختيار وعزل اللجان الشعبية» (المغيربي) .

إن هذا يجعل النظام السياسي في ليبيا قادراً على التصريح بأنه أفضل النظم ديمقراطية بل إنه النظام الديمقراطي المباشر الوحيد على وجه الأرض خاصة إذا ماتم تقدير ذلك بحجم ومستوى المشاركة السياسية أو الممارسة السياسية التي يتيحها للمواطنين ذكوراً وإناثاً دون أي نوع من التمييز وفقاً للتحديد الذي سبق تناوله عند بيان مسألة الجندر في النظرية الجماهيرية . إن حقيقة كون المؤسسات السياسية القائمة في ليبيا والوثائق التشريعية والقانونية التي تستند بالأساس على تقدير عالي المستوى للمشاركة والممارسة السياسية للمواطنين تجعل هذا النظام من الناحية النظرية ديمقراطياً بامتياز وتجعله أكثر النظم ديمقراطية لأنه يوفر أكثر الاشكال المباشرة للمشاركة والممارسة السياسية .

إن ذلك هو النتيجة المنطقية لأي تحليل أو عملية تقدير أو تقييم للمشاركة في هذا النظام اعتماداً على الاعتبارات النظرية والمفهومية للديمقراطية على أنها زيادة مستوى ونوع ودرجة ومدى نطاق المشاركة الشعبية في الحياة العامة وإنشاء القوانين وفي رسم وتقرير ومراجعة ومتابعة السياسات محلياً أو وطنياً أو على مستوى الحركة الخارجية للنظام السياسي وتمثلاتها المختلفة . غير أن الاشكالية تقع حين يتم تقدير المسائل المشار إليها أعلاه وفقاً لطريقة تحليل أو تقييم تستبعد النظرة إلى درجة المشاركة الشعبية فقط وتستند بدلاً عن ذلك إلى تصور نظري ومفهومي وأسلوب ليبرالي لعملية ممارسة وتداول أو تقاسم السلطة السياسية وبمعايير الديمقراطية النيابية والتعددية . إن من شأن تحليل كهذا أن يجعل الصورة تختلف بشكل يكاد يكون جذرياً .

إن المسألة البالغة الأهمية عند تناول هذه الاشكالية النظرية والمنهجية هي أن نعرف أن النظام الجماهيري يحدث طلاقاً واضحاً وبينا مع أغلب أن لم يكن كل المفاهيم السياسية التقليدية ويستحدث آليات سياسية ومفاهيم جديدة بشأن صناعة القرار . هذه الآليات تنطلق من فرضية رئيسية حول الديمقراطية المباشرة التي يعتبرها الفكر الغربي غير عملية . إن هناك حاجة قبل التعرض للاشكالية التي تثيرها مسألة المشاركة السياسية إلى الاهتمام بآليات عمل النظام الجماهيري ، التوازنات والروادع والكوابح فيه ، وكيف تختلف هذه عن غيرها في النظم السياسية التقليدية التي يقوم الكثير من الدارسين وخاصة في الغرب بمحاكمة أو الحكم على النظام الجماهيري وفقاً لها وهو ما يعني خطأ علمياً منهجياً وأخلاقياً فاضحاً . إن لذلك أهميته القصوى خاصة إذا اعتبرنا أن النظام الجماهيري يقوم أساساً على نظام قيمي مخالف وهو ما يدعو إلى الثورة الثقافية والاجتماعية باستمرار لإقامة ركائز المجتمع الجديد .

وإن كانت التجربة في ليبيا تحدث في الوقت ذاته الذي يتم فيه إقامة مؤسسات النظام الجماهيري عملياً فإن من شأن ذلك أن يزيد من عمق الاشكاليات المرتبطة بذلك . (الصواني)

من الهام أيضا عند تقدير مسألة الممارسة أو المشاركة السياسية في هذا النظام وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمرأة وقضايا الجندر لابد وأن تأخذ في الاعتبار مفهوم المواطنة في المجتمع الجماهيري والتي تتحدد بشكل محايد لا علاقة له بالنوع أو الجندر أو الذكورة والأنوثة . إن موقف النظرية

الجماهيرية من مسائل النوع أو الجندر يرتبط ارتباطاً مباشراً ومنطقياً بالمفهوم الذي يمكن استنتاجه من الكتاب الأخضر لمفهوم المواطنة حيث المواطن (جندرياً) أو بدون تحديد نوعه هو عضو في جماعة وهو بذلك لا يقف في مواجهة الدولة على خط الحقوق والواجبات الدستورية أو السياسية والاقتصادية ... الخ ، بل هو عضو في جماعة ليست المواطنة فيها مركز قانوني بقدرماهي نشاط ذو صفة اجتماعية وجمعية لا يتحقق بدون وجود الجماعة المكونة تكويناً طوعياً بإزالة أسباب التوتر بين العام والخاص . المواطن يلعب دوراً نشطاً وفاعلاً مباشراً في تشكيل حاضر ومستقبل الجماعة من خلال قيامه بالممارسة الفاعلة في الجدل السياسي وفي صناعة القرار . إن جوهر المواطنة هو جماعة نشطة ممارسة للسياسة بشكل عام .

المشاركة السياسية للمرأة الليبية :

تتأثر المشاركة السياسية للمرأة في ليبيا بثلاثة عناصر رئيسية أهمها هو ذلك المتعلق بطبيعة النظام السياسي وتكوين مؤسساته . أما العنصر الثاني فهو ذلك المتعلق بمضامين الثقافة السياسية السائدة في المجتمع الليبي في صلتها بمسألة الديمقراطية عموماً وبمشاركة المرأة في الحياة السياسية على وجه الخصوص . أما ثالث هذه العناصر المحددة للمشاركة السياسية لمرأة الليبية فهو المتعلق بشكل وطبيعة الترتيبات المؤسسية والقانونية والإجرائية التي تتعلق بتقرير مشاركة النساء في السياسة والحياة العامة .

وبشكل عام فإن الثقافة السياسية العربية عموماً مع بعض التميزات . إن هذا يجعلها تعاني من عناصر قصور واضحة فيما يتعلق بمسألة الديمقراطية على وجه العموم . إن الثقافة السياسية في ليبيا تفتقر بشكل عام إلى العناصر المعززة للمشاركة السياسية والشعور بالاقتدار السياسي والاستعداد للمشاركة وتوفر روح المبادرة . (المنوفي)

إن من شأن ذلك أن يفسر الصعوبات التي تواجهها عملية تفعيل دور المواطن وتعزيز درجة ومستوى وكفاءة الممارسة السياسية والإدارة الشعبيةللحياة العامة وفقاً للتصور الذي يستند عليه أسلوب المؤتمرات الشعبية في الحكم الديمقراطي .

يلاحظ ان الثقافة تلعب في مستواها الشعبي وما يرتبط به من تقاليد وتفسيرات تقليدية محافظة للإسلام في إطار البنية القبلية للمجتمع الليبي وسطوة التنظيمات الاجتماعية الأولية دوراً حاسماً ومحدداً لا لعملية المشاركة السياسية للمرأة فحسب بل للنشاط المرتبط بالشأن العام على وجه العموم . ومع أن المجتمع الليبي شهد منذ الستينات تغييرات هائلة على المستويات المختلفة ذات العلاقة بعملية التحديث والدور الحاسم للدولة الريعية نتيجة للتأثير الهام للثروة النفطية التي مكنت الدولة من القيام بدور تحديثي هام ، فإن التقاليد والنظام القيمي التقليدي والفهم القبلي حتى للتعاليم الدينية المنظمة للحياة العامة والعلاقات الاجتماعية تلعب دوراً سلبيا يؤثر بشكل فعال على الحياة السياسية .

لقد حدثت آثار إيجابية الطابع لعمليات التحديث التي شهدها المجتمع الليبي وخاصة في قطاع المرأة الذي شهد خطوات جريئة ساهمت في الرفع من مستوى المرأة وتمكينها من القوة بابعادها المختلفة . كما تؤكد التشريعات على عدم التمييز بين المواطنين بسبب الجنس وخاصة عندما يتعلق الأمر بتقرير الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية كحقوق أساسية للإنسان . وفي مجال الحقوق السياسية فإن الإعلان الدستوري الصادر عن مجلس قيادة الثورة في **1969** والإعلان عن قيام سلطة الشعب الصادر عن مؤتمر الشعب العام في **1988** و**1991** على التوالي تؤكد جميعها على المساواة في الحقوق بين المواطنين ذكوراً وإناثاً وتبنت المشاركة السياسية للمرأة .(تقرير شئون المرأة)

كذلك انضمت ليبيا إلى جميع المواثيق والعهود والبروتوكولات الدولية والإقليمية التي تقرر المبادئ والسياسات المختلفة لمشاركة المرأة وضمان حقوقها المختلفة بل إن ليبيا تتفوق من الناحية الحقوقية بوجود تشريعات وترتيبات إجرائية خاصة بضمان وتعزيز مركز المرأة ومساواتها بالرجل في الحقوق . من ذلك مثلاً الوثيقة الخاصة بتقرير حقوق المرأة الصادرة في **1997** وغيرها من القوانين المسيرة للنشاط الاقتصادي والتي تشترط حصول النساء

على نسبة لاتقل **20** ٪ من الرخص التى تصدرها سلطات الترخيص المختلفة لممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة . كل هذا يمكن إضافته إلى المركز القانوني القوي للمرأة الليبية في تشريعات الأحوال الشخصية مثل اعتبار الزواج مشاركة بين طرفين متساويين وحظر الزواج على الرجل المتزوج إلا بعد الحصول على موافقة الزوجة وبإذن من المحكمة والاحتفاظ للمرأة المتزوجة بمركز مالي مستقل قانونا عن الزوج . هذا إضافة إلى الترتيبات الإدارية والقانونية الأخرى التى تتيح للمرأة تفوقا في مجالات أخرى كالمشاركة في العمل بالشرطة والقوات المسلحة . (تقرير شؤون المرأة) .

هذا هو الوضع من الناحية النظرية والقانونية والأيديولوجية وهو بذلك يفتح الباب على مصراعيه أمام مشاركة سياسية للمرأة في ظل أوضاع تعطيها مركزا مستقلا حتى من الناحية الاجتماعية والاقتصادية بما من شأنه أن يوفر المناخ أو الاشتراطات اللازمة للممارسة والمشاركة السياسية للمرأة . إن ذلك يجعل الباب مفتوحا للمشاركة بفعالية مناسبة فى الحياة العامة ولكن ماهو واقع الحال وماهي حقيقة مشاركة المرأة ؟

يبين التقرير الوطني الليبي للتنمية البشرية **1999** استنادا إلى إحصاء السكان **1995** أن نسبة الإناث إلى إجمالي عدد السكان تبلغ **49**٪ وتقع نسبة **3 . 74**٪ من هؤلاء في فئة العمر ماقبل الإنتاجي (**0 ـ 17**عاما) مقابل **74.2**٪ في العمر الإنتاجي (**18ـ59**) بينما تمثل النسبة الباقية (**5.5**٪) فئة العمر مابعد الإنتاجي (**60** سنة فأكثر) (تقرير التنمية البشرية) . كل ذلك في إطار ارتفاع ملحوظ لمعدل توقع الحياة عند الولادة والذي يصل إلى **66** عاما مقارنة بنحو **48** عاما عند نهاية الستينات . كما شهدت معدلات مشاركة المرأة في قوة العمل (ذكور وإناث) فتصل إلى نحو **19**٪ وهو معدل يظل دون مستوى القدرات والإمكانات خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار معدلات التأهيل والتكوين والإلحاق بالمدارس للمرأة . (انخفضت أمية الإناث بشكل ملحوظ من **91**٪ عام **1954** إلى **87**٪ عام **1964** ثم **42.6**٪ عام **1984** لتصل إلى نحو **27**٪ وفقا لبيانات **1995** كما تشكل النساء وفقا لنفس البيانات نحو **50**٪ من عدد الملتحقين بمراحل التعليم المختلفة) . (تقرير التنمية البشرية) .

إن تدني مشاركة المرأة في العمل لا علاقة له فقط بان العمل حق من حقوق الإنسان بل إن تدني هذه المشاركة يقود حتما إلى تدني قدرة ومدى ودرجة تمكن المرأة من القوة في المجتمع ومن الاستقلالية واثبات الذات .

وتشير دراسة مسحية بأن مركز المرأة العاملة أيضا لا يساهم في الرفع من مركزها عندما يتعلق الأمر بكيفية اتخاذ القرارات فى إطار العائلة . أكدت الدراسة ان **70**٪ من الحالات يبقى الزوج فيها صاحب القرار الأخير .

واستنادا إلى العديد من الدراسات المتخصصة وإلى نتائج الاستقصاء الذي قام به الفريق الذي انجز التقرير الليبي للتنمية البشرية لعام **1999** فإن مكانة المرأة الليبية مازالت رهينة تأثير عوامل التقاليد والموروث الثقافي ، مظاهر التحديث وقيمه والنموذج الحمائي المبالغ فيه للتنشئة الاجتماعية لجيل الصغار . (تقرير التنمية البشرية) ان التقاليد مبنية بالأساس على نموذج نمطي محدد للعائلة تسيطر فيه قيم الابوية وفي ترسيخ سلوك التضحية لدى المرأة الأم .

إذن رغم الآثار الايجابية لعملية التحديث ومايفترض ان تؤدي إليه من ضعف للعلاقات التقليدية

والتنظيم الاجتماعي التقليدي فإن النمط التربوي ونماذج التنشئة الاجتماعية السائدة مايزال وبكل وضوح نمطا ابويا ذكوريا يؤكد خضوع الانثى للذكر . (بركات)

ان المؤشرات المتعلقة بقدرة المرأة الليبية على المشاركة تدفع إلى التفاؤل عندما يتعلق الامر بالتصاعد الملحوظ في نسبة التحاق الفتيات من مجموع السكان الاناث في العمر المدرسي في جميع مراحل التعليم خاصة في الفئة العمرية **20 ـ 24** عاما والتى تقابل التعليم الجامعى والتى تصل إلى نحو **23**٪ مقابل نحو **77**٪ للفئة العمرية من **15 ـ 19** عاما وبما يشكل نسبة **48.8**٪ و **48.2**٪ من مجموع السكان الملتحقين على التوالي . (تقرير التنمية البشرية) ان من شأن ذلك نظريا التعزيز من مشاركة المرأة في مختلف المجالات غير ان واقع الحال يبين ان مستوى ونوعية تعليم المرأة لاتعكس صلة وثيقة بالمشاركة سواء في مجالات الاقتصاد أو السياسة كما سنرى فيما بعد

وتخلص دراسة عن المشاركة السياسية في ليبيا هي الوحيدة من نوعها من بين عشرات الرسائل المقدمة لنيل درجة الماجستير في مؤسسات التعليم العالي انه من الناحية الواقعية "يسيطر الرجال على معظم الاجهزة والمؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولذلك فإن المرأة غالبا لاتجد قبولا نفسيا اولا واجتماعيا ثانيا ، وبالتالي تصطدم ارادتها مع ارادة الرجل مما يجعلها نادرة التواجد في التكوينات المهنية والاجتماعية ويكاد دورها يقتصر على التدريس والتمريض" هذا فضلا عن ان "السياسة اخذت كمهنة مقصورة على الرجال بشكل عام ، هذا اضافة إلى وجود النظرة الارتيابية التى توجه المرأة التى تعمل فى السياسة" . (ابوصلاح) .

ان هذا هو بالتأكيد مايبينه التقرير الوطني للتنمية البشرية من حصة المرأة في الحصول على فرص مهنية وادارية وتولي مسؤوليات أو قيادية مازالت متدنية ولا تبدو ذات اهمية الا في مجالي التعليم والصحة وهو ما يتفق مع التحديد الثقافي لدور المرأة في المجتمع الليبي كما اشرنا سابقا . ان ذلك يتأكد إذا ماعرفنا حقائق التوزيع النسبي لمشاركة المرأة في الوظائف الادارية والتنظيمية . ان هذه المشاركة مازالت مضطربة ولاتعكس نسبة النساء إلى عدد السكان أو إلى قوة العمل ولا مستوى التعليم والتدريب الذي تتلقاه النساء . ان هذه النسبة لاتتجاوز **2** ٪ في احسن الاحوال وتتراوح في الغالب مابين **0.41**٪ و**1.7**٪ على مستوى الوظائف القيادية العليا (اللجان الشعبية العامة أو اللجان الشعبية) أو مدراء الادارات أو على مستوى الاشراف والرقابة بمستويات الادارة العليا .

(تقريرالتنمية البشرية) .

أولاً :- المشاركة السياسية للمرأة في المؤتمرات الشعبية .

إن تقدير المشاركة السياسية في ليبيا ومن اجل تجاوز الاشكالية النظرية والمفهومية المشار إليها سيتم عن طريق مؤشرات حضور جلسات المؤتمرات الشعبية . تضم البلاد المئات من المؤتمرات الشعبية الأساسية تضم في عضويتها جميع السكان البالغين من الجنسين دون تمييز . وتتجلى مشاركة المرأة في الفضاء السياسي العام من خلال مستوى ونسبة حضورها في اعمال ومناقشات هذه المؤتمرات التى تجتمع ثلاث مرات سنويا على الاقل لتقرير السياسة العامة ولاختيار اللجان الشعبية التى تتولى الجانب التنفيذي أو لسحب الثقة منها أو اسقاطها .

وتبين الاحصاءات المتوفرة ان نسبة النساء من مجموع اعضاء المؤتمرات الشعبية تصل إلى **35**٪ . (تقرير التنمية البشرية) كما يوجد مستوى آخر لمشاركة المرأة في المؤتمرات الشعبية وادراتها وهو المتمثل في اشتراط وجود منصب قيادي في كل مؤتمر وصولا إلى مستوى مؤتمر الشعب العام هو منصب أمانة شؤون المرأة أو الشؤون الاجتماعية تتولاه الاناث . ومع ذلك فإن الجدير بالملاحظة هو تدني مشاركة المرأة في الحياة السياسية من خلال عضوية وحضور جلسات المؤتمرات الشعبية وتولي

المناصب القيادية بها أو باللجان الشعبية التنفيذية . أمّا احصاءات 1993 مثلا تبين ان عضوية المرأة في المؤتمرات الشعبية تراوحت مابين 30 ـ 40٪ مقارنة بنسبة الاناث لعدد السكان والتى تقارب 49٪ . اما عن حضور النسوة فى المؤتمرات والذى يتراوح بين 30 ـ 35 ٪ من مجموع الحاضرين لجلسات واعمال المؤتمرات الشعبية فهو الآخر لا يعكس مستوى مناسبا من المشاركة . (تقرير شؤون المرأة) اضف إلى ذلك ان النساء وخاصة فى خارج المدن لايشاركن مباشرة في حضور المؤتمرات الشعبية مع الرجال بل غالبا مايتم ذلك في قاعات خاصة بالنساء أو في المدارس أو المعاهد الخاصة بالبنات أو تلك التى تتوافر بها أغلبية نسائية بهيئة التدريس . ان ذلك له علاقة مباشرة باساليب التعبئة السياسية وفي كثير من الحالات يكون هذا الحضور الزاميا للمدرسات أو العاملات اثناء ساعات الدوام أو الدراسة . ان من شأن ذلك ان يلقي ظلالا من الشك ويقلل من الاهمية التى يمكن ان تشكلها النسب المقدمة لمشاركة المرأة ومستواها ولايعطى للبيانات هذه اهميتها المناسبة .

جدول (1) المشاركة السياسية المباشرة

البيان	رجال	نساء	المجموع	نسبةالمشاركة من المجموع العام
عدد السكان في سن المشاركة	1375885	1309409	2685294	
أعلى نسبة مشاركة من مجموع السكان في سن المشاركة	61634	13225	74859	2.8
اقل نسبة مشاركة من مجموع السكان في سن المشاركة	2512	8.3	2595	1.0

* المصدر : امانة مؤتمر الشعب العام + الهيئة العامة للقوى العاملة (نقلا عن ابوصلاح)

جدول (2) المشاركة السياسية في المؤتمرات الشعبية الاساسية خلال انعقاد يناير 1996 ف

اليوم / البيان	عدد المشاركين في جميع المؤتمرات الشعبية		الاجمالي	نسبةالمشاركة من مجموع المواطنين في سن المشاركة
	رجال	نساء		
19969/1/8	49236	6411	55597	2.70
1996/1/9	57460	9083	66543	5
1996/1/10	61634	8875	70509	.2.6
1996/1/11	37950	7050	45000	1.6
1996/1/12	يوم الجمعة : عطلة اسبوعية			
1996/1/13	59745	13225	72970	2.7
1996/1/14	55877	9560	65437	2.4
1996/1/15	54673	8663	63339	2.3
1996/1/16	48784	8914	57698	1.2
1996/1/17	44977	9289	54266	2.0
1996/1/18	33275	5959	39234	1.5
1996/1/19	2512	83	2595	0.1

* المصدر : امانة مؤتمر الشعب العام (نقلا عن ابوصلاح)

أما إذا تجاوزنا الجانب الرسمي وأردنا مثلا التعرف على حجم مشاركة المرأة في حركة اللجان الثورية وهي الحركة الملتزمة بالنظرية الجماهيرية ومفاهيمها والحريصة على الترجمة العملية الكاملة للجماهيرية كمهمة تاريخية اساسية فإن هذه الحركة لاتعكس في عضويتها تواجدا مناسبا للإناث . هذا التنظيم الثورى ليس به الا نسبة متواضعة من الاناث وان كان هناك مايسمى بمنسقة شؤون المرأة أو الشؤون الاجتماعية بكل لجنة ثورية وهي مهمة تنظيمية تتولاها الاناث من عضوات حركة اللجان الثورية . ان من شأن ذلك ايضا التقليل من اهمية وفعالية الحركة السياسية فى اوساط النساء كما تؤكد تدني مستويات مشاركة المرأة بشكل عام .

ثانيا : المرأة في الوظائف والمواقع القيادية العامة .

لايحفل سجل تولي المرأة في ليبيا خلال العشرين عاما الماضية للوظائف والمواقع القيادية بأي علامات استثنائية ولا ذات بال خاصة إذا ما استثنينا التواجد الذى سجلته المرأة في مجالات كانت تعد تقليديا حكرا على الرجال مثل القوات المسلحة والطيران والشرطة . إن تتبع هذا الجانب من مشاركة المرأة يبين تولي المرأة لأحد المراكز القيادية وفقا للجدول التالى :

(جدول 3) المرأة في الوظائف والمواقع القيادية (المصدر :التقرير الوطني عن تطور المرأة الليبية + تعديلات الباحث)

الوظيفة	عدد المرات
امينة لجنة شعبية عامة	2
كاتب عام للجنة شعبية عامة	1
امين مساعد بمؤتمر الشعب العام	1
امينة مساعدة لشؤون المرأة بمؤتمر الشعب العام	4
امينة مكتب شعبي أو مندوبة	3

اما عن الوضع الحالي فإن اللجنة الشعبية العامة لا يوجد بها أي عنصر نسائي يتولى حقيبة خاصة بعد أن ألغى مؤتمر الشعب العام المنعقد خلال شهر التمور **2000** أمانة اللجنة الشعبية العامة للإعلام والتى كانت تشغلها امرأة خلال السنوات القليلة الماضية فيما اختار مؤتمر الشعب العام أستاذة جامعية لتولي منصب الأمين المساعد للشؤون الاجتماعية (شؤون المرأة) . أما السلك الدبلوماسي فيخلو الآن من أي عنصر نسائي بدرجة أمين مكتب وان كان يوجد به عدد محدود من الإناث يشغلن وظائف اقل أهمية . أما في الهيئات القضائية ورغم كل الإنجازات في مجال تعليم المرأة وقبول نسبة عالية من الإناث بكليات القانون وتخصيص كلية قانون للإناث عدة سنوات فإنه لا توجد بالسلك القضائي سوى (قاضيتين اثنتين) فقط . (تقرير الانجازات) .

ويعترف التقرير الليبي المقدم إلى الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة **2000** بأنه رغم التشريعات المؤكدة على حقوق المرأة في مجال ممارسة السلطة الا ان غياب النساء عن حضور جلسات المؤتمرات الشعبية وعن التقدم للمواقع القيادية مايزال ملاحظا بوضوح الامر الذى يحرم المرأة من ممارسة السلطة . (تقرير الانجازات) أما التقرير الخاص بالتنمية البشرية فيعترف هو الآخر بأن مشاركة المرأة الليبية في الفضاء السياسي العام مازالت متدنية رغم "توفر الاساس التشريعي والقانوني لتمكين المرأة من القوة السياسية" . (تقرير التنمية البشرية)

ثالثا : مشاركة المرأة في مجالات صناعة وقيادة الرأي

بداية ينبغي الاشارة إلى ان مشاركة المرأة في المجالات المرتبطة بصناعة الرأي وقيادته لاتمثل نوعا من المشاركة السياسية بحد ذاتها غير انه من المهم التأكيد على ان هذا الجانب ذو اهمية كبيرة خاصة عندما يتعلق الامر بنظام سياسي يقوم على مفهوم مغاير للسياسة والنظام السياسي ويقدم تصورات مغايرة للمفاهيم التقليدية للحكومة والدولة والعلاقة بين النظام السياسي والبيئة . في النظام الجماهيري ، ليس هناك من مجال لوجود صحافة خاصة أو حزبية بالمعنى الليبيرالي للمفهوم وليس هناك من امكانية للانقسام التقليدى بين الحكومة والمعارضة باعتبار ان المؤتمرات الشعبية تجمع كل المواطنين على قاعدة المساواة بدون تنافس . من هنا يمكن للفرد الحائز على تكوين مناسب ذي علاقة وثيقة بالقضايا العامة وبالسياسة والمطلع على ماله علاقة بها قادرا أكثر من غيره على التأثير في قرارات المؤتمرات الشعبية الذى يضم في الاغلب مواطنين لايلمون الماما كاملا بالقضايا محل النظر . ان طبيعة النظام تتيح لهؤلاء مثلما تتيح للتكنوقراط الحصول على مركز متميز عند تقدير الآراء والبدائل . ويضاعف هذا من الاهمية التقليدية لقادة الرأي وصناعته ودورهم في تشكيل الذوق العام وصياغة القيم في المجتمع .

من هنا يصبح من الهام التعرف على مدى مشاركة المرأة في هذا القطاع الهام للحياة السياسية . ان ذلك هام ايضاً للمساعدة فى تقرير الاهمية الحقيقية للنسبة العالية للتعليم في الوسط النسائي في تحديد مشاركتها السياسية .

ويتم ذلك من خلال التعرف على عدد واهمية حضور المرأة في مجالات الصحافة والاعلام والثقافة وقيادة الرأي العام من خلال القيام بأعمال التحرير الصحفي أو المسموعة . (تقرير شؤون المرأة)

من الناحية العلمية فإن المؤكد هو ان حضور المرأة في هذه المجالات هو حضور هامشي إلى حد كبير حيث لاتتجاوز نسبة تواجد النساء في هذه المجالات 20٪ على وجه العموم . اما في رابطة الصحفيين فإن التقرير المتفائل الذي حصل عليه معد هذه الدراسة هو ان نسبة النساء المسجلات بالرابطة يتراوح بين 15ـ20٪ (لقاء مع أمين الرابطة) وفي مجالات الابداع الادبي والفني فإن عدد كاتبات المقالة والقاصات والشاعرات والمطربات والفنانات التشكيليات لايتجاوز حصرا 44 عنصرا نسائيا . (تقرير شؤون المرأة) بينما على مستوى تحرير واعداد البرامج الاذاعية والبرامج والاخبار السياسية فإن عدد الاناث حصر إلى 30 عنصرا (تقرير شؤون المرأة) ان ذلك يؤكد انه رغم الحماس الذى تشهده البلاد منذ السبعينات لمشاركة المرأة فإن الواقع الحقيقى للمشاركة يظل متواضعا جدا .

رابعا : النساء والعمل الاهلي

من المهم قبل التعرف على مشاركة المرأة الليبية في العمل الاهلي تقديم تحليل سريع لهذه التكوينات ولموقعها وفقا للرؤية والتطبيق الخاص بالنظام الجماهيري في ليبيا . تقع جميع مستويات العمل الاهلي ، مع الإشارة إلى حداثتها ، ضمن الفضاء الايديولوجي للنظام السياسي الجماهيري الذي يؤكد على أن النقابات والاتحادات والروابط المهنية ليس لها دور مصلحي اي انها لاتلعب دور جماعات الضغط أو المصالح مثلما هو الحال في النظم النيابية بل أنها ينبغي ان تكون معززة للمؤتمرات الشعبية .

إن الكتاب الأخضر يحصر نطاق عمل ونشاط هذه التكوينات في المسائل والشؤون المهنية بينما لا نكون لها أية علاقة بقضايا السياسة العامة كما "لايجوز لها التصرف كوحدات جماعية في عمليات التفاوض والمساومة" (المغيربي) . من ذلك مثلا انه قبل عام 1990 كانت هناك 32 نقابة اصبح عددها في 1990 نحو 72 نقابة عادت لتصبح 36 نقابة فقط منذ 1996 . (ابوصلاح)

من المهم اذن تقرير ان مشاركة المرأة في هذا المجال تتحدد موضوعيا بطبيعة هذا النشاط وبالهامش الذي تشغله في الفضاء السياسي العام . أي ان الدور الذي تلعبه هذه التكوينات عموما في العملية السياسية هو دور لا صلة له بالسلطة التى تتولاها المؤتمرات الشعبية . وبذلك فإن المشاركة في هذه التكوينات لايمكن اعتبارها مؤشرا هاما على درجة المشاركة السياسية وإن كان من المهم التعرف عليها لغاية تقدير دور المرأة ومشاركتها كمؤشر على الاستعداد للعمل الاهلي على وجه العموم .

ومع ذلك ورغم تذبذب اوضاع هذه التكوينات فإن هناك امانة خاصة بها تسمى "شؤون النقابات" في مؤتمر الشعب العام هي التى تقرر بشأنها ماتراه . وفيما توجد امانة شبيهة بالشؤون الاجتماعية (كانت تسمى بشؤون المرأة) فإن الاتحاد النسائي قد تم حله والغاء وجوده نهائيا منذ سنوات . وبغض النظر عن ذلك فإن تاريخ نشاطات المرأة أو الاتحاد النسائي لايحفل بأي انجازات أو مساهمات بليغة في معالجة مشاكل أو شؤون النساء أو في الرفع من مستواهن أو حضور المرأة السياسي بل ظل في الاغلب احتفاليا . اما من الناحية الاحصائية فإن حصة العنصر النسائي في الجمعيات الاهلية لاتتعدى 15٪ بينما لايتجاوز عدد الجمعيات النسائية التى تنشط فقط في العمل الخيري لايتجاوز 15٪ جمعية أو رابطة دون مشاركة يمكن تسجيلها على مستوى العمل السياسي أو النقابي . (تقرير التنمية البشرية) .

خاتمة

يمكن القول ان هناك فجوة كبيرة بين ، الموقف النظري والاخلاقي الذي تتميز به النظرية الجماهيرية لمسألة الجندر والتي يترتب عليها حصول المرأة في ليبيا على حقوق الممارسة والمشاركة السياسية وتمتعها بمركز قانونى لا يميزها عن الرجل ، وبين ممارستها لهذه الحقوق من الناحية العملية . ان البيانات المتوفرة تبين ضآلة حجم ومستوى ومدى ونوع ونطاق المشاركة والممارسة السياسية للمرأة الليبية سواء تعلق الامر بالممارسة عموما أو بالقدرة على التأثير على صناعة القرار أو تقلد الوظائف والمواقع القيادية سواء في مجالات السلطات المختلفة أو في المجالات ذات الصلة بصناعة وقيادة الرأي وتشكيل النظام القيمي في المجتمع . ان ذلك يصدق ايضا على مجالات غير ذات صلة مباشرة بالعمل السياسي وان كانت ذات صلة وثيقة بتمكين المرأة بشكل عام مثل مجال الاعمال الادارية والتنفيذية أو على مستوى تنظيمات العمل الاهلي .

المرأة في ليبيا وفقا لذلك غير ممثلة في المستويات المختلفة بما يتلائم مع النسبة الهامة التى تحتلها في عدد السكان أو مع المستوى العالى للإلحاق بالمدارس أو المشاركة في قوة العمل . بل ان هناك مايبين ان عدد اللواتي يحتلن مواقع أو مراكز عمل بالمؤسسات السياسية والجهاز الدبلوماسي قد شهد تراجعا هاما . هناك ايضا استمرار لهيمنة الرجل على ممارسة السلطة حيث لاوجود لمؤتمر شعبي واحد من بين مئات المؤتمرات تتولى امانته أو قيادته امرأة كما لاتوجد لجنة شعبية واحدة بين مئات اللجان الشعبية بالشعبيات التى تدير كل القطاعات تتولى قيادتها امرأة . اما على مستوى الشعبيات فلا وجود للعنصر النسائي في المراكز القيادية بأي منها .

ان ذلك لايعني فقط محدودية المشاركة فقط بل يقود ايضا إلى عدم مشاركة المرأة في الشأن العام فيما تظل مساهمتها بالهيئات القضائية هزيلة للغاية خاصة إذا اخذنا في الاعتبار انه من بين بضع مئات من المحاكم الشعبية التى تم تشكيلها مؤخرا بالمؤتمرات الشعبية وعلى مستوى الشعبيات ايضا لاوجود للعنصر النسائي . ان ذلك يبين ان مستوى ونوعية تعليم المرأة لايؤثر ايجابيا في مشاركتها السياسية وهو الامر الذي من شأنه ان يزيد من الانتقادات الموجهة إلى نظرية التحديث بشكل عام . ان من الهام الاشارة إلى ان القوى التقليدية وسيطرة التنظيمات الاجتماعية الاولية

وهيمنة ثنائي العائلة (القبيلة) والتقاليد على المجتمع الليبي في مواجهة قوى التحديث وعمليات التعبئة والتحريك السياسي خاصة عقب الثورة تجعل المرأة غير قادرة على تجاوز مستوى الجماعة الصغيرة التى تنتمي لها . ورغم الارتفاع النسبي لمشاركة المرأة في حضور جلسات المؤتمرات الشعبية فإن هذه في الغالب تعكس اجواء التعبئة السياسية اضافة إلى كونها في الغالب شكلية وغير فعالة وتظل موسمية مما يجعلها غير مؤثرة اضافة إلى افتقارها للتنظيم علاوة على ان تخصيص مؤتمرات شعبية خاصة بالإناث تتناقض مع التصور الفلسفي والمبدأ الأخلاقي للنظرية الجماهيرية ومفهومها للجندر الذي سبقت الاشارة إليه .

المصادر

- مصطفى خشيم ، موسوعة علم السياسة ، مصراته ، الدار الجماهيرية ، 1995
- معمر القذافي ، الكتاب الأخضر ، طرابلس ، الدار الجماهيرية للنشر ، د . ت
- محمد زاهي المغيربي ، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في ليبيا ، القاهرة ، مركز ابن خلدون ، 1995
- يوسف الصواني ، النظام السياسي في ليبيا :اصوله الفكرية ومؤسساته ، مقدم إلى ندوة جمعية الصداقة العربية النمساوية ، فيينا ، 1991
- رعد عبودي بطرس ، "ازمة المشاركة السياسية وقضية حقوق الإنسان في الوطن العربي" المستقبل العربي ، العدد 206 ، ابريل 1996 .
- كمال المنوفي ، "الثقافة السياسية وازمة الديمقراطية في الوطن العربي" ، المستقبل العربي ، العدد 80 ، اكتوبر 1985
- جلال معوض ، "ازمة المشاركة السياسية في الوطن العربي" ، والمستقبل العربي العدد 55 ، سبتمبر 1983
- حليم بركات ، "النظام الاجتماعي وعلاقته بمشكلة المرأة العربية" ، المستقبل العربي ، العدد 34 ، ديسمبر 1981
- عبدالقادر عرابي ، "المرأة العربية بين التقليد والتجديد" ، المستقبل العربي ، العدد 176 ، يونيو 1990
- ابراهيم ابوصلاح ابراهيم ، المشاركة السياسية في ليبيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، طرابلس ، اكاديمية الدراسات العليا ، 1992
- الهيئة الوطنية للمعلومات ، ليبيا : تقرير التنمية البشرية 1999 ، طرابلس ، الهيئة الوطنية للمعلومات ، 2000
- اللجنة الوطنية لشؤون المرأة ، التقرير الوطني عن تطور المرأة العربة الليبية ، طرابلس ، امانة مؤتمر الشعب العام 1995
- اللجنة الوطنية لشؤون المرأة ، الانجازات في مجال النهوض بالمرأة ، طرابلس ، اللجنة الوطنية للمرأة ، 2000
- يوسف الصواني ، "المشاركة السياسية للمرأة في ليبيا : الأطر الايديولوجية والقانونية واشكاليات الممارسة" ، مؤتمر الجمعية الافريقية للعلوم السياسية حول Gender in Politics ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ، 7 ـ 8 / 11 / 2000

Judith Squires, Gender in Political Theory London , Polity Press , 2000

- يوسف الصواني "ليبيا في الدراسات الغربية : الحاجة لمدخل جديد" ، بحث قدم إلى ندوة الحوار الاكاديمي الليبي ـ الامريكي ، مدرسة ماسترخت للإدارة ، ماسترخت ، هولندا ، 1999 .

ازمـــة الاعــلام العــربى

عماد عبدالحافظ العضايلة
أمـين مـحمـود المـعـايـطـة / اليمن

من المؤكد ان للاعلام ادوار كثيرة وكبيرة ومجالات شتى واهداف متعددة كونه يعد مرفقاً حيوياً تستفيد منه الأمة العربية في السلم والحرب والبناء والتنمية وهو اداة التعريف بكافة المشروعات الضرورية للنهوض بالإنسان ومجابهة التحديات التى يعيشها الإنسان العربى اليوم على اعتاب القرن العشرين.

وقد تطرقنا في هذا البحث بايجاز عن واقع الاعلام العربى ومظاهر الازمة الاعلامية العربية ابتداءً منذ قيام الكيان الصهيونى على ارض فلسطين وتناولنا العوامل والنتائج واثرها المباشر على ضعف وتخلف الاعلام العربى والابعاد المترتبة على ذلك.

ولأن الاعلام العربى هو انعكاس للواقع العربى وقضية متصلة بعمق المشكلات والازمات التى عاشتها الامة العربية توقفنا عند بعض القضايا التى من خلالها وضحنا ظواهر الازمة التي يعيشها الاعلام العربى ومن ثم الوقوف على اسباب الازمة والحلول المناسبة للخروج باعلام عربى موحد يجابه التحديات ويواكب المستجدات على الساحتين العربية والدولية من وجهة نظرنا والاستعانة ببعض المراجع المتوفرة لدينا، وفقنا الله لما فيه خير هذه الأمة.

تعريف الاعلام .

ان المدلول اللغوي أو المعنى السائد لكلمة الاعلام هو «التعبير العملى لتكوين المعرفة والاطلاع والاحاطة لما يهم الإنسان في كل زاوية من زوايا محيطه وفي كل مرفق من مرافق حياته وفي كل ركن من اركان طموحه وهمومه وحاجاته» والقوى التى تمارس عملية التكوين هي جميع الوسائل والاجهزة والواجهات والفعاليات البشرية والفنية والمادية الاعلامية التى تتركز عليها عملية التكوين .

مسالك كثيرة ومتنوعة للوصول أو لمحاولة تحقيق مدلول ولكن لم يصل إلى المستوى المطلوب منه لبلوغ هذا المعنى

مظاهر أزمة الإعلام العربى .

ـ واقع أزمة الإعلام العربى

ان الاعلام العربى قوة مستمدة من قوة الأمة العربية لذلك يجب ان يكون منسجماً مع نموها

وتطورها ومستواها وصخرة في مواجهة التحديات التي تتعرض لها . فالصورة الصادقة للمستوى الحضاري للأمة هي جزء لايتجزأ من شخصيتها لذلك فالنهوض والارتقاء بالاعلام العربي لايمكن ان يكون منفصلا عن فهمنا وادراكنا لمدى الامكانات الذاتية للأمة العربية من أجل مواجهة تحدى الاستراتيجيات الامبريالية المعادية وخاصة الصهيونية ، فيحتم علينا الواجب ان نكون مهيئين ونعبىء قدراتنا للمستقبل القريب والبعيد في كل ميادينه . فالاعلام العربي يجب ان يكون سلاحاً في معركة الأمة المقبلة ويضع الأمة العربية في مكانها الطبيعي والريادي بين الامم . ان مصير الأمة العربية ومصدر نهوض شخصيتها الحضارية يتوقفان اولاً وآخراً على طبيعة فهم وادراك قدرات الأمة العربية الثقافية والاقتصادية والإنسانية وامكاناتها الذاتية وادراك عظمة تراثنا وثقافتنا العربية الاصيلة لذلك فالتخطيط الاعلامي العربي المتكامل المبنى على تصور المراحل الاعلامية بكل ابعادها الآنية والمستقبلية والعمل على التنسيق الدائم لنفض السموم التى تبثها ولازال الاستراتيجيات المعادية لحضارة الأمة العربية والتشكيك بقدرة الأمة العربية الثقافية والاقتصادية . فهذا التصور السابق جاء استقصاء للحقائق التى يعيشها الاعلام العربي لأنه يعيش أزمة حقيقية تعايشنا جميعاً مظاهرها وهذا ماسوف نبحثه .

منذ زمن بعيد والاعلام العربي يعاني تخلفاً كبيراً في شتى ميادينه ، وضعفاً بارزاً في وسائله واجهزته وامكاناته الفنية والمادية وارتباكاً واضحاً في تخطيط نشاطاته ومهماته واهدافه وبرامجه مما سبب للأمة العربية كلها فواجع مذهلة ومآسٍ خطيرة وكوارث تاريخية لم تترك ناحية واحدة من نواحي المجتمع العربي الا واصابتها بالضرر البالغ تاركةً عليها بصمات واضحة من الدمار . فالاعلام العربي يشكو من المعاناة والتخلف ليس صدفةً أو نتيجة حادث طارئ جديد ، بل تركة من تركات عهود الاستعمار التى عاشتها جميع الاقطار العربية ، ومخلفات الحروب الصليبية التى كانت وماتزال تشنها الدول الغربية بمختلف قواها وأساليبها على الأمة العربية ومما خلفتها السيطرة الاستعمارية المتنوعة بوسائلها ومخططاتها العدوانية على كل قطر عربي وخداعها وتآمرها على ثقافة وحضارة الأمة العربية باعتبارها كانت وماتزال قوة واشعاعاً فكرياً يدحض كثيراً من الدعايات والشائعات الضارة للعرب والتى تصفهم بالجهل والبدائية والتخلف فى محاولة لخنق انفاسهم وحرمانهم من التطلع إلى التطور والتقدم ومنعهم من الاتصال بالعالم الخارجي أو حتى مع بعضهم بعضاً .

ان الحقيقة التاريخية للاعلام العربى حيال ذلك تؤكد بأن هنالك اعلاماً معادياً لطموحات الأمة العربية وحركة الثورة العربية فيها ، والاعلام العربي اعلام ثوري يمثل طموحات الجماهير العربية ويعبر عن حركة الثورة فيها ويكشف زيف الحكومات الضالعة في ركاب الاستعمار ويعري اطماع الغزاة الاستعماريين ويقاتل في جبهات متعددة ضد الاعلام المعادى .

فالاعلام وسيلة من وسائلنا الثورية الديمقراطية تستخدم في توعية المواطنين وتبصيرهم وكذلك في الرقابة ، فأزمة الاعلام العربى بمجموعه لم يمارس التعاون والتضامن الاعلامى الصحيح المنسق فيما بينه بمختلف وسائله واجهزته ضمن تنسيق موحد ومنهج مثبت بالشكل الذى تتطلبه طبيعة المرحلة التى يمر بها ويجتازها الوجود العربى فى معركة البقاء ، ولابالمقدار المناسب لشراسة وقوة وخبث الاعلام الصهيوني وحليفه الاعلام الامبريالي في كل الميادين والذى اعتمد التزوير والذرائع الواهية في مسخ الحقائق العلمية والتاريخية ، فالصهيونية لم تكن اقل اهتمامٍ من حليفاتها الدول الامبريالية بهذا السلاح الاعلامى الذى يوظف المعرفة العلمية توظيفاً معادياً للروح العلمية لأنه يقوم على الانفصام بين الاعلام والحقيقة وعلى الاستعانة بالتقدم العلمى من أجل حجب الحقائق وتزويرها وتمرير المخططات العدوانية والتمهيد لها وتبريرها امام العالم .

ومن مظاهر أزمة الاعلام العربى عامل التخلف فى مواكبة تطور علوم وفنون الدعاية سواء التى

لدى الاصـدقـاء للاسـتـفـادة منهـا أو تلك التى لدى الاعـداء للرد عليـهـا الصـا ع صـاعين مما زاد من المعاناة والتخلف .

لقـد تكشـفت حـالة الاعـلام العـربى من حـيث العـيـوب والنواقص الملازمـة والموروثة في الرؤيا والممارسات الاعلامية التى كان يتخبط فيها في عدوان حزيران عام **1967** .

وتأكيداً على تلك الحقائق والنتائج وهذا السرد البسيط نوجز ماتقدم عن حالة ومظاهر أزمة الاعلام العربى بما يلى :

1 ـ عدم تطوير وتوظيف وسائل الاعلام العربى في مخاطبة الشعوب والحكومات والتحدث إلى عقولهم وقلوبهم والتأثير عليهم بلغة الشعور بالمسؤولية الإنسانية وبالمنطق المتقبل المستسا غ فكرياً وثقافياً وعدم استقراء الرأي العام العالمى وبالتالي يصبح الاعلام العربي قوة ضاغطة على الرأي العالمي مثلما هي عليه قوة الاعلام العدائي لا ان يكون قوة صوتية فقط . ومن ثم التصدي للاعلام الامبريالي واجهاض الدعايات الاعلامية المغرضة وتعريتها وفضح نواياها الخبيثة .

2 ـ احجام بعض الاقطار العربية في استخدام دعايتها واعلامها في شرح قضايانا الكبرى لدى وسائل واجهزة الدول الغربية والدول الصديقة واجهزة الاعلام الامريكي .

قضايا خطيرة تجلت فيها مظاهر الأزمة الاعلامية العربية

أولاً : القضية الفلسطينية .

من المؤكد تاريخياً ان التحرك الاعلامي العربي الخارجي قد ارتبط بالقضية الفلسطينية وتطوراتها ولكن هذا الاعلام سواء العربى المشترك أو القطرى العربى لم يكن فى مستوى هذه القضية وعدالتها والتحديات التى يجابهها باستمرار ، فالقضية الفلسطينية هي سابقاً وحاضراً ومستقبلاً قضية العرب الكبرى وهي عنوان الأمة العربية وهي محور صراعنا مع الصهيونية ومع الامبريالية ومع التجزئة والتخلف ومع كل شئ يتعلق بحضارتنا وكياننا ووجودنا ومع عظم وعدالة هذه القضية الا ان اعلامنا يغفلها في كثير من جوانبها خاصة في ظل مسيرة الاستسلام التى اختصرت صراعنا مع الكيان الصهيوني على مناطق الحكم الذاتى وما تواجهه المسيرة من مشاكل تبعدنا عن قضية الصرا ع الجوهري مع الكيان الصهيوني «صرا ع الوجود وليس الحدود» فما دور الاعلام العربي منذ بدء القضية الفلسطينية ؟ .

لقد بدأ صراعنا مع الكيان الصهيوني منذ توافد اليهود على فلسطين واعطائهم الحق في اقامة دولتهم على تراب فلسطين عام **1948** ونكسة حزيران عام **1967** وحرب اكتوبر (رمضان) عام **1973** والتى شقت الطريق إلى المفاوضات العربية الاسرائيلية من خلال مؤتمر جنيف واتفاقيات فك الاشتباك بين كل من مصر واسرائيل مروراً باتفاقية كامب ديفيد بين مصر واسرائيل إلى معاهدة السلام مع اسرائيل عام **1979** إلى ان وصلنا إلى مرحلة الذل والاستسلام في احضان الكيان الصهيوني .

في تلك الاحداث كان اعلامنا العربي مقصوراً على الانشغال بالحروب الاعلامية فيما بين الدول العربية نفسها واصدار التصريحات اللامسؤولة التى نعلن فيها اننا اقوى دولة في الشرق الاوسط ولدينا أكبر قوة بحرية وجوية في المنطقة وذهب بعض غير المسؤولين إلى الادعاء بأننا سنلقى بإسرائيل في البحر .

لقد كانت قضية فلسطين هي احدى خطيئات الاعلام العربى الذى رقد في سبات عميق فترة طويلة من الزمن لم يبذل خلالها ماهو متوقع وحجم القضية ازاء المؤامرات الدنيئة التى روعي حبكها واشترك في تنفيذ بعض فصولها وبفترات متفاوتة اضافة إلى الرؤوس الصهيونية وعباقرة الاستعمار

بعض القادة العرب ولم يستطع الاعلام العربي بالاضافة إلى ذلك وبفعل عوامل كثيرة من الاشتراك عملياً في وأد هذه المأساة أو تفشيل المؤامرة أو تعرية خيانة تلك القيادات التى تقف في وجه الاعلام العربى تجاه القضية الفلسطينية .

أ ـ التباين في المواقف السياسية على الساحة العربية من حيث طرق معالجة القضية الفلسطينية .

ب ـ الاختلافات في التوجهات العربية ـ السياسية والفكرية ـ الرسمية والشعبية في النظر إلى طبيعة هذه القضية من زاوية البعد الاقليمي لها أو البعد القومى أو البعد الديني .

ج ـ الانشغالات العربية عن القضية الفلسطينية وهو مايضعف رسالة الاعلام ومنطلقاته التى تتطلب الاستمرارية والقوة المتجددة .

د ـ نمو الاقليميات والدعوات الطائفية التى تقوم بإضعاف مقومات الأمة وامكاناتها وتغلب المصالح الشخصية والطائفية الآنية على المصالح العليا للأمة وقضاياها وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

ثانياً :قرار اعتبار الصهيونية شكلاً من اشكال العنصرية .

لقد جاء اختيارنا لهذه القضية ادراكاً منا بأن الكيان الصهيوني هو كيان عنصري قائم على ذلك وعزز ذلك القرار الذى اقرته هيئة الأمم المتحدة فى 10 / 11 / 1975 بعد الدور الكبير الذى لعبته بعض القيادات السياسية العربية وعدم تناول الاعلام العربى لهذه القضية ، لقد فوت الاعلام العربي الكثير من الفرص والظروف المواتية لاحتواء الاعلام الصهيوني بعد ان اخذ هذا القرار يستقطب الرأي العام العالمي ويتبناه الكثير من الزعماء والعلماء والفقهاء في العالم فكان الاجدر باعلامنا العربي ان يستقبل هذا القرار ويكشف تزوير وأباطيل واراجيف الصهيونية العنصرية ويتفهم بشكل صحيح وجهة النظر الدولية والعربية التى تبنت القرار وما تضمنته من مفاهيم إنسانية نبيلة ضد العنصرية الصهيونية .

ورداً على ذلك القرار نجح الصهاينة فى اثارة قضية معاداة السامية في وسائل اعلامهم المظللة وفي استخدام وتوجيه الاعلام الغربي والامريكي «العميل والمؤجر» بذكاء وبغزارة وعملية وفنية مدعمة بالحجج الواهنة وبالبراهين العلمية والتاريخية المزيفة والمزورة بالدس والتلفيق والاكاذيب وفي جعل الكثير من شعوب العالم يطلق اسم الساميين على اليهود وحدهم دون غيرهم من شعوب أخرى في حين ان العرق السامي ـ نسبة إلى سام احد ابناء نوح وهو الذى انحدر منه اليهود ـ يضم شعوباً أخرى منها العرب والاراميون والعبرانيون وغيرهم ...

وبهذه الاجادة الذكية في تعبئة واستخدام الاعلام المعادى تمكنوا من كسب الرأى العام العالمي وتعاطفه لصالحهم خاصة في الاضطهاد المزعوم الذى لقيه اليهود ويلقاه اليهود في اوروبا بشكل خاص في المانيا وروسيا وبعض الاجزاء من العالم انما حل بهم بسبب انتسابهم للسامية ـ أو لأنهم ساميون مما آثار عطف العالم لقضاياهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فاستغل الصهانية الاوائل والاعلام الصهيوني هذا العطف لمحاربة خصومهم العرب خاصة واستثمار منافعه لصالح اقامة الكيان الصهيوني وتثبيت اركانه على الارض العربية المقدسة .

هذا هو الاعلام الصهيوني وهذا دوره الفعال في خدمة بني صهيون الذى عرف كيف يستغل ويتحين الفرص بذكاء ، يستطيع قلب العالم ويلفت انظاره إلى قضايا الكيان الصهيوني لنصرته لقد كرّس الاعلام الصهيوني جميع ادواته واجهزته للعمل على استغلال هذه القضية على النحو التالي :

1 ـ اسناد تهمة اضطهاد الساميين (اى اليهود) إلى الشعب العربي بالدرجة الأولى لتدعيم فكرة اقامة الدولة اليهودية على ارض فلسطين وتوسيع الاحتلال مستقبلاً .

2 ـ غرس روح العداء والانتقام والتربص والتوجس والحقد والغرور والأنانية في نفس الإنسان اليهودي على اعتبار ان الإنسان اليهودي يحمل ضده هذا التمرس وهذه فعلاً نظرة عنصرية بحتة .

مما تقدم حاولنا ان نبين دور الاعلام الصهيوني في خدمة قضاياه من وجهة نظرنا لنقف على الفرق بين الاعلام الصهيوني والاعلام العربى

ثالثاً : القضايا الراهنة (الحصار المفروض على العراق وليبيا)

ـ الحصار الامبريالي المفروض على العراق والذي استهدف حرمان ابناء شعبه من ادنى متطلبات العيش والحياة وقتل الاطفال نتيجة الجوع والمرض والحصار المفروض على ليبيا يعدان انتهاكاً خطيراً لسيادة وحرية هذين البلدين العربيين العزيزين فمن وجهة نظرنا ان سياسة الامبريالية الصهيونية باستخدام هذا النوع من العقاب غير المبرر مرتبط بمخططات ومؤامرات تحيكها امريكا والكيان الصهيوني بمعاونة الخونة من حلفائهما من الدول الامبريالية ضد الوطن العربى فأرادت تلك الدول اسكات صوت الحق الذى يحاول الكشف والتصدى لهذه المخططات فجاء الحصار على هذين القطرين العربيين تحت ذرائع مكشوفة لتمرير عملية الذل والاستسلام التى تتهافت عليها بعض الدول العربية .

جاء الحصار على هاتين الدولتين لانهما الحلم العربى للعيش بكرامة وعزة وقوة ومنعة ورفض التبعية ، من هنا يجئ دور اعلامنا العربى بكشف تلك المؤامرات ومحاربة عملية الاستسلام والذل التى نعيشها ومحاولة الوصول إلى كل الضمائر الحية ومخاطبة العالم اجمع لحشد التأييد لقضايانا العادلة وفك الحصار الظالم على العراق وليبيا والسودان ، لقد آن الآوان للاعلام العربى ان ينطلق يداً بيد لمحاولة التصدي للاخطار التى تحيط بأمتنا العربية والتركيز على جوهر الصراع وحقيقة الهجمة التى يتعرض لها ابناء الوطن العربى .

أسباب أزمة الإعلام العربى .

ان المساعي التى بذلت حالياً فى العملية الاعلامية في جميع المراحل التى تمر بها أزمة الاعلام العربى لم تكن في المستوى المطلوب ودون مستوى الطموح العربى ولم يرتقِ الاعلام العربى إلى مستوى جسامة وضخامة الدور الذى يجب ان يضطلع به ولا فى مستوى قرارات المؤتمرات الاعلامية العربية ولم يشبع حاجات الجماهير العربية ولا فى مستوى القضايا العربية الكبرى ولا في حجم الكفاح والتضحية الملازمة لتلك القضايا العربية ، بالاضافة إلى عدم التعاون الاعلامي العربي واعلام الدول الاسلامية والصديقة حيث ان عامل التخلف في مواكبة تطور الاعلام سمة بارزة ولم نأخذ من هذا التطور الا مايضر بعروبتنا وبسمعة اعلامنا والمساس بعاداتنا وتقاليدنا العربية الاصيلة وذلك لعدم وجود نظام اعلامى عربى موحد يحمى اعلامنا العربى ليؤدى إلى جنوح الاعلام العربى نحو الفتور والجمود والتميز بالضعف والهزال والمنتهية إلى الضياع والتمزق وبالتالى التأثير الكبير على مواطننا العربى وخاصة عماد وعصب هذه الأمة وهم الشباب العربى .

ولقد حاولنا في هذا الموضوع وضع بعض الاسباب التى أدت إلى أزمة الاعلام العربى :

أولاً : التبعية الاعلامية التى أدت إلى تخلف ما يسمى بالعالم الثالث ونعنى بالتبعية اي التبعية للعالم الرأسمالي فهي نتيجة الخضوع إلى السيطرة الاستعمارية لعدة قرون وبالتالي فان استمرارها يتأكد بفعل مجموعة من المقومات الموضوعية الذاتية مثل التفاوت الكبير بيننا وبين العالم المتقدم في مصادر القوة والنفوذ وبالتالي احتكار مصادر القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية والثقافية

والاعلامية ومن هذه العلاقة غير المتكافئة تبرز الحلقة الرئيسية وهى التبعية التى تسود اغلبية دول العالم الثالث واخطر انواع التبعية تلك المتعلقة بجميع وسائل الاعلام .

ثانياً : غياب التخطيط الاعلامى العربى غياباً مطلقاً في الداخل والخارج والافتقار إلى الوسائل المتطورة الفعالة وإلى الاعتمادات المالية للكفاية وبالتالى عدم توجيه الاعلام العربى خارج الوطن العربى بالحجم والمستوى المطلوب .

ثالثاً : عدم مواكبة التطوير وتوظيف وسائل الاعلام العربى في مخاطبة الشعوب والحكومات والتحدث إلى عقولهم وقلوبهم والتأثير عليها بلغة الشعور بالمسؤولية الإنسانية .

رابعاً : لقد كان الكادر الاعلامى العربى من الضحالة الاعلامية الثقافية والعقم الاعلامي والفكري فريسة سهلة وسمة امام التنظيم والكادر الاعلامى الصهيوني وبالتالى فان الكوادر الاعلامية العربية بسبب ذلك وكذلك نوعية تركيبها تعيش على العمل الاعلامى الهامشي وتعتمد التهويل والتضخيم والتشويه في توجيه نشاطاتها الاعلامية نحو قضايا فرعية أو ثانوية قطرية واقليمية بحته أو نحو تحقيق هدف سياسي معين أو شن هجوم اعلامي مركز على شخصية أو على حزب أو على حكومة معينة في حين نجد ان الاعلام الصهيوني كان دوماً يواصل نشاطاته في نطاق ومجالات اهدافه المرسومة ولا يفرط بأوقاته أو بأدواته الاعلامية في قضايا ثانوية أو فرعية مهما كان نوعها وحجمها ومسارها السياسي .

خامساً " الاعلام العربى لم يحدد بالضبط ابعاد نشاطاته أو رسم بدقة خطاه في مختلف ميادينه لكسب الرأي العام أو التأثير عليه وبالتالي يتسنى له بث وتثبيت وتأكيد كفاح الشعب العربي وعدالة قضاياه والامثلة كثيرة على ذلك منها الحصار الجائر على العراق وليبيا والسودان وكذلك قضية العرب الكبرى القضية الفلسطينية ، فالاعلام العربى مازال يتخبط في تحديد الاهداف ومنها السياسة الاعلامية التى تخدم القضايا والمصالح العربية كذلك التعثر في رسم التخطيط الاعلامى والتطبيق والممارسة الاعلامية لدرجة انه آثار استخفاف وغرابة الرأي العام العربى والعالمي على الصعيدين الرسمى والشعبي بينما كان الاعلام الصهيوني والعالمي قد حدد بالضبط ابعاده واهدافه وخطاه وبالتالي كسب ثقة واحترام الرأي العام العالمي .

سادساً : عدم وجود المنظمات والهيئات القوية والمصادر الرسمية وغير الرسمية المختصة بالاعلام للحصول على ادق المعلومات لاستثمارها في التخطيط ومعرفة خطط ونوايا وتحركات الاعلام المعادي في جميع الحقول السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ، بينما بالنسبة للاعلام العالمي والصهيوني نجد ان الكثير من الهيئات الاعلامية في الدوائر والمصالح المختلفة لحكوماتهم التجارية والثقافية والصناعية وحتى في بعض نشاطات أجهزة الاعلام العربية تقوم برصد ونشر مايدور في ساحتنا العربية وذهبوا إلى ابعد من ذلك بوضع الجواسيس والعملاء ليحصلوا على المعلومة من مصدرها .

سابعاً : الممارسات غير الديمقراطية التى تحد من الحرية والتى هي من حرية المواطن العربى من قبل الكثير من الحكومات العربية فالاعلام حق شرعي للجماهير التى من خلاله تستطيع التعبير عن امانيها وطموحاتها ونتيجة لذلك تخلق الاجواء النافعة والملائمة للاعلام العالمي والمعادي فى التسرب إلى الجبهة الداخلية وتمكنه من توسيع الخلافات الداخلية والاقليمية وتصديع الصفوف

الوطنية والتمكن من التحرك بالاتجاه الذى يريده ويعمل به لتحقيق مصالحه بالاضافة إلى هذه النقطة الحصار الاعلامي الذى يسعى الاعلام العالمى إلى اقامته حولنا .

ثامنا : ان العواطف والمظاهر واللامبالاة تلعب دوراً كبيراً في الاعلام العربي تعد سبباً من اسباب الأزَمة الاعلامية العربية وعلى العكس تماماً ماهو عليه الاعلام العالمى الذي اعتمد على العقل والحكمة والحذر في كل نشاطاته واساليبه وتحركاته .

ومن خلال استعراضنا السابق للاسباب التى زادت من ازمة الاعلام العربى وتقديم بعض الحلول نستطيع وضع تصور شامل لبعض الحلول المناسبة والتى من شأنها ان تعمل على تحقيق اعلام عربى يرقى بالطموحات الذى نريدها ويكون منافساً قوياً للاعلام العالمى بالاضافة إلى بعض الحلول التى مرت معنا سابقاً خلال البحث .

أولاً : وضع نظام عربى جديد ومتطور لاعلامنا .

ان التطور العلمي والحضاري والثقافي متعدد الجوانب وتطور الوسائل الاعلامية الذى تشهده البشرية من شأنه ان يؤثر تأثيراً مباشراً على العملية الاعلامية برمتها فيعطيها معاني ومفاهيم واساليب جديدة وهذا مانريده من وضع نظام عربى لخدمة اعلامنا والذى يجب ان نسعى إلى وضعه بصورة ملائمة ، وان يكون للنظام العربى الذى نريده الخصوصية في اهدافه التى تنطلق من واقع الوطن العربى وأولوية المشاكل والقضايا التى تواجهه سواء قومية أو اقتصادية أو علمية فمن شأن النظام العربى للاعلام تحقيق تطور شامل للفرد والمجتمع في اقطار الوطن العربي فى مختلف جوانب الحياة وبالتالي المساهمة في بناء شخصية المواطن العربي وتكوينه النفسي والفكري وضمان حرية الابدا ع وممارسة الحريات بمختلف أشكالها وكذلك ترسيخ الثقافة القومية وتغيير اتجاهات الناس وربط حاضر الأمة بماضيها ومساعدتها على استيعاب معطيات العصر والتكيف مع التغيرات الحضارية والثقافية والعلمية . فالنظام الجديد للاعلام العربي يعطي نظرة لكثير من الأمور التى تهمنا ومنها غرس مفاهيم معاصرة عن الوطن والمواطن والارتباط بالارض تنطلق من الوجود الحضاري والروحي للأمة العربية وخصوصيتها الثقافية وكذلك مواجهة الغزو الثقافي الاجنبي الذي يهدد شخصيتها وقيمها الحضارية والروحية ويشوه تراثها وتاريخها وكذلك يؤدي هذا النظام إلى ابراز الدور العام للأمة العربية فى بناء الحضارة الإنسانية ورسالتها السامية في هذا المجال .

ومن هنا يمكن لهذا النظام وضع حد للتراجع الاعلامى العربى والمساهمة الكبيرة الفعالة في الخروج من الازمة ، فيمكن ان نضع اطاراً عاماً لهدف هذا النظام وهو تهيئة الظروف الملائمة لمساهمة الاعلام العربي بالتنمية الشاملة للمجتمع قطرياً وقومياً ، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً على نطاق الفرد والجماعة وفي المجالات الفكرية والاقتصادية والإنسانية والوطنية والقومية .

ثانياً : يقودنا النظام العربى الجديد لوسائل الاعلام من تحقيق الوحدة الاعلامية والتضامن والتنسيق والتعاون الاعلامي الذي سيعطي مزايا عديدة ليس للحاضر فقط بل سيمتد للمستقبل ويساعد بنفس الوقت على تنشيط وتقوية اجهزة الاعلام العربى وادواته كافة واحلال الجو المناسب الذى يوفر العوامل المساعدة لتحقيق نجاحه في مهماته وتطوره نحو الافضل ويضمن له تأدية واجباته الاساسية في خدمة قضايانا الكبري على احسن صورة في عموم الساحات العربية والدولية هذا بالاضافة إلى ذلك فوحدة الاعلام العربي باتحاداته ومنظماته المختلفة ان وجدت في معظم النشاطات الاعلامية سيؤلف صلة ارتباط مركزية بين كافة الوسائل والاجهزة الاعلامية العربية ووسائل وأجهزة الاعلام للدول الصديقة والمجاورة واضفاء صفة التعاون والتضامن الوثيق بينها .

ثالثاً : التطوير والتعاون في برامج ونشاطات أجهزة ووسائل الاعلام العربية وتوفير الامكانيات المادية والتقنية والفنية لها والتوسع في رفع المستوى الثقافي والمهني والعلمي للكوادر الاعلامية العربية فهناك صور عديدة ومظاهر واخطاء كثيرة عاشها الاعلام العربى في فترات المحن السابقة مما يتوجب تجاوزها ويحتم علينا الاستفادة من دروسها وعبرها عند بناء الصرح الاعلامي العربي الجديد والتغلب على مشاكل معاناته وتخلفه .

رابعاً : مواجهة الاعلام الصهيوني والامبريالي المعادي وتوجيه الاعلام العربى إلى الخارج وذلك لما يواجهه الاعلام العربي من حصار وبالتالي وضع استراتيجية اعلامية عربية تنطلق من الفهم النقدي الشامل للاستراتيجية الاعلامية الصهيونية والامبريالية من جميع جوانبها .

المراجع

1 ـ مركز دراسات الوحدة العربية (الواقع والخيال في الثقافة الاعلامية) عزي عبدالرحمن ، معهد علوم الاعلام والاتصالات جامعة الجزائر (1988 ـ 1989) .
2 ـ الاعلام العربي حاضراً ومستقبلاً ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس (1987) .
3 ـ أزمة الاعلام العربي ، عبدالرحمن الزامل ، الدار المتحدة للنشر بيروت 1974 .
4 ـ الاعلام العربي / تحديات الحاضر والمستقبل ، د . تيسير ابو عرجلة ، دار الادب للنشر والتوزيع ، عمان ـ 1996 .
5 ـ الاعلام العربي واقعه وابعاده ومستقبله ، خالد الشخيلي ، دار الحرية للطباعة ـ بغداد ـ 1981 .
6 ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، الواقع والحيال في الثقافة الاعلامية ، عزي عبدالرحمن ، جامعة الجزائر (1988 ـ 1989) .

التعليم الجامعي بالجماهيرية العظمى
واقـــع وآفـــاق

أ . شعبان احمد فضل / كلية الآداب . يفرن

تمثل الجامعة (في اي مكان من العالم) المؤسسة الاجتماعية المعبرة عن ثقافة المجتمع والمصطبغة بصبغته الناقلة لطموحاته، المتعمقة في مسألة تنميته وتطويره وتعد الجماعة الموجودة داخل نطاق الجامعة العينة الممثلة للجماعة الكبيرة بكل فئاتها علاوة على أنها قد منحت فرصًا للتعليم والتدريب لتقوم بمهام فكرية ومهارية تختلف نوعيًا عن سواها من شرائح المجتمع الأخرى، وعليه فالجامعة مؤسسة اجتماعية تنبع من المجتمع وتترعرع وتنمو فيه وتقوده وتعبر عن آماله وضموحه في التقدم والتطور.

ومن خلال أهمية المؤسسة الجامعية ودورها في نقل حركة المجتمع من التخلف إلى التقدم .
تهدف هذه الدراسة إلى : -

1 ـ تسليط الضوء على التطور النوعي لمهام الجامعات عالميًا وموقع جامعات العالم الثالث منها .

2 ـ تحديد المشكلات ذات البعد المشترك بين جامعات الجماهيرية العظمى باختلاف مناطقها ودرجة عراقتها أو حجمها واقتراح المعالجات الآنية وبعيدة المدى لتجاوز هذه المشكلات .

أولاً : البعد العالمي لتطور الجامعات : ـ

يذهب المفكر السويدي هيوسن**1992**في دراسته عن التطور النوعي للجامعات في العصر الحديث إلى القول :«بدأت الجامعات الأوربية والأمريكية قبل أكثر من ستة قرون جامعات دينية تهتم بتدريس اللاهوت والفقه الديني اكثر من أي موضوع آخر إلا أن هذه الجامعات سرعان ماوجدت نفسها معزولة اجتماعيًا وبعيداً عما يجري من تطور نوعي في بيئتها الاجتماعية سيما في الناحية الاقتصادية ومع بروز الطبقة البرجوازية ونموها السريع في اوروبا ثم من بعد ذلك في امريكا وما رافقها من اكتشافات علمية ، اخذت الجامعات بتغير توجهاتها واستجابت بمرونة واسعة تلبية للحاجة الاجتماعية .**(1)**

لقد أدى التطور النوعي في الاقتصاد وتغير بنى الانتاج في اوروبا إلى تحول الجامعات الألمانية إلى جامعات بحث وتطوير كما استحدثت في ولاية فرجينا في امريكا عام **1810**أول جامعة تنموية توجهت نحو تنمية العلوم المرتبطة بالزراعة وعلوم الحياة من منطلق جعل هذه الجامعة مؤسسة اقتصادية ـ تعليمية في آن واحد واستثمرت هذه الجامعة لخمسين سنة كجامعة تعليمية مميزة في كونها طورت الزراعة بشكل مميز في الولاية مما حذا بمجلس الشيوخ الأمريكي إلى منح جميع جامعات امريكا ، حسب قانون مورال**MOrral Act** وذلك عام **1860** مايعادل **150**الف هكتار لغرض

استثمارها بما يعود عليها من نفع مادي تستطيع هذه الجامعات من خلاله زيادة مصادر تمويلها والاستمرار في البحث والتطوير ، كما انه خلال المائة سنة الماضية قادت الجامعات الأمريكية - بتوجهاتها الاجتماعية - التحولات العلمية والتكنولوجية وساهمت مساهمة فاعلة في تطوير جميع جوانب الحياة .(2)

ويشير بروان ، في وصفه لدور الجامعات الأمريكية للتطور الاقتصادي في القرن العشرين ، أن في مختبرات جامعة بركلي صنعت القنبلة الذرية ، وفي جامعة ستانفورد اخترع الحاسب الآلي ، وكانت جامعة هارفرد منبع المئات من النظريات في الفيزياء والكيمياء وعلم النفس .. الخ وجميع التطورات في مجال الطيران وصناعة المكنة ويخلص إلى القول بأن الجامعات الأمريكية تحولت اثناء التطور في بداية القرن التاسع عشر من جامعات تدريس إلى جامعات خدمة مجتمعية بعد أن ركزت بشكل علمي على البحوث ولاسيما التطبيقي منها .(3)

ويشير هيوسن إلى ثلاث مهام رئيسية لجامعات اليوم وهي : -

1 - نشر المعرفة وتعليمها«التدريس» .

2 - تعميق المعرفة وتنميتها «البحث العلمي» .

3 - نشر الانتاج العلمي وتسويق المعرفة على قطاع واسع في المجتمع «الخدمة المجتمعية»(4) .

أما جامعات العالم الثالث ومنها جامعات الجماهيرية ، فعلى الرغم من التطور العددي الذي شهدته إلا أنها بقيت في توجهاتها وصيغ عملها حبيسة الأنماط التقليدية ، تحاكي في منهجها ونظمها الدول الغربية .

وتبين سعاد خليل ان الجامعات في الدول العربية لم تستطع ان تتجه في بعد اجتماعي يدفع التنمية بل بقيت حبيسة ترجمة المعرفة ونقلها من الدول المتقدمة دون مشاركة فاعلة .(5)

ويبين محمود النجار ان علاقة الجامعة بالمجتمع اما ان تكون مندمجة فيه منقادة له تقدم واجبات التعليم ، أي انها توفر الملكات التي تحتاجها التنمية في الوقت الحاضر ، أو أن يكون واجبها البحث ومحاولة التعديل والتطوير والتغيير ولهذا يجب على الجامعة ان تعي حقيقة التناقض في شخصيتها لتدرك الاختيارات المرتسمة أمامها وماتتضمنه من إمكانات التناقض والتكامل لترتفع إلى المكانة المؤهلة لها في المجتمع صانعة للعقل وموقظة للضمير(6) .

ويعبر العقل عن وسيلة الوصف والتفسير والضبط والتحكم والتنبؤ كما يعبر الضمير عن أصالة وفلسفة المجتمع ، لهذا فإن المعرفة القبلية لاتستكمل جوانبها مالم ترتبط بأصالة المجتمع وتعبر عن طموحه ، والجامعة باعتبارها مصدر اشعاع المجتمع ومرآته ، لاتستطيع تحقيق سلطة العقل في المجتمع ما لم تحقق سلطته في داخلها .

ثانياً : واقع مسيرة الجامعات في الجماهيرية : -

شهدت الجماهيرية منذ قيام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيم نقلة هائلة من ناحية عدد الجامعات والكليات التي تعد الكوادر العلمية المتخصصة في مجالات التدريس والهندسة والقانون والعلوم الاجتماعية والطب .... الخ .

حتى ان عدداً كبيراً من الذكور والإناث تخصص في مجالات قد يكون المجتمع قد بلغ في مجالها درجة التشبع مثل القانون والاقتصاد والعلوم الاجتماعية كما أن اعداداً كبيرة من الخريجين هجروا تخصصاتهم والتحقوا بأعمال بعيدة عن المجالات التي اعدوا لها (7) .

أما مرحلة نقل الجامعة إلى البحث والدراسة والنقد والتطوير لازالت في بدايتها ويتحتم في هذه المرحلة الدفع بحركة الجامعة من مرحلة اعداد الكوادر والزام المجتمع بتوفير فرص عمل في غالبها تمثل كادراً ادارياً يسبب ارهاقاً للميزانية العامة ولايساهم في دفع حركة التطور والتنمية إلى مرحلة التقييم العلمي الجاد لوضع الجامعات والكليات ومدى توافقها مع التوجهات التي تفرضها تحديات

التدفق الهائل للمعلومات والتغيرات التي يشهدها العالم في جميع المجالات العلمية ويتم ذلك من خلال عملية تقييم علمي تعتمد على التخطيط المتأني لحاجة المجتمع للجامعات والكليات ومدى تحقيقها للأهداف المرجوة .

والجامعة تمثل نظاماً ديناميكياً فاعلاً ، نظراً لكونها وحدة اجتماعية متكاملة المعالم ، ولهذا فإن اي خلل في جانب من الجوانب ينعكس سلبياً على جميع الجوانب الأخرى ومن أجل ان تكون التشخيصات دقيقة وفاعلة لهذا الجسم الاجتماعي المهم ، ولكي تكون المعالجة واقعية ومحددة اثرنا ان نعزل كل وحدة من وحدات الجامعة بشكل منفرد ونحدد مشكلاتها بعد ان نحدد الصورة المثالية لمهامها أملاً في أن يكون حل المشكلات دقيقاً وواضحاً .

عليه فقد تم تقسيم عرض المشكلات تبعاً لتخصصاتها إلى مشكلات ادارية ونظمية ومايتعلق بالتدريس والمنهج والتقويم والبحث العلمي والأبنية الجامعية والمستلزمات واخيراً خدمة المجتمع ، مع ايماننا بأن الجامعة حلقات متصلة لامنفصلة فالنظام الاداري الجامعي الفعال هو الذي يستطيع ان يتابع عمل اجهزته كافة ويوفر المستلزمات ويتابع تنفيذ الخطط النوعية ، ويقترح الحذف والتطوير ..ومع هذا فهو لايستطيع بدون مشاركة الطالب وتفاعله والدولة وما تخصصه من ميزانيات للتعليم وكذلك درجة السيطرة والتحكم في الجوانب خارج اطار التعليم العالي . كالتعليم قبل الجامعي .

وفيما يأتي وصف سريع لواقع مشكلات الجامعة في الجماهيرية :ـ

1ـ الإدارة :ـ

تمثل الادارة عصب العمل في الانظمة الديناميكية ، فهي المسئولة عن عمليات التخطيط والتنفيذ ومتابعة واستمرارية عمليات التنفيذ بامتلاكها نظم تقويم وبحوث عمليات ذات طابع مستمر ، وما التجربة اليابانية في النمو ـ الاقتصادي والاجتماعي إلا مردود للإدارة العلمية الناجحة لمؤسسات خرجت مخربة في حرب ضروس بعد الحرب العالمية الثانية لتعتمد بعد ذلك على ذاتها في التخطيط والتنظيم ولتنهض من جديد لتقود تجربة صناعية واقتصادية شاملة وفريدة من نوعها رغم قلة مواردها الطبيعية .

ويبين النشار في هذا الصدد ان الادارة الجامعية هي عصب النجاح في الحياة الجامعية ، فهي التي تضع أسس التخطيط السليم بالمشاركة والتفصيل لكل عناصر التخطيط (أعضاء هيئة تدريس ، طلبة ، موظفون ، باحثون .. الخ) كما أنها حلقة وصل بين الجامعة والمؤسسات الأخرى ، وهي الرابطة مابين الجامعة والمجتمع .(8)

وفيما يتعلق بالجامعات في الجماهيرية فإن السؤال الذي يطرح هل استطاعت ادارتنا الجامعية ان تخطط بشكل سليم وفاعل تحدد من خلاله صورة الجامعة المستقبلية المنشودة؟ حيث ان واجب الادارة ان ترسم خط سير دقيق للنظم وتوفر لها مستلزماتها البشرية والمادية وتضع لها سياقات عمل تسمى اعرافاً جامعية وتضبط كل ذلك بفاعليات محددة ومخططة ضمن تقويم زمني محدد .

إن ماتشكو منه ادارتنا الجامعية بالمقام الأول بطئ الحركة ، ضعف الأعراف غياب التحديث وبطالة مقنعة طالت كل مفاصلها ، والخدمات ضعيفة والمستلزمات غير مستغلة استغلالا فاعلاً وضعف ضبط دوام الطلبة ولم تهئ الظروف للأقسام العلمية كوحدات ادارية مستقلة وفاعلة ، وحتى مواقع التنظيم الأفقي لازالت محددة فإدارتنا الجامعية لاتمتلك صورة واضحة عن الكلفة والعائد ولم تحسب بدقة كلفة الطالب في كل تخصص ولم تحسب الكفاءة الداخلية لنظمها ، وحتى جوانب التحويل المركزية فهي لازالت غير مستثمرة بالشكل الذي يفعّل الكفاءة الداخلية فأبواب الصرف غير مخططة تخطيطاً واضحاً كما أن معظم كلياتنا لازالت تستخدم النظام السنوي الذي غادرته معظم الجامعات العالمية العريقة لعيوبه الكثيرة .

2 ـ توجه النظام الجامعي :-

لقد اشرنا في بعض حديثنا عن توجه حاجات جامعات العالم حالياً في أنها تتجه لتحمل ثلاثة واجبات رئيسية هي ، التدريس والبحث العلمي ثم الخدمة المجتمعية ..

إلا أننا نجد غياباً واضحاً للبحث العلمي والخدمة المجتمعية في معظم كليات جامعات الجماهيرية وتقتصر فقط على واجب التدريس ، في حين لايمثل التدريس سوى نقل للمعرفة وهذا النقل مزال نقلاً معرفياً آلياً تقليدياً ، إذ أنه بدون البحث العلمي لايمكن للمعرفة أن تعمق وترسخ ، وانما تصبح مجرد ترف فكري وضرب من الكماليات .

ان استمرار الجامعات بمد المجتمع بملكات تحمل المعرفة دون مهارة ، تحمل المعلومات دون مقدرة علمية على ممارستها يجعل منها ، مع مرور الوقت ، مجرد قوى بشرية نصف أو شبه مؤهلة غير قادرة على ترجمة ماتعلمته في حقل العمل ، وإذا اضفنا إلى كل ذلك ضعف السوق الاجتماعية للخريجين(سوق العمل) لذا سيتحول ما تخرجه الجامعات بسبب ضعف الإعداد وقلة الطلب والممارسة في المجتمع ، إلى بطالة مقنعة تتقادم خبراتها وتتآكل مع مرور الزمن مما سيخلق اعباء على خزينة المجتمع ويتحول هؤلاء الخريجون من أداة فاعلة منتجة إلى أدوات نصف عاطلة مستهلكة .

3 ـ المناهج :-

يعبر المنهج عن منظومة الخبرات المراد نشرها وغرسها لدى الجيل الجديد ، فهي حصيلة نتاج البشرية بشتى التخصصات عبر تراكم الحقب التاريخية المختلفة ، تقوم المؤسسات التعليمية ببلورتها لتقدم محتوى وأساليب تعليمية يشترك اعضاء هيئة التدريس والمستلزمات التعليمية من كتب ودوريات ومختبرات وحقول ومعامل ... الخ في مساعدة الطالب على تغير سلوكه باتجاه تعلم الخبرات وعادة ماتمثل هذه الخبرات مجموعة معارف وقيم واتجاهات ومن ثم مهارات وطرق للبحث والتفكير .

مايؤخذ على المناهج التعليمية في الجماهيرية هي اعتمادها مبدأ التكديس المعرفي والتركيز على الموسوعية المعرفية على حساب المهارات العقلية والوجدانية كما أن العديد من المواد في التخصصات المختلفة قد خلا من التنسيق الأفقي بحيث تنمو هذه الخبرات منطقياً عبر سنوات الدراسة ابتداء من السنةالأولى وانتقالاً لسنوات التعليم الأخرى وكل خبرة تكمل ماقبلها .

ان التحليل الأولي لبعض مناهج بعض التخصصات التي كشفتها ملاحظات بعض الدراسات الأولية هو تداخل مواضيعها حتى بالنسبة للسنة الواحدة ، مع ضعف واضح في مجال التحديث الذي يسير بخطى بطيئة للغاية رغم القفزات النوعية وسرعة التغير المعرفي الذي تشهده التخصصات المختلفة عالمياً وان مايجري من تحديث في جامعاتنا يعتمد على عضو هيئة التدريس ودرجة ومدى معرفته باللغة الأجنبية فضلاً عما يتوفر لديه من مصادر وكتب.

ان المكتبات الجامعية في الجماهيرية واقعاً وتحديثاً وخبرة لايمكن مقارنتها حتى بالمكتبات في البلدان العربية السائرة في طور النمو كالأردن والعراق وسوريا ومصر فكيف بالنسبة لمكتبات الجامعات العريقة في العالم ، ونظم المعلومات اليوم أصبحت لغة العصر ودخلت ثورة الاتصالات كل بيت وليس كل كلية ، بينما المكتبات في كلياتنا الجامعية المتناثرة عبارة عن كتب80٪ منها تمثل تاريخاً للعلوم والدوريات محدودة للغاية وخاصة الأجنبي منها الذي يوفر احدث الدراسات والبحوث سيما للدراسات العليا التي بدأنا نتوسع بها بشكل كبير .

وبالنسبة للمختبرات والحقول الجامعية فهي في معظمها مختبرات تعليمية ونادراً ما تجد في كلية مختبرات بحثية أو تجريبية (كالحقول التطويرية) .

أما التدريس فيقتصر في معظم صفوفنا على السبورة والطباشير ونادراً ماتجد عضو هيئة تدريس يستخدم الوسائل التعليمية كالعارض الرأسي أو السلايد المتحركة ..أو غيرها ، فهي إما غير متوفرة أو يصعب استخدامها.

4 ـ البناء الجامعي :ـ

رغم ارتباط البناء الجامعي بالإدارة الجامعية إلا أن عملية نشر الأبنية بالشكل الذي عليه الآن تجعلنا نفرد له نقطة خاصة لأهميته ، إن الأبنية الجامعية في كل العالم المتقدم والنامي منه يتجه إلى مايسمى بالمجمعات الجامعية أو القرى الجامعية ، حيث توفر بهذه القرى والمدن الجامعية جميع الكليات والمعاهد ومراكز البحوث اضافة إلى المسارح ودور الترفيه والملاعب والمراسم ودور الفنون الأخرى ، فضلاً عن الأقسام الداخلية والمطاعم الطلابية وغير ذلك .. ولقد سارت على هذا المنوال لأسباب اقتصادية وثقافية وادارية معظم دول العالم بمختلف امكانياتها النامية والمتقدمة .

ولتحقيق التوجه في الجماهيرية بشأن نشر التعليم الأفقي ، يتحتم التخفيف من المركزية الادارية والمالية باعتماد نظام التعليم من خلال المعاهد العليا بالنسبة لإعداد الكوادر ، بينما الاقتصار على عدد من الجامعات فيما يخص الدراسة الجامعية الهادفة إلى البحث والتطوير العلمي واعداد الكوادر في بعض التخصصات التي تحتاج إلى امكانيات كبيرة .

5 ـ عضو هيئة التدريس :ـ

تعد الجامعة مؤسسة تربوية قبل ان تكون مؤسسة تعليمية ، إذ أنها تمنح مع المعارف قيماً واتجاهات اجتماعية مطلوبة ومرغوبة وتعد الإنسان للحياة المستقبلية فهي أي الجامعة مرآة المجتمع الناقلة والناقدة لقيمه واعرافه ومثله وايديولوجيته ، وتقع عملية النقل والتطور والنمو على عاتق اعضاء هيئة التدريس بالجامعات بما يمتلكون من مؤهلات وامكانيات تربوية ومعرفية ، وليس اعضاء هيئة التدريس أداة فحسب بل وسيلة تفاعل ونموذج في العلم والأخلاق .

وان حللنا واقع اعضاء هيئة التدريس في الجماهيرية لوجدنا ان اكثر من **85٪** من اعتماد الجماهيرية على الوافدين من العراق ومصر وبعض الدول العربية الأخرى وخاصة في الكليات النائية وعلى الرغم من أننا لانقلل من الجهد الذي يبذله الأخوة العرب في اعداد الكوادر الوطنية إلا أننا نلاحظ الآتي:ـ

1 ـ الاعتماد على حملة الماجستير الوافدين حديثي التخرج في تدريس المواد النظرية وخاصة في العلوم التطبيقية دون التأكد من خبراتهم والتدقيق في مؤهلاتهم .

2 ـ ان غالبية الأخوة الوافدين على الرغم من تحصلهم على شهادات في التعليم العالي إلا انهم لم يمارسوا عملية التدريس ويزج بهم في التدريس مباشرة دون التدقيق في الخبرة التدريسية لديهم لأنهم كانوا يمارسون في بلدهم اعمالاً ادارية تختلف عن العملية التعليمية .

3 ـ ان معظم الأخوة الوافدين اقتصر دورهم على التدريس فقط ولسبب ضعف البرامج البحثية في الأقسام وقلة نظام الحوافز في الجماهيرية للبحث العلمي أو الاستشارات العلمية والخدمة المجتمعية فإن معظم اعضاء هيئة التدريس الوافدين يركزون عملهم على ساعات التدريس فقط .. مما يشكل خسارة لهذه القوى البشرية التي يمكن الاستفادة منها في البحث والتطوير .

4 ـ ان معظم الوافدين فئات متحركة أي نادراً ما تبقى لفترة طويلة في مكان واحد ، فهي تنتقل

متى وجدت ضروف حياة أفضل في حين ان بناء القسم العلمي في جميع جامعات العالم يعتمد اساساً على الملاك المستقر الذي مابين 4 ـ6 سنوات ، وهذا يرتبط ارتباطاً مباشراً بالإدارة الجامعية حيث ان ضعف الادارة الجامعية وعدم استقرار الجامعات يجعلها غير قادرة على تحديد الحاجة لفترة طويلة من الزمن وامكانية التعاقد لأكثر من سنة واحدة .

ونخلص إلى القول انه مهما تكن ظروف الحاجة وكفاءة عضو هيئة التدريس الوافد عالية ، إلا اننا نرى ان الملاك الوطني المؤهل ضروري جداً وينبغي ان تتوازن احجامه مع احجام الوافدين ، إذ ان جميع دول العالم التي اعتمدت الوافدين اساساً للبناء الحضاري سرعان ما وضعت خططاً علمية لعملية اعداد الكوادر الوطنية البديلة .

6 ـ الخدمات الجامعية : ـ

تعاني كليات جامعات الجماهيرية بشكل عام من ضعف في الخدمات الجامعية ويعود جزء مهم من هذا الضعف اي ضعف المتابعة الإدارية والجدية في توفير هذه الخدمات في توفير المبالغ والخطط المناسبة والبرمجة المسبقة لما يحتاجه الطلبة واعضاء هيئة التدريس فخدمات السكن والنقل الجامعي والإطعام وشكل المطاعم ونوع الأغذية المقدمة لايتلاءم والمستوى الجامعي كما ان معظم كليات الجماهيرية تعاني من ضعف مجالات الترويح أو الاستراحات الخاصة بالشباب أو حتى اعضاء هيئة التدريس .

وزيادة عن الأسباب السالف ذكرها فإنه من الأسباب الرئيسية لهذه المشكلات أن الجامعة تتولى تقديم العديد من الخدمات نيابة عن المؤسسات الأخرى بالمجتمع مثل السكن والمواصلات والخدمات الصحية من خلال الاعتماد المباشر على الخزينة العامة للمجتمع في الوقت الذي يمكن فيه الاعتماد على النشاط الفردي والجماعي من خلال الشركات والتشاركيات التي يمكن ان توفر العديد من فرص العمل وتقدم الخدمات المصاحبة للعملية التعليمية وتترك للجامعة المهمة الرئيسية المنوطة بها ألا وهي التدريس والبحث العلمي والخدمات المرتبطة بها مثل الاستشارات والخدمات الأخرى .

7 ـ المرحلة قبل الجامعية : ـ

يعتمد قياس الكفاءة الداخلية للمؤسسات التعليمية وما بعدها الكفاءة الخارجية على عملية التفصيل المتوازن بين مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها ، فكلما تحسن نوع المدخلات اثر ذلك على نمو وتطور العمليات ومن ثم تكون المخرجات ضمن السياق والمنطق المطلوب والمقبول .

ان ماتعاني منه الجامعات بالجماهيرية وجود العديد من المشكلات في مدخلاتها والتي تؤثر بشكل جلي وواضح على العمليات ومن ثم المخرجات إذ لايمكن للتدريس الجامعي ان يقوم بتعليم المهارات الأساسية كالقراءة والنحو وغيرها التي ينبغي ان يكون الطلاب مزودين بها عبر سنوات تعليمهم قبل الجامعية .

والجامعة في وضعها الراهن تفتقد ليس إلى الإمكانات المادية وحسب وإنما إلى المنهج العلمي المدروس الذي يوازن بين مدخلاتها وعملياتها كي تكون مخرجاتها علمية دقيقة ، ولا تستطيع الجامعة تحقيق النوع المقبول من المخرجات لوحدها مالم ينظر إلى التعليم النظامي كوحدة تراكمية متكاملة ابتداء من التعليم الأساسي فالمتوسط ثم الثانوي ، ان النظرة التحليلية للواقع تشير عكس ذلك إذ نجد ان هذا التعليم لازال يعاني من ثنائية التخصص العلمي والأدبي حيث يؤمن بعض المسئولين ان تخصص العلوم الاجتماعية واللغات والفنون وغيرها من العلوم الانسانية تندرج تحت تسمية اللاعلم وهي مجرد ادبيات تعبر عن وجهات نظر ذاتية بينما نجد أن الأمم المتقدمة تستند في بنائها المادي

على القاعدة الإنسانية في الأدب والثقافة وعلم النفس والسياسة والتاريخ ، فالشعوب لاتنهض مالم تخلق قاعدة ثقافية انسانية توجه البناء المادي أو القاعدة التحتية وان التطور النوعي المدي أو الفكر ثقافياً كان أو اقتصادياً فإن بؤرته الاساسية ومجال الطلاقة في الأقسام العلمية الجامعية ومختبراتها ومعاملها واقسامها .

8 ـ البحث العلمي : ـ

يقف البحث العلمي في مقدمة مهام وواجبات الجامعة منذ اكثر من 200سنة وقد اشرنا سابقًا ان البحث العلمي قد اسهم في تطوير التنمية في العديد من البلدان المتقدمة ، بل اسهم أيضًا في حل مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية .

تشير العديد من الدراسات ان نجاح البحث العلمي يحتاج إلى عدة شروط : ـ

1 ـ توفر الملاكات البحثية الكفوءة ذات الرغبة والتخصص .

2 ـ التحويل الخاص المرتبط بتسهيلات ادارية .

3 ـ توفرالمستلزمات البحثية بشتى صورها ، مختبرات ومعدات .. وشتى المتطلبات لنجاح وتسهيل البحوث العلمية .

4 ـ مكتبة متطورة وشبكة معلومات فاعلة(انترنت) ومتوفرة بشكل سهل للباحثين .

5 ـ وجود مساعدين للباحثين يوفرون مايسمى بالمادة الخام في العلوم التطبيقية أو الاجتماعية وعادة يكونون حملة الماجستير والدبلوم التخصصي خير من يمثل هؤلاء .

6 ـ وسائل النشر والتسويق فالبحث العلمي لامعنى له دون مجلة تسويق لكي تتم الاستفادة القصوى من البحث العلمي .

7 ـ وجود مؤسسات تستثمر هذه البحوث وتمولها .

والسؤال الذي يطرح نفسه إلى أي مدى نجحنا في الجماهيرية في توفير ولوجزء بسيط من الشروط آنفة الذكر ؟ في ضل ملاك تدريسي متحرك ، وتوجه غير واضح للجامعات وغياب التخطيط المركزي الواضح ، وضعف الإيمان بقيمة البحث العلمي وأهميته وغياب عامل النشر والتسويق والاعتماد على توفير الملاكات الفنية الأجنبية ، وغياب البحث العلمي كسلوك يومي رئيس لأعضاء هيئة التدريس وفي الحدود الدنيا اقتصر على مشاريع الطلبة ونتاجاتهم .

9 ـ الخدمات المجتمعية : ـ

في الوقت الذي خطت بها الجامعات الألمانية خطًا بحثيًا كانت الجامعات الأمريكية بحكم الحاجة البرجوازية الاستثمارية لقياداتها الجامعية قد وجهت نحو الاستثمار الأمثل لعقولها في خدمة المجتمع وكذلك اسهم المجتمع بدعم الجامعة ماديًا بمنح قروض ومنح مالية للمشاريع الجامعية ذات الإطار الخدمي كما تشارك الجامعة بفاعلية عالية في حل المشكلات الاجتماعية خاصة في ايام الأزمات والصعوبات الاقتصادية .

وفي الربع الأخير من القرن العشرين توجهت العديد من جامعات آسيا وافريقيا في كوريا ونيجيريا وماليزيا إلى الخدمة المجتمعية كهدف ثالث مهم من اهداف الجامعة وقد نشر تقرير حكومي في العراق عام1997 أشار ان حجم العائدات التي دخلت الجامعات من مكاسبها الاستشارية الاجتماعية وبحوث اعضاء هيئة تدريسها التطبيقية مايقارب من 470مليون دينارعراقي ، كما اسهمت هيئة المعاهد الفنية في تحسين زراعة وتطوير انتاج الحبوب في مختلف انحاء العراق وجنت عائد قدره106مليون دينار ، تذهب 70٪ من هذه العائدات للباحثين اعضاء هيئة التدريس ، وتستثمر الجامعات 30٪لتحسين مختبراتها ومكتباتها .(9)

ونحن بالجماهيرية بحاجة ماسة لتشجيع مستمر لاستثمار البيئة المحلية ثقافياً وفكرياً واقتصادياً وجميع التخصصات الجامعية بمختلف الكليات لكي تستطيع القيام بذلك من خلال ملاكاتها المتخصصة ويمكن الإشارة إلى بعض الخدمات التي يمكن ان تقدمه الكليات الجامعية : ـ

1 ـ الاستشارات الفنية والعلاجية وحل المشكلات الفنية والاقتصادية التي يمكن لكليات الطب والهندسة والعلوم والإدارة والاقتصاد القيام بها .

2 ـ التدريب الفني والمهني(كليات التربية ، العلوم ، والطب ، والآداب ، والهندسة) .

3 ـ الاستشارات القانونية (كليات القانون) .

4 ـ المحاسبة المالية (كليات المحاسبة) .

5 ـ تجارب حقلية(كلية الزراعة ، والطب البيطري) .

6 ـ انتاج مواد مختبرية(الطب ، العلوم ، والهندسة) .

7 ـ توجيه الإعلام (أقسام علم النفس ، واللغات) .

كما يمكن لأمانات اللجان الشعبية العامة والشعبيات أن توجه وحداتها للتعاون والاستفادة من الخدمات الجامعية ، كما ينبغي للجامعات ان تفتح ابوابها للنشاط الاجتماعي والعمل بطريقة اليوم الكامل .

10 ـ الدراسات العليا : ـ

تمثل الدراسات العليا المعين المهم والرافد الأساسي للجامعات التي تمدها بالملاكات التدريسية والباحثين والدماء الجديدة التي تتحمل المسؤولية جيلاً بعد آخر ، ناهيك عن ما تقدمه بحوث الدراسات العليا من معلومات مهمة فضلاً عن كونها مركز إعداد واستقطاب لأفضل انواع الطلبة وهي بمثابة البؤرة التي تتجمع فيها العقول لتختبر خبراتها ومهاراتها .

وعليه فقد امتازت الدراسات العليا في العالم في أنهامركز استقطاب لأفضل اعضاء هيئة التدريس والطلبة ويخصص للدراسات عادة تمويلاً مناسباً ومكافآت مغرية تدفع للشباب واعضاء هيئة التدريس للانخراط فيها بدافعية لما تحمله من مغريات علمية ومادية .

وعادة تضع الجامعات شروطاً لاستحداث الدراسات العليا تهتم الجامعات بتوفرها قبل عملية الاستحداث فمع الملاك التدريسي الكفء وذوي الخبرة توفر الجامعات أسس قبول خاصة مع شروط توفر اللغة الأجنبية وتوفير المستلزمات البحثية من المختبرات وحقول وادارات ومصادر معلومات حديثة سيما الدوريات منها وفي العديد من دول العالم لاتنتشر الدراسات العليا افقياً(خاصة في كل جامعة) بل يتم تجميعها عموماً تبعاً للتخصص وتوفر المستلزمات فليس من الضروري أن تختص جامعة واحدة في توفير جميع تخصصات الدراسات العليا بل يمكن نشرها على اكثر من جامعة بعد توفر مستلزمات نجاحها .

والسؤال الذي نود طرحه في هذا البحث هل وفرت جامعاتنا شروطاً مهمة تستقطب افضل الطلبة للدراسات العليا؟ وهل وفرت الإمكانيات البشرية والمادية اللازمة لانجاح الدراسات العليا وجعل بحوثها ذات طابع نوعي تنموي وليس كمياً ومكرراً ؟

ومن السبل المهمة لإنجاح الدراسات العليا وتنميتها التجميع التخصصي مع توفير حوافز تستقطب افضل الطلبة واعضاء هيئة التدريس كما يمكن تحديد البعثات للدول الصناعية وتحويل جزء من المبالغ المخصصة لتطوير شبكات المعلومات الجامعية والمعامل والمختبرات ودعم برامج الأساتذة الزائرين العالمية(استضافة علماء لمدة فصل دراسي أو أقل) وتشجيع الإشراف المشترك وخاصة في مرحلة الماجستير في مختلف التخصصات مع الدول المتقدمة حسب المجال ووضع سياسة قبول نوعية تغري افضل الطلبة وعدم تبني سياسة فتح الأبواب دون شروط محددة .

الهوامش :ـ

1 - Hussen .D . university in the modern world . Perspectives . unesco puli cation .vo12 . no8 .1992 p.125 .

2 - Education Institute of evaluation .the best university in usa . American veau of evaluation 1998. p .6 .

3 - Brown .J . History of American universities .Me . Grow .Hall . Company .N.Y.1980 .P .75 .

4 - Hussen نفس المرجع السابق P .127 .

5 ـ خليل ، سعاد ، تخطيط المناهج التعليمية في التعليم العالي ، الندوة العلمية الأولى لتخطيط المناهج التعليمية ، وزارة التعليم العالي ،بغداد ، 1984 ، ص150 .

6 ـ النجار ، شكري ، الجامعة ووظيفتها الاجتماعية العلمية ، مجلة الفكر العربي ، العدد (20) ، 1981، ص140 .

7 ـ التير ، مصطفى عمر ، التعليم العالي والتنمية ، مجلة الفكر العربي ، العدد(87) ، السنة (18) 1997 ، ص42 .

8 ـ النشار ، طلعت ، الادارة الجامعية ، جامعة دمياط ، مصر ، 1985 ، ص12.

9 ـ وزارة التعليم العالي ، التقرير السنوي للتعليم العالي في العراق ، بغداد ، العراق ، 1997 م

ملـف اللـغـة

اللغة الإنسانية
بين التوقيف والاصطلاح

د . البشتي الطيب بشنة

توطئة :.

اللغة ظاهرة اجتماعة مهمة في المجتمع الإنساني ، ووسيلة من أفضل وسائل الرقي الحضاري عند بني البشر ، فهي الأداة الطيّعة للتعبير عمّا يجول في ذهن الإنسان من أفكار ومشاعر ، وهي سجل حافل ينم عن أخلاق متكلميها وعاداتهم ونشاطهم الفكري والأدبي ، قال الله تعالى (ألم نجعل له عينين ، ولسانًا وشفتين وهديناه النجدين) (1) ، فالعينان ينظر بهما الإنسان ، واللسان يفصح به عما في قلبه أو فكره والشفتان يستعين بهما على الأكل والشرب وإحداث النطق أو الكلام (2) .

واللغة الإنسانية قد تكون بالصوت المسموع عن طريق الأذن ، أو بالصوت المكتوب أو المقروء عن طريق العين ، وقد تكون باللمس بواسطة استعمال مايسمى بطريقة (برايل) الخاصة بتعليم المكفوفين القراءة والكتابة .

وهناك فرق بين اللغة والكلام (3) ، فاللغة هي قدرة الإنسان على التكلم أو التخاطب والتفاهم مع بني جنسه ، فهي مجموعة أصوات أو ألفاظ متفق عليها بين الناس ، لتبادل المشاعر والأفكار ، وتحقيق أوجه التعاون بينهم ويذهب ابن جنّي في تعريفه للغة الإنسانية بأنها (أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم)) (4) .

أما الكلام فهو نشاط أعضاء الجهاز الصوتي لإنتاج أصوات أو ألفاظ ، لها دلالات لغوية مفهومة عند كل من المتكلم والسامع .

وقد عرفه بعض أهل اللغة بقوله :((ماتركب من كلمتين أو أكثر ، وله معنى مفيد مستقل))(5) .

وتبرز أهمية اللغة الإنسانية في كونها السمة التي يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات ، فالله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بالعقل والقدرة على التفكير ، وخصه بنعمة الكلام ليعبر به عما في عقله أو قلبه إضافة إلى أن اللغة الإنسانية تتميز بما يعرف بالربط الزمني للحضارة الإنسانية ، أي أن مايتعلمه جيل يمكن أن ينتقل إلى غيره من الأجيال عن طريق اللغة ، فهي من أهم وسائل نقل الحضارة ورقيها في المجتمع الإنساني لأن بواسطة هذه الأداة يستطيع كل جيل أن يضيف إلى المعرفة الإنسانية أهم ماتوصل إليه ، وبذلك يتمكن المجتمع من أن يتطور ويتقدم ، بخلاف الحيوان ، فميزة الربط الزمني للحضارة ذات التطور تكاد تكون معدومة لديه ، فالطيور التي تبني أعشاشها على أغصان الأشجار ، أو في أعالي الجبال والكهوف تتبع نفس الطريقة التي كانت تتبعها الطيور منذ مئات السنين .

فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يملك هذا المؤهل ، أي القدرة على الربط الزمني للحضارة بواسطة اللغة (6) .

ولكن ما أصل اللغة الإنسانية ؟ وما أهم النظريات أو الآراء التي تفسر نشأة اللغة عند الإنسان ؟ ذلك هو موضوع هذا البحث وفيما يلي تفصيل وبيان :

لقد حاول بعض العلماء منذ القدم دراسة سلوكيات الأطفال الذين عاشوا منعزلين عن البشر في الأدغال أو الغابات ، وفي الكهوف مع الحيوانات بهدف الوصول إلى رأي يعلل كيفية نشأة اللغة عندهم ، إلا أن هؤلاء الأطفال بمجرد أن يعيشوا مع الناس يتعلمون اللغة ، ولم يجد هؤلاء العلماء في طريقة تعلم أولئك الأطفال ما يرشدهم إلى أصل اللغة ، وكيف اهتدى اليها الإنسان القديم.

وقد تعددت آراء العلماء وأفكارهم حول تفسير أصل اللغة الإنسانية وتباينت ، لكنها تبلورت في نظريات يساورها في اغلب الأحيان بعض الظن والتخمين .

وقبل تناول أهم هذه النظريات يجدر بنا توضيح مفهوم النظرية ، فالنظرية هي مجموعة من التصورات الافتراضية ، أو الاحتمالات المؤلفة تأليفًا عقليًا ، تهدف إلى الربط بين النتائج والمقدمات ، لتوضيح حقيقة معينة من الحقائق العلمية أو الإنسانية أو الطبيعية ، أو نحو ذلك(7) .

واليكم بعض من أهم هذه النظريات التي تفسر أصل اللغة الإنسانية : ـ

أولاً ــ النظريات القديمة ، ومن أشهرها : (8)

1 ـ نظرية الأصل المقدس : ـ

وقد اعتمد أصحابها على ماجاء في التوراة والإنجيل ، حيث ظهرت هذه النظرية نتيجة لتفسير نصوص الكتب المقدسةالخاصة بكيفية تلقي آدم عليه السلام اللغة من ربه ، فقد ذهب هؤلاء إلى أن اللغة إلهام أو هبة من الله تعالى بها اكتسب الإنسان القدرة على تسمية الأشياء بمسمياتها ، بمعنى أن الله عز وجل خلق كل المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وغيرها ، وأحصرها لآدم ، وألهمه بماذا يسميها ، فهذه النظرية تؤكد أن الأصل في اللغة هبة أو إلهام من عند الله بها تمكن الإنسان من وضع الأسماء على مسمياتها .

2 ـ نظرية فلاسفة الإغريق : ـ

اشتد الجدل والصراع بين مفكري الإغريق حول أصل اللغة الإنسانية ومن أشهر مذاهبهم في ذلك : ـ

أ ـ مذهب الطبيعة : ـ

من أصحاب هذا المذهب افلاطون وفيثاغورس ، حيث يرى هؤلاء أن اللغة الإنسانية نشأت نشأة طبيعية كغيرها من الأشياء الفطرية الطبيعية مثل الأكل والشرب والضحك والبكاء ونحو ذلك ، فهم يذهبون إلى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه هي علاقة طبيعية ، ودليلهم على ذلك أن بعض الأصوات في اللغة تدل على معانيها ، ففي اللغة العربية هناك بعض الكلمات ، تدل أصواتها على معانيها ، مثل صوت الغليان والفوران يدل على حركة الماء بسبب ارتفاع درجة حرارته ومثل صوت الهبوب يدل على حركة الهواء من مكان إلى آخر .

ب ـ مذهب الاتفاق أو الاصطلاح : ـ

يرى أصحاب هذا المذهب أن اللغة أمر يكتسب بالتعلم والتدريب والمران ، ويرفضون أن تكون اللغة من الأشياء الفطرية الطبيعية كالأكل والشرب والمشي والفرح والحزن ، فلو كانت كذلك لكانت واحدة عند كل البشر ويتزعم هذا المذهب أرسطو وديمقراط .

ويعترض على هذا المذهب بأنه لو كانت اللغة ناشئة بالاتفاق أو الاصطلاح بين الألفاظ ومعانيها لاحتاج الناس إلى وسيلة للتفاهم على هذا الاصطلاح أو الاتفاق ، لم يثبت في التاريخ الإنساني أن هناك قوماً من البشر اتفقوا أو اصطلحوا على وضع لغة يتخاطبون بها ويتفاهمون ، وانما جاءت هذه الأداة مع البشر تلقائياً عفوياً لتساهم في بناء المجتمع الإنساني وتحقيق أوجه التعاون بين افراده .

ثانياً : آراء العرب حول أصل اللغة الإنسانية :(9)

اهتم المفسرون وأهل اللغة من العرب بقضية أصل اللغة الإنسانية وتبلورت آراؤهم في نظريتين ، هما نظرية التوقيف ، ونظرية الاصطلاح :-

1 ـ نظرية التوقيف :

ومن أصحاب هذه النظرية ابن عباس ، والقرطبي ، والزمخشري ، وابن جني وابن فارس ، والسيوطي ، وغيرهم ، ويذهبون في رأيهم إلى أن اللغة الإنسانية الهام واستعداد رباني في الإنسان معتقدين أن اللغة الإنسانية الأولى واحدة .

ويوضح هؤلاء كيفية تلقي الإنسان اللغة بأن الله تعالى خلق آدم عليه السلام ، وفيه استعداد رباني لأن يتعلم الأسماء ومدلولاتها ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم كما في قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كُلَّها)(10) فقد فسر التعليم في هذه الآية بالتلقين عند بعض العلماء(11) بمعنى أن الله عز وجل علم أو لقن آدم الأسماء التي يتعارف بها الناس ،والمراد بالأسماء هنا أسماء جميع المخلوقات من إنسان وحيوان ونبات وطير وبحر ونهر وجبل ، وغير ذلك مما هو موجود في هذا الكون .

وقد خُصَّت الأسماء بالذكر في الآية السابقة دون الأفعال والحروف لأن الأسماء على حد رأيهم هي أساس الكلام فلابد لكل كلام مفيد من احتوائه على الاسم ، بخلاف الفعل والحرف ، فقد يتحقق الكلام المفيد دون استخدام الفعل أو الحرف كقولك : العلم مفيد ، والصدق فضيلة ، كما أن الاسم اقوى منهما أي من الفعل والحرف ، ويقال إنّ الاسم جاء من السمو ، أي من العلو والارتقاء ويتضمن الاسم ايضاً معنى الفعل أو الحرف ، فقولك : خالد كاتب الدرس ، كأنك قلت : خالد يكتب الدرس ، وخالد في المجلس ، كأنك قلت خالد كائن أو مستقر بالمجلس ، كما أن تقسيم عناصر الكلام إلى اسم وفعل وحرف انما هو من وضع النحاة لغرض البحث والدراسة وان الأصل في هذه العناصر الثلاثة يعود إلى معاني الاسم ، كما رأينا .

وعلى هذا فأصحاب هذه النظرية لايفرقون بين الاسم والفعل والحرف ، وكذلك يستدل أصحاب هذا الرأي على أن اللغة توفيق من عند الله تعالى بقوله عز وجل (وَمِنْ آياته خَلْقُ السَّموات والأرْض ، واختلافُ ألْسنَتكُمْ) فهذا دليل يؤكد أن اختلاف اللغات بين البشر يدَل علىَ أن اللغة توقيفَ وأمر مَن الله سبحانه وتعَالى والمراد بالألسن في الآية الكريمة اللغات جمع لسان واللسان اللغة .

ويذهب أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) إلى أن اللغة الانسانية هبة ووقف من الله تعالى وليس للإنسان دخل في تكوينها أو التصرف فيها .

ويرى ابن فارس أن اللغة التوقيفية التي منحها الله لآدم لم تأت دفعة واحدة ولافي زمان واحد وانما كانت محددة بالقدر الذي يريد الله ان يتعلمه الإنسان مماهو في حاجة اليه بحسب الزمان والمكان والظروف المحيطة به .

وقد نقل صاحب النظرات أن الله تعالى علَّم آدم أسماء جميع المخلوقات باللغة العربية والسريانية ، والعبرية والفارسية ، فكان آدم وأولاده يتكلمون بهذه اللغات ثم تفرقوا في الأرض فتعددت بعد ذلك اللغات .

كما نقل صاحب النظرات أن آدم وأولاده كانوا يتكلمون بلغة واحدة ، ولكنها تفرعت إلى لغات أو لهجات في اعقاب ابناء نوح بعد تبلبل الألسن في (حادثة بابل وبرجها العظيم) فقد ورد في الانجيل في الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أنه لما طغى أهل بابل وبنوا برجهم العظيم الذي تطاول عنان السماء بلبل الله السنتهم فرقا وشيعا لايفهم بعضهم بعضا ، بعد أن كانوا يتكلمون بلغة واحدة وبلسان واحد فانتشروا في الأرض ومن هنا ظهرت اللغات وتعددت غير أن هذا الرأي لم يؤيده علماء التاريخ بل هو مجرد احتمال وافتراض يساوره كثير من التخمين والظن بدليل أن كلمة (بابل) لاتعني عند بعض المفكرين تبلبل الألسن وانما جاءت من قولهم :(باب إيل) أي : باب الرب في إحدى اللغات القديمة .

وينكر أصحاب هذه النظرية الرأي القائل بأن اللغة اصطلاح واتفاق بين متكلميها ويحتجون بأنه لو كانت اللغة كذلك لاحتاج الناس في تخاطبهم وتفاهمهم إلى وسيلة سابقة أو اتفاق على الفاظ معينة يتفاهمون بواسطتها فيما بينهم ولو وجدت هذه الوسيلة لكانت هي اللغة ولم يثبت في التاريخ أن هناك أناسا اتفقوا على وضع لغة جديدة ، لم تكن معروفة لديهم من قبل ، مهما كانت درجة فصاحتهم لهذا وجب أن تكون اللغة امرًا توقيفيا من الله عز وجل للإنسان خصَّه بها دون غيره من المخلوقات (13) .

2 ـ نظرية الاصطلاح : ـ

يرى أصحاب هذه النظرية أن اللغة الإنسانية مواضعه واصطلاح أي أن الإنسان يملك التصرف فيها فهو الذي يستطيع تغييرها أو تعديلها باختراع الفاظ جديدة أو إهمال الفاظ أخرى كان يستعملها من قبل .

ويذهب هؤلاء إلى أنه لاتوجد علاقة بين الألفاظ ومدلولاتها ، وانما هي مجرد علاقة اصطلاحية وضعية للإنسان دخل في تكوينها أو تعديلها فمثلاً : إطلاق كلمة (قلم) على آلة الكتابة ليس له تعليل ، أوسبب لهذا الاطلاق ، وإطلاق كلمة (شجرة) على الشجرة ذاتها ، ليس له مايبرره وانما هو مجرد اصطلاح أو اتفاق بين الناس المتكلمين بهذه اللغة ، حيث إنه يمكن اطلاق لفظ آخر على آلة الكتابة أو الشجرة إذا اتفق أو اصطلح المتكلمون على ذلك.

ويستدل أصحاب هذه النظرية على مايذهبون اليه بأن اللغة الإنسانية يكثر فيها اللفظ القبيح والشاذ والمشترك اللفظي والترادف مما يسبب في بعض الأحيان سوء الفهم أو الخطأ في معنى الكلام وكل ذلك نقائض يجب أن ينزه الخالق عنها ولا تنسب اليه ،وإنما هي من صنع البشر واصطلاحهم ويستحيل على الله سبحانه وتعالى صنع شيء مخالف للمنطق لذلك يلزم أن تكون اللغة اصطلاحية بالمواضعة والاتفاق بين الناس وليست وقفًا من الله تعالى للإنسان .

كما يرد هؤلاء على القائلين بأن اللغة توقيف أن قوله تعالى :(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا) يجوز تفسيره بأن الله تعالى ألهم آدم عليه السلام النطق في معانيها بألفاظ اللغة وجعل فيه المقدرة على خلقها بنفسه والتصرف في معانيها فتواضع عليها وارتجل ألفاظها عند الحاجة اليها وبحسب الظرف المناسب لها .

وأغلب القائلين بالاصطلاح المعتزلة الذين اعتمدوا على المنطق الصوري وعلى رأسهم أبو علي الفارسي و كذلك أبو الفتح عثمان بن جنّي ، فقد وضح في كتابه(الخصائص) كيفية وضع اللغة عند أهل الاصطلاح وأن اللغة الإنسانية على رأي هؤلاء نشأت عن محاكاة الأصوات المسموعة ثم ولدت اللغات عن هذه المحاكاة فيما بعد ، يقول ابن جني :(وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هي من الأصوات المسموعة كدوي الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونحو ذلك ثم ولدت اللغات فيما بعد) .(14)

ثالثًا : نظريات العلماء المحدثين في تفسير أصل اللغة الإنسانية :ـ

من أشهر هذه النظريات (15) :ـ

1 ـ نظرية التعبير أو الانفعالات :

يذهب اصحاب هذه النظرية إلى أن اللغة الإنسانية بدأت في صورة شهقات وتأوهات صدرت عن الإنسان بشكل غريزي لتعبر عن فرح أو غضب أو ألم ، أو دهشة ، أو نحو ذلك .

ويدين أصحاب هذه النظرية بما نادى به العالم (دارون) في نظريته الخاصة بتطور الكائنات الحية التي ربط فيها بين النشأة اللغوية للانسان وبين تلك الأصوات الغريزية الانفعالية المعبرة عن الفرح أو الغضب أو الدهشة أو نحو ذلك .

فقد جعل (دارون) جميع هذه الأصوات الأساس الأول الذي استحدث منه اللغة الإنسانية نشأتها ، إذ ربط بين هذه الأصوات وبين تقلصات أعضاء الصوت وانبساطها أي أنه حاول تفسيرها تفسيراً فسيولوجيا ، فقد ذهب إلى أن الشعور بالازدراء أو الغضب يصحبه عادة ميل إلى النفخ بالفم أو الأنف ، وهذا العمل يترتب عليه حدوث صوت يعبر عن هذا الانفعال مثل (أف) في اللغة العربية ، وهي كلمة تعبر عن الملل أو الضجر .

وكذلك في حالة الدهشة أو التعجب من أمر معين ، حيث يميل الفم والشفتان قليلاً إلى الاستدارة فيتولد عن ذلك صوت اللين .

(الضمة) وقد يطول هذا الصوت فيصحبه صوت الهاء مما ترتب على ذلك تأوّهات ، تعبِّر عن الدهشة أو التعجب مثل كلمة (أوه) في اللغة العربية ، و(OH) في اللغة الانجليزية .

أما في حالة الألم ، فقد تنبسط أعضاء الصوت بما في ذلك الوجه وتأخذ الشفتان الوضع المناسب لصوت اللين الخفيف (الفتحة) ويؤدي ذلك إلى الصوت المعبِّر عن الانفعال بالألم ، مثل كلمة (آه) في اللغة العربية ، و(ACH) في اللغة الانجليزية .

وهذا الرأي يتفق إلى حد بعيد مع ماذهب اليه أهل اللغة العرب في تسمياتهم للحركات الصوتية القصيرة فقد سميت الضمة ضمة لضم الشفتين ورفعهما عن النطق بالصوت وسميت الفتحة فتحة لفتح الشفتين عند إحداث الصوت وسميت الكسرة كسرة لانجرار اللحية إلى أسفل (16) .

غير أن هذه النظرية واجهت العديد من الاعتراضات ، من بينها أن مثل هذه الكلمات التي تعبِّر عن الانفعالات هي قليلة وأن اكثر الفاظ اللغة يخرج عن هذا الإطار كما أن هذه الانفعالات موجودة أيضًا لدى الحيوانات فلماذا لا تكون لديها لغة إذا كانت اللغة أساسها الانفعال على ما يذهب اليه اصحاب هذه النظرية .

2 ـ نظرية المحاكاة أو التقليد لأصوات الطبيعة :

يذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن اللغة الانسانية بدأت بمحاكاة الإنسان للأصوات الموجودة في الطبيعة فمثلاً حينما سمع الإنسان صوت الكلب قلّد هذا الصوت واتخذ اسما للكلب وعندما سمع زئير الأسد قلّد هذا الصوت وجعله اسما يطلق على هذا الحيوان وهكذا قلّد بقية الأشياء التي لها اصوات واتخذ هذه الأصوات اسماء تعرف بها تلك الأشياء التي قلّد صوتها .

فأصحاب هذه النظرية يرون أن اللغة الإنسانية نشأت بداية عن محاكاة الأصوات الموجودة في الطبيعة وكذلك عن محاكاة الأصوات الطبيعية المعبّرة عن الانفعالات كالفرح والغضب والدهشة والألم وغيرها من الأصوات ثم أخذت هذه اللغة ترتقي شيئًا فشيئًا بارتقاء عقل الإنسان ونضجه وبتطور الحياة الاجتماعية وازدياد حاجات الإنسان ومطالبه حتى وصلت إلى ماهي عليه الآن ويستدل هؤلاء على ذلك بأن الألفاظ تطورت بمرور الزمن تطوراً ابعدها عن معانيها الأصلية بالرجوع إلى معاجم

اللغة ، فالمتتبع لهذه المعاجم يجد أن اغلب الفاظ اللغة تتغير دلالاتها بمرور الزمن ، ففي معاجم اللغة العربية نجد أن هذه الظاهرة واضحة فالعديد من الفاظ هذه اللغة لها معان تختلف تماما لمعانيها المتداولة الآن ومن أمثلة ذلك كلمة(الثغاء) التي تعني في الأصل صوت الغنم ، أصبحت تعني الهبة أو العطاء ، ومثلها كلمة(نباح) التي تعني في الأصل صوت الكلب حينما يواجه موقفا من المواقف ، أخذت تعني قلادة تعلق في جيد المرأة(17) .

3 ـ نظرية الدفع الوظيفي : ـ

يذهب (دارون) في تفسيره لأصل اللغة الإنسانية إلى أن الوظيفة أو المهمة هي التي تخلق العضو في الكائن الحي وأن فقدان هذه الوظيفة أو المهمة يذهب بالعضو(18) .

وعلى هذا فالله سبحانه وتعالى هو الذي خلق كل الكائنات الحية وجعل لكل منها اعضاء تختلف هذه الأعضاء باختلاف دورها أو وظيفتها حتى يتمكن كل كائن من تحقيق حاجاته أو الدفاع عن نفسه ومن ثَمَّ يستطيع العيش مع غيره في المجتمع الذي ينتمي اليه فلما كان الانسان الأول يتسلق اغصان الأشجار ليأكل ثمارها أو يقطع الحجارة الصلبة ليتخذ منها أدوات وسلاحا يهاجم به عدوه من الوحوش أو الحيوانات المفترسة لهذا كانت يداه قويتين واصابعه مرنة حتى تتمكن يداه واصابعه من تحقيق هذه الوظائف .

وبناء على ماتقدم فإن اتباع(دارون) يرون أن الإنسان الأول كان في البداية يعبّر عن حاجاته أو رغباته بواسطة الإشارة بيده و في وقت متأخر أخذ يستعمل حركات الوجه والفم للتعبير عن هذه الحاجات أو الرغبات بدلا من الإشارة بيديه اللتين قد تكونان مشغولتين بعمل من الأعمال ، ثم تطورت حركات الوجه والفم لتصير أكثر ملاءمة لتأدية هذه الوظيفة وأن الأوتار الصوتية ساهمت في هذا العمل فنشأت اللغة .

غير أن هذه النظرية اعترض عليها بحجة أنها لاتستند على دليل مادي يؤيد ماذهبت اليه وانما هي مجرد افتراضات يساورها الظن والتخمين(19) .

رابعًا : نظريات العلماء المعاصرين لتفسير أصل اللغة الإنسانية(20) :

من أهم هذه النظريات نظرية التجريب : ـ

يتزعم هذه النظرية العالم اللغوي(جسبرسن) وتعتمد هذه النظرية على أسس علمية ، خاضعة للملاحظة والتجربة والاستنباط وهي من أحدث تلك النظريات ، وتقوم على أسس ثلاثة لمعرفة لغة الإنسان الأول ، وتتمثل هذه الأسس في دراسة لغة الطفل في مراحل نموه الأولى ، ودراسة لغات الشعوب البدائية التي لازالت تعيش في بعض المناطق المنعزلة من العالم ودراسة تطور اللغة عبر التاريخ الإنساني وبتتابع هذه الأسس الثلاثة يمكن الاهتداء أو التوصل إلى أصل اللغة الإنسانية فهذه النظرية تفيد أن حياة الطفل تمر بالمراحل التي مرت بها اللغة الإنسانية الأولى وذلك أن لغة الطفل تبدأ عادة بصراخ أو مناغاة ولايقصد به أي معنى ففي هذا الصراخ أو المناغاة يحرك الطفل لسانه أو شفتيه فينتج بعض الأصوات مثل صوت الباء والتاء و الدال والميم وتسمعه أمه فتفرح وتضمه لصدرها لأنه نطق بتلك الأصوات ، ويصادف احياناً أن ينطق الطفل بمقطعين من صوت الباء أو الميم معًا (بابا ـ ماما) وبتكرار هذه العملية يدرك الطفل قيمة هذا الصوت فيستعمله في استدعاء والديه أو طلب طعامه أو نحو ذلك ومن هنا يصبح صوت الطفل لغة مقصودة ثم تتطور لغة الطفل بنموه ويقلد الطفل مثل هذه الأصوات وغيرها بمرور الوقت وهكذا حتى يصبح قادرًا على النطق بمختلف المقاطع الصوتية .

ومن أصحاب هذه النظرية المفكر (هيجل) فقد ذهب إلى أن لغة الإنسان الأول قد بدأت بصياح لامعنى له ثم اكتسب هذا الصياح معنى بفعل الظروف المحيطة بالإنسان ومن ثم اصبح هذا الصياح لغة ، بحكم التكرار والاصطلاح ، هذا إلى غير ذلك من الآراء التي توصل اليها العلماء المعاصرون لتفسير أصل اللغة الإنسانية .

ومما تقدم نستطيع التوصل إلى استحالة وضع نظرية علمية ثابتة وقاطعة تفسر نشأة اللغة عند الإنسان الأول وكل ماتوصل اليه العلماء انما هو مجرد افتراضات واحتمالات ولكن يمكن القول بأن اللغة الإنسانية ظاهرة اجتماعية تولدت عن حاجة الإنسان إلى التخاطب أو التفاهم مع بني جنسه لتحقيق مطالبه المادية والمعنوية ، وأن هذه المطالب هي التي فرضت احداث ما يسمى بالجهاز الصوتي الذي يتم بواسطته ظهور تلك اللغة التي يتطلب استخدامها وجود عقل كلامي يميز بين الصوت ودلالته وبذلك يتمكن الإنسان من التخاطب أو التفاهم مع غيره من بني جنسه وذلك لإشباع حاجاته أو تحقيق مطالبه كما أَن اللغة الإنسانية على أرجح الآراء منطوقة منذ بدايتها وليست مجرد اشارات أو محاكاة كما يتوهم بعض المفكرين وانما هي وقف أو الهام من عند الله تعالى ليخص بها الإنسان لأنه يملك الاستعداد بفضل مامنحه ربه من نعم كالعقل والسمع والقدرة على التفكير والنطق ليكون خليفة الله في الأرض قال عز وجل (الرحمن علم القرآن ،خلق الإنسان علّمه البيان)(21) والبيان هو اللغة ، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وعلّمه أصول اللغة ، وبفضل ماليه من ملكة العقل والقدرة على النطق تمكّن من ارتجال الكلمات وتحديد العلاقة بين الألفاظ ومعانيها ، ووضع المصطلحات لبعض الكلمات ومسمياتها هكذا نشأت اللغة الإنسانية ، على أرجح الآراء .

الهوامش :-

1 - الآيات(8 -9 -10) من سورة البلد .

2 - روح المعاني ، لشهاب الدين الألوسي ، دار احياء التراث ، الطبعة الرابعة ، 1985ف . جـ 30 ، ص136 .

3 - اللغة بين المعيارية والوصفية ، لتمام حسّان ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 1980.ف ، ص5 -6 والتمهيد في علم اللغة ، لـ محمد خليفة الأسود ، منشورات الجامعة المفتوحة ، الطبعة الأولى 1991ف ، ص11 ومابعدها .

4 - الخصائص في اللغة ، لأبي الفتح عثمان بن جنّي تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، جـ1، ص33 .

5 - النحو الوافي لعباس حسن ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الرابعة ،1971ف ، جـ1 ، ص15 .

6 - التمهيد في علم اللغة ، ص11 ، واللغة بين المعيارية والوصفية ، ص9 .

7 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب ، لمجدي وهبة وآخر ، مكتبة لبنان ، 1984ف ، ص413 .

8 - نظريات في اللغة ، لمحمد مصطفى رضوان ، منشورات جامعة قاريونس ، الطبعة الأولى ،1976ف ، ص38 ، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس مكتبة الأنجلو المصرية ،1980ف ،ص13 .

9 - الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، ص6 ، والخصائص لأبن جني ، جـ 1 ،ص40وما بعدها والمزهر في علوم اللغة السيوطي ، تحقيق محمد جاد المولى ، وآخران ، دار الفكر ، ص17وما بعدها .

10 - الآية (30) من سورة البقرة .

11 ـ الجامع لأحكام القرآن القرطبي تحقيق أحمد البردوني ، دار إحياء التراث الطبعة الثانية ، جـ1 ، ص279 ومابعدها ، وتفسير ابن كثير ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ،جـ1 ،ص126 .

12 ـ الآية(13) من سورة الروم .

13 ـ نظرات في اللغة لمحمد مصطفى رضوان ،ص39 ، ودلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ،ص15.

14 ـ الخصائص لابن جني ، جـ 1 ،ص46 .

15 ـ دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ، ص20 ومابعدها ، ونظرات في اللغة ص 45 .

16 ـ شرح التصريح للشيخ خالد الأزهري ، مطبعة عيسى الحلبي بمصر ، جـ 1 ،ص59 .

17 ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مادة (ثغو ، ونبح) .

18 ـ محاضرات في اللغة ، لعبد الرحمن محمد أيوب ، مكتبة بغداد ،1966ف ،جـ1 ، ص12.

19 ـ نظرات في اللغة لمحمد مصطفى رضوان ،ص46 .

20 ـ دلالة الألفاظ ، ص28 ، ونظرات في اللغة ، ص 52 .

21 ـ الآيتان (1 ـ 2) من سورة الرحمن .

الاشتغال في ضوء الواقع اللغوي

د . علي حسن مزبان
جامعة السابع من ابريل

توطئة

من موضوعات النحو المهمة التي لم يحاول الدارسون المحدثون تسليط الضوء عليها من جديد موضوع (الاشتغال) الذي أطلق عليه شيخ النحاة (سيبويه) (هذا باب مايكون فيه الاسم مبنيا على الفعل قدم أو أخر ومايكون فيه الفعل مبنياً على الاسم) (1) لكنه عرف بين الدارسين بـ(الاشتغال)

تعريفه

أجمع النحاة على أنه (كل اسم بعده فعل أو مايشبه الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول به) اشتغل عنه بضميره أو بمتعلقه لو سلط عليه أو مناسبه لنصبه (2) ومعنى ذلك أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل أو اسم فاعل أو نحوهما فينصب ذلك الفعل ضميره ولو لم يشتغل بضميره لنصبه نحو (خالداً أكرمته) و (خالداً أنا مكرمه) فالفعل (أكرم) نصب ضمير (خالد) واسم الفاعل اشتغل بضمير (خالد) ولو لم يكن هذا الضمير موجوداً لنصب الاسم المتقدم . وقد يكون الفعل يصح تسلطه على الاسم المتقدم بنفسه كما ذكرت ، وقد يكون لايصح تسلطه عليه بنفسه ، نحو (خالداً سلمت عليه) و(أخاك مررت به) وكقوله تعالى (والظالمين أعد لهم عذاباً أليما) (3) وقد يكون مضافاً إليه ، نحو (خالداً أكرمت أخاه) وهناك صور أخرى كلها تجتمع في عود الضمير على الاسم المتقدم

أركانه:-

أجمع النحاة على أن أركان الاشتغال ثلاثة هي :-

أ - المشغول عنه : وهو الاسم المتقدم

ب - المشغول : وهو الفعل المتأخر

ج - المشغول به : وهو الضمير الذي تعدى إليه الفعل بنفسه أو بالوساطة .

ناصبه :-

اختلف النحاة في ناصب الاسم (المشغول عنه) ، فذهب سيبويه وجمهور النحاة البصريين إلى أن الناصب له فعل مضمر وجوباً مماثل للفعل المذكور في نحو (خالداً أكرمته) ، أي : أكرمت خالداً أكرمته ، ويناسبه في المعنى ، نحو (خالداً سلمت عليه) والتقدير (حييت خالداً سلمت عليه) و (خالداً ضربت أخاه) والتقدير (أهنت خالداً ضربت أخاه) ، ذكر سيبويه "وإن شئت قلت : (زيداً ضربته) وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره كأنك قلت : (ضربت زيداً ضربته) إلا أنهم لايظهرون هذا الفعل للاستغناء بتفسيره ، فالاسم هاهنا مبني على المضمر ، فإن قلت : زيد مررت به ، فهو من النصب أبعد من ذلك ، وإن شئت قلت : (زيداً مررت به) تريد أن تفسر به مضمراً ، كأنك قلت إذا

مثلت جعلت زيداً على طريقي مررت به ، وإذا قلت (زيدٌ لقيت أخاه) فهو كذلك ، وإن شئت نصبت لأنه إذا وقع على شيء من سببه فكأنه قد وقع به ، والدليل على ذلك إن الرجل يقول : أهنت زيداً بإهانتك أخاه وأكرمته بإكرامك أخاه" (4) .

أما النحاة الكوفيون فذهبوا مذهبين ، الأول مذهب الكسائي الذي يقول إن الاسم المتقدم المنصوب ناصبه الفعل المتأخر وإن الضمير ملغى .

والثانى مذهب الفراء الذى يقول : إن الاسم المتقدم المنصوب والضمير منصوبان بالفعل المذكور لانهما في المعنى لشيء واحد . (5) .

ولابد لنا من مناقشة هذه الآراء في ضوء الاستعمال اللغوي بعيداً عن التقديرات المملة .

فأما ماذهب إليه سيبويه وجمهرة البصريين يتفق والصنعة الإعرابية لكنه مفسد للمعنى والتركيب .

وماذهب إليه الكسائي مفسد للصنعة الإعرابية ولايستقيم في كثير من التعبيرات . أما ماذهب إليه الفراء فمقبول في نحو (خالداً أكرمته) غير مقبول في نحو (خالداً سلمت عليه) . فضلاً عن هذا أن النحاة نراهم قد طووا كشحاً عن القرآن الكريم ولم يستشهدوا به على وفرة ورود هذا الأسلوب فيه ، واكتفوا بالمثال المصنوع (زيداً ضربته) يردده لاحق عن سابق ماعدا ابن هشام الأنصاري الذي استشهد بشواهد قرآنية قليلة جداً قياساً إلى ورودها فى القرآن الكريم .

وإذا حللنا آيات القرآن الكريم وجدنا أنه ليس هناك اشتغال ولامشغول عنه بهذا المعنى وإنما هو أسلوب خاص يؤدي غرضاً معيناً في اللغة ، أما من ناحية إعراب الاسم المتقدم المنصوب فسنتكلم على إعرابه فيما بعد .

أقسامه :

ذكر النحاة في هذا الباب خمسة أقسام ، هي :-

1 ـ وجوب النصب :-

إذا تقدم على الاسم أداة خاصة بالفعل كأدوات الشرط والتحضيض ، كقولك (إن زيداً رأيته فأكرمه) ومثله قول الشاعر (النمر بن تولب)

لاتجزعي إن منفساً أهلكته

فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي .

وهذه هى رواية سيبويه فى (الكتاب) وابن هشام بنصب (منفساً) أما ابن عقيل وباقي شراح الألفية فقد رووها بالرفع (منفس) (6)

2 ـ وجوب الرفع :-

إذا تقدم على الاسم أداة خاصة بالدخول على الجملة الاسمية كـ (إذا الفجائية) كقولك : (خرجت فإذا زيد يضربه عمرو) .

3 ـ ترجيح النصب :-

إذا كان الفعل المذكور فعلاً طلبياً ، مثل الأمر والنهي والدعاء ، كقولك : (زيداً اضربه) (زيداً لاتهنه) (اللهم عبدك ارحمه) كذلك إذا كان الاسم مقترناً بعاطف مسبوق بجملة فعلية كقولك (قام زيد وعمراً أكرمته) ، وإذا تقدم على الاسم أداة الغالب عليها أن تدخل على الأفعال ، مثل (أزيداً ضربته) (مازيداً ضربته) قال تعالى "أبشراً منا واحداً نتبعه" .

4 ـ ترجيح الرفع :-

كقولنا (زيد ضربته) ، أقول : وكذلك روي بالنصب (زيداً ضربته) .

5 ـ مايجوز فيه الرفع والنصب على السواء :-

هو أن يتقدم على الاسم عاطف مسبوق بجملة فعلية مخبر بها عن اسم قبلها ، كذلك (زيد قام

أبوه وعمراً أكرمته) وذلك لأن (زيد قام أبوه) جملة كبرى ذات وجهين ، ومعنى (كبرى) أنها جملة في ضمنها جملة ومعنى (ذات وجهين) أنها اسمية الصدر فعلية العجز فإن راعيت صدرها رفعت (عمراً) وكنت قد عطفت جملة اسمية على جملة اسمية ، وإن راعيت عجزها نصبته وكنت قد عطفت جملة فعلية على جملة فعلية ، فالمناسبة حاصلة على كلا التقدير ين فاستوى الوجهان **(7)** .

هذا الذى ذكره النحاة في كتبهم ، ونرى أن القسم الذى (يجب فيه الرفع) ليس من باب الاشتغال لأنه لم ينطبق عليه معنى (الاشتغال) وذلك أنهم قالوا : إنه لو فرغ الفعل من الضمير لنصب الاسم ، وذلك ممتنع في وجوب الرفع .

أما مسألة (جواز النصب) فالأمر فيها كما ذكره النحاة .

وأما مسألة (جواز الأمرين) مع الترجيح أو من دون الترجيح ففيها نظر - فيما أرى - وذلك لاعتقادي بأن لكل وجه معنى لايؤديه الوجه الآخر ، فمعنى النصب غير معنى الرفع ، فإن أردت معنى معيناً وجب عليك أن تقول تعبيراً معيناً ، ويصح لنا أن نقول (محمد أكرمته) وكذلك (محمداً أكرمته) .

لكن السؤال هل هما بمعنى واحد .. ؟ وهذا لايكون ، لأن (محمداً) في قولك (محمداً أكرمته) فضلة ، و(محمد) في قولك (محمد أكرمته) عمدة ، فهل تكون الفضلة كالعمدة ، فكان على النحاة أن يقولوا ورد عن العرب قولهم (محمد أكرمته) وهو بمعنى كذا ، و(محمداً أكرمته) وهو بمعنى كذا ، فإن أردت المعنى الفلاني تعين الرفع ، وإن أردت المعنى الآخر تعين النصب ، وكل ترجيح من دون النظر إلى المعنى باطل لايقوم على أساس .

ماذا يفيد الاشتغال .

ذهب البيانيون إلى أن الاشتغال قد يفيد تخصيصاً أو توكيداً وذلك بحسب تقدير الفعل المحذوف ، فإذا قدرنا الفعل المحذوف بعد الاسم المنصوب أفاد تخصيصاً ، وإذا قدرنا الفعل المحذوف قبل الاسم المنصوب أفاد توكيداً ، وذلك نحو قولك : (محمداً أكرمته) فإن قدرت (محمداً أكرمت أكرمته) أفاد تخصيصاً لأن المفعول به إذا تقدم على فعله أفاد تخصيصاً كما في قوله تعالى "إياك نعبد وإياك نستعين" وإن قدرت (أكرمت محمداً أكرمته) أفاد توكيداً وذلك لتكرير اللفظ ، جاء في الإيضاح .. وأما نحو قولك (زيداً عرفته) فإن قدر المفسر المحذوف قبل المنصوب ، أي : عرفت زيداً عرفته ، فهو من باب التوكيد ، أعني تكرير اللفظ ، وإن قدر بعده ، أي : زيداً عرفت عرفته أفاد التخصيص **(8)** .

وذهب النحويون إلى أنه يجب تقدير المفسر قبل الاسم المنصوب ذكر "ابن هشام" فيجب أن يقدر المفسر في نحو (زيداً رأيته) مقدماً عليه ، وجوز البيانيون تقديره مؤخراً عنه ، وقالوا : لأنه يفيد الاختصاص حينئذ ، وليس كما توهموا **(9)** .

فالنحاة ينكرون ان يقال في التقدير (زيداً رأيت رأيته) ، والبيانيون يجيزونه ، فعلى هذا التقدير لا يفيد الاشتغال توكيداً عند النحاة ، أما البيانيون فعندهم يفيد توكيداً إذا قدر المحذوف بعد الاسم المنصوب ، ويفيد تخصيصاً إذا قدر قبل الاسم المنصوب .

أقول : علينا مناقشة النحاة والبيانيين فيما ذهبوا إليه ، فجملة (خالداً أكرمت) تختلف دلالتها عن جملة (خالداً أكرمته) وكذلك جملة (على محمد سلمت) كدلالة جملة (محمداً سلمت عليه) فدلالة جملة (خالداً أكرمت) خصصته بالكرم ، أي تقديم المفعول به هنا أفاد التخصيص وهوهنا يشبه قوله تعالى "إياك نعبد وإياك نستعين" إلا إن التقديم في (خالداً أكرمت) تقديم جائز وفي الآية الكريمة ، تقديم واجب ، وأما (خالداً أكرمته) فتفيد إكرام خالد لاتخصيصه بالإكرام كما ذهب البيانيون وكذلك في الجملتين (على محمد سلمت) (محمداً سلمت عليه) وكذلك في الآية الكريمة "ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً" **(10)** .

لانجد أن تقديم (لوطاً) أفاد التخصيص ، وليس هناك دليل على أن الفعل متأخر عن الاسم وهو

لم يظهر البتة وكذلك فتقديم (خالداً) لايفيد توكيداً كما زعموا ، لأنه لو كان توكيداً لوجب ذكر الفعل لأن الحذف ينافي التوكيد ، إذ يقول ابن مالك في ألفيته .. (وحذف عامل المؤكد امتنع) ومن هنا نقول : إن الاشتغال تعبير خاص له أسلوب معين وغرض يؤديه من خلال هذا الأسلوب . وقد ورد في القرآن كثيراً على الرغم من أن النحاة لم يستشهدوا به والآيات هي :-

"والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" النحل / 5

"والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة" النحل / 8

"وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" الإسراء / 13

"وكل شيء فصلناه تفصيلا" الإسراء / 12

"والبدن جعلناها لكم من شعائر الله" الحج / 36

"والجان خلقناه من قبل من نار السموم" الحجر / 36

"والأرض مددناها وألقينا فيهارواسي" الحجر / 19

"والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم" يس / 39

"وكل شئ أحصيناه في إمام مبين" يس / 12

"أبشراً واحداً منانتبعه" القمر / 24

"ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً" الأنبياء / 74

"والأرض فرشناها فنعم الماهدون" الذاريات / 48

"وإنا كل شئ خلقناه بقدر" القمر / 49

"والسماء رفعها ووضع الميزان" الرحمن / 7

"والأرض وضعها للأنام" الرحمن / 10

"والسماء بنيناها بأيد" الذاريات / 47

"والأرض بعد ذلك دحاها" النازعات / 27

"والجبال أرساها" النازعات / 32

هذه هي الآيات الكريمة التي ورد فيها أسلوب الاشتغال لكن النحاة أشاحوا بوجوههم عن ذكرها والاستشهاد بها واكتفوا بجملة "زيداً ضربته" يرددها لاحق عن سابق ولا أدرى ماالسبب ؟

ومن النحاة من حاول أن يناقش بعض الشئ في أي القرآن الكريم ، ولكنه لم يبحث في المعنى ، بل حاول تبرير ترجيح النصب أو الرفع ، ذكر ابن هشام في مسألة جواز الرفع والنصب ، وترجيح النصب بقوله "فلذلك رجح النصب ، قال تعالى (خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، والأنعام خلقها) أجمعوا على نصب (الأنعام) لأنها مسبوقة بالجملة الفعلية وهي (خلق الإنسان) (11) وهنا نراه يرجح النصب من دون أن يذكر أثر المعنى أو دلالة أسلوب الاشتغال لكنه تميز عن النحاة الآخرين باستشهاده بالقرآن الكريم .

أقول : المسألة ليست مسألة ترجيح نصب أو رفع بل معالجة أسلوب على أساس يجمع بين الاعراب والدلالة لأنه ورد في القرآن كثيراً . ففى قولنا (محمداً أكرمته) و (محمد أكرمته) فرق في المعنى ، فإذا قلنا (محمد أكرمته) كان (محمد) مبتدأ وهو متحدث عنه ، والحديث يدور عليه أساساً وجعلنا إخبارنا عنه وهو مدار الاهتمام ، أما قولنا (محمداً أكرمته) وهنا سيكون الحديث عنه بدرجة أقل لأنه ليس عمدة بل فضلة كما بينا ، ذكر الزجاجي قال أبو العباس الفرق بين (ضربت زيداً) و (زيد ضربته) أنك إذا قلت (ضربت زيداً) فإنما أردت أن تخبر عن نفسك وتثبت أين وقع فعلك ، وإذا قلت (زيد ضربته) فإنما أردت أن تخبر عن زيد (12) ولهذا فالحديث عن المنصوب لايرقى إلى الحديث عن المرفوع لأنه عمدة ومن هنا نقول : إن الحديث في الابتداء يدور أساساً على المبتدأ بخلاف الاشتغال الذى يدور فيه الحديث عن شيئين : أمر أساسي وهو المسند إليه وأمر دونه وهو المنصوب

المتقدم . ونهذا يصح لنا أن نقول : إن الاشتغال مرحلة دون المبتدأ وفوق المفعول إذ هو متحدث عنه من جهة لكنه لايرقى إلى درجة المبتدأ ، فيكون معنى (الاشتغال) على هذا أنه جيء بالاسم المنصوب المتقدم لإرادة الحديث عنه ثم شغل عنه بالحديث عن المسند إليه فهو أسلوب على صورة المبتدأ والخبر وسنبين الفرق من خلال آيات القرآن الكريم ، ففي قوله تعالى "والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي" ينبغي لنا الرجوع إلى السياق لتوضيح السبب ، والسياق هو "ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين" (13) فالكلام إنما هو على (الله) الذى جعل في السماء بروجاً وزينها ومد الأرض وألقى فيها رواسي وأنبت فيها من كل شيء وجعل فيها المعايش فالكلام . كما ترى على (الله) سبحانه وتعالى لا على الأرض ولكن قدم الأرض للاهتمام بها من بين ماذكر ، والحديث عنها من بين ماعدد فقال (والأرض مددناها) فالكلام كله يدور على (الله) تعالى وقدرته ، خص الأرض بالاهتمام فقدمها ، والكلام فيما قبل وبعد على الله تعالى ، ولو رفع (الأرض) لكان الحديث يدور عنها والإسناد إليها ، والسياق غير ذلك . وكذلك قوله تعالى "والجان خلقناه من قبل من نار السموم" (14) بالنصب ولم يرفع لأن السياق يوضح ذلك إذ الكلام على الله تعالى ، وهو في سياق الآيات التي ذكرناها آنفاً ، قال تعالى "ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصالٍ من حمأٍ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال ياإبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأٍ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين» (15) فالكلام كله على الله سبحانه وتعالى وخلقه لكنه أراد أن يفرد الجان بحديث عنه فقدمه وأعاد عليه الضمير للكلام عليه .

وقد يسأل سائل ؟ لم قدم الإنسان وقد ذكره أيضاً ؟ الجواب : أنه وإن ذكر الإنسان ، فمدار الحديث في هذه الآيات عن الجن فالكلام على إبليس ومجادلته ربه فإننا نرى أن الله سبحانه وتعالى قدم الأرض في الآيات الأولى لأن الحديث عنها أهم ، وقدم الجان لأن القصد يتعلق بذكرهم ، وكذلك في الآيات الكريمة "والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون" (16) فإنه نصب (الأنعام) ولم يرفعها لأن السياق يوضح ذلك فلو تأملنا الآية منذ البداية "خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة ..." إلى أن ينهي الآيات الكريمة ، نجد أن الكلام على الله تعالى ولكنه قدم (الأنعام) للاهتمام بها والحديث عنها من بين ماذكر ، وقد ذكر خلق السموات والأرض والإنسان والأنعام والخيل والبغال والحمير لكن أكثر الحديث في هذه الآيات عن الأنعام فقدمها للحديث عنها والاهتمام بها في هذا المجال .

وكذا مع قوله تعالى "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" (17) فنصب (كل) ولم يرفعها وذلك لأن الكلام إنما هو على (الله) وقدم (كل إنسان) للاهتمام به ، وسياق الآيات يوضح ذلك وجعلنا الليل والنهار آيتين ... وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً" (18) في حين قال "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" (19) فرفع لأن الكلام على الزاني والزانية ، ومثله قوله تعالى "والسارق والسارقةً فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم" (20) لأن الكلام على السارق والسارقة ، وقوله تعالى "والشعراء يتبعهم الغاوون" (21) برفع (الشعراء) لأن الكلام عليهم ، ولو نصب لكان الكلام على الغاوين والسياق يوضح ذلك . في

حين نجد أن قوله تعالى "والسماء رفعها ووضع الميزان" (22) نصب (السماء) لأن الكلام على الله تعالى فبدأ السورة بقوله "الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان .." إلى آخر الآيات الكريمة ، وهنا نجد الكلام على الله الرحمن الخالق لا على السموات والأرض ولكنه قدمهما للاهتمام بهما ، ومن هنا يتضح لنا الفرق بين الرفع والنصب ، بين المبتدأ والمشغول عنه ، وقد ينصب الاسم إذا خيف في الرفع أن يلتبس الفعل بالصنعة وذلك ، نحو قوله تعالى "إنا كل شيء خلقناه بقدر" (23) وقد حاول أبو سعيد السيرا فى أن يبين لنا هذا الفرق بقوله فإن قال قائل : قد زعمتم أن نحو (إني زيد كلمته) الاختيار فيه الرفع لأنه جملة في موضع الخبر ، فلم اختير النصب في (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وكلام الله تعالى أولى بالاختيار ؟

الجواب : إن في النصب ههنا دلالة على معنى ليس في الرفع ، فإن التقدير على النصب (إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر) فهو يوجب العموم ، وإذا رفع فليس فيه عموم إذ يجوز أن يكون (خلقناه) نعتاً لشيء و(بقدر) خبراً لكل ، ولايكون فيه دلالة على خلق الأشياء كلها بل إنما يدل على أن ماخلقه منها خلقه بقدر (24)

أقول : إن رفع (كل) يدل على معنيين ، أما أن يكون (خلقناه) خبراً عن (كل) فيكون المعنى (إنا خلقنا كل شيء بقدر) وإما أن يكون (خلقناه) صفة لكل والخبر (بقدر) فيكون المعنى (كل شيء لنا مخلوق بقدر) ومقتضى ذلك أن هناك خالقاً مع الله سبحانه ، فما خلقه الله خلقه بقدر ، وما خلقه غيره قد يكون ليس مخلوقاً بقدر ، تعالى الله عن ذلك ، ومن هذا نقول إن النصب أولى لكونه نصاً في المعنى المقصود ، والرفع محتمل له ولغيره فالأمر بحسب المعنى ، فإذا أردت التنصيص على أن الفعل ليس صفة نصبت الاسم المتقدم ، وإذا أردت الاحتمال رفعت ، كذلك إذا أردت التنصيص على أن الفعل صفة رفعت الاسم المتقدم وذلك كقوله تعالى "وكل شيء فعلوه في الزبر" (25) ذكر الفراء وأما قوله : وكل شيء فعلوه في الزبر فلا يكون إلا رفعاً لأن المعنى .. والله أعلم . . كل فعلهم في الزبر مكتوب ، فهو مرفوع بفي و (فعلوه) صلة لشيء ولو كانت (في) صلة لفعلوه في مثل هذا من الكلام جاز رفع كل ونصبها ، كما تقول : وكل رجل ضربوه في الدار ، فإن أردت (ضربوا كل رجل في الدار) رفعت ونصبت ، وإن أردت (وكل من ضربوه هو في الدار) رفعت (26) ونستطيع أن نستنتج من كلام (الفراء) أن المعنى لايحتمل النصب ، لأن المعنى في النصب يكون (فعلوا كل شيء في الزبر) والمعنى ليس عليه ، وإنما المعنى (أن مافعلوه مثبت في الزبر) فـ(فعلوه) صفة لشيء و(في الزبر) خبر ، والمعنى (إن الشيء الذي فعلوه هو مثبت في الزبر) والنصب لايؤدي هذا المعنى . وهذا القسم ليس فيه مما يترجح فيه النصب على الرفع وإنما هو بحسب القصد ، فإذا أردت التنصيص على أن الفعل ليس صفة نصبت وجوباً كما مر في قوله تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ونحوه من الأمثلة ، وإن أردت التنصيص على أنه صفة رفعت وجوباً وكذلك إذا أردت احتمال الوجهين فهو ليس من باب الجواز وإنما هو من باب الوجوب بحسب المعنى كما أوضحنا .

وذكر بعض النحاة أن اختيار الرفع أو النصب يتم على وجه آخر من خلال النظر إلى الاسم المنظور فيه فإن كان دالاً على العموم رفعنا ، نحو قوله تعالى "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" (27) وقوله "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" (28) لشبهه بالشرط في العموم والإبهام ويختار النصب في الاسم المنظور فيه إلى الخصوص بالأمر كـ(زيداً اضربه) لعدم مشابهته الشرط (29) .

ذكر (الفراء) في قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) مرفوعان بما عاد من ذكرهما ، والنصب فيهما جائز كما يجوز ، نحو (أزيد ضربته) و (أزيداً ضربته) وإنما تختار العرب الرفع في (السارق والسارقة) لأنهما غير موقتين فوجها توجيه الجزاء كقولك (من سرق فاقطعوا يده) فـ(مَنْ) لايكون إلا رفعاً ، ولو أردت سارقاً بعينه أو سارقة بعينها كان النصب وجه الكلام (30) وذكر الرازي

في تفسيره : اختيار الفراء أن الرفع أولى من النصب لأن الألف واللام في قوله (والسارق والسارقة) يقومان مقام (الذي) فصار التقدير (الذي سرق فاقطعوا يده) وعلى هذا التقدير حسن إدخال حرف (الفاء) على الخبر لأنه صار جزاء . وأيضاً النصب إنما يحسن على كل من أتى بهذا الفعل فالرفع أولى . وهذا القول هو الذي اختاره الزجاج وهو المعتمد (31) ونستنتج من هذا أن الاسم المرفوع هنا أشبه اسم الشرط في العموم بدليل وقوع الفاء في خبره ، وقد اختلف النحاة هل يعمل مابعد الفاء فيما قبلها ؟ وهل يفسر عاملاً في الاشتغال ؟ فذهب بعضهم أنه لايعمل ولايفسر ، وبعضهم قال : إنه لايعمل الجواب في الشرط ، فإذا أردنا به التعيين جئنا به منصوباً فالسارق في النصب معلوم ، أي : (من قد سرق) في حين أن الرفع يدل على شبهه في الشرط ، فهو سار على كل سارق وعلى مقتضى هذا ينبغي لنا أن نقول :-

(الضيفَ أكرمه) إذا كان الضيف معينا

(الضيفُ أكرمه) إذا كان الضيف غير معين .

وأرى أن في هذا نظراً لأنه يصح أن نقول بالرفع والنصب للمعلوم وغير المعلوم؟ فإننا نقول (أكرم الضيف) سواء أضيفاً معينا كان أم غير معين ، وهذا هو تقدير الاشتغال عند النحاة (أكرم الضيف أكرمه) وإنما الأمر سابقاً في الفرق بين الاشتغال والابتداء ، فإذا أردت الإخبار عن الاسم المتقدم والإسناد إليه رفعت وإن لم ترد نصبت وقدمت للاهتمام . وأما قول النحاة في تعيين العموم فبسبب الفاء الواقعة في الخبر لأنها أشبهت فاء الجزاء ، والجزاء يراد به العموم وهو نظير قولك (الفائز فاعطه جائزة) والمعنى (من يفز فاعطه جائزة) وهو على معنيين ، إما أن يكون كمعنى الأولى ، وإما أن نقصد به فائزاً معينا ، والفاء عينت قصد العموم ونحوه أن تقول :-

الذي يدخل الدار فله مكافأة

الذي يدخل الدار له مكافأة

فبوجود (الفاء) تترتب المكافأة على دخول الدار ، أي : (من يدخل الدار فله مكافأة) فبسبب المكافأة دخول الدار فأشبه الموصول الشرط وأريد به العموم . وبغير (الفاء) أنه لاتترتب المكافأة على دخول الدار وإنما هي لشخص معين يدخل الدار ، فكأنك قلت : انظر إلى ذلك الذي يدخل الدار أن له مكافأة ، فلم يعط المكافأة بسبب دخول الدار وإنما أردت أن تعرفه للمخاطب بالصلة كما تقول (الذي يسهر يمرض) فالمرض لم يترتب على السهر ولابسببه فالذي عين قصد العموم هو الفاء وليس الرفع ، ولو كان حق العام الرفع ، وحق الخاص النصب لكان الراجح في قوله تعالى (والأنعام خلقها) الرفع لأنها ليست أنعاماً خاصة بل هي عموم الأنعام ونحوه قوله تعالى "وكل شيء فصلناه تفصيلا" وقوله "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه" وقوله "والجبال أرساها" فقد وردت كلها بالنصب ، وهي كلها للعموم ، وكان ينبغي كما قالوا النصب في قوله تعالى "النار وعدها الله الذين كفروا" (32) وقوله " جنات عدن يدخلونها » وقد وردتا بالرفع وهما معلومتان ، والصحيح كما ذكرنا أن المعنى هو الذي يوجه الرفع أو النصب ، فيكون الاسم المتقدم مبتدأ أو منصوباً ، أي : مشغولاً عنه ، وليس هناك أي تقدير لعامل محذوف كما ذكروا . هذا من ناحية المعنى أما من ناحية الإعراب فالأمر يسير ، ففي مثل (زيداً ضربته) زيداً : مفعول به مقدم منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره .

ضربته : فعل ماضٍ مبني على السكون والتاء ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل .

الهاء ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب توكيد .

وقد يعترض بعضهم على رأي النحاة "الظاهر لايؤكد بضمير"

نقول : هذا اسلوب خاص فيه طريقة من طرائق التوكيد تحمل عليه كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم . وبهذا نتخلص من مسألة التقدير التي لاتتفق والقرآن الكريم .

الهوامش :

1 ـ الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ـ عالم الكتب ـ بيروت 1966 م . 1 / 80 .
2 ـ شرح الرضي على الكافية ، تحقيق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قاريونس ـ بنغازي ـ ط 2 1996 1 / 439 .
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار التراث ـ القاهرة ، ط 20 1980م . 1 / 173 .
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة النهضة العصرية 1970م 2 / 83 ، 84 .
3 ـ الإنسان : الآية (31)
4 ـ الكتاب : 1 / 81 ، 82 .
5 ـ شرح ابن عقيل : 2 / 131 ، شرح شذور الذهب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ، مطبعة السعادة ـ مصر ، ط 10 1965م ـ صفحة 215
6 ـ الكتاب : 1 / 134 ، شرح ابن عقيل : 2 / 133
شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار الفكر ، بيروت صفحة 271 .
7 ـ شرح قطر الندى : 268 ـ 273 .
8 ـ الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تحقيق د . مازن المبارك ـ دار النفائس ، بيروت 1973م صفحة 110 ، 111
9 ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د . مازن المبارك وأ . محمد علي حمد الله ، بيروت ط 6 1985 ، 2 / 799 .
10 ـ الأنبياء : الآية (74)
11 ـ شرح قطر الندى : 270
12 ـ الإيضاح في علل النحو : 136 ـ 137
13 ـ الحجر : الآيات من (16 ـ 20)
14 ـ الحجر : الآيات (27)
15 ـ الحجر : الآيات من (26 ـ 42)
16 ـ النحل : الآية (5)
17 ـ الإسراء : الآية (13)
18 ـ الإسراء : الآيات (12 ، 13)
19 ـ النور : الآية (2)
20 ـ المائدة : الآية (38)
21 ـ الشعراء : الآية (224)
22 ـ الرحمن : الآية (7)
23 ـ القمر : الآية (49)
24 ـ الكتاب : 1 / 148 (الهامش بشرح السيرافي) .
25 ـ القمر : الآية (25)
26 ـ معاني القرآن ، الفراء ، تحقيق ومراجعة الأستاذ محمد علي النجار ، دار الكتب ـ مصر 1955 . 2 / 95 ـ 96
27 ـ النور : الآية (2)
28 ـ المائدة : الآية (38)
29 ـ شرح التصريح على التوضيح ، الشيخ خالد الأزهري ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ مصر 1 / 299 .
30 ـ معاني القرآن : 1 / 206: 1 / 242
31 ـ التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، المعروف بـ(مفاتيح الغيب) بهامشه
تفسير العلامة أبي السعود ، ط 1 ، المطبعة الخيرية ، مصر ، سنة 1307هـ ، 10 / 223
32 ـ الحج : الآية (72)
33 ـ الرعد: الآية (23)

حقيقة الصيغة
في (ليس) بين الفعلية والحرفية

د ـ علي سعد الشتيوي / كلية الآداب . الزنتان

تكلم النحاة في هذه المسألة في مؤلفاتهم وأفرد لها ابو البقاء العكبري (ت 616هـ) في كتابه :(التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين)1. مسألة مستقلة نظراً لأهميتها.

وقد أجمع النحاة على فعلية (كان) واخواتها إلا (ليس) هذه، فذهب الجمهور الى أنها (فعل)، وذهب بعض النحاة الى انها (حرف)، وكان ابو حيان الأندلسي (ت 745هـ) احد ناقلي الخلاف في هذه المسألة، قد نسب الخلاف فيها على النحو الآتي 2:

1 ـ هي (فعل) ووزنه (فعل) بكسر العين ، ثم خففت ونسبه للجمهور .
2 ـ هي (حرف) ونسبه لابن السراج (ت 316هـ) وابن شقير (ت317هـ) وابي علي الفارسي (ت 377هـ) ، ونسبه ـ كذلك ـ لجماعة ولم يعينهم ، كما نسبه إليهم ابن فضال المجاشعي 3. (ت 479هـ) ، والمرادي 4.(ت 749هـ) وابن هشام 5. (ت 761هـ).

وعند تحقيق بعض هذه الآراء اجد ابن السراج لم يصرح بما نسبه اليه بل صرح في كتابه : (الاصول) بفعلية (ليس) يقول :(فأما ليس فالدليل على أنها فعل وإن كانت لاتتصرف تصرف الفعل ، نحو لست .. .. كما تقول : ضربت ..) 6 . ولعل ابا حيان نقل الخلاف عن ابن السراج من مصدر آخر لأن هذه النسبة قال بها غيره وهو ماسبق ذكره .

ونقل ابن فضال المجاشعي قولا آخر لابن السراج جاء فيه : « كنت اقول: (ليس) فعل منذ اربعين سنة تقليداً والاظهر في ليس انها فعل)7. وهو ماقاله عنه ابن بابشاذ (ت 469هـ) ايضا فهذان القولان يفيدان – في نظري – ان ابن السراج يذهب الى فعلية (ليس) خلافا لما نسب له وهو ماصرح به في كتابه الاصول .

رأي سيبويه

(ت 188 هـ) : سأبين اولاً رأي سيبويه في هذه المسألة وهو الاتجاه الذي سار عليه كثير من النحاة من بعده .

من يتأمل كلام سيبويه يلاحظ انه تناول استعمال (ليس) من وجوه :

1– انها تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ اسماً لها ، وتنصب الخبر خبراً لها فهو يقول : « هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل الى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشئ واحد .. وذلك قولك : كان ويكون ، وصار ، ومادام ،وليس وماكان نحوهن من الفعل مما لايستغنى عن الخبر ..» 9. ففي قوله هذا تصريح بفعلية (ليس) وعدّ ها فعلا من اخوات كان .

2 – في قول الشاعر :

أَلَيْسَ أكْرَمَ خَلْقِ الله قد عَلموا ... عندَ الحفاظِ بنُو عمروِ بنِ حُنْجودِ

قال معقباً : صار ليَس هاهنا بمنزلة : ضَرَبَ قوقكَ بنوفلان

لأن (ليس) فعل 10. فصرح بعملها عمل كان ، وجاء خبرها مقدماً

على اسمها والتقدير : أليس بنو عمرو بن حنجود اكرم خلق الله .

وهذا تأكيد ـ ايضا ـ على فعلية (ليس).

3 ـ عند حديثه عن (كان) التامة قال : (فأ مّا ليس فإنّه لايكون فيها ذلك لأنها وضعت موضعاً واحداً ومن ثم لم تتصرف تصرف الفعل الآخر 11. وكلامه ـ هنا ـ ان (ليس) تكون فعلا جامدا غير متصرف .

4– ان تدخل على جملة اسمية مرفوعة الركنين او جملة فعلية ولم تتوسط بينهما (إلا) وفي هذا الوجه يقول سيبويه : (وقد زعم بعضهم ان ليس تجعل كـ (ما) ، وذلك قليل لايكاد يعرف فهذا يجوز ان يكون منه :« لَيْسَ خَلَقَ اشعَر منه ، ولَيْسَ قَالَها زيدُ ..» كما قال حميد الارقط .

فأصْبَحُوا والنَّوى عالي مُعَرّسِهم ... وليسَ كُلَّ النَّوىَ يُلقي المساكينُ

وقال هشام اخو ذي الرّمة :

هيَ الشفاءُ لدائي لوظَفِرْتُ بها وليس منها شفِاءُ الداءِ مبذولُ

هذا كله سمعَ من العربِ 12.

والظاهر من كلامه ان(ليس) تكون فعلا ـ في هذا الوجه ـ واسمها مضمر فيها . وهو ضمير الشأن والجملة سواء أكانت فعلية ام اسمية هي الخبر ويجوز في وجه ان تكون (ليس) حرفا بمنزله (ما) لكنه قليل .

5– ان تدخل على جملة اسمية مرفوعة الركنين ، وقد توسطت بينهما (إلا) وفي هذه الحالة تكون (ليس) حرفاً نافياً بمنزلة (ما) يقول سيبويه في هذه الحالة ـ (والوجه والحدّ ان تحمله على ان في (ليس) اضماراً وهذا مبتدأ اي ابتداء جملة هي خبر ليس كقوله انه أمَةُ الله ذاهبةٌ ، إلاّ انهم زعموا ان بعضهم قال : ليس الطِّيبُ الا المسكُ ، وماكان الطِّيبُ إلا المسكُ 13. بالرفع ولعل ذلك اشارة إلى لغة تميم ولغة اهل الحجاز وقد حكىَ هذا ابو عمرو بن العلاء ولَه في ذلك مع عيسى بن عمر الثقفى (ت 149هـ) حكاية مشهورة ، حيث سأل عيسى بن عُمر عمرو بن العلاء (ت 154هـ) قائلاً: ياأبا عمرو : ماشيء بلغني انك تجيزه ؟ قال : ماهو ؟ بلغني انك تجيز : « لَيْسَ الطِّيبُ الاّ المِسكُ بالرفع ، فقال له ابو عمرو : نَمتَ ياأبا عُمرَ ، وادلج الناس ، ليس في الارض حجازيٌّ إلا وهوَ ينصب ، ولا في الارض تميميٌّ الاّ وهو يرفع 14.

وقد زاد كلام سيبويه وضوحاً ـ في هذا الوجه ـ ماقاله ابو علي الفارسي ، حين قال «حكى سيبويه قولهم : ليس الطِّيبُ إلا المسكُ» ، وذهب فيه الى انه بمنزلة (ما) . ولم يحمله على ان في (ليس) ضمير القصة والحديث ، كما حمل قوله : «لَيْسَ خَلَقَ الله اشعرَ منه » على هذا الضمير ووجه قوله إنّه بمنزلة (ما) وليس كـ (كان) واخواتها ، ان (ليس) ، وان كانت قد رفعت ونصبت فليست فعلاً على الحقيقة 15. وممّا يؤكد ذلك ايضا ماقاله ابن ابي الربيع : «إلاّ أنّ سيبويه يظهر منه أن العرب قد تجري (ليس مجرى (ما) ، فتقول : ليس زيدُ جبان ، كما تقول : مازيدُ جبان ، حكى ليس الطِّيب الا المسكُ ، ثمّ سئل كيف تقول : ماكان الطِّيبُ إلاّ والشأن لفعل ذلك (كان) فيظهر انّه اجرى (ليس) مجرى (ما) ..16 .

وهذ ابن يعيش ينقل الخلاف في المسألة ثمّ يعرّج على رأي سيبويه في هذا الوجه جاء كلامه : «وأمّا ليس ففيها خلاف فمنهم مَنْ يغلب عليها جانب الحرفية فيجريها مجرى (ما) النافية ، فلايجيز تقديم خبرها على اسمها ، ولاعليها ، لا يقولون : ليس قائماً زيدُ ولا قائماً ليس زيدُ .. وعليه

اي وجه الحرفية ـ حمل سيبويه قولهم : ليس الطِّيبُ الاّ المِسكُ.. وليس خلق الله اشعر منه . اجراها مجرى (ما)17

وأرى ان خلاصة مذهب سيبويه يتمثل في ثلاثة اوجه :

- وجه يتعين فيه كون (ليس) فعلاً .
- وجه يتعين فيه كون (ليس) فعلا جامدا غير متصرف
- وجه يحتمل ان تكون فيه فعلا او حرفا تشبه فيه (ما) مع ترجيح الفعلي . وصرّح بفعليتها : 18، 19،20

المبرد (ت 285هـ) ، وابن جنّي (ت 392 هـ) ، والسيرافي (ت 368 هـ)
21، 22

والجرجاني (ت 474هـ) وابن الخشاب (ت 567هـ)
23 ، 24 ، 25

وابن الفرخان والصميري والعكبري (ت 616 هـ)
26 ،27 ، 28

وابن معط (ت 628 هـ) وابن يعيش (ت 643 هـ) وابن عصفور (ت 663 هـ)
29، 30 ، 31

وابن مالك (ت 672 هـ) ، ابن إياذ (681 هـ) ، ابو حيان (ت 745 هـ)
32 ،

والمرادي (ت749هـ) .

وحجتهم :

اتصال الضمائر بها نحو : ليسا ، وليسوا ، ولسنا ، ولسن ، وتاء التأنيث الساكنة ، نحو : ليستْ ، ولأنّ آخرها مفتوح كما في أواخر الأفعال الماضية ، فلمّا وجدوا فيها مالايكون الا في الافعال دلّ عندهم على انها فعل ، ومن المعلوم ان (تاء) الفاعل ، و(تاء) التأنيث الساكنة هما من علامات الأفعال ، ولاتتصلان بالأسماء والحروف .

رأي المخالفين لمذهب سيبويه :

ذهب جماعة منهم ابو علي الفارسي

- في أحد قوليه ـ إلى أنّ (ليس) ليست فعلاً ، قال المرادي :

« ذهب ابن السراج ، والفارسي في أحد قوليه ، وجماعة من اصحابه ، وابن شقير إلى أنّها حرف » 33 . كما نسب ابن هشام ـ أيضاً ـ الزعم لابن السراج بأنّها حرف بمنزلة (ما) وتابعه الفارسي وابن شقير وجماعة » 34

وممّن ذهب الى القول بحرفية (ليس) ابن أبى الربيع حيث ذكر أنّ (ليس) حرف من جهة معناها ، لأنّها بمنزلة(ما) تنفى الجملة التي تدخل عليها ، وقال : (فكما انّ (ما) لايصحّ ان يقال فيها : إنّها فعل لايصحّ ان يقال في ليس فعل ». 35

رأي ابي علي الفارسي : ذهب فيه الى ان «ليس» ليست فعلاً على الحقيقة وإنّما أجريت مجرى الأفعال في اللفظ مع كونها حرفاً ، ولذا لم ينص صراحة على حرفيتها او فعليتها ، ويبدو أنّ كلامه في حقيقة (ليس) كان مضطرباً ، فهو متردد يعتقد الفعلية تارة والحرفية تارةً اخرى فـ (ليس) عنده : «ليست فعلاً على الحقيقة » 36.

كـ (كان) وأخواتها في دلالتها على الماضي والحاضر والآتي ، « فلّما خلت ليس من أن تكون دالة على قسم من هذه الأقسام .. ثبت أنّها ليست مثلها» 37 ويقول : «النّصب في ليس مع اشتهاره في السماع يقوّيه القياس وذلك أنّها مشبهة الأفعال من غير جهة ، فبحسب كثرة الشبه فيها بالفعل

يحسن إعماله إعمله .38. لكنه يميل الى حرفيتها مستدلا على ذلك بعدم دلالتها على الحدث والزمان ، كما استدلّ بأنّه يجوز ان تصل (ما) بالأفعال الماضية والمضارعة ، ولايجوز أن تقول :« ماأحسن ماليس زيدُ ذاكرُك» حتى تقول :«ماليس يذكرك زيدُ» 39

ثمّ يذهب في كتابه : (الإيضاح) 40. إلى أنّ (ما) النافية إنّما عملت بشبهها كـ(ليس) فجعل (ليس) اصلاً في العمل حتى يشبه بها (ما) وهذه في ايجاز

ـ مجمل الأدلة التي استدل بها ابو علي الفارسي ومن تبعه على حرفية (ليس) 41.

1 ـ عدم دلالتها على الحدث والزّمن .

2ـ عدم تصرفها .

3ـ جاء في الشعر (ليس) بلانون ـ اي نون الوقاية متصلة بعلامة ضمير المتكلم ، وذلك قوله : قد ذهب القومُ الكرامُ ليسي .

كما انقضوا أدلة القائلين بفعليتها ، وذلك بأنّ (ها) وهو من اسماء الأفعال ، قد ألحق به الضمير فقيل : (هاءا) للمثنى ، و(هاءوا) للجمع ، و(هائي) للمخاطبة ، وأنّ لحاق التّاء بـ (ليس) لشبهها بالفعل في كونها على ثلاثة احرف وبمعنى (ماكان) ، وكونها رافعة وناصبة .

وقد أجاب ابو البقاء العكبري ان (هاء) في اسم الفعل لاينقض به ، فإنّها اسم بالاتفاق ، و(ليس) ليست اسما عند احد وإنّها جاءت العلامات هاء .. على جهة التشبيه بالفعل 42

وقد أجاب الجمهور عن هذه الأدلة بما يلي (في ايجاز) :43

1ـ عدم التسليم بأنّها لادلالة لها على الحدث ، فهي تدل على انتفاء ثبوت الخبر للموصوف ، وهي بذلك شبيهة بأفعال وضعت لذلك نحو (كفّ عنه) أمّا عدم دلالتها على الزّمن فلأنها وضعت للنفي المطلق ، وهو شامل لجميع الأزمنة .

2 ـ عدم التصرف لايدل على انها ليست فعلا إذ ليس كلّ الأفعال متصرفة ألاترى ان (نعم) ، و(بئس) ، و(عسى) ، و(حبذا) ، وفعل (التعجب) ، كلّها أفعال وإن لم تكن متصرفة .

3 ـ ماحكاه سيبويه عن العرب من قولهم : «ليس الطِّيبُ الا المسكُ» وهو دخول (ليس) على جملة اسمية مرفوعة الركنين ، وقد توسطت بينهما (إلا) وفي مثل هذا تكون حرفاً بمنزلة (ما) وقد حكى الثقات أنّ رفع (المسك) في هذه الجملة لغة تميم ، والحجازيون ينصبون ، وقد ردّه ابو البقاء العكبري بثلاثة اوجه ، هي : 44.

أولاً : أنّها شاذة شذوذاً لايثبت بمثله أصل .

ثانياً : أنّ في (ليس) ضمير الشأن ، والتقدير «ليس الشأن والقصة الطِّيبُ الا المِسكُ .. كما قالوا : «ليس خلق الله إلا مثله».

ثالثاً : إنّا نقدر تجرد (ليس) عن الضمير ولكن هذا لايخرجها عن أن تكون فعلا لفظياً إلاّ أنّ (كان) وأخواتها اصلها أن تكون دالة على الحدث ثمّ خُلعت دلالتها عليه وبقيت دلالتها على الزمان .

4 ـ قول بعض العرب (ليسي) بغير نون ، فهو من النادر ، والشاذ ، والشائع هو مجيئها بنون الوقاية (ليسني) ، وقد حكاه 45. عن العرب الموثوق بهم .

تعقيب ورأي : بالنظر الى أدلة القائلين بفعلية(ليس) في كونها تلحقها تاء التأنيث الساكنة وأنها تتحمل الضمير ، وعدم التصرف ، وأن آخرها مفتوح هذه ـ في الواقع ـ مشابهات (شكلية) و(وظيفية) .

أي أمور ترجع إلى الصيغة كما ترجع الى سلوك الكلمة في التراكيب .

والمشابهة المعنوية بينها وبين (ما) لاتدل على أنّها حرف مثلها ، فهذه مشابهة واحدة لاتُسْقط المشابهات الأخرى المثبتة للفعلية .

وأرى أنه للتدليل على فعلية (ليس) لابدّ من تلمس ثلاثة اعتبارات ، هي :

ـ اعتبار الشكل ـــــــ فهي على ثلاثة أحرف وآخرها مفتوح كما يفتح آخر الفعل الماضي .
ـ اعتبار المعنى ـــــــ إذ يأتي بعدها مرفوع فمنصوب كسائر أخواتها .
وهذه الاعتبارات يرجع اليها أمر تحديد الصيغة في (ليس) ، والملاحظ ان اعتبار المشبهة بـ (ما) الحرفية كان سببا مباشرا في عدم اجماع النحاة على فعليتها ، وهي مشابهة معنوية لاأراها تنقص من فعليتها ، وعلى الرغم من ذلك يبقى في النفس شئ من حقيقة ليس (فهي فعل مشكل) 46. كما قال ابن بايشاذ وقد وصفها المالقي وصفا دقيقا حين قال : «ليست محضة في الحرفية ، ولامحضة في الفعلية» 47. لوجود خواص الحروف فيها وكذلك خواص الأفعال ، واختلاط الخواص أدّى إلى حياد الصيغة ، وقد أدرك الرضى هذا التداخل في صيغة (ليس) كغيره من النحاة ـ ولذا كان قوله في الترجيح «والأولى الحكم بفعليته » .48.

ولمّا كانت المشابهة بين (ليس) وبين (ما) النافية أكثر الوجوه سببا في التداخل ، لذا أحاول التماس الفروق الوظيفية ، حتى يتسنى لي إبداء الرأى في الترجيح .

بالإضافة إلى ما احتجّ به القائلون على فعلية (ليس) هناك أمور أخرى تكاد تكون ـ في اغلبها ـ وظيفية يستدل بها على فعليتها وتبعدها عن الشبه بـ(ما) الحرفية ، وهذه الأمور هي : 49.

1– جواز تقديم خبرها على اسمها عند الجميع ، وتقديمه عليها عند كثير منهم بخلاف (ما) .

2– تتحمل الضمير كما يتحمله الفعل فتقول : (زيدُ ليس قائماً ، فيستكن في (ضمير من(زيد) ولايكون مثل ذلك في (ما) ، فلايقال : «زيدُ ماقائماً» .

3– لايبطل عمل (ليس) دخول (إلا) في خبرها ، فتقول :
ليس زيدُ إلاّ قائماً .
ولايكون مثل ذلك في (ما) فلاتقول : مازيدُ إلاّ قائماً ..
بل يجب رفع الخبر ، لانتقاض النفي بـ (إلا) ،نحو :
مازيدُ إلا قائمُ .

4– لمّا لاحظوا ضَعف الشبه بين (ما) و(ليس) اشترطوا لعملها شروطا لاتعمل اذا فقد احدها ، لذلك ادركوا ان (ليس) اقوى من الحرف .

ومن هنا قال الدلائي : وقد زعم بعضُ انّ (ليس) لـ(ما) وهو نهاية في الندور لايكاد يعرف فلاينبغي الحل عليه ماوجدت عنه مندرجة 50. فهذه الأمور تجعل النفس تميل الى فعلية (ليس) إذا دخلت على الجملة الاسمية أمّا إذا دخلت على الجملة الفعلية فهي حرف كـ (ما) النافية ، نحو :

تُهدي كتائب حُصْراً ليس يعصمُها   إلاّ ابترار إلى موت بإلجام

ولايصحّ ان يكون ـ هنا ـ ضمير شأن من قبل انّ الجملة إذا كانت مفسّرة لذلك الضمير ، فلابدّ ان تكون موافقة له في ايجابه أو نفيه ، وهو في هذا البيت منفى فينبغي ان تكون الجملة منفية بحسبه .51 فالحكم في رأيي ان (ليس) صيغة مشتركة بين الفعلية ـ وهو الأكثر والاشهر ـ والحرفية وهو القليل النادر

والله ولي التوفيق

الهوامش :

1 / التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين / لأبي البقاء العكبرى ، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين (مسألة46/ ص308).

2 / ار تشاف الضّرب . لسان العرب لابي حيان الاندلسي تحقيق :د. مصطفى احمد النماس / الخانجي الطبعة الاولى 1987م (72/2).

3 / شرح عيون الاعراب لابي الحسن علي بن فضّال المجاشعي ، تحقيق د. عبد الفتاح سليم دار المعارف الطبعة الاولى 1988 م(ص94)
4 / الجني الداني في حروف المعاني ، لابن ام قاسم المرادي تحقيق د. فخر الدين قيادة و د . محمد نديم فاضل دار الامانة بيروت الطبعة الثانية 1403 هـ (ص 494).
5 / مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام تحقيق د. مازن المبارك ـ محمد على عبد الله دار الفكر لبنان . 1969 م(ص 325).
6/ الاصول لابن السراج تحقيق د. عبد الحسين الفتلى مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية 1987. (83-82/1)
7 / شرح عيون الاعراب ص 94
8 / شرح المقدمة النحوية . لابن بشاذ رسالة دكتوراه رقم (11564) كلية الاداب جامعة القاهرة (ص 295)
9 / كتاب سيبويه تحقيق : محمد عبد السلام هارون الجزء الاول دار القلم 1966 م والجزء الثاني دار الكتاب العربي 1968م (45/1)
10 / نفسه (37/2)
11 / نفسه (46/1)
12 / نفسه (147/1)
13 / نفسه (147/1)
14 / مجالس العلماء للزجاجي تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي ، القاهرة 1403هـ(ص3)
15 / الحلبيات لابي علي الفارسي تحقيق د. حسن هنداوي دار القلم دمشق ..(ص210) وانظر كتاب الشعر تحقيق د. محمد محمود الطناحي مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الاولى 1408هـ(1 / 6 ـ 7)
16/ البسيط في شرح الجمل لابن ابي الربيع الاشبيلي تحقيق د. عياد بن عبد الثبيتي ، دار الغرب الاسلامي الطبعة الاولى 1986م(800/2)
17 / شمع المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب بيروت .. (114/7)
18 / المقتضب لابي العباس المبرد تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة عالم الكتب بيروت ..(4/86-87)
19 / اللمع في العربية لابن جني تحقيق حسين محمد محمد شرف ، الطبعة الاولى (ص119).
20 / شرح كتاب سيبويه لابي سعيد السيرافي ، تحقيق د. رمضان عبد التواب الهيئة المصرية العامة للكتاب 1990 م(358/2)
21 / المقتصد في شرح الايضاح لعبد القاهر الجرجاني تحقيق د. كاظم بحر المرجان (140/1)
22 / المرتجل في شرح جمل عبد القاهر الجرجاني لابن الخشاب تحقيق علي حيدر طبع دمشق 1492 هـ (ص 126)
23 / المستوفى في النحو لابن الفرخان تحقيق د. محمد بدوي المختون نشر . دار الثقافة العربية ، الطبعة الاولى 1407هـ (1 / 217)
24 ـ التبصرة والتذكرة ، لأبي محمد عبدالله الصيمري ، تحقيق . د فتحي أحمد أحمد مصطفى ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى 1982م (1 / 188) .
25/ اللباب في علل البناء والاعراب لابي البقاء العكبري تحقيق غازي مختار طليمات (الجزء الاول) دار الفكر المعاصر بيروت 1995 م(/165)
26/ الفصول الخمسون لابن معط تحقيق د. محمد محمود الطناحي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي 1976 م (ص180)
27 / شرح المفصل 111/7
28 / شرح الجمل لابن عصفور الا شبيلي، تحقيق د. صاحب ابو جناح . (376/1)

29 / تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك تحقيق د. محمدكامل بركات دار الكتاب العربي / مصر 1967 م (ص 52)

30 / قواعد المطارحة لابن اياز تحقيق على الفضلي رسالة ماجستير رقم (1565) المكتبة المركزية جامعة القاهرة 1976م(ص 310)

31 / ارتشاف الضرب (72/2)

32 /الجنى الداني (ص 493)

33 / نفسه (ص494)

34 / مغنى اللبيب ص 325

35 / البسيط في شرح الجمل 163/1

36 / انظر : الحلبيات (ص 222) وكتاب الشعر (9/1)

37 / الحلبيات (ص 222)

38 / نفسه (ص 224)

39 / المسائل البصريات / لابي علي الفارسي تحقيق د. محمد الشاطر احمد مطبعة المدني القاهرة ، الطبعة الاولى 1405 هـ (833/2)

40/ الايضاح لابي علي الفارسي تحقيق د. كاظم بحر المرجان عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية 1996م(ص121)

41/ انظر الحلبيات 223،220 وكتاب الشعر 9/1 المسائل البصريات 833/2 المتبع في شرح اللمع لابي البقاء العكبري تحقيق د. عبد الحميد حمد محمد الزوي منشورات جامعة قاريونس الطبعة الاولى 1994 م/ 257/1 والتبيين ص 300 شرح الرضى على الكافية تحقيق يوسف حسن عمر منشورات جامعة قاريونس ..،(199/4) شرح الجمل (378/1) شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د. عبد الرحمن السيد - ود. محمد بدوي المختون دار هجر للطباعة والنشر الطبعة الاولى 1990 م(379/1)

42 / التبيين (ص 310)

43 / انظر : الانصاف في مسائل الخلاف لابي بكر الانباري دار الفكر (161/1) التبيين 313-314شرح ابن يعيش 111/7، 112 شرح الجمل 378/1 شرح التسهيل 379/1، 238 رصف المباني في شرح حروف المعاني لاحمد بن عبد النور المالقي ، تحقيق د. احمد محمد الخراط مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ..(ص300، 301) الجني الداني 496،495

44 / التبيين ص(311، 312، 313)

45 / الكتاب 359/2

46 / المقدمة النحوية (ص295)

47 /رصف المباني (ص300)

48 /شرح الكافية (للرضي) (199/4)

49 / انظر : مثلاً - : الكتاب 59/1، اللباب 165/1، البسيط في شرح الجمل 163/1.

50 / نتائج التحصيل في شرح التسهيل / لمحمد بن محمد الدلائي ،الجزء الاول تحقيق د. مصطفى الصادق العربي ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع (ص1134)

51 / رصف المباني (302).

عرض لكتاب

تصـــحيحات لغـــويـــة

د. الطاهر القراضي/ كلية الآداب . زوارة

أ. عبداللطيف احمد الشويرف

مكان النشر: الدار العربية للكتاب . طرابلس . ط. 1997

يقع الكتــاب في 672 صــفــحــة من الحـجم المتـوسط «16X24» وهـو مطبـوع على ورق جـيــد مـصــقــول، ومـجلد تجليداً فاخراً وانيقاً.

وواضح من عنوان الكتاب انه يصوب ويعتمد بعض الاستعمالات اللغوية ، مفردات كانت او تراكيب او صيغاً لغوية حكم عليها بعض النقاد والكتاب المتزمتون بالخطأ. فالمؤلف اراد من هذا الكتاب « ان يعيد محاكمة طائفة كبيرة من كلمات وصيغ ادينت ظلماً بالمخالفة والخطأ ، ويفتح امام لغتنا باباً للتطور والامتداد ، ويجرد الكتاب والادباء من سيف سلط عليهم بلا وجه حق ، ويفرج عن كلمات وصيغ ظلت زمناً حبيسة وراء قضبان التخطئة حتى قيض الله لها من يفك قيدها ويطلق سراحها ، ويرد اليها اعتبارها من علماء اجلاء وائمة فضلاء ومؤسسات لغوية رسمية يقف في مقدمتها شامخاً عملاقاً مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ص15) .

فالهدف من الكتاب هو عدم تكبيل الكتاب والادباء بقيود التخطئة والرفض وعدم القبول لبعض المفردات او الاساليب اللغوية لاشيء الا لأن نقاداً نقليين يخطئون كل مالم يرد مثله في المعجمات اللغوية التى تحت ايديهم او التى اطلعوا عليها . ومع ذلك فإن المؤلف لايريد ان يترك الحبل على الغارب بل انه يطالب بضرورة التقيد باللغة العربية الصحيحة ، ويعارض مايراه بعض المحدثين من ان (الخطأ) المشهور خير من الصواب المهجور ليس ذلك فحسب بل انه ينصح ويحث على استعمال الافصح والاعلى والاصح (ص18) .

لقد حدد المؤلف في مقدمته هدفاً وهو التيسير والتسهيل وتذليل العقبات والصعاب التى يضعها المتزمتون امام الطالب والكاتب ; والصحفي والاديب ، والشاعر والناثر بالحكم على بعض المفردات والصيغ والاساليب والتراكيب اللغوية بأنها خاطئة . ومن هذا المنطلق ، وقف المؤلف على اكثر من مئتي وخمسين تصحيحاً بعضها يتضمن اكثر من مادة واحدة وقد اتبع فيها منهجاً علمياً دقيقاً لايحيد عنه ابداً وهو عدم تصويب اي مادة لغوية وصفت بالخطأ الا بعد ان يطرحها ويذكر حجة مخطئيها ثم يأتي بعد ذلك بالدليل القاطع الذي لايترك للطاعن سبيلاً الى الطعن والتخطئة .

وباستقراء الكتاب يتضح للقارىء ان المؤلف كان يعتمد في ادلته بالدرجة الاولى على النقول المعجمية ، والقياس والمنطق ، وحمل النظير على النظير . فنجده يقلب المعجمات العربية لمعرفة مدى صحة اللفظ او الاسلوب الموصوف بالخطأ ، فإن وجده صحيحاً ، ذكر ، النص الموجود به ، واشار الى المصدر (المعجم) والصفحة وذلك بزيادة في توثيق المعلومة لدى القارىء وفي ذات الوقت ، لاثبات حجة دامغة ضد من يدعي عدم وجودها في المعجمات العربية ، من ذلك مثلاً تخطئة من خطأ في جمع كلمة (دعوى) على (دعاوي) - بالدال المكسورة المحددة بالياء - حيث اثبت المؤلف ان جمع

(دعوى) وارد في المعجمات العربية على (دعاوي) و(دعاوى) ولذلك جاز لنا ان نجمع - مثلها - (فتوى) على فتاوي) و(فتاوى) ، ونجمع (صحراء) على (صحاري) و(صحارى) ٠٠ الخ (ص 4008)

وكذلك نجده يثبت خطأ من يزعمون بأن كلمة (امهات) جمع للعاقل فقط ، فلا يجوز اطلاقه على غير العاقل لأن الام في غير العاقل تجمع على (أمات) ، بدون هاء ٠ ويحتج الذين يخطئون (الامهات) على غير العاقل بأن (الامهات)في القرآن لم ترد لغير العاقل ٠ ودليل المؤلف على صحة (الامهات) لغير العاقل هو المعجمات العربية التى تنص صراحة على ان (الامهات) و(الأمات) لغتان في جمع الام للعاقل وغير العاقل (ص 264) كما نجد المؤلف يثبت جواز تعدية الفعل (وهب) الى مفعولين ولذلك يصح ان نقول (وهبتك مالاً) وهذا يخطئه بعض اللغويين بحجة انه لم يرد في القرآن الكريم متعدياً الى مفعولين ٠ واما حجة المؤلف فهي ان بعض المعجمات تجيز تعدية الفعل (وهب) الى مفعولين ومع وثوق المؤلف من صحة تعدية الفعل (وهب) الى مفعولين فإنه يرى ان الافصح هو تعديته الى المفعول الاول بحرف الجر (اللام) وتعديته الى المفعول الثاني مباشرة ، فيقول (وهبت لك مالاً) افصح من قولنا (وهبتك مالاً) مع انهما صحيحان ، ولكن الافصح هو مثل ماجاء به القرآن الكريم في مادة (وهب) (ص 134) ٠

وكذلك فعل المؤلف في كثير من الالفاظ والاساليب والتعابير والصيغ التى رفضها وانكرها نقاد لغويون بحجة عدم ورودها في المعجمات العربية على هذه الصيغة ، ولكن فاتهم ان معجمات اخرى - غير التى اطلعوا عليها - تقر وتصوب ماظنوا انه خطأ ، من ذلك مثلاً اقرار اسم المفعول (معلول) بمعنى صاحب مرض أوعلة (ص 107) ومن ذلك اقرار الفعل الرباعى (انعش) بمعنى قوى واقام ودفع ، مع ان هناك من الكتاب من يرفض ذلك مدّعياً ان الفعل الصحيح هو الثلاثي (نعش) لهذا المعنى (ص 156) ٠

ومثل ذلك اثبات صحة قولنا : (عيّره بالكذب) و(عيره بالبخل) فمع ان لغويين وواضعي معجمات يرون عدم جواز دخول حرف الجر (الباء) في هذا الاسلوب ، فإن المؤلف وجد في عدد من المعجمات اجازة لكلا الاسلوبين فقال : (والخلاصة ان لك ان تقول) عيرته بكذا او عيرته كذا فالتعبيران صحيحان فصيحان (ص 70)

والشواهد على النقول المعجمية التى احتج بها المؤلف كثيرة ، ولكن الاكثر من ذلك هو الاحتكام في أغلب الامور الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٠ وكلما استند المؤلف الى قرار من قرارات هذا المجمع ، فإنه يأتى بنص القرار في المتن ، ثم يدون فى الهامش رقم الدورة التى اتخذت هذا القرار وتاريخ انعقادها ٠

والكتاب مليء بهذا النوع من التصحيحات المأخوذة عن المجمع المذكور فلا داع الى الاشارة الى بعضها هنا ٠ فقد كان معظم ماورد فيه (في هذا الكتاب) من تصحيحات صادراً عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مما يعطي تلك التصحيحات مزيداً من الثقة والاطمئنان اليها ، لما يتمتع به المجمع المذكورمن مكانة علمية عظيمة (ص 17) ٠

الكتاب من الناحية الشكلية والاخراجية - اذا عرفنا ان الاستاذ الشيخ عبداللطيف الشويرف هو احد جهابذة اللغة العربية المعاصرين الذين يشار اليهم بالبنان في العالمين العربى والاسلامي - فاننا يمكن ان نتصور كيف يكون تأليفه وتدقيقه وضبطه لكتابه من الناحيتين الشكلية والاخراجية الفنية ٠

اسلوب الكتاب : يتميز الكتاب باسلوب سلس ، وعذب ورقيق الى درجة ان القارىء لايستطيع ان يطلع على ضالته ثم يقفل الكتاب ، بل انه يجد نفسه مشدوداً لمواصلة القراءة - مادة بعد مادة - وهذا دليل على كون القارىء اسيراً لاسلوب الكاتب ٠

الكتاب بصفة عامة مصدر ، ومرجع مهم يجب ان يقتنيه كل من يتعامل مع اللغة العربية طالباً

كان او مدرساً، موظفاً او كاتباً او اديباً ، شاعراً او قاصاً او ناثراً ٠ وذلك لأن المؤلف ـ على مايبدو ـ قد وضع نفسه موضع هؤلاء جميعاً واجاب عن كل الاسئلة التى تدور في اذهانهم عندما يقفون حيارى حيال بعض المفردات والتراكيب والصيغ والاساليب التى وقف ضدها بعض الكتاب والنقاد فهذا يرفض ذاك ، وهذا يمنع هذا ويستثقله ، وهذا يخطئه وينكره ٠٠ الخ حتى جاء هذا الكتاب بلسماً شافياً وعلاجاً ناجعاً ، فقرب للباحث ضالته ووفر له وقتاً وجهداً ليسا بالهينين ، ويسر له عناء البحث والتنقيب ٠

نـــــــدوة

اللــغـــات العـــروبيـــة

طرابلس من 10ـ13 « ناصر » « يوليو » 2000 ف

عقدت بمجمع اللغة العربية بطرابلس ندوة اللغات العروبية في الفترة من 10ـ13. ناصر 2000 التى شارك فيها عدد من الاساتذة الجامعيين والباحثون اللغويون والمثقفون والكتاب من مختلف ارجاء الوطن العربى الكبير تدارسوا على مدى ثلاثة ايام كاملة قضايا الاتصال الثقافي واللغوى في الوطن العربي وتصنيفات وفروع اللغة : مجلة دراسات حضرت هذه الندوة الهامة التى كانت محاورها على النحو التالي :-

***محور اليوم الاول :**

(1) اللغة والتاريخ في الوطن العربي القديم :

(أ) لغة واحدة أم لغات متعددة ؟ (ب) التمازج الثقافي والتداخل اللغوي .

(ج) الموقف النقدي من التقسيمات اللغوية السارية . (د) الامتداد اللغوي بين المشرق والمغرب .

(2) اللغات العروبية :

(أ) البدايات والتطور (ب) التأثير والتأثر . (ج) العروبية واللغات الاخرى .

***محور اليوم الثانى :**

(أ) التواصل والانقطاع . (ب) كيف كتب الاغيار تاريخنا . (ج) تصحيح التاريخ .

(4) الواقع اللغوى في الوطن العربي :

(أ) النزعات الاقليمية واللغة . (ب) أسس الحركات الانفصالية في الوطن العربي .

(ج) ثقافة الدعوات الانعزالية . (د) اللهجات المحلية ـ موقعها ، دورها .

***محور اليوم الثالث :**

(5) ماالعمل ؟

أ) آراء واقتراحات ب) ورقة عمل الندوة .

(1) اللغة والتاريخ في الوطن العربي القديم :

من المؤلم الاعتراف بحقيقة واقعة ، وهي ان تاريخ الوطن العربي بامتداده المعروف اليوم كتب على أيدي الاجانب الذين اعتمدوا على الكشوفات الاثرية في عمليات التنقيب الواسعة النطاق التي قاموا

بها على طول الوطن وعرضه ، كما اعتمدوا على فكهم رمز الكتابات العروبية القديمة وتفسرها ثم استخلاص النتائج من محتوياتها ٠ ولكن هؤلاء الاجانب - للأسف - نظروا الى تاريخ هذا الوطن في مسيرته الطويلة باعتباره تاريخاً مجزأ ، ان لم يكن على مستوى الاقطار المتكونة حديثاً فعلى مستوى الاقاليم والمناطق ٠ ولايمكن بحال فصل رؤى « المدرسة الاستعمارية » التى كتبت تاريخنا القديم عن المصالح التي تسيرها ، مهما بلغ علماؤها من التجرد عن الهوى والموضوعية العلمية ، فإن هذه المدرسة كونت أسساً صار من المسلم بها وتياراً جارفاً نتيجة أكوام الدراسات وأكداس البحوث التى اهتمت بهذا التاريخ ومايتبعه من لواحق ثقافية ولغوية ودينية وفنية مختلفة٠

(أ) من حيث اللغة ، فإن اللغات العروبية قدمت باعتبارها (لغات مختلفة) لكل كيانها الخاص المنفصل عن سواه ٠ قدمت المصرية باعتبارها لغة وادي النيل لاصلة لها بغيرها مما يحيط بها من لغات ٠ وكذلك الامر في البابلية - بلهجاتها - ولغات الشام القديمة ومثلها لغات جنوب الجزيرة وشمال افريقيا ٠٠٠ الخ ٠

وعلى هذا الاساس درج الباحثون العرب انفسهم ورسخت في الاذهان ان لاصلة رابطة بين لغات الوطن العربي القديم ٠

(ب) تبع هذا انه صرف النظر - الا في القليل - عن الدراسات المقارنة بين « ثقافات » الاقاليم العروبية الاولى ، وما يتصل بها من ديانات ومعتقدات واساطير وتراث فني ٠ وطبيعي ان يصرف النظر ايضاً عن تلمس اي تداخل لغوي يمكن ان يؤدي الى وحدة اللغات القديمة في اصولها الاولى فيؤدى هذا الى التسليم بوحدة شعوبها، وقبائلها

(ج) اذا كان ثمة شبه يقظة مؤخراً الى تداخل ، او حتى تلاصق ، لغات الوطن العربي القديمة في المشرق - كالصلة بين الآرامية والكنعانية والبابلية والعربية الشمالية والجنوبية ، في آثارها المكتشفة - فان المغرب العربي ظل (معزولاً) عزلة علمية فاجعة ، مما أدى الى بحث اللوبية والمصرية القديمتين باعتبارهما لغتين (حاميتين) لاصلة لهما ببقية اللغات (السامية) المذكورة آنفاً ٠ وهكذا ثبت في الاذهان ان الشمال الافريقي (من وادي النيل حتى المحيط لاطلسى) منبت الصلة لغوياً ببقية اجزاء الوطن المشرقية مما يعني الانقطاع التاريخي والثقافي بين المشرق والمغرب

(2) اللغات العروبية :

(أ) من المعروف ان بدايات الاشياء تكون في العادة واحدة ثم (تتفرع) وهذا شأن اللغات الانسانية ، مثلها في ذلك مثل الشجرة التي يكون اصلها بذرة تشبه بذرة اخرى ثم تنمو فيبدو انها مختلفة عن غيرها من الاشجار ٠ هذه (البدايات) لم تنل عناية كافية من الدرس ولم تسلط عليها الاضواء ، فلو تم ذلك لرأينا ان لغة اليمن القديمة مثلاً تشبه في تكوينها الاول اللغة اللوبية القديمة بصورة تدعو الى الدهشة ، وكذلك الحال بين الكنعانية والمصرية والبابلية ، في الاصول الاولى ، وماتفرع عنها من لهجات ٠

(ب) كذلك لم يعتن بذاك (التبادل اللغوي) ومايتصل به من صور التأثير والتأثر ، وهو امر طبيعي جداً بين اقوام ، او قبائل ، متصل بعضها ببعض - في حالات السلم والحرب على حد سواء ٠ وان دراسات مقارنة في هذا السبيل سوف تؤدي الى نتائج بالغة لاعادة كتابة تاريخنا كما يجب ان يكتب ٠

(ج) كذلك الامر في مايتعلق باللغات العروبية وصلتها بلغات الامم الاخرى ، اذ صورت اللغات العروبية باستمرار على اساس انها الآخذة عن لغات سواها ، عن الفارسية تارة واليونانية اخرى ، وعن اللاتينية والسنسكريتية وغيرها ، فى القديم ، وعن اللغات الاوروبية المعاصرة في الحديث ٠ وهكذا اكتظت مكتبتنا بمؤلفات تزعم ان العربية (اقترضت) باستمرار من غيرها ، حتى في آيات القرآن الكريم ، لانها - كما زعموا - لغة (ناقصة) غير قادرة على التعبير ٠ وقد انسحب هذا الاعتقاد على وقتنا الحاضر ٠ ومن المؤكد ان هذا المنحى الخطير ادى - بطريقة او بأخرى - الى

(عقدة نقص لغوية) ـ ان جاز التعبير وانعكس ، بالتالي ، على (الروح القومية) للامة .

(3) التاريخ العروبي :

(أ) نظراً لكتابة هذا التاريخ بأيدي الآخرين ، كما سبق القول ، فقد كتب قطرياً منفصلاً ، وبذا اصبح لكل قطر تاريخه الخاص ـ مهما بلغ هذا القطر من صغر الحجم وحداثة النشأة . وبذا لم يركز على دراسة التاريخ العروبي باعتباره وحدة متكاملة يكمل بعضه بعضاً ، بل قسم الى اجزاء صغيرة ، فنشأ الفرد العربي نشأة قطرية ضيقة اقليمية النظرة والتوجه والنتاج .

(ب) كتابة تاريخنا من قبل الاغيار شوهت هذا التاريخ وحولت عملية (التداخل والتمازج) الى صور من (الغزو والاحتلال) ـ كما حدث في تاريخ ماعرف بعهد (الهكوس) في وادي النيل ، وما كتب عن بني كنعان ووجودهم في الشمال الافريقي ـ على سبيل المثال .

(ج) من هنا وجب (تصحيح التاريخ) وتقديمه في صورته الحقيقية ، سواء في قديمه العتيق او في ماتلاه . فالهجرات المتبادلة التي صورت على اساس انها غزو يجب ان تقدم باعتبارها الحقيقي ، هجرة من بقعة الى اخرى على امتداد رقعة الوطن . وهذا ينطبق على ماعرف من هجرات الكنعانيين واللوبيين واليمنيين وعرب الجزيرة ، داخل الوطن المعروف اليوم وخارجه ، كالهجرات العروبية الى داخل القارة الافريقية ، والى شبه جزيرة ايبيريا وشبه الجزيرة الايطالية امتداداً الى شمال اوروبا ، وكذلك الهجرات الى الشرق حتى حدود الصين .. الخ وان دراسة الهجرات القديمة لن تؤدي الى اعادة النظر في تاريخ الوطن فحسب ، بل الى اعادة النظر في تاريخ العالم كله ، بما فيه (العالم الجديد) .. اي القارة الامريكية شمالها وجنوبها وقارة استراليا ايضاً . كذلك يجب تصحيح (الاحداث التاريخية) ذاتها بدءاً من حدث (توحيد وادي النيل) على يد (مينا) (نارمر) الى الصراع بين (قرطاجة) و(روما) ومروراً بسير الابطال الحقيقيين او الاسطوريين .. الخ .

(4) الواقع اللغوي في الوطن العربي :

(أ) تعتبر اللغة اهم عنصر من عناصر (وحدة الامة) وقد استغلت النزعات الاقليمية عوامل الجهل بالتاريخ العروبي الحقيقي ـ الذي كتب لنا مقلوباً مشوهاً ممزقاً ـ لبث الفرقة بين اقطار الوطن العربي ، بل بين ابناء القطر الواحد . كما استغلت هذه النزعات (الجهل اللغوى) بحيث توهم ابناء كل قطر ان قطرهم متميز (احياناً : ممتاز) عن غيره من الاقطار ، لأن لغته القديمة (والمعاصرة كذلك) قدمت باعتبارها ذات جذور لاتمت الى العروبة والعروبية بصلة . وقد كان (التميز اللغوي) في الشمال الافريقي بصفة خاصة هو الاساس الذي انبنت عليه الدعوة الامازيغية وما تبعها من محاولة تمزيق المغرب العربي وخلق عوامل الصراع والصدام بين (العربية) والامازيغية (البربرية) .

(ب) من اسس الحركات الانفصالية ، كما ذكرنا ، هذا (الانفصام اللغوي) الموهوم . ثم مايتبع ذلك من (ثقافة شعبية) متميزة تعتمد على التراث الشعبي (الفلكلور) والفنون الشعبية ـ من اغان والحان ورسوم وزخارف وغيرها ـ كما تعتمد على التراث الاسطوري ، الخرافي ، الديني العتيق ، فتبرزه ابرازاً شديداً وتسلط عليه الاضواء في (مهرجانات) واحتفالات واعياد متنوعة . كما تركز هذه الدعوات على ابطال التاريخ القطرى، تختلق لها شتى المناسبات لتخليدها وترسيخ اسمائها في اذهان الناشئة بحيث تصبح هى (المثل الاعلى) لها ، خاصة اذا ماقدمت باعتبارها (مقاومة) لغزو الآخرين ، والمقصود هنا (الاخرون) من عرب المشرق ، كما هو الحال في تعظيم (أحمس) (طارد) (الهكوس) في مصر ، والكاهنة (داهية) (والملك) (كسيلة) في الجزائر وغيرهما من (الابطال) وتسري الدعاية والدعوة لاستعمال الحرف البربرى / الامازيغى (التفناق) في بعض اقطار المغرب العربي في رموز الشركات وبطاقات الزيارة الخاصة وفي وسائل الاعلام والاعلان ، والدعوة ماضية لاتخاذ هذا الحرف بديلاً عن الحرف العربي الجزيرى .

(ج) ثقافة الدعوات الانعزالية ثقافة مستمدة من جملة عناصر ، اولها الجهل بحقائق التاريخ ـ العروبي ، وثانيها عدم معرفة الواقع اللغوي ـ في ماضيه البعيد وحاضره المعيش ـ وثالثها مازرعته

المدرسة الاستعمارية من (افكار) ورسخته من (مبادىء) في نفوس من ربوا تربية معينة في هذه المدرسة ، ورابعها الهوى السياسي لبعض القيادات في هذه الاقطار ، وربما نضيف هنا تهاون المؤمنين بعروبة هذه الاقطار ، وليس(تعربها) بعد الاسلام فحسب ، وتهاون أولي الامر من الحاكمين ، ثم مايقدم في مناهج التعليم من مادة مغلوطة خاطئة ، او على الاقل مقصرة او قاصرة ، في سبيل تثقيف الاجيال الجديدة . نزيد على ذلك دور وسائل الاعلام المقروءة والمرئية والمسموعة في (التعتيم) على الجوانب الحقيقية الصحيحة في مجال التاريخ واللغة والثقافة بصفة عامة .

(د) الى جانب الدعوة البربرية (الامازيغية) ثمة دعوات اخرى تتجه نحو محاربة (العربية المشتركة) عن طريق اللهجات المحلية التي يعترف بانها عربية الاصل لكنها نمت وتطورت في اتجاه يمكنها من ان تكون (لغة) قائمة بذاتها . وهذا المنحى يلاحظ في اقطار المشرق - كمصر ولبنان - وهو (يشجع) بطريقة مافي اقطار المغرب حين تقدم نشرات الاخبار مثلاً في بعض المحطات الاذاعية باللهجة الدارجة - كما تقدم التمثيليات والمسرحيات . كذلك يلاحظ ان (المسؤولين) وحتى (المثقفين) ينزعون الى اتخاذ دارجات اقطارهم وسيلة للتعبير .

(5) ماالعمل ؟

هذه الندوة او (المائدة المستديرة) عقدت اولاً ليتعارف (اولو العلم) ويلتقي بعضهم ببعض ، ثم للنظر في واقع الحال ، وكذلك للنظر في مجابهة الدعوات الاقليمية الانفصالية الخطيرة - اهمها اليوم الدعوة /البربرية / الامازيغية - التى تدفعها عوامل كثيرة ، خارجية وداخلية .

السؤال المطروح : ماالعمل ؟

ماالذي يجب على علماء الامة ومثقفيها ان يقوموا به ؟ كيف يواجهون هذه الخطط المعدة ، والتي تنفذ علناً هذه الايام ؟ كيف نحمي امتنا من المزيد من عوامل التمزق والتفرق ؟ كيف نذود عن حمى هذا الوطن الذي تناهشت المخالب اطراف جسده وها هي تصل لتستل قلبه ؟

سؤال ، بل اسئلة ، مطروحة عليكم وفي انتظار آرائكم ومقترحاتكم .

مشاركة

استهل كلمتى بالتعبير عن غبطتى بالتواجد بين أشقائى فى الجماهيرية وبالثناء الجزيل لاخوتى في مجمع اللغة العربية بطرابلس وفى المقدمة د. علي فهمي خشيم امين مجمع اللغة العربية بطرابلس علـى الدعوة الكريمة التى شرفونى بها لحضور فعالية ندوة اللغات العروبية والمشاركة فيها .

جئتكم من المشرق العربى ، من اقاصى جنوب الجزيرة العربية - من يمن العروبة ، من حضر موت لألتقى باخوتى في بيتى الثانى في الجماهيرية العربية الليبية في المغرب العربي احييكم بلسانكم فتردون تحيتى بلسانى احمل لكم مشاعر قربى الهلاليين وكندة .

عندما وصلنى برنامج الندوة لم يسعفني الوقت لضيقه للاستعداد الكافى مع ما صيغت للندوة من فقرات ومحاور . وبذا ساكتفى باطلاعكم على اشكالية اللغات العروبية فى اليمن .

فى الركن الجنوبى الشرقى من الجزيرة العربية وعلى وجه التحديد فى محافظة المهره واصقاع من صحراء محافظة حضر موت فى اليمن وكذا اقليم ظفار فى سلطنة عمان يتكلم السكان ألسنة ينقطع عندها استيعاب التخاطب والتفاهم مع غير ناطقيها هذه الالسن الرئيسية وعددها ست هي المهرية ويتكلمها معظم سكان المهره التى يتراوح عدد سكانها بين **100.000**، **80.000** نسمة وبعض القبائل الساكنة فى جزء من الربع الخالى فى حضرموت ، والسقطرية (وتستخدم فى جزيرة سقطرى) والاحكيلية (او البطحرية) وتستخدم فى منطقة تقع قبالة جزر عبدالكوري (يطلق عليها احيانا كوريا موريا)، والهوبيوتية ويسكن ناطقوها (وهم عدد قليل جدا) فى المنطقة الحدودية بين اليمن وعمان ، ثم الشحرية (ويطلق عليها الجبالية ايضا) ويتكلمها عدد لابأس به من عشائر وقبائل اقليم ظفار فى سلطنة عمان ، والحرسوسية ويتكلمها عدد قليل فى منطقة تدعى جدة الحراسيس فى

سلطنة عمان ايضا . سجلت هذه الالسن على انها لهجات عربية احتفظ بها ناطقوها من اللغات اليمنية القديمة وانها عربية جنوبية تقابل فى ذلك العربية الشمالية التى جاءتنا منها العربية الفصحى . ولقد حدث تطور فى هذه الالسنة باعد الى حد كبير فى التفاهم والتخاطب بين ناطقيها فلم يعد ممكنا التخاطب بين السقطرى والشحرى او بين الشحرى والمهرى . هذه الالسنة آنفة الذكر تحمل كثيرا من سمات العربية القديمة ككثرة الاصوات الجانبية (مثل الصاد والضاد والطاء) بل وتشترك جميعها في احتفاظها بالسين الجانبية كوحدة صوتية لغوية مستقلة (فهى ليست سينا ولاشينا فى هذه الالسن) مما يحملنا على التوكيد بان هذا الصوت كان موجودا فى عربيتنا القديمة بنفس صورته الصوتية ووظيفته اللغوية التى يظهر فى هذه الالسن حتى اليوم ومايعزز هذا التوكيد ان الفاظا مثل كبس او سبع (بالسين الجانبية فى المهرية) هى الاخيرة وعندما نتحدث لاحقا عن العلاقة بين هذه الالسن والعربية الفصحى فان هذه السين الجانبية غالبا ماقابلها (شينا) فى الفصحى .

هذه الالسن تحمل في مجمل تركيبها صفاتا مشتركة مع العربية الفصحى ونتوقع كثيرا من لهجاتها في الوطن العربى (على سبيل المثال اداة المستقبل فى اللهجة المصرية وهو الحال فى معظم تلك الالسن) على الصعيد الصوتي والنحوى والصرف والاشتقاق وعلاوة على التاريخ الثقافى والاجتماعي و التركيب السلالى المشترك بين اوائل قاطنى الجزيرة العربية فان التمازج اللغوي يبرز جليا بين هذه الالسن والعربية الفصحى من خلال المفردات والاشارات الدلالية وهو من اهم واقوى صور التقارب عند المقارنة بن لسانين او لغتين واذا ما ازلنا اللواحق والبوادىء فى كثير جداً من مفردات هذه الالسن فان الجذر فيها يتطابق مع القابل له فى العربية الفصحى والامثلة كثيرة على ذلك وبين يدى دراسة تؤكد مانقول بعنوان اللغات العربية الجنوبية الحديثة والعربية الفصحى : دراسة مقارنة .

بقى لى ان استعرض لكم جهود ومواقف واهداف المؤسسات البحثية الاجنبية (غير العربية) فهناك بعثات اجنبية خاصة الفرنسية منها تقوم بدراسات لتلك الالسن تروج تارة بالايحاء بين اوساط الناطقين (تتفشى بين غالبيتهم الامية) بعدم عروبية لغتهم وتارة بالوقوف بشدة امام اي جهود او محاولات لتأصيل عروبية هذه الالسن فى محافل علمية لايساندها فى ذلك الا عدد لايكاد يذكر ممن تشربوا ثقافتهم وقد اثارت حفيظتهم محاولاتى التى منها ورقة بحثية بعنوان الاصوات المهرية : الابجدية العربية للغات العربية الجنوبية الحديثة قدمتها فى ندوة بعدن فى مارس **1999** ونشرت فى عدد مايو من مجلة اليمن المحكمة تصدرها جامعة عدن واعتقد ان السبب الرئيس وراء عزوف الباحث اليمنى وبعد الباحث العربى عن القيام بدراسات بحثية لهذه الالسن (وهذا ليس انتقاصا من قدرات علمائنا وباحثينا) هو امر يؤسف له ربما يكمن فى ان مثل هذه الدراسات تتطلب عناء ومشقة ووقتا اطول من غيرها للحصول على النتائج ناهيك عن عدم توفر الدعم الرسمى من مؤسسات الدولة البحثية او المؤسسات العربية الاخرى بينما تنفق المؤسسات الاجنبية الكثير من الجهد والمال على ذلك اذ تزور اليمن لهذا الغرض بعثة فرنسية لتقيم في اليمن قرابة شهر سنويا وبانتظام وبحسب علمى ربما اكون اليمنى الوحيد « وليس فى ذلك مبالغة ان قلت العربي الوحيد » الذي يدرس هذه الالسن فى العقد او العقدين الاخيرين . ولهذا تكون مكتبتنا فقيرة لمثل هذه الدراسات . اننا نرى ان لمثل هذه الدراسات فى المشرق والمغرب العربي اهمية كبيرة فى تطوير معارفنا وتاريخنا ولغتنا وثقافتنا العربية وفى ذلك ايضا يكمن دورنا فى المساعدة على لحمة شعبنا العربى ووحدة ارضه كما ان موروثنا اللغوى بكل اصنافه سيساعدنا كثيرا فى اماطة اللثام عن جزء اكبر من ماغمض من ظواهر تاريخنا واعادة قراءة ماسجله لنا الاجانب فى هذا التاريخ .

ربما زاد من شد انتباهى اننى عندما التقيت ببعض الاشقاء من المغرب العربى سمعت منهم ألفاظاً « هى بالتأكيد عربية » بمخارج صوتية كنت اخالها محلية فى لهجتى بحضر موت فاذا هو

التمازج الثقافى والعشائرى فعندنا ايضا بيوت الجابري والسعدى والحامدي والشرفى والعامرى ٠٠ فكيف اذا نستبعد الامتداد والتداخل اللغوى بين المشرق والمغرب ٠

وفى الختام أود ان اتقدم ببعض المقترحات من خلاصة تجربتى الشخصية ٠

1ـ تأسيس مؤسسة اومركز عربى بحيث تظل الفرق البحثية والمؤسسات او المراكز القطرية والافراد تكون اول اهدافها تبادل المعلومات وتطور رؤى واهداف قومية متينة ٠

2 ـ مواجهة الغزو والتفكيك الثقافى المخطط الذى يستهدف زرع الفرقة اللغوية وبالتالى بث النزعات الاقليمية ودعم الحركات الانفصالية ٠ وان الطريق الاول والاساس لمواجهة هذا الغزو يكمن في تأصيل وتوسيع النشاط البحثى العلمى فى هذا المجال ٠

3ـ تشكيل فريق بحثي مزدوج « مغاربى يمنى » للقيام بدراسات لغوية وتاريخية (وانثر وبولوجية) معمقة لهذه المجموعات وأخرى مقارنة بين هذه الالسنة ٠

4 رصد اعتمادات مالية لدعم جهود الباحثين العرب فى هذه المجالات ٠

مصطفى زين العيدروس . المكلا ـ حضرموت اليمن

وصنف احد الباحثين اللسان العربى « اللغة العربية واللهجات العربية القديمة » الى :ـ

يقصد باللهجات العربيات : اللهجات المنتمية جذوريا الى العربية الأم المحضة والتى لانعرفها حتى الآن ، والممكن ادراكها من الالمام بمجمل لهجاتها الفرعية التالية ، والتي تثبت الدراسات المقارنة ان لها هذا الانتماء « جذرا ، ونطقا ، ومعنى ومدلولا ، وتداولا متواترا » وهي تشمل مبدئيا كلا من اللهجات العربيات التالية :

اللهجات العربيات القديمة :

ـ اللهجتان العربيتان الاكاديتان :

1ـ اللهجة العربية البابلية

2ـ اللهجة العربية الاشورية

ـ اللهجات العربيات الكنعانية :

3 اللهجة العربية الكنعانية « الفينيقية »

4ـ اللهجة العربية الكنعانية « البونيقية »

5ـ اللهجة العربية المرآبية « والادومية »

ـ اللهجات العربية الكنعانية ـ العمورية بفرعيها: 6ـ

6ـ اللهجة العربية الابلائية

7ـ اللهجة العربية الاجاريتية

ـ اللجهات العربيات الآرامية بفروعها :

8 اللهجة العربية النبطية

9ـ اللهجة العربية التدمرية

10ـ اللهجة العربية الفلسطينية

11ـ اللهجة العربية المندعية

12ـ اللهجة العربية الحضرية

13ـ اللهجة العربية السريانية

– اللهجات العربيات العدنانية :

14ـ اللهجة العربية العدنانية « الفصحى » الحية

15ـاللهجة العربية العدنانية الثمودية

16ـ اللهجة العربية العدنانية الصفائية

17 ـ اللهجة العربية العدنانية اللحيانية « والديدانية »

ـ اللهجات العربية القحطانية بفروعها :

18ـ اللهجة العربية السبئية

19ـ اللهجة العربية المعينية

20ـ اللهجة العربية الحضرمية

21ـ اللهجة العربية القتبانية

22ـ اللهجة العربية الاوسانية

23ـ اللجهة العربية الحميرية

24ـ اللهجة العربية المهرية

25 ـ اللهجة العربية الشحرية الجبالية « السقطرية »

26ـ اللهجة العربية الثمودية الجنوبية

27– اللهجة العربية السينائية ٠

ـ اللهجات العربيات البربرية :

28ـ اللجهة العربية اللوبية

29 ـ اللهجة العربية الامازيغية

30 ـ اللهجة العربية الطوارقية

31ـ اللهجة العربية الشلحية

ـ اللهجات العربيات المصريات

و اللهجات العربيات القبطيات

دعوة للمساهمة

إلى الباحثين و المثقفين..

الثقافة الجماهيرية بوصفها ثقافة موسوعية تشمل كافة قضايا العلم والمعرفة الإنسانية برسم شعبي ومنظور جماهيري بواسطة منظومة متكاملة من القيم والمعايير والأعراف و القوانين التي تتجاوز ثقافة الصالونات والنخب والبرجعاجية المنتمية لطبقة أو فئة أو مصلحة ضيقة محددة.

إنها بكل بساطة ثقافة كل الناس في الشارع و البيت و المصنع ، تترجم أحاسيسهم وآلامهم وآمالهم ومستقبلهم .

إنها ثقافة إنسانية غايتها تحرير الإنسان وإيقاظه من نومه ليتمرد و يثور و يحطم قيوده واصفاده ويعيش حراً مكرما كما خلقه الله ، وهي ثقافة التسامح و الحوار و الحرية .. حلولها قواعد طبيعية وبديهيات لا تقبل الجدل ، وهي بهذا التوصيف تقف في مواجهة قوى الاستغلال و الاضطهاد والعنصرية التي تعتمد تزييف الحقائق وقلب المفاهيم وتجهيل الناس ، وهذا ما يجعل مهمة المثقفين صعبة في عالم تهيمن عليه قوى الاستغلال والاحتكار وتقوده قوى شيطانية صنعت الديناميت طورت الذرة والصواريخ وهراوات البوليس ...لتحمي قوانين الاستغلال و الاستعمار والنهب واللصوصية ..

إنهم بكل بساطة جنود سلاحهم الكلمة المقاتلة ومجلة «دراسات» تفسح مساحتها لهؤلاء المقاتلين الذين اكتشفوا عن طريق الكتاب الاخضر زيف مجتمعات الاستغلال ووعوا الظلم كله فتحولوا إلى ثائرين وهم مثقفون بالطبع ... وتهيب بالمثقفين الثوريين الجماهيريين من أساتذة الجامعات والمتخصصين في مختلف فروع المعرفة و المهتمين بقضايا ومشكلات الإنسان المشاركة في هدا الجهد العلمي البحثي الاقناعي ، حتى ينتصروا لثقافتهم كما ينتصروا لأنفسهم والبشرية كلها وتترسخ ثقافة إنسانية جماهيرية تقدم المعارف على حقيقتها لينتهي الجهل كعدو رقم واحد ويعم العدل وقيم المساواة كمطلب جماهيري..

ومن منطلق المساهمة في تنمية قدرات الباحثين وحرصاً على إتاحة الفرصة أمام أكبر عدد من المهتمين بقضايا الحرية والثقافة الجماهيرية ، فإن وحدة الدراسات ترحب بما يرد إليها من إسهامات الباحثين و الكتاب وتبدي استعدادها لتسهيل حصولهم على المعلومات و تذليل مختلف لصعوبات الإدارية والفنية والتمويلية .. التي تتطلبها الدراسات والبحوث للسنوات القادمة وهي تتضمن قائمة طويلة تحوى جل القضايا وتمس كافة المعضلات التي سيتم معالجتها بالتحليل والمقارنة والبحث

العلمي والتاريخي والوصفي و الإحصائي..وفقاً لمنهج التحليل الجماهيري وأدواته لتعليم الإنسان الحقيقة وتحرير عقله ..

وتعد المجلة جميع المشاركين ببذل أقصى جهد واهتمام لما يرد إليها من مشاركات ومراجعتها وتقييمها علمياً و صرف مكافآت تشجعية حسب طبيعة كل موضوع..

وتود الاحاطة بقواعد النشر في المجلة وهي

*ألاتكون المادة قد سبق نشرها.

*أن تكون وفقاًلقواعد البحث العلمي ومثبتة المراجع و الهوامش والاقتباسات .

*أن تستخدم مصطلحات ومفردات ومنهج التحليل الجماهيري.

وتترك لكم الفرصة في اختيار مايناسب اختصاصكم واهتمامكم واختيار وعاء الدراسةبحثًا أو دراسة أو مقالاًأو كتاباً وفقاًلاستمارة المشاركة المرفقة.

قضايا و محاور المجلة

1ـ قضايا الديمقراطية/المباشرة، النيابية، القرار ،الاستفتاء ، الشريعة ،الرقابة.

2 ـ قضايا الاقتصاد/ الربح ، الحاجات ، الإشباع ، الاشتراكية ـ الرأسمالية .

3ـ قضايا اجتماعية /الدين ، القومية ، الأسرة ، القبيلة ، الأمة .

4ـ قضايا قومية / الوحدة الجماهيرية ، الوحدة الاندماجية ، الوحدة بالقوة، التكامل الاقتصادي.

5 ـ قضايا الاضطهاد / ديني، عرقي ، قومي ، سياسي .

6 ـ قضايا العنف / ديني ، طبقي ، رجعي ، قومي ، ثوري، سلبي ، إيجابي.

7ـ قضايا الإرهاب / الديني، الطبقي . الدولي ،السلطوي.

8ـ قضاياالتبعية / اقتصادية ، سياسية ، عسكرية ، شاملة .

9 ـ قضايا التسلح / نووي ، جرثومي، كيماوي ، تقليدي.

10ـ قضايا الصراع / العربي الصهيوني ، شرق غرب ، شمال جنوب ، صراع القوميات ، الاديان ، الحضارات .

11ـ قضاياالأقليات / قومية ، دينية ، عرقية ، الأكراد، الغجر ، الهنود ، اليهود.

12ـ قضايا الحقوق / الانسان، المرأة ،الطفل ، العمال .

13ـ قضايا الإدارة /الشعبية ، الحكومية ،المركزية واللامركزية ،البيروقراطية

14ـ قضايا الهيمنة / الهيمنة الدولية ، الهيمنة الأمريكية ، النظام السياسي الدولي .

15ـ قضايا الاحتكار / السياسي ، الاقتصادي ، الطبقي ، الصحافي .

16ـ قضايا الاستعمار / العسكري المباشر، الاقتصادي ،الثقافي ، الفكري.

17ـ قضايا التعاون / الدولي، الاقليمي ، القومي (التبعية ،التكامل ،التكافؤ)

18ـ قضاياالتقدم /العلمي ، الاجتماعي ، التنمية.

19ـ قضاياالحوار / حوار الحضارات ، الأمم ، القوة، شمال جنوب .

20ـ قضايا المرأة/تعاسة النساءالاضطهاد ، ثقافة التفرقة

قضايا سياسية تحليل ودراسة

- مشكلة أداة الحكم وتاريخ النزاع السياسي .
- المجالس النيابية ومشكلة تمثيل الشعب .
- الصراع الحزبي وعلاقته بسلطة الشعب .
- النظام السياسي الطبقي ومساوئ السيادة الطبقية .
- الاستفتاء ومحدودية رأي الجماهير (نعم / لا) .
- الحل الجماهيري لمشكلة أداة الحكم (الديمقراطية الشعبية) .
- شريعة المجتمع كمشكل عالمي وعلاقتها بالدستور والقانون.
- الرقابة على المجتمع وتمثيل السلطة وحق تصحيح الانحراف .
- العنف على المجتمع بالقوة وعلاقته بالديمقراطية
- حقوق الانسان السياسية وعجز المواثيق الدولية في تحقيق حياة أفضل .

قضاياالقتصادية تحليل ودراسة

- التطور التاريخي للمشكل الاقتصادي على صعيد الانتاج والتوزيع والإدارة.
- الانقلاب الصناعي وعدم كفاية الحقوق التي اكتسبها العمال .
- الأجور وعلاقتها التاريخية بالملكية والاحتكار.
- الاشتراكية الطبيعية وعلاقتها بعناصر الانتاج الاقتصادي .
- احتكار الثروة وملكية وسائل الإنتاج .
- نظريات الاقتصاد وملكية الرقبة وعلاقتها بالأجور .
- نظام السوق الرأسمالي ونقد آلياته .
- التغيير الكمي في القوى العاملة وعلاقته بالتغير الكيفي ومدى انعكاسه على مستقبل الإنسان .
- التطور العلمي وعلاقته بالعناصرالأساسية في عملية الإنتاج .
- الحاجة وعلاقتها بالاستعباد والاستغلال .
- ملكية الأرض وعلاقتها بالنظام الا قتصادي الاستغلالي .
- إشباع الحاجات دون استغلال واستعباد .
- الخدمة العامة وضمانات إشباع الحاجات و الثروة العامة .
- ثروة المجتمع وكيفية توزيعها دون استغلال واستحواذ.
- المؤسسة الاشتراكية ومبدأ الشراكة في الانتاج .

الملكية المقدسة للحاجات المادية وعلاقتها بالحرية .

تقييم القوة التهديدية لنقابات العمال وثقلها في المجتمع الرأسمالي ودورها في تحويل المجتمع من الرأسمالية إلى الاشتراكية .

قضايا اجتماعية «تحليل ودراسة»

- العامل الاجتماعي كمحرك للتاريخ
- أبطال التاريخ في ضوء العلاقة الاجتماعية القومية
- دراسات الحركات التاريخية الجماهيرية وعلاقتها بالتكوين الاجتماعي .
- التكوين الطبيعي للجماعة البشرية وعلاقته بالحاجات الاجتماعية وسبل إشباعها .
- حركات التحرر القومي كحركات اجتماعية ومسألة الكفاح من أجل الوحدة القومية .
- الرابطة الاجتماعية ودورها الإجابي .
- العامل الاجتماعي القومي وعلاقته بالعامل الديني و مساهمته في استقرار الجماعات البشرية
- الأسرة كوحدة اجتماعية أساسية وحصر الأسباب التي تهدد تكوين الأسرة في المجتمع الرأسمالي الصناعي وانعكاساته الانسانية كمجتمع صعاليك ليس له ولاء إلا للمنفعة .
- القبيلة كوحدة اجتماعية أساسية ودورها في تحقيق الرابطة الاجتماعية والتماسك والوحدة وعرض المنافع و المزايا والقيم المترتبة على الروابط الاجتماعية .

- الأمة كمظلة سياسية قومية و كانتماء ومصير ودرهافى المجتمع الدولى وخطر الطغيان والتعصب القومى على الصعيد العالمى .
- التكوين السياسى [الدولة] وتشكيل خارطة العالم السياسية وأسباب تغيير خارطة العالم من عصر إلى عصر وعلاقته التكوينات الاجتماعية.
- المساواة بين الرجل والمرأة والبحث عن الدور الطبيعى للمرأة وعدم التفريق بينها وبين الرجل فى كل ما هو إنسانى .
- مساواة المرأة فى العمل والزواج والحقوق وإلى أى مدى ساهم تجاهل الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة فى الحياة الاجتماعية للإنسان .
- مشكلةالأقليات فى ظل الدراسات التاريخية وكيفية حل مشكلاتها السياسية والاقتصادية وفق المجتمع الجماهيري.
- أسباب ومسببات تخلف الجنس الأسود وعلاقة هذا التخلف بالتفوق العددى .
- التعليم الإجبارى التقليدى كأسلوب مضاد للحرية .
- الدعوة إلى ثورة عالمية لتحرير الإنسان من مناهج وآثار التعصب والتكييف العمدى لذوق ومفهوم وعقلية الإنسان .
- الأقليات العرقية والقومية فى الوطن العربى وإمكانيات تحقيق المساواة السياسية.

قضايا الإعلام والثقافة «تحليل ودراسة»

- الاختلال الاعلامى والنظام العالمى الجديد.
- الاعلام كأداة غزو ثقافى وفكرى .
- الدعاية الدولية ومفاهيم القوة الاعلامية .
- الإبداع الثقافى وعلاقته بالحرية .
- الحقوق الثقافية فى ظل العولمة الاعلامية الثقافية .
- سبل تنمية المخزون الثقافى والمعرفى العربى الواحد .
- الغزو الثقافى وآثاره السلبية.
- الغزو الإعلامى وآثاره السلبية .
- السبل الكفيلة بمواجهة الغزو الفكرى والثقافى.
- مؤسسات التكامل والتعاون الاعلامى والثقافى العربى ومهمتها فى تحقيق الأمن الثقافى وتحقيق الوحدة العربية .

قضايا الصراع « تحليل وأبعاد »

- الصراع العربى الصهيونى .
- الصراع شمال جنوب .
- الصراع القومى .
- صراع المصالح الرأسمالية .
- الصراع العربى الليبى الامريكى .
- الصراع حول المياه .
- الصراع حول مناطق النفوذ .
- مستقبل الصراع الدولى وموقف الأمم المتحدة ومجلس الأمن .



قضايا قومية « تحليل وأبعاد »

- الصراع العربى الصهيونى .
- الاستسلام وكذبة الأرض مقابل السلام .
- دور الدين والقومية فى الصراع الصهيونى .
- الشرق أوسطية ونتائجها المستقبلية على الوطن العربى .
- برامج الشراكة الاقتصادية وانعكاساتها على الاقتصاد العربى .
- الظاهرة الحزبية فى الوطن العربى تاريخها ومستقبلها .
- التاريخ الحضارى للأمة العربية عرض دور العرب عبر التاريخ .

- إعادة كتابة التاريخ القومى العربى وكشف أبطاله الحقيقيين وتحولات التاريخ السياسى الذى ساد فيه العرب .
- مستقبل النظام الإقليمى العربى فى ظل التحولات الدولية .
- الولاء الحكومى العربى للاستعمار وتمثيل مصالحه فى المنطقة .
- الأمن الغذائى العربى وقضايا التبعية .
- الأمن المائى العربى والسيطرة التركيةوالصهيونية .
- الأمن الاقتصادى العربى ودور الشركات المتعددة الجنسية ومستقبل الأرصدة العربية
- الأمن القومى العربى ومسألةالوجود العربى بأمنه ومستقبل الصراع العربى الصهيونى .
- الأمن الثقافى العربى وسبل الغزو وبرامج التعاون العربى .
- النفط كطاقة العصر ودوره فى العلاقات العربية والدولية .
- الأرصدة العربية وكيفية استثمارها لصالح الصراع العربى الصهيونى .
- مستقبل الوطن العربى فى ظل العولمة وسياسات الاحتواء والأحلاف والتكتلات .
- التبعية ودورها فى تفسير التخلف الاقتصادى فى الوطن العربى وانعكاساتها على المواطن العربى ودورها فى التخلف .
- التنمية الرأسمالية وفشل النموذج الحكومى العربى ومشاكل استيراد الانماط التنموية فى الوطن العربى .
- النفط كمصدر قوة وكشريك فى معركة الوجود العربى .
- التكامل الاقتصادى العربى ودوره فى التعجيل بالوحدة العربية .
- النتائج السياسية والاقتصادية والعسكرية للوحدة العربية الشاملة.
- تحليل مرتكزات السياسة الأمريكية « الغربية » تجاه الصراع العربى الصهيونى .
- رصد صور الهيمنة الأمريكية على الوطن العربى والنظام العالمى الجديد واخطارها على السلام الدولى .
- رصد وتحليل مشاريع التكامل الاقتصادى وعلاقتها بالتكتلات الاقليمية العربية .
- متابعة المشاريع الوحدوية وعرض نتائج وانعكاسات العمل الوحدوى .

قضايا الدين « تحليل و مقارنة »

- الخطاب الدينى وقضية التطرف .
- نحو كسر احتكار المعرفة الدينية.
- العنف الدينى كأسلوب مضاد للحرية.
- دور الدين فى الصراع العربى الصهيونى .
- الاسلام دين العرب وموقفه من الأقليات الدينية فى الوطن العربى .
- التسامح الدينى ومساهمته فى السلام الدولى .

- الإسلام دين العدل والقوة والتقدم.
- أمريكا - أوروبا [المسيحية] والصراع العربى الصهيونى .
- الحوار الإسلامى المسيحى وإمكانية استثماره لصالح العرب والإسلام .
- استغلال الدين فى سياسة عرض نماذج اليهود - الزندقة .

قضايا دولية « تحليل »

التنمية ، السكان ، المياه ، السلاح ،الغذاء ، المجاعة ، اللاجئون ، الأمن ، السلام ، الطاقة ، التعاون ، الاستعمار ، التبعية ، التكتلات ، الاحلاف ، الاضطهاد ، العنصرية ، العنف ، الإرهاب ، المساعدات ، الحروب ، الديمقراطية .

استمارة مشاركة في مجلة دراسات.

الاسم : ....

المهنة : ....

مكان العمل : .... الهاتف : ....

العنوان البريدي : .... المدينة : ....

المنطقة : .... الهاتف : ....

ارغب المشاركة في ملف حالة : ظاهرة ، بحث ، دراسة .

رقم المحور حسب الخطة .

عنوان المشاركة : ....

التاريخ المتوقع لإنجازها : ....

التاريخ المتوقع لتسليمها : ....

ملاحظات ومقترحات

يسر هيئة تحرير مجلة دراسات ان تتلقى من الاخوة الكتاب والباحثين والقراء على حدٍ سواء الملاحظات والافكار والمقترحات التي تساعد في تطوير المجلة وتجعلها تساهم بفعالية تامة في تنشيط الوعي الثقافي ونشر الثقافة والمعرفة الجماهيرية على نطاق واسع بما تقدمه من بحوث نقدية وتحليلية ومقارنة ودراسات وصفية وتاريخية موثقة ، وتأمل تلقي هذه الملاحظات بأسرع ما يمكن لنتمكن من وضعها موضع التنفيذ .

- **ملاحظات حول شكل المجلة : الطباعة .. الإخراج:**..

....

....

- **ملاحظات حول تبويب المجلة** :..

....

....

- **ملاحظات حول مادة ومضمون المجلة** :..

....

....

- **ملاحظات حول خطة المجلة المنشورة** : ....

....

....

- **اقتراحات** : ....

....

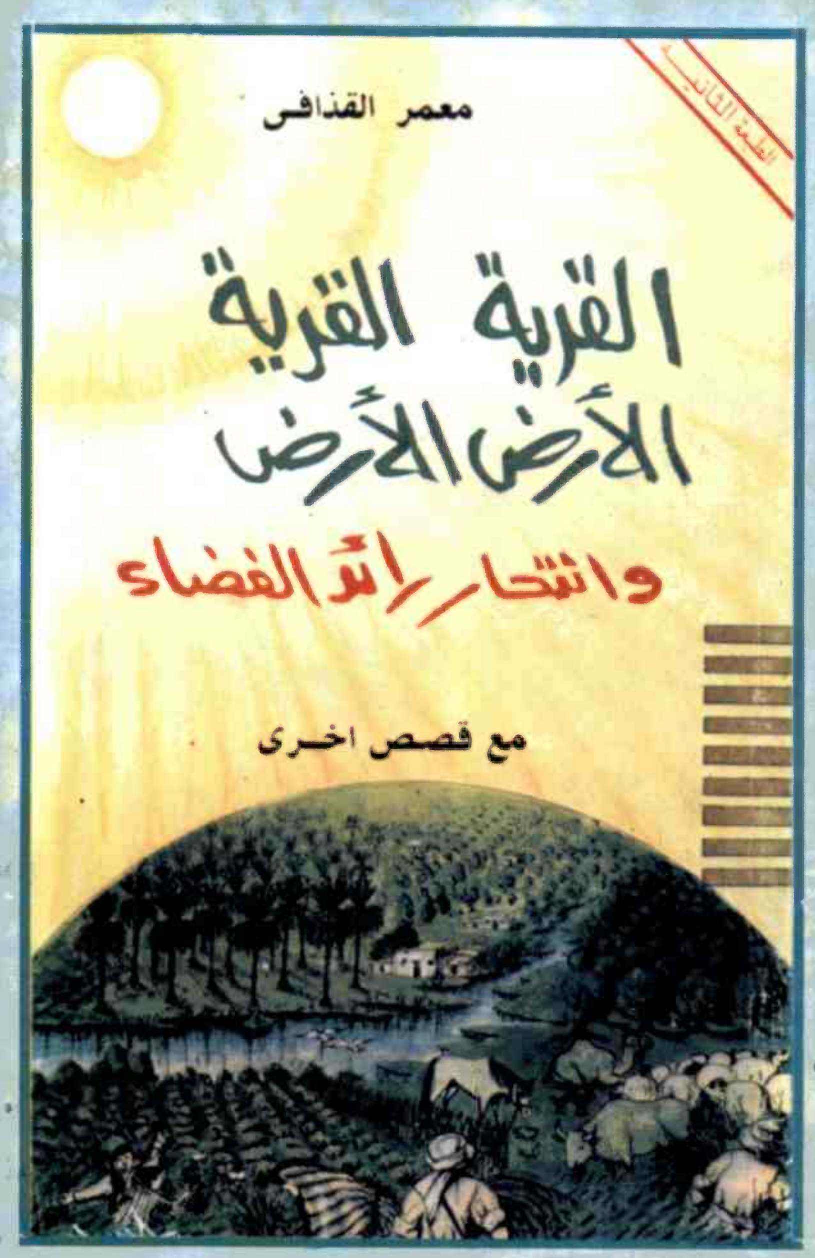
....

....

....

....

اقرأ في العدد القادم



تتفرد المجموعة القصصية " القرية القرية، الأرض الأرض وانتحار رائد الفضاء " للمبدع معمرالقذافي " إنها تضع القارئ أمام همومه ومشاكله وتفضح وتعري أمامه عمليات التزوير والتحوير التي مورست ضده وعليه على مر العصور حتى ساد اعتقاد لدى الجميع أنه الواقع والقدر .

أي أن الإبداع هنا يحاول خلق حياة جديدة وقيم جديدة يكون الإنسان فيها هو الأصل وهو الرقم الذي لايقبل القسمة ولا يقبل الضرب ولا يقف صامتاً أمام أعمال الزيف والاضطهاد بل ينطلق محلقاً في فضاء جديد يرسم معالمه بيديه وينحت تفاصيله بقدر لا يحتمل وجود نائب أو وصي .

باختصار هذا ما توفره هذه المجموعة القصصية لقارىء يجيد القراءة .

المطبعة الخضراء